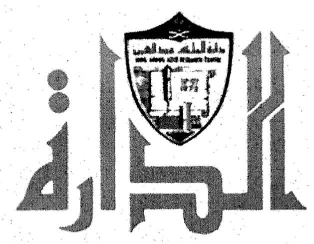






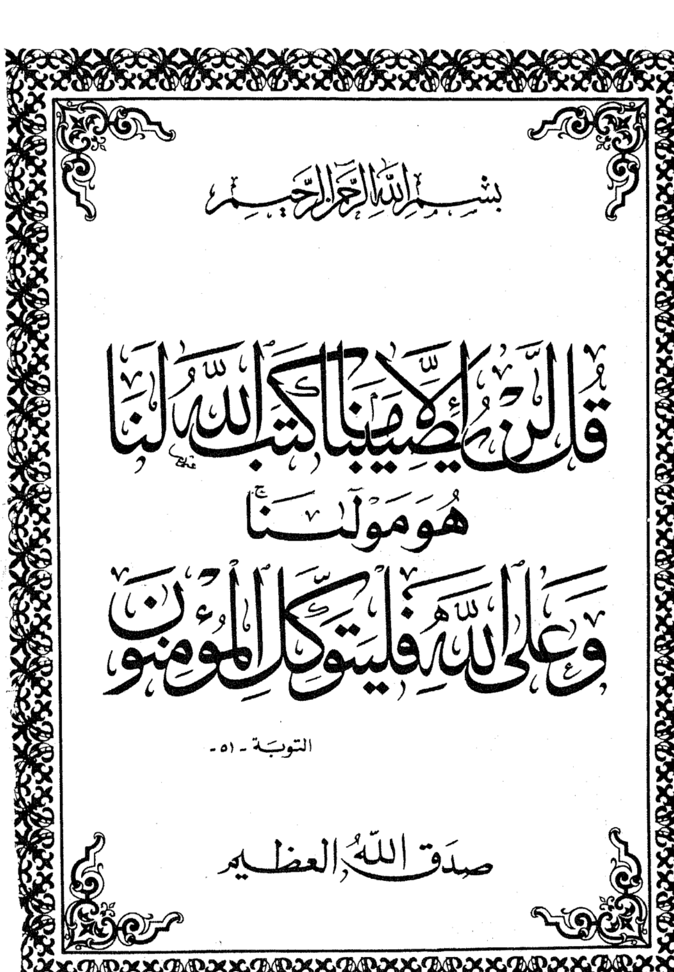


العدد الثالث ـ السنة التاسعة ـ ربيع الثاني ١٤٠٤هـ ـ يناير ١٩٨٤م

القدس عربية إسلامية

من الأوابد الأردنية

حملات الرومان على الجزيرة العربية



بسم الله الرحمن الرحيم
قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا
هو مولانا
وعلى الله فليتوكل المؤمنون
التوبة - ٥١ -
صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم





مجلة فصلية تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز

العدد الثالث	السنة التاسعة	ربيع الثاني ١٤٠٤هـ يناير ١٩٨٤م

دارة الملك عبدالعزيز :

أنشئت بمقتضى المرسوم الملكي الكريم رقم م/٤٥ في ٥/٨/١٣٩٢هـ كهيئة مستقلة ذات شخصية اعتبارية يديرها مجلس إدارة له كافة الصلاحيات اللازمة لتحقيق أهدافها؛ والغرض من إنشائها: خدمة تاريخ المملكة وجغرافيتها وآدابها، وآثارها الفكرية والعمرانية بخاصة، والجزيرة وبلاد العرب والإسلام بعامة، وذلك عن طريق إنجاز البحوث ونشرها، وجلب الوثائق والمخطوطات وتحقيقها، وإصدار مجلة تحمل اسمها. كما أنها "المركز الوطني للوثائق والمخطوطات" بمقتضى الموافقة السامية رقم ٥/٨/١٢٦٠ في ٢٠/٥/١٣٩٦هـ.

 ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية

ترسل الاشتراكات باسم الأمين العام للدارة
☎ ٤٤١٤٦٨١

الادارة والتحرير
☎ ٤٤١٢٣١٦ - ٤٤١٢٣١٧


دارة الملك عبد العزيز
KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE
١٣٩٢
1972



● صورة الغلاف ●

○ القدس تناديكم ..

في هذا العدد :

* آراء الكتّاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة *

ترتيب الموضوعات
داخل العدد يخضع لأسباب
فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب

●●●●

لا ترد البحوث الى اصحابها سواء
نشرت أو لم تنشر ...

* الاشتراكات *

١٥ ريالا للاشتراك السنوى داخل
المملكة العربية السعودية

– وفى البلاد العربية ما يعادل القيمة

– ٦ دولارات خارج البلاد العربية



السعودية ٢ ريال – الامارات العربيـــة ٤ دراهم

– قطر ٤ ريالات – مصر ٢٥ قرشا – المغرب ٤ دراهم – تونس ٣٥٠ مليما .

خارج البلاد العربية دولار للعدد

الموزعون

* السعودية : مؤسسة الجريسي للتوزيع
ص . ب ١٤٠٥ الرياض – ت ٤٠٢٢٥٦٤

* أبو ظبي : مكتبة المنهل
ص . ب ٣٧٧٨ أبو ظبى – ت ٣٢٣٠١١

* دبي : مكتبة دار الحكمة
ص . ب ٢٠٠٧ ت ٢٢٨٥٥٢

* قطر : دار الثقافة
ص . ب ٣٢٣ ت ٤١٣١٨٠

* البحرين : مؤسسة الهلال للتوزيع
ص . ب ٢٢٤ المنامة ت ٢٦٢٠٢٦

* مصر : مؤسسة الأهرام للتوزيع
شارع الجلاء – القاهرة ت ٧٥٥٥٠٠

* تونس : الشركة التونسية للتوزيع
٥ نهج قرطاج

* المغرب : الشركة الشريفية للتوزيع
ص . ب ٦٨٣ الدار البيضاء ٠٥

من هم العبرانيون ؟..

ولعلى طالب علم أبحث عن الحكمة، فإن وجدتها أتمتع بها والمتعة بالمعرفة أريدها للجميع للمسلم والعربى والإنسان . من هنا تعودت أن أطرح أسئلة عن خواطر ترد عن رؤية الواقع أو عن فكرة خفية على معالمها وحتى لو اتضحت تلك المعالم فليس من المستحسن أن أصدق هذا الوضوح ؛ بل ينبغى أن أضعه أمام القارئ .

إن هذه الدهلزة بسطتها أمام ما أطرحه من أسئلة . كما يأتى :

١ ـ قالوا إن أبناء سام قد اقتسموا الأرض وليست هى إلا جزيرة العرب حول النهرين ووسط الجزيرة واليمن السعيد . حتى الأحقاف والربع الخالى .

وقد درج العرب فى تاريخهم الحديث على أن يحددوا جزيرتهم شمالا من جنوب جبال طورس ، والبحر الاحمر وشرقا أرمينيا وأرض فارس ، وجنوبا المحيط الهندى ، وغربا البحر الأحمر وبرزخ السويس . إن هذا التحديد الحديث لعله قد وصل إلينا من التحديد القديم .

٢ ـ فأبناء سام قد أطلقت عليهم أسماء ثلاثة حسب تحركهم من أرض الخصب إلى أرض الجدب أو من أرض الجدب إلى أرض الخصب . فقد قالوا إن أبناء سام هم عربيون أو عِربيون وعبرانيون وخبيريون .

فالعرْببى توطن الصحراء والخبيرى سكن اليمن السعيده والعبرانى عبر النهر أو هو عبر إلى النهر . هذا هو لب السؤال .

ليست المشكلة أمامى أن أعرف العربى وموطنه ، ولا الخبيرى وموطنه ، ولكن هو ماذا تعنيه كلمة العبرانى ؟! ومن هم العبرانيون ؟! إن العبرانيين فيما شاع وذاع أنهم اليهود ولا أعتقد أن هذا الاسم لم يطلق عليهم فى حياة أبيهم اسرائيل يعقوب عليه السلام . فالذى عبر النهر وحده هو جد يعقوب ابو الأنبياء عليه السلام وما أطلق على نفسه أنه العبرانى ، فلو كان هذا اللقب من ألقاب إبراهيم عليه السلام لأطلق على إسماعيل وبنيه مادام قد أطلق على إسحاق وبنيه . وهذا اللقب أيضا لم يطلق على يعقوب فحين قدم إلى مصر لم يكن معه إلا ستة وثمانون شخصا وما قالوا عنهم أنهم العبرانيون أو العابرون إنهم أبو يوسف ، وإخوة يوسف بنو اسرائيل ، جاء بهم من البدو فقد كان يعقوب يرحل من قرية إلى قرية وكان يعقوب وبنوه بدوٌ أهل عير . فالعير مطية الرّحال .



بقلم : محمد حسين زيدان

ولعلي أزعم أن إطلاق لقب العبرانين على اليهود قد أضافوه إلى أنفسهم حين عبروا البحر من مصـــر إلى سينا .

٣ ـ مادام أني قد حاولت أن أنفي اللقب خاصا باليهود فإني أحاول أن أثبته للذين عبروا النهر إلى ما حول النهر غربا وجنوبا . فاذا كان العابرون عبروا النهر . فقد كان هذا اللقب يطلق على الذين عبروا . ويعنى أنهم موجة .

فالآشوريون عابرون والهكسوس عابرون فلم يطلق عليهم هذا اللقب . إذاً فعلى من ينحصر هذا اللقب ؟.

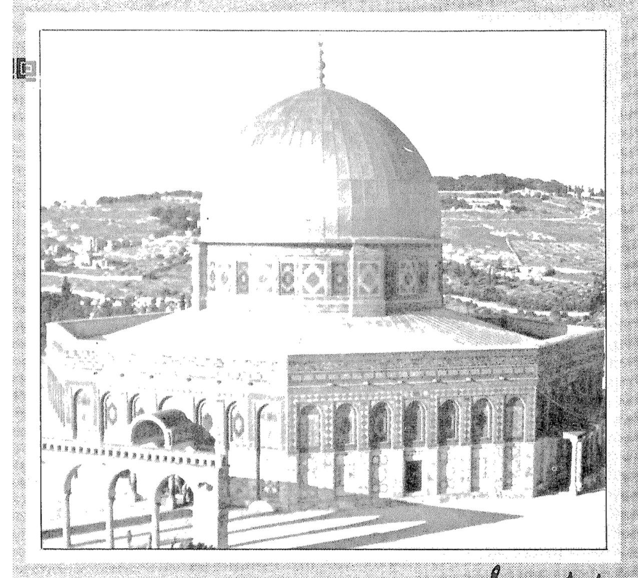
لكى نحصر هذا اللقب على من سمى به ينبغى أن نرجح قول الذين أنكروا العبور من أرض الخصب إلى أرض الجدب وجعلوا العبور من أرض الجدب إلى أرض الخصب .

إذاً فالكندان الذين عمروا ما بين النهرين هم (العبرانيون) .

ـ لكن حين انتشر أبناء سام فى جزيرة العرب هل كان الخصب محصوراً حول النهر وفى اليمن السعيده أم أن انتشار أبناء سام فى جزيرة العرب كلها يوم كانت الجزيرة كلها خصبة ء فقد أدرك بنو سام ؛ فهم نسل نوح بعد الطوفان امتداد بعيد الزمن فى العصر المطيرْ . فانتشار بنى سام كان من الخصب إلى الخصب عربيون وعبرانيون وخبيريون حتى إذا بدأ عصر الجفاف تحددت معالم الخصب ومعالم الجدب . ودليلى على أن جزيرة العرب كانت مخصبة هذا الحديث فى مسند الإمام أحمد (لن تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً) . أى أنها كانت ذات مروج وأنهار وسوف تعود .

فكانت موجات العبور ـ أى الهجرة ـ موجات من الجدب إلى الخصب .

أرجو أن يفهم القارئ أن هذا ليس بحثا كله الصواب ، وإنما هى أسئلة عن خواطر أحببت أن أعالجها راجيا من الدكتور حسن ظاظا والدكتور عبدالرحمن الأنصارى والدكتور عبدالله المصرى ومن إليه . أن يواكبوا هذا الموضوع زيادة وإيضاحا وتصويباً وتخطئه .



القُدس عربيّة إسلاميّة

د . سيد فرج راشد

هذا البحث محاولة لإلقاء مزيد من الضوء على مدينة القدس ؛ المدينة التاريخية التى تعتبر من أقدس المدن الإسلامية بعد مدينتى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، يقدسها المسلمون على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم . وقد خصها الله بعقيدة التوحيد للآله الواحد لأول مرة فى تاريخ البشرية ، كما خصها بعدد كبير من الأنبياء « وما فيها موضع شبر إلا وقد صلى فيه بنى أو قام فيه ملك »[١] ، وقد شرفها الله بإسراء رسوله المصطفى ﷺ ؛ فجاء فى كتابه العزيز « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير »[٢] .

والدين الاسلامى هو الدين الذى جعل الحج ركنا من أركانه ، ويهود العصور الوسطى عاشوا فى كنف المسلمين ورأوا احتفال المسلمين بموسم الحج حيث اندلعت الحروب الصليبية فى هذا الوقت فرأوا استماتة المسلمين فى القدس ، فأيقظ هذا عندهم الاهتمام بالمدينة المقدسة ، ولقد كان الشتات اليهودى فى العصر المسيحى السابق على الاسلام شتات خوف من الاقتراب من القدس ؛ لأن الرومان كانوا يسيطرون عليها ، فلما دخلت ضمن ممتلكات المسلمين أصبح حج اليهود إليها ميسورا وبخاصة وأنهم كانوا متمركزين فى المغرب والأندلس .

ومازالت المدينة حتى يومنا هذا تقدسها الديانات السماوية الثلاث ، وقد أطلق على المدينة أسماء عديدة خلال تاريخها الطويل .

أولا : أسماء المدينة فى مختلف أدوارها والآراء العلمية فى تفسيرها :

ذكرت أول اشارة الى مدينة القدس فى النصوص المصرية السائدة منذ القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد وكان اسمها على الأرجح ينطق روشاليمم **Rushalimum** ووردت بعد ذلك فى رسائل تل العمارنة (القرن ١٤ ق . م) باسم أوروسالم كما جاء فى رسالة وجهها « عبديخيبا »[٣] حاكمها الى ملك مصر أمينوفيس الثالث (١٤١١ ـ ١٣٧٥ ق . م) ، يطلب فيها العون العسكرى .

وقد سميت « يبوس » نسبة الى اليبوسيين الذين سكنوا القدس وما حولها[٤] ، وكانوا قد نزحوا اليها من قلب الجزيرة العربية ، وقد عرفها الكنعانيون باسم

« أوروسالم » ومن المحتمل ان صيغة هذه الكلمة آرامية تتركب من مقطعين :

المقطع الأول « أور » بمعنى موضع أو مدينة ، والثانى « سالم » بمعنى السلام وهو غالبا اسم إله وثنى لسكان فلسطين الأصليين وهو إله سلامة القوافل ، وعلى ذلك فكلمة « أوروسالم » تعنى مدينة السلامة . وظل اسم « يبوس » علما على المدينة « قضاه ١٩ : ١٠) حتى تم استيلاء داود عليها وصار بعد ذلك اسمها « مدينة داود » .

وقد وجد اليهود بعد ذلك صعوبة فى كتابة اسمها « أوروسالم » باللغة العربية فوردت فى أسفار العهد القديم ست مرات تحت اسم « يروشاليم »[٥] لكنها وردت بدون ياء ٦٥٦ مرة فى هذه الأسفار أيضا .

ثم نجد اسم القدس واردا فى نقوش الإمبراطور الآشورى سنحاريب (حوالى ٧٠٠ ق . م) تحت اسم « أوروسليمو » . وفى عهد الاسكندر الاكبر سماها اليونانيون « هيروسوليما » ثم صار اسمها « ايليا كابيتولينا »[ ] فى عصر الامبراطور الرومانى « ايليوس هدريان » بعد ان قضى على الكيان الدينى لليهود ، وفى أعقاب ذلك أصدر مرسوما يتضمن امرا بقتل كل من يدخل القدس من اليهود ، وظلت تعرف بهذا الاسم (ايليا) حتى اوائل الفتح الاسلامى ، وسميت كذلك فى العهدة المعمارية . أما اسم « القدس » فقد عرفت بها المدينة منذ بداية تاريخها عندما اقيمت فيها اماكن مقدسة للعبادة . ومن الجلىّ أن المؤرخ اليونانى « هرودوت (٤٨٤ ـ ٤٢٥ ق . م) » لم يذكر اسم أورشليم ولكنه ذكر كلمة « قديتس » مرتين ، وقد حاول بعض الباحثين الوصول الى تفسير العلاقة بين القدس وكلمة قديتس فجاء التفسير لافتا للنظر ؛ فاسم القدس محرف فى اليونانية عن النطق الآرامى « قديشتا » ومما يثير فى النفس ريبة أن اليهود أطلقوا عليها احيانا اسم « مدينة القدس »[٧] .

أما « بيت المقدس » فقد أطلق على المدينة ابتداء من العصر الاسلامى ، ومن أسمائها « الزيتون » وفى ذلك نزلت الآية « والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين » . قال ابن عساكر عن ابن عباس « ان التين بلاد الشام والزيتون فى بلاد المقدس ، وطور سينين هو الجبل الذى كلم الله موسى عليه ، وهذا البلد الامين :

مكة المكرمة » .

ومؤدى هذا كله أن مدينة القدس كانت تحمل اسم أورشليم وهو الصيغة العربية لاسم أوروسالم ، قبل غزو العبريين لها وهذا يظهر بوضوح فى رسائل تل العمارنة ، كما كانت تحتل مكانة بارزة فى التاريخ قل الوجود اليهودى فيها .

جغرافية القدس .

تتمتع مدينة القدس بموقع استراتيجى متميز ؛ فهى تقع على خط عرض ٣١ شمال خط الاستواء ، وعلى خط طول شرق جرنتش ، على هضبة غير مستوية يتـراوح ارتفاعها بين ٢١٣٠ ـ ٢٤٦٩ قدما[٨] ويحيط بها من جميع أطرافها اودية عميقة ، وادى « قدرون » فى الشرق ، ووادى « هنم » فى الغرب وأيضا وادى سلوان ، ويلتقى الواديان عند الطرف الجنوبى تاركين الجبهة الشمالية فقط بغير حماية طبيعية . وهناك واد ثالث يسمى « وادى الجبانة » يمتد من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى حتى يتصل بوادى سلوان الذى يتصل بدوره بوادى قدرون شرقا ، وبذلك تقسم ارض المدينة قسمين مكونين من هضبتين مستطيلتين ؛ الهضبة الغربية يحدها وادى هنوم من الغرب والهضبة الشرقية يحدها وادى قدرون من الشرق .. وهناك وادى الأرواح الذى يلتف حول غرب جبل صهيون ولأقصى الجنوب .

ومن أهم جبال المدينة جبل الزيتون ويسميه العرب « جبل الطور » وعلى امتداده من الجنوب الشرقى للقدس يقع جبل بطن الهوا ، أما جبل صهيون فيقع فى الزاوية الجنوبية الغربية للقدس وكانت قلعة اليبوسيين ، والى الشمال الشرقى لجبل صهيون يمتد جبل أكرا على شكل هلال . بالاضافة الى ذلك هنـالك جبـل بيـت المقـدس (الموريا) حيث المسجد الاقصى ويسمى ايضا هضبة الحرم . وعلى امتداد جبـل الزيتون من الشمال الشرقى يقع جبل رأس المشارف « سكوبوس » وعلى هذا الشكل تقوم المدينة على مرتفعين اثنين هما : هضبة الحرم وفى مواجهتها فى الجنوب الشرقى « جبل صهيون » يفصل بينهما جزء من وادى الجبانة .[٩]

طرق القدس :

يختلف المؤرخون فى أمر بناء المدن ؛ ومهما يكن فان موقع المدينة لا يتم اختياره بمحض الصدفة ؛ بل يكون على عدة أسس : أهمها وجود موارد كافية للمياه ، كما ان موقعها ينبغى ان يكون حصينا بحيث يضمن حمايتها ضد أية قوى معادية ، وينبغى ان يكون الموقع ذا استراتيجية خاصة تسهل للمدينة الحركة والتجارة مع جيرانها ؛ ولذلك كان من الضرورى ان نتعرف على الطرق الرئيسية والفرعية التى تربط القدس بالمدن الهامة فى فلسطين . واذا رجعنا الى الطرق القدمية نرى أنها فرضت نفسها على جغرافية المنطقة ، وان كانت قد حدثت بعض التغييرات الطفيفة : إلا ان هذا لم يؤثر على اتجاهات الطرق الرئيسية .

١ ـ طريق القدس ـ يافا :

وهو طريق وعر يمر بمناطق جبلية حتى يصل الى السهل الساحلى ، ويبلغ طوله سبعة وستين كيلو مترا ، ويبدأ هذا الطريق من غرب القدس ـ من الباب الغربى للقدس والمسمى باب يافا ـ ويستمر على هضبة القدس نفسها ثم يعبر دير ياسين وابو غوش ثم الرملة ، ويبدأ الطريق فى الانحدار من ابو غوش الى الرملة ، ويطلق على الطريق من جهة الرملة حتى السهل الساحلى اسم باب الوادى[١٠] .

٢ ـ طريق القدس ـ حيفا :

يمر برام الله ونابلس (شكيم) وجنين ثم حيفا .

٣ ـ طريق القدس ـ طبرية (الجليل) :

يمر برام الله وقليقلة وطولكرم ونابلس (شكيم) وسبسطية (السامرة) والعقولة ثم طبرية (الجليل)[١١]

تحتل مدينة القدس مكانة بارزة فى التاريخ وذلك قبل الوجود اليهودى فيها ، فقد سكنها اليبوسيون ـ اقدم سكان القدس ـ ومن المرجح انهم كانوا بطنا من بطون

العرب الأوائل نشأوا فى داخل الجزيرة العربية ، ثم نزحوا عنها مع من نزحوا من القبائل الكنعانية فى القرن الثالث قبل الميلاد . ومن ملوكهم ملك صادق[١١] وكان أول من خطط لبناء مدينة يبوس « القدس » وقام بتحصينها . وهناك حقيقة هامة مؤداها:ان العبريين عندما غزوا فلسطين بقيادة يوشع بن نون ، وجدوا اليبوسيين والأروميين والموآبيين العمونيين والكنعانيين وغيرهم وهؤلاء جميعهم عرب . وقد فشل العبريون تماما فى غزو يبوس (القدس) ، الا انهم احتلوا كثيرا من المدن الكنعانية وتشربوا كثيرا من عادات الكنعانيين وطقوسهم الدينية[١٢] .

واستمرت المعابد الكنعانية تخدم الكنعانيين والاسرائيليين ، ومن هنا بدأوا فى التعرف على الطقوس الكنعانية حتى اصبحت الاعياد الكنعانية اعيادا اسرائيلية[١٣] وظلت القدس (يبوس) فى أيدى اليبوسيين حتى احتلها داود وجعلها عاصمته لفترة محدودة حيث قام بتجهيز المواد اللازمة لبناء المعبد ، ثم بدأ سليمان بعد ذلك فى بنائه .

ومن المؤكد ان المهندس المعمارى الفينيقى الذى صمم الهيكل ، قد استوحاه من الفن المعمارى السامى فهو يكاد يماثل تصميم المعبد الكنعانى مع اختلافات غير جوهرية ، بالاضافة الى ذلك نجد تأثير الفن البابلى والمصرى يتمثل فى وجود عمودين على مقربة من مدخل الهيكل على شاكلة المسلات المصرية ، على ان تلك الطقوس ترجع أيضا فى أصلها الى عبادة الشمس (معبد آتون فى تل العمارنة)[١٤] .

ومن الأمور التى تلفت النظر أن الحرم الاسلامى الشريف فى القدس مستطيل ويأخذ الاتجاه من الشمال الى الجنوب فى اتجاه قبلة مكة المكرمة ، على خلاف الهيكل ، فبرغم استطالته يأخذ الاتجاه من الغرب الى الشرق (نحو الشمس) وكان هذا الاتجاه سائدا فى المعابد القديمة فى مصر وبابل كما ذكرنا . ومقاييس الحرم الاسلامى حسب القياس المعروف ، الضلع الشرقى لسور الحرم ٣٨٤ مترا والضلع الجنوبى طوله ٢٢٥ مترا ، ثم يمتد الضلع الغربى فى خط مستقيم بزاوية منفرجة ، وبذلك يصبح الهيكل داخل اسوار سليمان او نحميا أهيرودس . ومن المرجح ان طول ضلع السور المحيط بمنطقة الهيكل فى عصر سليمان ١٨٠ متراً ؛ حيث كان على هيئة مربع ، أما ابعاد الهيكل نفسه فكان طوله ٣١ متراً وعرضه ٢٠ متراً[١٥] .

تلك هى البذور الذى بذرها اليهود من زمن بعيد فى حملة الدعاية هذه بأسلوبهم ، وذلك بإعطاء الهيكل كل هذه الأهمية بالرغم من أبعاده البسيطة ؛ ولذلك صوره العهد القديم فى صورة فخمة مهيبة على ان بناءه استغرق سبع سنوات ، ولنا ان نتصور كيف ان هذا الحجم الصغير من البناء يستغرق هذه الفترة الزمنية الكبيرة ، ولذلك كان لابد ان تحدث تحولات فى رؤية الانسان العربى على ضوء ذلك .

ومؤدى هذا كله ينفى نفيا قاطعا الرأى القائل بأن الهيكل يقوم مكان الحرم الاسلامى الشريف .

المقدسات الاسلامية فى القدس :

ليس بغريب ان يفكر المسلمون فى فتح « بيت المقدس » وهو البيت الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم وعلى لسان النبى ﷺ وفى أحاديث الصحابة .

ان ثمة حديثا قدسيا عن سيدنا رسول الله ﷺ يوضح للمسلمين مكانة القدس عند الله تعالى بقوله : « أنت جنتى وقدسى ، وصفوتى فى بلادى ، ومن سكنك فبرحمة منى ، ومن خرج منك فبسخط منى عليه » .

ومؤدى هذا الحديث القدسى : أننا نستطيع ان نقول إن الله تعالى اختص بسكنى هذا المكان الطاهر من يرضى أمانته واستحقاقه بشرف العيش فيه .. وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل فيه سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وان يجعل من ذريته الأنبياء ، فاختص الله تعالى بيته العتيق ، وهو أول بيت وضع للناس فى مكة المكرمة بالرسالة الخاتمة ، حيث أقام فيه سيدنا اسماعيل أول أبناء سيدنا ابراهيم بذريته العرب ، وفيه وحوله قامت الرسالة الخاتمة للأديان جميعا بنزول القرآن الكريم على المصطفى عليه الصلاة والسلام .

ونحن إذ نتمعن مطلع سورة الاسراء بقول الله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير » ندرك انه كان فى القدس من قديم الأزل مسجد يعبد فيه الله تعالى ، ذلك هو المسجد الاقصى الأول ، أو ما يسمونه بالمسجد الاقصى القديم تحت

محراب المسجد الاقصى الحالى ، وهو الذى أسرى اليه بنبينا محمد ﷺ .

وحقيقة الأمر ان سيدنا ابراهيم الخليل قد بنى المسجد الاقصى الأول بعد عودته من رحلته التاريخية التى امره الله تعالى فيها بأن يرفع القواعد من البيت العتيق بمكة المكرمة هو وسيدنا اسماعيل عليهما الصلاة والسلام .

وهكذا تجسدت قدسية القدس فى إسراء محمد ﷺ الى الصخرة المقدسة ، وبها صلى بالانبياء والرسل إماما ، ومنها عرج الى السموات العلا ، ثم عاد الى القدس ومنها الى مكة المكرمة .

فالقدس إذاً بأنبيائها ورسلها وعبادها تنتمى الى الاسلام من قديم الحقب . ومن الجدير بالملاحظة ان نذكر ان المسلمين بعد ان هزموا الروم فى معركة اليرموك وفتحوا الشام ، توجه أبو عبيدة بن الجراح الى فلسطين وحاصر مدينة ايليا (القدس) فترة اربعة اشهر وتم تسليمها سنة ١٥ للهجرة (٦٣٦ ميلادية) فى حضور الخليفة عمر ابن الخطاب ففتحت له ابوابها ، وعندما دخلها أمّن أهلها على أنفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم واعطاهم عهدا بذلك[١٦] وكتب لهم وثيقة الأمان التالية وقد عرفت بالعهدة العمرية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايليا من الأمان .

أعطاهم امانا لأنفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم . سقيمها وبريئها وسائر ملتها . انه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ، ولا من صلبهم ، ولا من شيء من أموالهم . ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم . ولا يسكن بإيلياء معهم احد من اليهود . وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما تعطى أهل المدائن . وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فهو آمن ، وعليه مِثْلُ ما على اهل ايلياء من الجزية . ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم . فمن شاء منهم قعد ، وعليهم مثل ما على اهل ايلياء من الجزية . ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى اهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم .

وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية ابن أبى سفيان . كُتب سنة خمس عشرة هجرية .

ولما زار عمر بن الخطاب كنيسة القيامة استقبله هناك بطريرك النصارى صفرونيوس ، وصادف ان حان وقت الصلاة وهو يزور الكنيسة فأشار عليه البطريرك ان يصلى حيث هو فأبى ذلك خشية ان يتخذها المسلمون فيما بعد حجة يتذرعون بها للمطالبة بحق فى الكنيسة ، ويقال انه امسك بحجر ورماه بالقدر الذى سمحت له به قوته وصلى فى المكان الذى رمى فيه الحجر وهو المكان الذى يقوم عليه الجامع المعروف باسمه الآن وهو على بعد خطوات من كنيسة القيامة .

ولم يجرؤ اليهود طوال ايام الخلفاء الراشدين على الاقامة فى القدس ، ولما جاء الأمويون أولوا القدس اهتمامهم ، وبنى الخليفة عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة المشرفة عام اثنين وسبعين هجرية (٦٩١ م) ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنوات كاملة ، ويقع مسجد قبة الصخرة وسط فناء واسع على أرض الحرم ، ويتميز مبناه بقبة هى من أهم المعالم البارزة لمدينة القدس حيث يبلغ ارتفاعها ثلاثين متراً وتتكون من جزئين . العلوى منها مغطى برقائق الرصاص الذى لا يتغير لونه مع الزمن ، وقد تمّ تجديده بصفائح الألمنيوم المذهبة بعد ان تعرض للقصف اليهودى الأعمى ايام حرب عام ١٩٤٨ م ، اما الجزء السفلى فقد بنى برقائق الرخام البديع وفوقه مربعات من القيشانى الأزرق ، وقد كتب عليه سورة يس باللون الأبيض ، وكان السلطان سليمان القانونى قد امر بترميمه عام ١٥٦١ م .

وتعتبر قبة الصخرة المشرفة اقدم نموذج فريد لفن العمارة الاسلامية ، وفى طليعة الاعمال العالمية . واجماع علماء الآثار وفن العمارة شاهد على صدق هذا الذى نقوله فجانب كبير من الفن العربى الاسلامى يتميز به جامع قبة الصخرة فهو مثمن الشكل ، طول كل ضلع فيه عشرون مترا وارتفاعه عشرة امتار وترتفع القبة فوق الفناء عشرين مترا ويرتفع فى اعلاها هلال طوله اربعة امتار وللمسجد أربعة أبواب مزدوجة ويقوم المسجد على ستة عشر عمودا رخاميا مختلفة الالوان بالاضافة الى ثمانى

دعائم مكسوة بالرخام المعرق ويعلو هذه الدعائم والاعمدة زخارف بانواع الفسيفساء المختلفة .

وتحت هذه القبة صخرة يتراوح ارتفاعها عن الأرض بين متر ومترين وشكلها غير منتظم وطولها حوالى ثمانية عشر مترا وعرضها نحو ثلاثة عشر مترا وهى محاطة بسياج من الخشب المنقوش ، ومن قمة هذه الصخرة المشرفة عرج سيدنا محمد ﷺ الى السماء .

وروى عنه ﷺ انه قال « صليت ليلة أسرى بى إلى بيت المقدس عن يمين الصخرة »

ومؤدى هذا كله ان صلة اليهود بالقدس صلة مؤقتة جاءت وليدة غزوة طارئة لا يترتب عليها أى حقوق قومية .

وجريا على هذه الصورة فان التاريخ من قديم الحقب وعلى مر الزمان اوضح بما لا يدع مجالا للشك عدم صحة ادعاءات الصهيونية حول القدس الآن ، فقد سكنها اليبوسيون ـ اقدم سكان القدس ـ قبل الوجود اليهودى بأكثر من الف وسبعمائة عام ، وهم بطن من بطون العرب الاوائل هاجروا اليها منذ الالف الثالث قبل الميلاد ، كما ان اسم القدس قد عرفت به المدينة منذ بداية تاريخها ، بالاضافة الى ان الاسم « أورشليم » الذى يفضله اليهود هو صيغة آرامية كما أثبتنا وورد فى رسائل تل المعارنة (القرن ١٤ ق . م) قبل الوجود اليهودى فى فلسطين .

ومن الجلى ان هذه المقارنات قد اكدت بالبراهين الساطعة انتماء القدس الى العرب منذ فجر التاريخ،ثم تأكدت قدسنا العربية الاسلامية بعد الفتح الاسلامى لفلسطين .

■ المراجع العربية ■

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ اسفار العهد القديم .

٣ ـ ابن حزم الاندلسى : الفصل من الملل والاهواء والنحل مكتبة محمد صبيح ، القاهرة ١٩٦٤ .

٤ ـ ابن الاثير : الكامل من التاريخ .

٥ ـ احمد امين . الدكتور : ظهر الاسلام .
الجزء الثالث ، الطبعة الرابعة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٦ .

٦ ـ اسعد مرزوق . الدكتور : التلمود والصهيونية .
منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ، بيروت ١٩٧٠ .

٧ ـ العارف . عارف باشا : تاريخ القدس .
دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥١ .

٨ ـ العقاد . عباس محمود : ابراهيم ابو الانبياء .
مطابع الهلال . القاهرة .

٩ ـ النجار . عبد الوهاب : قصص الانبياء .
مطبعة العلوم ، القاهرة ١٩٣٢ .

١٠ ـ اولبريت ـ وليم ف : آثار فلسطين .
ترجمة د . زكى اسكندر ، د . محمد عبد القادر محمد ، مطابع الاهرام ، القاهرة ١٩٧١ .

١١ ـ سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة .
ترجمة د . حسن حفنى ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧١ .

١٢ ـ سوسة . د . احمد : العرب واليهود فى التاريخ .
الطبعة الثانية ، مطبعة دار الاعتدال ـ دمشق .

١٣ ـ ظاظا . د . حسن : اسرائيل ركيزة للاستعمار بين المسلمين ـ القاهرة ١٩٧٣ .

١٤ ـ ظاظا . د . حسن : الساميون ولغاتهم .
دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧١ .
١٥ ـ ظاظا . د . حسن : الفكر الدينى الاسرائيلى .
معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة ١٩٧١ .
١٦ ـ فريزر . جيمى : الفولكلور فى العهد القديم .
ترجمة د . نبيلة ابراهيم ـ الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٢ .
١٧ ـ مراد كامل . الدكتور : الكتب التاريخية فى العهد القديم .
معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٨ .
١٨ ـ ياقوت الحموى : معجم البلدان .
١٩ ـ موسكاتى . سبتيلو : الحضارات السامية القديمة ، لندن ١٩٥٧ .
ترجمة الدكتور / السيد يعقوب بكر ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر .
٢٠ ـ ول ديوارانت : قصة الحضارة ، ج ٢ الشرق الادنى ، ترجمة محمد بدران .
الادارة الثقافية ـ جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٧١ .
٢١ ـ ثمار . قسطنطين : موسوعة فلسطين الجغرافية .
منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث ، بيروت ١٩٦٩ .
٢٢ ـ الاطلس العربى طبعة ١٠٦٥ .
٢٣ ـ زيف فلندى : اطلس اسرائيل الحديث ، القدس ١٩٦٨ .

○ المراجع الاجنبية ○

1 - Abrahams 1 :
The Legacy of Israel , LONDON , 1949.
2 - Adler , Elken Nathan :
Jewish Travellers , LONDON , 1930.
3 - Alt , A. :
Essays on Old Testament History and Religion translated by R.A. wilson , New York 1967.
4 - Bably , D. :
Geographical Companion to the Bible , New York , 1963
5 - Gray , J. :
The canaanites , LONDON , 1964
6 - Kaufmann , Y. :
The Religion of Israel from Its Beginning to the Babylonion Exiles , New York 1966
7 - Lods , A. :
The Prophets and the Rise Judaism , LONDON , 1955
8 - Macalister , R.A :
The Philistines , Thier History and Civilization , LONDON 1914
9 - Olmstead , A.t :
History of Palestine and Syria , New York 1931
10 - Smith , W.R :
The Religion of the semites , New York , 1972
11 - Wright , G.E and Freedman , D.N :
The Biblical Archaologist Reader , 1
Vol 1 , New York , 1961

○ دوائر المعارف والموسوعات الاجنبية ○

12 - Encyclopedia Religion and Ethics :
New York , 1928.
13 - Ency. Britannica : LONDON , 1961.
14 - Ency. Judaica : Jerusalem 1978.
15 - A Hebrew and English Lexicon of the old Testament - William Gesenius , Oxford.

○ الهوامش ○

(١) معجم البلدان لياقوت ١ : ١١٢

(٢) سورة الاسراء (١٧)

(٣) حسن ظاظا . اسرائيل ركيزة للاستعمار بين المسلمين حر ٧٥ . ويذكر د . احمد سوسة فى كتابه « العرب واليهود فى التاريخ » حر ٣٨٧ ان عبد يحيبا قد ارسل ست رسائل الى ملك مصر « امنحوتب الرابع » احد ملوك الاسرة الثانية عشرة المسمى ايضا اخناتون (١٣٧٥ ـ ١٣٥٨ ق . م) . وجاء فى مادة اورشليم بدائرة المعارف البريطانية طبعة ١٩٦١ ، ان الرسالة موجهة الى اخناتون فرعون مصر ولكنها لم تذكر اسم حاكم القدس الذى ارسل فى طلب العون .

(٤) سفر يشوع ١٥ : ٨ ، ٦٣ ـ سفر القضاة ١ : ٢١ ، ١٩ : ١٠

ويذكر احمد سوسة : المرجع السابق ان يبوس الذى سمى اليبوسيون باسمه هو احد اولاد كنعان كما جاء فى سفر التكوين ١٠ : ١٥ .

ويذكر حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٧٩ ان اليبوسيين هما أحد القبائل الفلسطينية القديمة ولكن عارف باشا العارف فى كتابه « تاريخ القدس » ص ١١ يقول انهم عشيرة من عشائر العرب الاوائل ، نشأوا فى قلب الجزيرة العربية ، ثم نزحوا عنها مع القبائل الكنعانية فاستوطنوا ارض فلسطين ، ومن المرجح ان ذلك حدث حوالى عام ٣٠٠٠ ق . م .

(٥) **Ency judaica : Vol. 9 , Jerusalem**
A Hebrew and English Lexicon of O.T , P. 436

راجع

حيث يذكر ان يروشاليم وردت بالياء خمس مرات على النحو التالى :

استير ٢ : ٦ ، ارميا ٢٦ : ١٨ ، اخبار الايام الاولى ٣ : ٥ ، ٣٢ : ٩ وأخبار الايام الثانى ٢٥ : ١ .

(٦) ايليا وهو الاسم الأول للامبراطور الرومانى هدريان والكابيتول هو اسم معبد جبيتر الكبير .

(٧) اشعيا ٤٨ : ٢ ، نحميا ١١ : ١ .

(٨) ظاظا : المرجع السابق ص ٨٠ .

(٩) **Ency , Britannica , val 7 , Jerusalem**

(١٠) يوحنان اهارونى : اسرائيل فى عصر المقرا ص ٤١ .

(١١) **D. Bably : Geographical companion to the Bible**
PP. 152 - 153

راجع الاطلس العربى طبعة ١٩٦٥ صفحات ٣٢ ، ٣٣

قسطنطين خمار : موسوعة فلسطين الجغرافية صفحات ١٧٣ ـ ١٨٣ .

(١٢) عارف باشا : المرجع السابق ص ١١

وقد عرف ملكيصادق بالتقوى وكان محبا للسلام حتى اطلق عليه « ملك السلام » ومن هنا جاء اسم المدينة « سالم » و« شالم » . ويرى د . ظاظا : المرجع السابق ان قوم ملكيصادق كانوا يتعبدون فى الكهوف ويقيمون الشعائر ولكنهم لم يسكنوها وان ملكيصادق كان يقيم الصلاة فى كهف طبيعى مكان قبة الصخرة . كما ان اطلاق اسم ملك السلام عليه لا يتمشى مع معنى ملكيصادق باللغة العبرية حيث معنى هذا الاسم « ملك العدل » .

(١٣) Y. Kaufmann : The Religion of Israel P. 302

(١٤) Gray : The Canaanites PP. 135 — 135

راجع : Encyclopedia Religion and Ethics
Israel P. 441
W. Robertson Smith : The Religion of the Semites
PP. 99 - 100

(١٥) G.E. Wright and D.N. Freedman : The Biblical Archaeologist , Reader 1 , vol. 1 P. 175
J. Gray : Op. cit P. 71

راجع
(١٦) ظاظا : المرجع السابق صفحات ١١٥ ـ ١١٧ .
(١٧) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ صفحات ١٩٤ ـ ١٩٥ .

أيديولوجية التنمية

في المملكة العربية السعودية

للدكتور محمد شوقي الفنجري

تمهيد :

١ - يراد باصطلاح « أيديولوجية » مجموعة المبادىء أو الأصول التى ينطوى عليها تشريع أو مذهب معين . وكذلك الخطط أو الأساليب العملية التى يضعها ذلك التشريع أو المذهب لإحالة هذه المبادىء أو الأصول الى واقع يعيش المجتمع فى إطاره .

وعليه فإن اصطلاح الأيديولوجية Ideologie ينطوى فى الواقع بشأن العملية الواحدة ، على وجهين :

أ - وجه ثابت او ساكن Statique وهو الأسس والمبادىء التى ينطوى عليها المذهب ، وهى فى خطوطها العريضة ثابته لاتقبل التغيير او التبديل . ومن قبيل ذلك فى المجال الاقتصادى : تحديد هدف الانتاج ، ونوع الملكية السائدة ، ومدى التخطيط الاقتصادى ، ومنهج تحقيق التوازن بين الانتاج والاستهلاك ، وكيفية توزيع الناتج أو الدخل القومى .. الخ .



وعلى الأساس المتقدم نستطيع أن نميز بين المذهب الاقتصادى الفردى والذى تدين به دول المعسكر الغربى وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية ، وبين المذهب الاقتصادى الجماعى والذى تدين به دول المعسكر الشرقى وعلى راسها الاتحاد السوفيتى ، وبين المذهب الاقتصادى الاسلامى والذى تدين به دول العالم الاسلامى

وعلى رأسها المملكة العربية السعودية .

ب ـ وجه متطور أو حركى Dynamique وهو الوسائل والاساليب التى يتذرع بها لتطبيق الأسس والمبادىء التى يقوم عليها مذهب معين . الأمر الذى يفتح الباب لتغاير كبير فى ذات المذهب ، فتتعدد وتختلف الأنظمة باختلاف ظروف الزمان والمكان وانما دون الخروج عن الخطوط العريضة لذلك المذهب .

وعلى الأساس المتقدم نستطيع فى مجال المذهب الاقتصادى ان نميز بالنسبة للمذهب الاقتصادى الفردى بين التطبيق أو النموذج الأمريكى ، وبين التطبيق أو النموذج الانجليزى أو الفرنسى أو الالمانى .. الخ ، وان نميز بالنسبة للمذهب الاقتصادى الجماعى بين التطبيق أو النموذج السوفيتى ، وبين التطبيق او النموذج الصينى أو اليوغوسلافى أو المجرى أو الرومانى .. الخ ، وان نميز بالنسبة للمذهب الاقتصادى الاسلامى بين التطبيق او النموذج السعودى ، وبين التطبيق أو النموذج الكويتى أو المصرى أو المغربى .. الخ .

٢ ـ ونخلص مما تقدم ان الخلاف بين المذاهب السائدة ، هو خلاف جوهرى فى الاساس والمبادىء . أما الخلاف بين النظم التطبيقية للمذهب الواحد ، هو خلاف تفصيلى فى الوسائل والأساليب . وعليه يظل الخلاف بين النظم أى التطبيقات applications للمذاهب المختلفة ، هو خلاف جوهرى وان تلاقت فى بعض الوسائل والأساليب .

وترتيبا على ذلك ، فان أخذ بعض الدول الرأسمالية كانجلترا أو فرنسا أو غيرها ببعض الأساليب الاشتراكية كتأميم بعض وسائل الانتاج أو وضع الخطط الاقتصادية أو التدخل فى تحديد الأسعار أو الأجور .. الخ ، لايفيد عدولها عن المذهب الفردى (الرأسمالى) وذلك حتى تعدل عن أسس هذا المذهب . كما أن أخذ بعض الدول الاشتراكية كيوغوسلافيا أو المجر أو غيرها ببعض الأساليب الرأسمالية كالسماح بقدر من الحرية الاقتصادية أو اقرار بعض صور الملكية الخاصة .. الخ ، لايفيد عدولها عن المذهب الجماعى (الاشتراكى) وذلك حتى تعدل فعلا عن أسس هذا المذهب . كذلك الأمر بالنسبة لدول العالم الاسلامى فإن تضييفها

أو توسيعها من نطاق الملكية الخاصة أو العامة أومن الحرية الاقتصادية وتدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى .. الخ ، لايفيد انتاءها الى الكتلة الغربية او الكتلة الشرقية وذلك حتى تعدل فعلا عن انتائها الاسلامى والتزامها بأحكام الشريعة الاسلامية .

وهذا فى الواقع لايتعدى القول بأن لكل مذهب أو نظام مفهوما يتضمن حدا ادنى من المعانى المشتركة بين مختلف ضروبه ، ولكنه مفهوم يتسع لتطبيقات متغايرة وفقا لتغاير الزمان والمكان . وهذا ماعبر عنه فقهاء الاسلام بقولهم (تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة) ، وأنه (خلاف زمان ومكان لا حجة وبرهان) وعبر عنه شيخ الاسلام ابن تيمية أدق تعبير بقوله (انه خلاف تنوع لاخلاف قضاء)[١] .

٣ ـ ومتى وضح ماتقدم ، فان ايديولوجية التنمية بالمملكة العربية السعودية ، خاصة الاقتصادية موضوع اهتمامنا ، هو الأيديولوجية أو المذهبية الاسلامية شانها فى ذلك شأن سائر دول العالم الاسلامى التى تدين بالمذهبية الاسلامية ، ملتزمة بأحكام الشرع الاسلامى فى تحقيق ذاتها ، خاصة فى مجال تنميتها الاقتصادية .

وعليه فان دراستنا الحالية ، تعرض باختصار وفى حدود القدر المسموح لنابه ، لأهم الأصول الاسلامية فى مجال التنمية والتى تدين وتلتزم بها المملكة العربية السعودية .

أولا : الاسلام والمشكلة الاقتصادية والاجتماعية :

١ ـ اهتمام الإسلام بالجانبين المادى والروحى على السواء :

جاء الإسلام منذ اربعة عشر قرنا بمنهج كامل للحياة ، يهتم بالجانب المادى فى حياة البشر بقدر مايعنى بالجانب الروحى ، ذلك لأنه لاقوام لجانب دون آخر وكلاهما يتاثر بالآخر ويؤثر فيه .

فإذا كان حقا ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، فإنه ايضا بدون الخبز لايستطيع ان يحيا الانسان .

٢ ـ الاسلام يضع منذ البدء مشكلة الفقر والتخلف فى المقدمة والصدارة :

لذلك وضع الاسلام المشكلة الاقتصادية وهى مشكلة الفقر والتخلف ، وذلك منذ البدء

وقبل أن تتطور الأحداث وتفرض المشكلة نفسها ، حيث يجب أن توضع فى الاساس وفى المقدمة . ومن قبيل ذلك انه اعتبر المال زينة الحياة الدنيا وقوام المجتمع ، وأنه نعم العون على تقوى الله ، وان طلب المال الحلال فريضة وجهاد فى سبيل الله .[٢]

أكثر من ذلك لقد ساوى الاسلام بين الفقر والكفر ، ولم يستعذ الرسول ﷺ من شيء بقدر استعاذته من الفقر فيقول عليه الصلاة والسلام (كاد الفقر ان يكون كفرا) ويقول (اللهم انى اعوذ بك من الفقر والكفر)[٣] وقال رجل (ايعدلان) قال (نعم)[٤]

٣ ـ ارتباط العبادة بتأمين الناس فى حياتهم المعيشية

بل ان الاسلام حين طالب الناس بالعبادة وذكر الله تعالى ، علله فى القرآن بقوله تعالى (فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)[٥] . وان موسى عليه السلام حين دعا الله بقوله (رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى)[٦] ، قرنه بقوله (كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا)[٧]

اكثر من ذلك ، لقد اعتبر الاسلام مجرد ترك احد افراد المجتمع ضائعا او جائعا ، هو بمثابة تكذيب للدين نفسه اذ يقول الله تعالى (**أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين**)[٨] .

ثانيا : الصيغة الإسلامية للتنمية :

نستطيع ان نلخص الصيغة الاسلامية للتنمية بانها تنمية شاملة ، ومتوازنة ، وغايتها الانسان نفسه ليكون بحق خليفة الله فى أرضه .

١ ـ فأما انها تنمية شاملة :

فذلك لأنها لا تستهدف رقى الإنسان ماديا فحسب ، وانما روحيا بصفة أساسية . والروحانية فى الاسلام ، ليست كما يتصور الكثيرون مسالة ميتافيزيقية أو غيبية ، وانما هى العمل الصالح ايمانا بالله واعتبارا ومراعاة له تعالى ، سواء كان ذلك الايمان أو تلك المراعاة والاعتبارات المتأصلة فى العقل والنفس والمتمثلة فى النشاط والسلوك ، مردها خشيته تعالى والخوف من عقابه او كان مردها ابتغاء مرضاته والفوز بجنته .

فالإسلام لايعرف الفصل بين ماهو مادى وماهو روحى ، ولايفرق بين ماهو دنيوى وماهو أخروى . فكل نشاط مادى أو دنيوى يباشره الانسان ، هو فى نظر الإسلام عمل روحى أو أخروى ، طالما كان مشروعا وكان يتجه به الى الله تعالى .[٩] فالله تعالى ، ماخلق الجن والانس الا ليعبدوه أى ليعملوا عملا صالحا ، والايمان فى الاسلام ليس ايمانا مجردا ABSTRACT ولكنه ايمان محدد Concrete مرتبط بالعمل الصالح .

وإن مبدأ الشمول فى التنمية الاقتصادية الاسلامية ، يقتضى أن تضمن التنمية كافة الاحتياجات البشرية من مأكل وملبس وسكن ونقل وتعليم وتطبيب وترفيه وحق العمل وحرية التعبير وممارسة الشعائر الدينية .. الخ ، بحيث لا تقتصر التنمية على إشباع بعض الضروريات أو الحاجيات دون الأخرى .

ومن هنا لايقبل الاسلام تنمية رأسمالية تضمن حرية التعبير ولا تضمن لقمة الخبز ، كما لايقبل تنمية اشتراكية تضمن لقمة الخبز وتقتل حرية التعبير .

٢ ـ وإما أنها **تنمية متوازنة** :

فذلك لأنها لا تستهدف الكفاية فحسب أى زيادة الانتاج بقوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)[١٠] وانما تستهدف اساسا العدل اى عدالة التوزيع بقوله تعالى (اعدلوا هو اقرب للتقوى)[١١] ، بحيث يعم الخير جميع افراد المجتمع الاسلامى ذلك ان هدف الاسلام من التنمية الاقتصادية ، هو ان يتوافر لكل مواطن حد الكفاية . M. D'aisance لاحد الكفاف M. vital[١٢] بحيث يستشعر نعم الله وفضله فيتجه تلقائيا الى حمده وشكره تعالى وعبادته ذلك الحمد والشكر الذى لايعبر عنه فى الاسلام بالقول والامتنان فحسب ، وانما اساسا بالعمل والاخلاص فيه بقوله تعالى (اعملوا آل داود شكرا)[١٣] . وتلك العبادة التى لا تتمثل فى الاسلام بالصلاة والتوجه الى الله فحسب ، وانما اساسا بخدمة الغير ومديد المعونة لكل محتاج بقوله تعالى (لا خير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس)[١٤] .

فالإسلام اذ يتطلب زيادة الإنتاج يستلزم فى نفس الوقت عدالة التوزيع ، بحيث لايغنى

احدهما عن الآخر . فوفرة الانتاج مع سوء التوزيع هو احتكار واستغلال لايسلم به الاسلام ، كما ان عدالة التوزيع دون انتاج كاف هو توزيع الفقر والبؤس مما يرفضه الاسلام[١٥] .

ومن ثم لايقبل الاسلام تنمية رأسمالية تستهدف تنمية ثروة المجتمع دون نظر الى توزيع هذه الثروة . واذا كانت التنمية الاشتراكية تؤكد العلاقة بين اشكال الانتاج والتوزيع الا انها ترى ان نظام التوزيع يتبع دائما شكل الانتاج ، فى حين يرفض الاسلام هذه التبعية بحيث ايا كانت اشكال الانتاج السائدة فإنه يضمن اولا حد الكفاية لكل فرد ، وذلك كحق الهى مقدس يعلو فوق كل الحقوق ثم بعد ذلك يكون لكل تبعا لعمله وجهده ، بحيث اذا لم يتوافر حد الكفاية لكل مواطن وهو مالا يكون الا فى ظروف استثنائية كمجاعة او حرب تأسى الجميع فى حد الكفاف[١٦] .

وإن مبدأ التوازن فى التنمية الإسلامية ، يقتضى ان تتوازن جهود التنمية ومن ثم فانه لايقبل فى الاسلام ان تنفرد بالتنمية المدن دون القرى ، أو ان تستاثر الصناعة بالتنمية دون الزراعة ، أو ان تقدم الكماليات أو التحسينات على الضروريات أو الحاجيات ، أو ان تسبق الصناعات الثقيلة أو المستوردة الصناعات الاستهلاكية أو المحلية ، أو ان يركز على البناء والتشييد دون توفير المرافق العامة والتجهيزات الاساسية .. الخ ، من الأخطاء العديدة التى وقعت فيها مختلف الدول العربية والاسلامية مقلدة دون وعى تجارب شرقية أو غربية ، غافلة أو جاهلة الصيغة الاسلامية بضرورة التوازن الانمائى . ولا شك ان التنمية غير المتوازنة التى نراها فى اغلب دول العالم النامى ، والتى تركز على جزء من الاقتصاد القومى وتزيد من تدهور بقية الأجزاء ، هى تنمية مشوهة بل هى فى حقيقتها تنمية للتخلف .

وأما أن غايتها الإنسان نفسه ليكون بحق خليفة الله فى أرضه ، فذلك مايحدد بواعث التنمية الإسلامية ووسائلها .

ففى « التنمية الرأسمالية » الباعث هو تحقيق اكبر قدر من الربح ، مما يؤدى عادة الى الانحراف بالانتاج عن توفير احتياجات المجتمع الضرورية ووفرة انتاج السلع الكمالية التى يطلبها الأغنياء والمترفون ، وما يصاحب ذلك من سيادة المادة ومختلف المساوىء الاجتماعية

التى تعانى منها المجتمعات الغربية .

وفى « التنمية الاشتراكية » الباعث هو سد احتياجات الدولة وفق اطماع وسياسات القائمين على الحكم لا وفق احتياجات ورغبات المواطنين انفسهم مما يهدر كلية حرية الفرد ويجعل منه مجرد ترس او اداة لا غاية .

أما التنمية الإسلامية فباعثها ليس الربح شأن التنمية الرأسمالية ولا أهواء القائمين على الحكم شأن التنمية الاشتراكية ، وانما هو توفير الكفاية لكل مواطن ليتحرر من اية عبودية أو حاكمية ، الا عبودية وحاكمية الله وحده ، فغاية التنمية الاسلامية هو الانسان نفسه لا تستعبده المادة شأن الرأسمالية ولا يستذله الغير شأن الاشتراكية وانما هو محرر مكرم يعمر الدنيا ويحييها بالعمل الصالح ليكون بحق خليفة الله فى ارضه .

ثالثا : الأسلوب الإسلامى لتحقيق التنمية :

يقوم الاسلوب الاسلامى لتحقيق التنمية على اساس تعاون الفرد والدولة معا ، لكل مجاله بحيث يكمل كلاهما الآخر ، ولايغنى أحدهما عن الآخر . ومن هنا كان اعتراف الاسلام بالملكية المزدوجة الخاصة والعامة ، كلاهما على قدم المساواة يتحملان مسئولية التنمية . اكثر من ذلك فإن الاسلام فى اعترافه للملكية سواء كانت خاصة او عامة ، وفى نظرته اليها وتنظيمه لها انما اقامه باعتبارها وسيلة إنمائية أى حافزا من حوافز التنمية .

١ ـ **ففى الاقتصاد الرأسمالى** ، التنمية هى فى الأساس مسئولية الفرد أو القطاع الخاص . بخلاف الاقتصاد الاشتراكى ، فإن التنمية هى فى الأساس مسئولية الدولة او القطاع العام .

أما فى الاقتصاد الإسلامى فإنها فى الاساس مسئولية الفرد والدولة معا اى القطاعين الخاص والعام ، لكل مجاله بحيث يكمل كلاهما الآخر ، ولايغنى أحدهما عن الآخر وبحيث لاتزداد أو تقل مسئولية اى منهما الا بقدر ما تتطلبه طبيعة وظروف التنمية فى كل مجتمع .

٢ ـ ازدواجية الملكية فى الإسلام :

ومن هنا كان من أهم الأصول الاقتصادية الاسلامية ، مبدأ ازدواج الملكية : الخاصة والعامة[١٧] ، يساهمان معا على قدم المساواة فى عمليات التنمية . كلاهما كأصل وليس

استثناء ، وكلاهما ليس مطلقا بل هو مقيد بالصالح العام أى اعتبارات العمران والتنمية ، وكلاهما يكمل الآخر فلكل مجاله بلا تعارض أو اصطدام حيث لا تقوم الدولة الا بأوجه النشاط الاقتصادى التى يعجز الأفراد عن القيام بها كمد السكك الحديدية وتعمير الصحارى وصناعة الأسلحة .. الخ .

لقد جاء الاسلام فأقر الملكية الخاصة ، بل وحماها الى حد قطع يد السارق معلنا ان (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)[١٨] ، وأنه (لايحل مال امرىء مسلم الا بطيب نفسه) كذلك جاء الاسلام فأقر صور الملكية العامة التى كانت معروفة وقتئذ كملكية الدولة للأرض التى لامالك لها ، والمعادن فى باطن الأرض والمرافق الاساسية كالمياه والكلأ والقوت الضرورى كالملح ومايقاس عليه ، بل لقد استحدث الإسلام صورا جديدة من الملكية العامة لم تكن معروفة من قبل سواء فى صورة المساجد ونزع الملكية الخاصة من اجل توسيعها ، أو فى صورة ارض الحمى ، أو فى صورة الوقف الخيرى ، أو فى صورة الأرض المفتوحة ورفض توزيعها على المحاربين واعتبارها ملكية عامة ومابقاؤها فى ايدى واضعى اليد من اصحابها الأصليين الا مقابل دفع الخراج اى اجرة الأرض[١٩] . واذا كان فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام لم يتوسع فى الملكية العامة ، فذلك لان ظروف المجتمع وقتئذ ودرجة تطوره الاقتصادى لم تكن تتطلب ذلك . على انه منذ قيام دولة الاسلام فى أواخر عهد الرسول عليه السلام واتساعها فى عهد الخليفة الأول ابو بكر ومن بعده الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، وما صاحب ذلك من زيادة الموارد واتساع النشاط الاقتصادى وظهور مشاكل اقتصادية جديدة ، وجدت تطبيقات عديدة لاسيما فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب يتوسع بمقتضاها فى اعمال مبدأ الملكية العامة .[٢٠]

المهم ان مسئولية التنمية فى الاسلام ، هى مسئولية الفرد والدولة معا ، وهنا يتبين لنا وجه هام يميز الاقتصاد الاسلامى عن الاقتصاد الرأسمالى والاقتصادى الاشتراكى .

أ ـ ففى الاقتصاد الرأسمالى .

الأصل هو الملكية الخاصة ، والاستثناء هو الملكية العامة اذا اقتضت الظروف تولى

الدولة بعض أوجه النشاط الاقتصادى . فالملكية الخاصة هنا مقدسة اذ هى فى نظره الباعث على النشاط الاقتصادى وجوهر الحياة ومن ثم فهى وحدها الاساس فى التنمية الاقتصادية .

ب ـ **وبالعكس فى الاقتصاد الاشتراكى** . الأصل هو الملكية العامة والاستثناء هو الملكية الخاصة لبعض وسائل الانتاج يعترف بها النظام بحكم الضرورة . فالملكية الخاصة هنا غير مصونة اذ هى فى نظره سبب كل المساوىء والمشكلات الاجتماعية ، ومن ثم يرى عدم الاعتداد بها فى مجال التنمية بحيث تكون الملكية العامة هى وحدها الاساس فى التنمية الاقتصادية .



ج ـ **اما فى الاقتصاد الاسلامى** ، فهو كما سبق ان اوضحنا ، يعترف بنوعى الملكية الخاصة والعامة ، وكلاهما كأصل وليس استثناء ، ولكل مجاله فى التنمية الاقتصادية بحيث يكمل كل منهما الآخر ، وكلاهما ليس مطلقا بل هو مقيد باعتبارات المصلحة والتنمية . **وعليه فقد تتوسع احدى الدول الاسلامية فى اعمال الملكية العامة فى مجال التنمية الاقتصادية ، فلا يحيلها ذلك كما توهم البعض الى دولة اشتراكية . وبالعكس قد تضيق احدى الدول الاسلامية من اعمال الملكية العامة فى مجال التنمية الاقتصادية ، فلا يحيلها ذلك كما تصور البعض الى دولة رأسمالية . وذلك طالما كانت ظروف هذه الدولة او تلك ، تقتضى هذا التوسع أو التضييق فى الملكية الخاصة او العامة بحسب متطلبات التنمية ، ودون انكار أو اهدار لإحدى الملكيتين**[٢١] **ويظل بذلك الخلاف بينها ، هو كما سبق ان ألمحنا ، خلاف زمان ومكان لاحجة وبرهان** ، وهو مانستطيع ان نعبر عنه أخذا عن شيخ الاسلام ابن تيمية باصطلاح انه (خلاف تنوع لا خلاف تضاد)[٢٢] .

٣ ـ شرعية الملكية هو باعتبارها وسيلة إنمائية

وإننا نسجل بحق ان الاسلام فى اعترافه للملكية سواء كانت خاصة او عامة ، وفى نظرته اليها وتنظيمه لها ، انما اقامه باعتبارها وسيلة انمائية اى حافزا من حوافز التنمية ، بحيث تنتفى شرعية الملكية سواء كانت خاصة او عامة اذا لم يحسن الفرد او الدولة استخدام هذا انفاقا او استثمارا فى مصلحته ومصلحة الجماعة . وقد عبر عن ذلك أصدق تعبير سيدنا عمر ابن الخطاب حين قال لبلال وقد اعطاه الرسول عليه السلام ارض العقيق بقوله (ان رسول الله ﷺ لم يقطعك لتحجز عن الناس ، وانا اقطعك لتعمل ، فخذ ماقدرت على عمارته ورد الباقى) ومن هنا ندرك :

أ ـ لماذا نهى الاسلام بشدة لا مثيل لها عن اكتناز المال وحبسه عن الانتاج والتداول بقوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون)[٢٣] ويقول الرسول عليه السلام (من جمع دينارا أو تبرا أو فضة ولا ينفقه فى سبيل الله ، فهو كنز يكوى به يوم القيامة)[٢٤] .

ب ـ ومن هنا ندرك ايضا لماذا ينهى الاسلام بشدة بالغة عن صرف المال بغير حق فى ترف او سفه ، حتى انه وصف المترفين بالمجرمين بقوله تعالى (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين[٢٥]) ، ووصف المبذرين بأنهم اخوان الشياطين بقوله تعالى (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)[٢٦] ، وكيف انه أجاز الحجر على السفيه الذى يصرف ماله على غير مقتضى العقل .

ج ـ ومن هنا ندرك كذلك لماذا لا يسلم الفقهاء للحاكم بنزع الملكية الخاصة او التأميم ، الا بقدر ماتقتضيه المصلحة العامة واخصها العمران والتنمية الاقتصادية ، ويعبرون عن ذلك بان (الامام مخير فيها تخيير مصلحة لا تخيير شهوة) .

د ـ ومن هنا ندرك اخيرا لماذا ربط الاسلام بين الايمان والانفاق فى سبيل الله اى فى سبيل المجتمع وتعميره . بل انه جعل ذلك الانفاق او التعمير هو علامة الايمان والتقوى ، وهو شرطه

الاساسى ، حتى انه مامن آية قرآنية او حديث نبوى يتكلم عن الايمان والتقوى الا ويقرنه بالانفاق فى سبيل الله اى فى سبيل المجتمع وتنميته . ولقد عبر القرآن عن الفائض الاقتصادى الذى هو اساس التنمية بتعبيرات العفو والفضل ، وهو كل مازاد عن الحاجة بغير ترف او سفه ، ودعا الى ضرورة انفاقه كله فى سبيل الله اى فى سبيل المجتمع وتنميته ، بل جعل ذلك كما اسلفنا علامة الاسلام وشرط الايمان .

رابعا : الضمانات الإسلامية لنجاح التنمية واستمرارها

١ ـ تعمير الكون وتنمية الإنسان هو غاية الاسلام :

اعتبر الإسلام تعمير الكون وتنمية الانسان ليكون بحق خليفة الله فى ارضه بقوله تعالى (إنى جاعل فى الارض خليفة)[٢٧] ، هو غاية خلقه ووجوده بقوله تعالى (هو أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها)[٢٨] اى كلفكم بعمارتها . فلم يخلق الله الانسان فى هذه الحياة عبثا أو لمجرد ان يأكل ويشرب ، وانما خلقه لرسالة يؤديها ، هى ان يكون خليفة الله فى ارضه : يدرس ويعمل ، وينتج ويعمر ، عابدا الله شاكرا فضله ، ليقابله فى نهاية المطاف بعمله وكدحه بقوله تعالى (يأأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه)[٢٩] . بل لقد جعل الاسلام صدق الكدح أو بطلانه ، هو سبيل سعادة المرء أو شقائه فى الدنيا والآخرة ، بقوله تعالى (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا)[٤٠] .

ومن هنا فقد سخر الله تعالى للانسان كل مافى السموات والارض بقوله تعالى (وسخر لكم مافى السموات وما فى الارض جميعا منه)[٣١] ودعاه الى الانتشار فى الأرض يحييها وينعم بخيراتها ويسبح بحمده بقوله تعالى (فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)[٣٢] أى هيأ لكم السيطرة على الارض عن طريق تعميرها وتنميتها .

ومن هنا ايضا حرص الاسلام على توفير ضمانات او ركائز لتحقيق هذه التنمية واستمرارها . لعل ابرزها حسبما سبق الاشارة اليه ، ايجاد ملكية عامة تساند التنمية ، وترشد الاستهلاك ، وتوجيه الفائض الاقتصادى لأغراض التنمية ، وتطلب المشاركة الشعبية فى

عمليات التنمية ، ومراعاة اولويات التنمية بتقديم الأهم فالمهم ، والأخذ بالأساليب العملية والتقنية الملائمة .. الخ .

٢ ـ الارتفاع بالتنمية إلى مرتبة العبادة

ولعل أكبر ضمان لنجاح جهود التنمية واستمرارها ، هو ارتفاع الاسلام بالتنمية الى مرتبة العبادة . إذ لم يكتف الاسلام بالحث على العمل والانتاج بقوله تعالى (وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) [٣٤] وقوله عليه الصلاة والسلام (إعملوا فكل ميسر لما خلق له) [٣٥] ، بل اعتبر العمل فى ذاته عبادة وأن الفرد العامل قريب من الله ومثاب على عمله الصالح فى الدنيا والآخرة بقوله تعالى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) [٣٦] ، وقول رسوله الكريم (العمل عبادة) وقوله عليه الصلاة والسلام (ما عبد الله بمثل عمل صالح) وقوله (من أمسى كَالاً من عمل يده أمسى مغفورا له يوم القيامة) [٣٧] ، وروى أن الرسول عليه السلام قبل يدا ورمت من كثرة العمل وقال (هذه يد يحبها الله ورسوله) .

أكثر من ذلك ، اعتبر الاسلام السعى على الرزق وخدمة المجتمع وتنميته أفضل ضروب العبادة . فقد ذكر للنبى عليه السلام رجل كثير العبادة فسأل من يقوم به ، قالوا : أخوه ، فقال (أخوه أعبد منه) . وقد أراد أحد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكر الله تعالى ، فقال له الرسول عليه الصلاه والسلام (لاتفعل فإن مقام أحدكم فى سبيل الله ـ أى فى خدمة المجتمع وتنميته ـ أفضل من صلاته فى بيته ستين عاما) [٣٨] ، وبقوله عليه السلام (لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله) . [٣٩]

ونخلص مما تقدم أن التنمية فى الاسلام هى فريضة وعبادة ، بل هى من أفضل ضروب العبادة . وأن المسلمين قادة وشعوبا مقربون إلى الله تعالى ، بقدر تعميرهم للدنيا وأخذهم بأسباب التنمية بكافة صورها .

ولقد لخص سيدنا عمر بن الخطاب نظرة الاسلام الى العمل والتنمية بقوله (والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة) (٤٠) .

٣ ـ التنمية الشاملة والجهاد المقدس

والتنمية عامة والاقتصادية خاصة ، ليست عملية فنية يكتفى فيها بمجرد إعداد خطط التنمية ، ولا مجرد متابعة تنفيذها لدى القطاع الخاص أو العام ، بل لابد من تعبئة جميع المواطنين لها بحيث تكون مطلبا شعبيا ملحا يعى كل فرد مسئوليتة المحددة فيها ويدرك حقوقه المؤكدة من نجاحها . إن من أهم عوامل عدم نجاح التنمية فى بعض البلاد النامية ، أن الأساليب المستخدمة لم تستطع أن تحرك الأمة كلها لمواجهة معركة التخلف .

وإذا كانت مشكلة التخلف فى مختلف صوره ، هى من أولى المشكلات التى تواجه الشعوب العربية والاسلامية اليوم ، فانه لابد من تعبئة كل قواها وطاقاتها للمعركة ضد التخلف من أجل التنمية . ونرى لذلك ضرورة ربط التنمية بفكرة الجهاد المقدس تفجيرا للطاقات المختزنة فى الفرد المسلم وتحقيقا للتنمية الشاملة بإحالتها إلى ممارسة دينية وواقع إيمانى . ذلك أن قوام المجتمع الاسلامى ، هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (٤١) ، والأمر بالمعروف يتضمن فى رأينا بصفة أساسية تحقيق التنمية الشاملة ، والنهى عن المنكر والكثير من المساوىء الاجتماعية والانحرافات الخلقية .

فلابد أن نعبىء النفوس ونعلنها حربا مقدسة ضد التخلف ومن أجل التنمية الشاملة ، لاسيما متى لاحظنا أن التحدى الذى نلقاه من قبل اسرائيل ليس تحديا حربيا فقط وإنما هو أساسا تحد حضارى . فاسرائيل تنشد السيادة والسيطرة على المنطقة العربية ، ومعركتنا مع إسرائيل ليست مقصورة على إزالة آثار العدوان وإنما هى تتصل بتخلفنا الحضارى وما تتطلبه من ضرورة التنمية العاجلة والتى يجب أن نجند لها كافة قوى وإمكانات الشعوب العربية .

إن الخطر الحقيقى الذى نواجهه ليس قوة إسرائيل ومن وراء اسرائيل ، ولكنه تفرق العرب وتخلفهم رغم مالديهم من إمكانات بشرية ومادية غير محدودة . ولا شىء أقام اسرائيل وطمع فينا العدو سوى تفرقنا وتخلفنا ، وجهادنا المقدس اليوم هو جهاد ضد التفرق والتخلف ومن أجل التنمية الشاملة . وصدق الله العظيم (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) [٤٢] ، وهو مالايتحقق أساسا إلا عن طريق التنمية الشاملة .

خامسا : ضرورة التنسيق فى خطط التنمية على المستويين العربى والاسلامى

١) تواجه الدول العربية خاصة والاسلامية عامة ، عقبات ومشكلات عديدة عند تنمية مجتمعاتها تنمية فردية ، وذلك لافتقادها مستقلة لبعض مقومات التنمية . فى حين تتوافر لها هذه المقومات وهى مجتمعة فى وطن عربى أو إسلامى كبير ، فما ينقص إحداها من موارد طبيعية أو رأس مال أو قوى عاملة أو خبرات فنية .. الخ يتوافر لدى البعض الآخر .

لذلك يتطلب الأمر عند وضع خطط التنمية ، التنسيق بين إمكانات كل بلد عربى أو اسلامى بحيث يكمل كل منها الآخر ، وهو مايحقق أكبر استفادة من إمكانات كل دولة عربية أو إسلامية دون فاقد أو ضائع ، وهو فى المحصلة يدفع بعجلة التنمية فى العالمين العربى والاسلامى ويؤدى فى النهاية الى الوحدة العربية والتضامن الاسلامى والتعاون العالمى . فليس هناك أى تناقض بين الوحدة العربية ، وبين التضامن الاسلامى ، وبين التعاون العالمى ؛ بل كل منها هو خطوة أساسية لتحقيق الأخرى ، وذلك طالما كان هناك تنسيق دقيق للتعاون والتكامل لا للتصارع والتضارب . وحينئذ يسود العالم أمله المنشود فى الحياة المثلى والذى لخصة القرآن الكريم فى إصطلاحى (التعاون) و (العزة) بقوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى » [٤٣] وقوله سبحانه « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » [٤٤] .

٢) لقد أسهمت المملكة العربية السعودية فى التوعية بأن أنماط التنمية الغربية (الرأسمالية) وكذا أنماط التنمية الشرقية (الاشتراكية) ، لاتتناسب وظروف الدول العربية خاصة ، والدول

الاسلامية عامة ، وذلك لاختلاف ظروف هذه الدول من مختلف الجوانب عن ظروف تنمية دول العالمين الحر والاشتراكى . إن للمجتمعات العربية خاصة والاسلامية عامة ، ذاتيتها وعقائدها الاسلامية وروابطها النفسية ، بحيث لاتتجاوب الا مع المذهبية والأيديولوجية الاسلامية والتى تغنيها عن تلمس أسباب التنمية والتكامل لدى غيرها من المذاهب والأيديولوجيات التى لاتتلاءم معها .

ومن هنا كان قرار مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذى عقد فى المغرب فى جمادى الآخر ١٣٩٩/مايو سنة ١٩٧٩ بضرورة إقامة نظام إسلامى عالمى جديد ينمى علاقات الدول الاسلامية التجارية والصناعية فيما بينها ويقلل من الحواجز الجمركية ويقضى على عقبات تنمية هذا التعاون . ثم كان المؤتمر العاشر لرؤساء الدول العربية الذى عقد فى تونس فى محرم سنة ١٤٠٠/ ديسمبر سنة ١٩٧٩ بضرورة الاسراع فى خطى التنمية الشاملة وتحقيق التكامل الاقتصادى بين الدول العربية .

ولقد انعقد فى ٢٥ نوفمبر ١٩٨٠ بعمان مؤتمر القمة العربى الحادى عشر ، والذى يعتبر بمثابة أول مؤتمر قمة عربى اقتصادى ، بهدف الخروج بالدراسات والتوصيات الاقتصادية الى نطاق العمل والتنفيذ ، وفى ظل الفكر السائد بأن التنمية الاقتصادية والتكامل الاقتصادى هو السبيل الفعال لتحرير فلسطين ، وأن السياسة والاقتصاد وجهان لعملة واحدة .

وفى ٢٥ يناير سنة ١٩٨١ أنعقد بمكة المكرمة والطائف مؤتمر القمة الاسلامى الثالث ، والذى يعتبر بدوره بمثابة أول مؤتمر قمة إسلامى إقتصادى ، وفى ظل الفكر السائد بأن السوق الاسلامية المشتركة هى الهدف النهائى للتعاون الاقتصادى بين الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الاسلامى ، وهو هدف إسلامى جليل يحتاج إلى نفس طويل والاسراع فى إقامة مشروعات اقتصادية مشتركة متنوعة .

٣) وختاما إننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن دولة الاسلام هى دولة التنمية بمفهومها الشامل الذى يستهدف صلاح الفرد ماديا وروحيا ، وإن قيمة أى حكم فى أية دولة

إسلامية هو بقدر مايحققه لمجتمعه من تنمية حقيقية بشقيها الكفاية والعدل وتهيئة الفرص للتقدم المادى والروحى لكل مواطن .

○ الهوامش ○

(١) انظر الفتاوى الكبرى للإمام تقى الدين ابن تيمية . طبع الرياض الجزء السادس صفحة ٥٨ والجزء الثالث عشر ص ٣٤ .

(٢) انظر كتابنا (الاسلام والمشكلة الاقتصادية) ، طبعة سنة ١٩٧٨ ناشره مكتب الانجلو المصرية ص ٤٩ ومابعدها .

(٣) اخرجه الطبرانى فى الأوسط ، والسيوطى فى الجامع الصغير .

(٤) أخرجه ابو داود والنسائى وابن ماجه .

(٥) سورة قريش الآية ٣ و ٤ .

(٦) سوره طه ، الآية ٢٥ و٢٦

(٧) سورة طه ، الآيه ٣٣ و٣٤ .

(٨) سورة الماعون ، الآيات من ١ إلى ٣ .

(٩) انظر كتابنا (ذاتية السياسة الاقتصادية الاسلامية وأهمية الاقتصاد الاسلامى) طبعة سنة ١٩٧٨ لناشره مكتبة الأنجلو المصرية ص ٥٤ ومابعدها .

(١٠) سورة التوبة ، الآية برقم ١٠٥ .

(١١) سورة المائدة الآية رقم ٨ .

(١٢) يراد بحد الكفاية المستوى اللائق للمعيشه بحسب ظروف الزمان والمكان ، بخلاف الكفاف فهو المستوى الأدنى للمعيشه والذى بدونه لايستطيع المرء أن يعيش وينتج فهو غير قابل للنقصان .

(١٣) سورة سبأ ، الآية رقم ١٣ .

(١٤) سورة النساء ، الآية رقم ١١٤ .

(١٥) أنظر كتابنا (الاسلام والمشكلة الاقتصادية) مرجع سابق ، ص ٥٨ .

(١٦) أنظر نفس المرجع السابق ، ص ٧٥ ومابعدها .

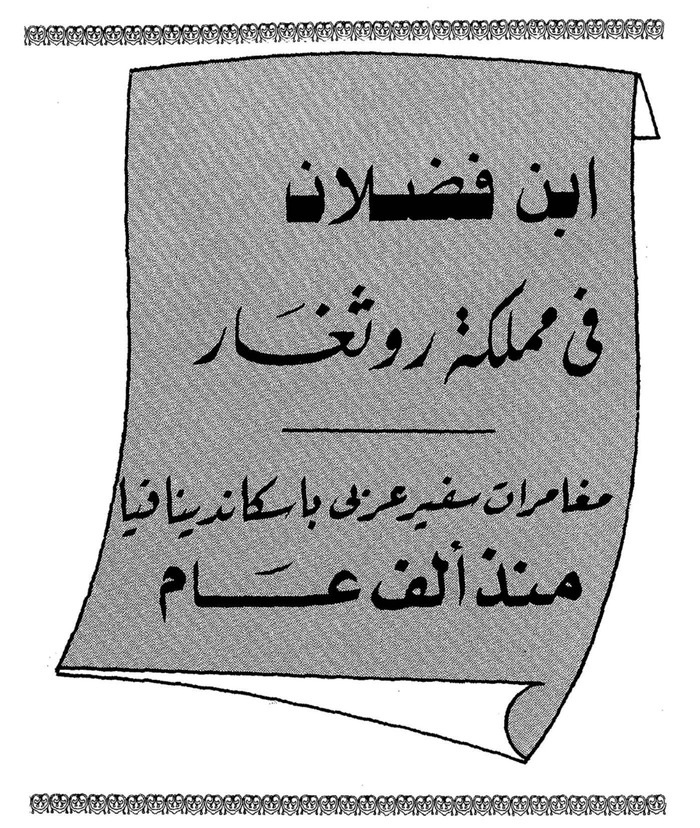
(١٧) انظر كتابنا (المدخل الى الاقتصاد الاسلامى) طبعة سنة ١٩٧٢ ، لناشره مكتبة النهضة العربية بالقاهرة ، ص ٩٢ ومابعدها .

(١٨) اخرجه الشيخان البخارى ومسلم .

(١٩) أنظر كتابنا (المدخل الى الاقتصاد الاسلامى) ، مرجع سابق ، صفحة ٩٨ ومابعدها .

(٢٠) أنظر نفس المرجع السابق ، صفحة ١٠٢ ومابعدها .
(٢١) أنظر بحثنا (المذهب الاقتصادى فى الاسلام) ، والمقدم للمؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الاسلامى المنعقد بمكة المكرمة فى فبراير سنة ١٩٧٦ / صفر سنة ١٣٩٦ تحت اشراف جامعة الملك عبد العزيز ، ص ٣٠ من مطبوعات المؤتمر .
(٢٢) أنظر فتاوى ابن تيمية ، مرجع سابق ، جزء ٦ صفحة ٥٨ وجزء ١٣ ص ٣٤ .
(٢٣) سورة التوبة ، الآية رقم ٣٤ و ٣٥ .
(٢٤) الجامع الصغير للسيوطى .
(٢٥) سورة هود ، الآية رقم ١١٦ .
(٢٦) سورة الاسراء ، الآية رقم ٧٧ .
(٢٧) سورة البقرة ، الآية رقم ٣٠ .
(٢٨) سورة هود ، الآية رقم ٦١ .
(٢٩) سورة الانشقاق ، الآية رقم ٦ .
(٣٠) سورة الاسراء ، الآية رقم ٧٢ .
(٣١) سورة الجاثية ، الآية رقم ١٣ .
(٣٢) سورة الجمعة ، الآية رقم ١٠ .
(٣٣) سورة الأعراف ، الآية رقم ١٠ .
(٣٤) سورة التوبة ، الآية رقم ١٠٥ .
(٣٥) متفق عليه .
(٣٦) سورة الشورى ، الآية رقم ٢٦ .
(٣٧) أخرجه الطبرانى فى الأوسط .
(٣٨) أخرجه الحاكم فى المستدرك .
(٣٩) أخرجه الحاكم فى المستدرك .
(٤٠) أنظر الدكتور سليمان محمد الطماوى فى كتابه عمر بن الخطاب وأصول السياسة والادارة الحديثة ، الطبعة الاولى سنة ١٩٦٩ ، لناشره دار الفكر العربى القاهرة .
(٤١) سورة آل عمران ، الآية رقم ١١٠ .
(٤٢) سورة الانفال ، الآية رقم ٦٠ .
(٤٣) سورة المائدة ، الآية رقم ٢ .
(٣٤) سورة المنافقون ، الآية رقم ٨ .





ترجمة احمد عبدالسلام البقالى

مقدمة :

منذ مايزيد عن ألف سنة ، بعث الخليفة العباسى (المقتدر[١]) باحمد ابن فضلان سفيرا له الى بلاد الصقالبة ، على رأس بعثة من ثلاثة الآف عالم ، وعامل ، ومهندس ، وطبيب وصيدلى ، لتحصين مملكة الصقلب (بلغاريا) المسلمة من هجوم الخزر اليهود ، وتلقين أهلها مبادىء الدين الاسلامى ، وعلاج مرضاهم ، ومساعدتهم على الخروج من التخلف ، شأن البعثات والمساعدات الغربية الحديثة ، ولكن على نطاق واسع بكثير كما يوحى بذلك عدد أفراد بعثة (المقتدر) .

وفى طريقه الى (بلغاريا) اختطفه جماعة من (الفايكنج)، سكان اسكندنافيا بإيعاز من قهرمانتهم ليكون العضو الثالث عشر فى بعثة لإنقاذ مملكة (روثغان) من هجوم (الفندول) .

وقد كتب (ابن فضلان) رسالة عن هذه الرحلة المهولة ، الممتعة ، فى شكل تقرير دبلوماسى رفعه الى (بلاط المقتدر) ، بعد نجاته من عدة اهوال ، وعودته من اصقاع اسكاندينافيا الباردة المتخلفة الى مدينة السلام ، (بغداد) عاصمة العالم المتحضر ، ومركز الاشعاع الفكرى والعلمى ، والادبى ، والفنى ، آنذاك .

ونظرا لأهمية الموضوع بالنسبة لتاريخ اسكاندينافيا ، كلفت جامعة (اوسلو) النرويجية الدكتور (بير فراوس دولوس **Per Fraus Dolus**) بجمع رسالة ابن (فضلان) الضائعة فى بطون الكتب العربية والاجنبية فى عدد كبير من اللغات ، وقد قضى الدكتور (دولوس) سبع سنوات فى جمعها ، من **١٩٥٢** الى **١٩٥٩** وهى نفس السنوات التى كان الدكتور (سامى الدهان) يقوم فيها بنفس العملية الشاقة فى جمع المخطوط الضائع بإيعاز من استاذه (محمد كرد على) ، ولكن بدون امكانيات جامعة (اوسلو) التى أتيحت لـ (دولوس) فجاء عمل الدكتور (الدهان) على قدر جهده .

وجاء بعدهما الكاتب الروائى الامريكى (مايكل كريشون **Michael Critchon**)

فأخرج التقرير الدبلوماسى الذى كان يملأ مائة صفحة من الحجم الكبير بخط ابن فضلان الدقيق ، من ركاكة ترجمته الحرفية ، وأعاد صياغته بأسلوب روائى عصرى مشوق مثير ، دون تحريف لحرفية الأحداث .

وبمجرد صدوره بعنوان (أَكَلَة الأموات **Eaters of the Dead**) سنة **١٩٧٦** اصبح أروج كتاب **Best Seller** ووصفته (الديلى تلغراف) اللندنية بأنه « من أروع روايات السنة » .

ويقول (مايكل كريتشون) فى مقدمته للكتاب : « يعد مخطوط ابن فضلان اقدم تسجيل معروف كتبه شاهد عيان عن حياة (الفايكنغ) السكاندنافيين ومجتمعهم . فهو وثيقة فريدة من نوعها ، تصف بدقة متناهية احداثا وقعت منذ اكثر من الف عام . ولم يصلنا المخطوط كاملا عبر تلك الفترة الطويلة جدا فله هو ايضاً . قصةٌ لاتقل غرابة عن النص نفسه » .

ويعنى هذا ان (احمد بن فضلان) سفير الخليفة (المقتدر) الى الصقالبة ، اصبح صدفة تاريخية محضة حسب أول مؤرخ للمجتمع السكندنافى الذى كان فى ذلك العهد كما وصفه (ابن فضلان) بتجرد العالِم ، ودقة ملاحظته وبعده عن المبالغة ، والتهويل، مجتمعا أميا ، جاهلا ، قذر المظهر والعادات ، وثَنيَّ المعتقدات ، يعيش على الحرب والعنف .

يقابل هذا ماكانت تشع به عاصمة الخلافة العربية (بغداد) او(دار السلام) فى تلك الفترة من القرن العاشر الميلاى من إشراق روحى ، وعلمى ، وادبى ، ورواج اقتصادى . فقد كانت كما وصفها (كريتشن) : « أزهى المدن حضارة على الأرض . وكان يعيش داخل أسوارها أكثر من مليون نسمة ، وكانت مركز النشاط التجارى ، والاشعاع الثقافى ، ومسرحا رائعا للجمال ، والاناقة والتألق . وكانت اسوارها تضم البساتين العطرة . والمآوى الظليلة الناعمة ، والثروات الطائلة التى تأتيها من اطراف الامبراطورية الشاسعة .

وكان عرب (بغداد) مسلمين متَمَسِّكين بدينهم ، ولكنهم كانوا متفتحين على شعوب تختلف عنهم فى المظهر ، والعادات والمعتقدات . وفى الحقيقة كان العرب اقل الشعوب

اقليمية فى العالم فى ذلك العصر . وقد جعل منهم ذلك ملاحظين ممتـازين للثقافـات الاجنبية ..

وقد اثار مخطوط ابن فضلان جدالاً حادا بين علماء الانثروبولـوجيا فى الجامعـات الغربية .وخصوصا وصفَه الدقيق (للفيندول : سكان الكهوف البحرية بالفيوردات الذين كانوا يهاجمون مملكة الملك (روثغار) التى ذهب (ابن فضلان) مُرْغَماً مع جماعـة من السكنديناقيين للدفاع عنها . هذا الجدل اشتد سنة ١٩٧١م بين طائفتين من العلماء ، إحداهما يتزعمها الاستاذ (جيوفـرى رايتـوود **Geoffrey Wrightwood**) : من جامعـة (اكسفورد) ، تقول بأن وصف (ابن فضـلان) (للفينـدول) ينطبـق على انسـان (النياندرثال) الذى ساد الاعتقاد بانه اختفى بدون اثر منذ ٣٠ أو ٤٠ ألف عام .

ويتزعم الطائفة الثانية الأستاذ (غودريتش **E.D. Goodrich**) وهو عالم بيولوجى من جامعة (فيلاديلفيا) معروف بالتشكك ، ويتبنى وجهة نظـر مخالفـة ، فيقـول (سنـة ١٩٧٢م) : « إن دقة (ابن فضلان) فى الوصف قد تغرينا بالتجاوز عن بعض المبالغات الواردة فى مخطوطه » .

ويأخذ عليه الأهمية التـى أعطاهـا لشعـر جلودهـم ووحشيتهـم . ويرد عليه بان (الفيندول) قد يكونون طائفة بشرية تعيش فى عزلة فى تلك المناطق النائية . كما يأخذ عليه وصف اهل الشمال بالعمالقة . وكلا الردين مردود على (غودريتش) ، فالعمالقـة بالعربية لاتعنى بالضرورة المخلوقات الاسطورية الفارعة ، بل كل من يزيد طولهم عن الطول المألوف بين الناس .

وقد كانت دقة ابن فضلان وموضوعيته التى يشهد بها (غورديتش) نفسه ؛ والتى برزت من خلال كل سطر من سطوره مثار اعجاب جميع من قرأ رسالته . فهو صادق فى ملاحظاته وتعليقاته لدرجة القسوة حتى حين يتعلق الأمر بوصف جُبنه وضعفه أمام الأهوال والأخطار التى كان يُرغَم ارغاما على اقتحامها ! استمع إليه وهو يصف شعوره حين علم ان الجماعة التى يوافقها ذاهبة لمفاجأة (الفيندول) من جهة البحر حيث سينزلون الى

الكهوف من فوق « الفيوردات » الشاهقة ، مُتدلِّين بالحبال ، وهو يخاف الأماكن المرتفعة خوفا مَرَضِياً شديداً :

« كنت منزعجا من نزول الجرف الشاهق معلقا بحبل . وكان انْزِعاجى من الشدة بحيث كنت أفضل عمل أى شىء على وجه الأرض ، ولو كان ذلك أكل روث خَنزير ، أو أن أفْقَأَ عينى ، وحتى الموت نفسه كنت أفضله على النزول معلقا من ذلك الجرف » .

وسأترك ، فيما يلى ، الكلمة لابن فضلان ليحدثكم بنفسه ، من مسافة ألف سنة ، عن إحدى مغامراته مع السكندينافيين سُكان الأصقاع الشمالية .

مملكة روثغان
فى أرض فيندن"

رست سفينتنا فى وقت صلاة الظهر ، واستغفرتُ الله لتخلُّفى عَن أدائِها . ولم اكن أجرؤ على الصلاة أمام الشماليين الذين كانوا يعتقدون ان صلاتى كانت دعاء عليهم ، وكانوا يهددونى بالقتل اذا صلّيت على مرأى منهم .

ولبس كل مقاتل بالمركب دروعَ المعركة التى كانت كالآتى : أولا : نعال وجوارب عالية من صوف خشن ، وفوقها غطاء من الفرو الثقيل الذى يصل الى الركبة . وفوق ذلك اغطية من الجلد الذى كان عندهم جميعاً سوى شخص واحد هو أنا . وبعد ذلك أخذ كل واحد منهم سيفه وأدخله فى حزامه ، وكل رجُل رفع تُرسْه المصنوع من الجلد الابيض ورمحه ، وكل رجل وضع خوذة من الحديد او الجلد على رأسه[1] وفى هذا كان الرجال جميعا متشابهين إلاّ (بوليويف) الذى كان يحمل سيفه فى يده ، لأنه كان كبيراً جدا .

ونظر المقاتلون الى قصر (روثغار) العظيم ، واخذوا يظهرون اعجابهم بسقفه اللامع ومهارة الصنعة فيه ، واتفقوا على أنه لامثيل له فى العالم ، بسواريه السامقة ونقوشه الغنية ، ومع ذلك لم يكن فى كلامهم احترام له .

ونزلنا من السفينة ، وقصدنا القصر على طريق مبلطة بالحجارة ، واحدث صليل السيوف وقعقعة السلاسل ضوضاء عالية . وبعد صعودنا مسافة قصيرة رأينا على جانب الطريق رأس ثور فوق عصا ، وكان حديث العهد بالذبح .

وتنهد جميع الشماليين ، وعبست وجوههم لذلك المشهد ، رغم انه كان غير ذى معنى بالنسبة لى ، فقد كنت قد تعودت على عادتهم بقتل حيوان لأتفه قلق أو استفزاز ! ولكن رأس الثور هذا كان له مدلول خاص .

نظر (بوليويف) بعيدا عبر حقول اراضى (روثغار) ، ورأى هناك منزلا فلاحيا منفردا من النوع الشائع فى ارض (روثغار) كانت حيطانه من خشب وسقوفه بعجينة من الطين والتبن الذى يجب تعهده بعد تهاطل الامطار . اما السقوف فكانت من اعواد التسقيف والخشب كذلك . ولم يكن داخل المنازل إلا أرضيه من الطين ومدفأة ، وروث الحيوانات ، فالمزارعون ينامون مع حيواناتهم داخل البيوت طلبا للدفء الصادر عن أجسادها ، ويستعملون الروث وقودا للنار.

وامر (بوليويف) بأن نذهب الى ذلك المنزل الريفى ، فمشينا عبر الحقول الخضراء المبتلة . وتوقفنا لفحص الأرض مرة أو مرتين قبل متابعة السير ، ولكنهم لم يروا شيئا يهمهم . كما لم أر أنا شيئا .

وأوقف (بوليويف) جماعته ، مرة اخرى ، واشار الى التراب الأسود . ورأيت بعينى اثر قدم حافية ، بل عدة اقدام . كانت تلك آثار ملساء واقبح من أى شىء معروف للخليقة .. كان على رأس كل أصبع أثر ظفر أو مخلب حادّ ، بحيث كان الحجم بشريا ، وفى نفس الوقت غير بشرى . وقد رأيت ذلك بعينى وما كدت أصدقه .

وحرك (بوليويف) ومقاتلوه رؤوسهم لِمَا رأوا ، وسمعتهم يعيدون كلمة واحدة مرة بعد اخرى ، وهى كلمة « فيندول » أو « فيندلون » أو مايشابهها . ولم اعرف معنى الاسم . واحسست اننى لاينبغى ان أسأل (هيرغر) فى هذه اللحظة لأنه كان قلقا كالباقى . وسرنا سيرا حثيثا الى المنزل القروى ونحن نرى ، مرة بعد اخرى ، آثار الاقدام ذات

المخالب على الأرض . ومشى (بوليويف) ومحاربوه على مهـل ، ولـم يكن ذلك حذرا منهم ، فلم يستل احدهم سلاحه ، ولكنه كان نوعا من الخـوف لم افهمـه ، ولكننـى احسسته معهم .

وفى النهاية وصلنا الى المنزل ودخلناه ، وفيه رأيت بعينى هذا المنظر : شاب جميل متناسق الاعضاء فُصِلَت اعضاءُ جسده عن بعضها عضوا عضوا .

الصدر هنا ، وذراع هناك ، وساق هناك . وعلى الارض بِرَك خاثرة من الدم تلطخت به الجدران ، والسقوف ، وكل مكان بحيث ظهر المنزل مطليا بالدم الاحمر . وكانت هناك امرأة ممزقة بنفس الطريقة ، وكذلك طفل ذكر فى سنته الثانية أو اصغر ، اقتلع رأسه من بدنه فاصبح جِذعا داميا ..

رأيت كل هذا بعينى ، وكان أشد ماشاهدته فى حياتى إرعابا ، فافرغت مافى جوفى ، وبقيت دائخا لمدة ساعة ، ثم تقيأت مرة أخرى .

ولن افهم أبداً سلوك الشماليين ، فحتى وأنا أقىء ، كانوا هم هادئين باردى الأعصاب أمام هذا المشهد المرعب ، يراقبون كل مارأوا بطريقة هادئة ، يناقشون آثار المخالب على الاعضاء ، وطريقة التمزيق ، وقد أعطوا اهتماما كبيرا لغياب الرؤوس ، ولاحظوا كذلك ابشع مشهد على الاطلاق ، والذى مازلت اتذكره حتى الآن فترتعش فرائصى بشدة :

ذلك ان جسد طفل ذكر كان قد مضغته اسنان شيطانية فى اجزائه الناعمة وراء الفخذ ، ومنطقة الكتف .. رأيت بعينى هذه الفظاعة !

وخرج مقاتلو (**بوليويف**) عابسى الوجوه يزمجرون من المنزل القروى . واستمروا فى اعارة انتباههم الى الوحل حول المنزل ، ملاحظين انه لم تكن آثار حوافر ، الأمر الذى كان له معنى خاص عندهم . ولم افهم لماذا ، ولم يكن يهمنى ، فقد كنت اشعر بالغثيان والضعف ..

وأثناء عبورنا للحقول اكتشف (ايكثغو) حصاة صغيرة ، اصغر من قبضة طفل ، كانت منعمة ومنقوشة بطريقة بدائية . واجتمع حوله جميع المحاربين لمعاينتها ، وأنا معهم .

ورأيت انه جذع امرأةٍ حامل ، لم يكن له رأس ، ولا ذراعان ولا ساقان ، كان جذعا فقط ببطن منتفخة ، وفوقها نهدان منتفخان متدليان[1] وحسبت ذلك التمثال بدائيا للغاية وبشعا ، ولاشيء أكثر . ولكن الشماليين ظهرعليهم فجأة التخوف والشحوب . وارتعشت أيديهم وهم يلمسونها . واخيرا رمى بها (**بوليويف**) الى الأرض وسحقها بمقبض سيفه حتى صارت شظايا صغيرة . وحينئذ اصيب عدد من المقاتلين بما اصبت به من غثيان ، واخذوا يفرغون أجْوافهم على الارض . وكان فزع الجميع عظيما لدرجة اذهلتني .

ومن ثم ذهبوا الى قصر الملك (روثغار) ولم يتكلم احد اثناء سيرنا الذى اخذ قرابة الساعة . وكل واحد من الشماليين كان يبدو منطويا على نفسه ، غارقا فى تفكير مُرٍّ عميق ، ولكن لم يبد عليهم أى خوف بعد ذلك .

وفى الطريق وقف لنا حاجبٌ على جواد واقف امامنا ، ورأى الاسلحة التى كنا نحملها ، وعدد رفاق (**بوليويف**) ، فصاح منذرا .

وقال لى (**هيرغر**) : « انه يريد ان يعرف أسماءنا ، وبسرعة » .

وأجاب (**بوليويف**) الحاجب ، ومن صوته فهمت انه لم يكن له مزاج لتقبل مزاح البلاطات وقال لى (هيرغر) :

« بوليويف » يقول له اننا من رعايا الملك (**هيغلاك**) ، صاحب مملكة (**ياتلام**) ، ونحن ذاهبون فى مهمة الى الملك (**روثغار**) ، ونريد الحديث اليه »

وأضاف (**هيرغر**) : « **بوليويف يقول** ان الملك (**روثغار**) ملك عظيم » ولكن لهجة (**هيرغر**) كانت تدل على عكس ذلك .

وطلب منا الحاجب التوجه الى القصر ، والبقاء خارجه حتى يخبر الملك بوصولنا وفعلنا ، رغم ان (**بوليويف**) وجماعته لم تعجبهم تلك المعاملة ، وارتفعت اصوات الاحتجاج والامتعاض ، وذلك لأن الشماليين قوم كرماء ، وهذه ليست طريقتهم فى الاستقبال ، فلا يجوز تركهم خارج المكان . ولكنهم انتظروا ونزعوا اسلحتهم ، وسيوفهم ، ورماحهم ، إلا انهم لم ينزعوا دُروعهم ، وتركوا الأسلحة خارج باب القصر .

وكان القصر محاطا من جميع الجهات بعدد من المنازل بطريقة الشماليين . وكانت هذه مستطيلة منعرجة الجوانب كالتى فى (تريلبورغ) ، ولكنها مختلفة عنها فى الترتيب ، فلم تكن هنا أى مربعات ، ولا تحصينات ، وخلافا لذلك فقد كانت الارض تنحدر من القصر والمنازل المستطيلة حوله الى سهل اخضر تتخلله المنازل القروية هنا وهناك ، ومن ورائه التلال ، وبداية الغابة .

وسألت (**هيرغر**) لمن تكون هذه المنازل المستطيلة ، فقال لى :

« بعضها للملك ، والأخرى للعائلة الملكية ، والنبلاء ، وبعضها للخدم والحشم بالقصر » .

وقال لى كذلك بان المكان صعب ، ولم افهم ماكان يقصد بذلك .

وأُذِن لنا فى دخول قصر الملك (**روثغار**) الذى اقول حقا انه يجب ان يعد واحداً من عجائب العالم خصوصا وانه فى بلاد الشمال البدائية . ويسمى هذا القصر بين قوم (**روثغار**) باسم (**هيوراث**) ، لأن أهل الشمال يطلقون اسماء الأفراد على أدوات معيشتهم مثل المبانى والمراكب ، وخصوصا الأسلحة . و (هوارث) أى قصر (**روثغار**) العظيم كان فى ضخامة قصر الخليفة الكبير . وكان مُطعَّما بالفضة ، وحتى ببعض الذهب الذى كان نادرا جدا بالشمال . وعلى كل الجوانب كانت النقوش والزخارف ذات البهاء الرائع الغنى بمهارته الفنية . وكان حقا شاهدا على قوة وجلال الملك (**روثغار**) .

وجلس الملك (**روثغار**) فى طرف القاعة الفسيحة جدا لدرجة اننا لم نكد نميزه وكان واقفا على كتفه اليمنى نفس الحاجب الذى اوقفنا فى الطريق ، وتكلم الحاجب فقال لى(**هيرغر**) انه يقول :

« يا أيها الملك ، هذه جماعة من محاربى مملكة (ياتلام) . قد وصلوا حديثا من البحر . وزعيمهم اسمه بوليويف وهم يستأذنون فى الحديث معكم فى مهمتهم ، يا أيها الملك ، لاتمنعهم من الدخول ، فلهم سَمْتُ الاعيان ، ومظهر زعيمهم يدل على انه محارب جبار . فرحِّب بهم كأعيان ، يا أيها الملك (**روثغار**) » .

وحينئذ طلب إلينا الاقتراب من الملك (**روثغار**) .

وَبَدَا الملك (**روثغار**) كرجل مشرف على الموت . فلم يكن شابا وكان شعره ابيض ، وجلده شاحبا ، ووجهه مثقلا بالخوف والحزن . ونظر الينا بارتياب وهو يقطب عينية ، فربما كان يشرف على العمى ، لا أدرى .

واخيراً أخذ يتكلم و (**هيرغر**) يترجم لى :

« اعرف هذا الرجل ، لانني ارسلت اليه ليقوم بمهمة بطولية.. انه (**بوليويف**) وقد عرفته كطفل حين سافرت الى مملكة (ياتلام) بالبحر . فهو ابن (هيغلاك) الذى استضافنى بكرم ، والآن يأتى ابنه إليَّ فى وقت احتياجى وحزنى . »

ونادى (**روثغار**) بادخال المحاربين الى القاعة ، ووزعت بينهم الهدايا ، وبدأت الاحتفالات .

وألقى (**بوليويف**) خطابا مطولا لم يترجمه لى (هيرغر) لأن الكلام اثناء خطابه يعد خروجا عن اللياقة ، ولكن معنى ماقاله هو هذا « ان (**بوليويف**) علم بمشاكل (**روثغار**) ، وانه تأثر لذلك وان مملكة ابيه نفسها تحطمت لنفس المشاكل ، وانه جاء لانقاذ مملكة (**روثغار**) من الشر الذى حاق بها » .

ولكنى لم اعرف حتى هذه اللحظة ماكان يسميه الشماليون بالشرور ، أو كيف كانوا يتصورونها رغم اننى رأيت افعال تلك الوحوش التى مزقت الناس إربا .

وتكلم الملك (**روثغار**) بنوع من العجلة . وفهمت من طريقة كلامه انه كان يريد ان يقول شيئا قبل أن يأتى محاربوه وأعيانه وهذا ماترجمه لى (**هيرغر**) من كلامه :

« يا (**بوليويف**) ، عرفت اباك حين كنت انا ايضا شابا ، وحديث العهد بعرشى ، وانا الآن شيخ عليل القلب ، وقد انتكس رأسى ، وبكت عيناى من خجل الاعتراف بضعفى ، وكما ترى عرشى كاد يكون مكانا ممحلا ، وأراضيَّ تتحول الى أراض خالية مهملة، ولا استطيع ان اقول مافعل الغيلان بمملكتى وفى الليل ، غالبا مايُقْسِمُ رجالى ، تحت شجاعة السكر ، بالقضاء على الغيلان . ولكن عندما يزحف ضوء الفجر الكئيب

فوق ضباب الحقول نرى اجساما دامية فى كل مكان . وهذا هو حزن حياتى ، ولن اتكلم عنه بعد الآن . » .

وجيىء بمائدة ، ووضع امامنا الطعام فسألت (**هيرغر**) عما كان الملك يعنى بالغيلان . فغضب وقال لى ألاَّ أسأله أبداً .

وفى ذلك المساء أُقيمت حفلة عظيمة ، برئاسة الملك (**روثغار**) والملكة (وايليو) التى كانت تلبس لباسا مزركشا بالذهب ومرصعا بالجواهر ، وحضر اعيان المملكة وجنودها ونبلاؤها ، وكانوا جماعة تثير الشفقة . فقد كانوا عجزة سكّيرين ، وكثير منهم مقعدون أو جرحى وفى عيونهم جميعا كانت نظرات الخوف الجوفاء ، وكان مرحهم مُزَّيفا ..

وكان (**ويغليف**) ابن الملك (**روثغار**) **الذى سبق ان ذكرته ، حاضرا كذلك وهو الذى قتل ثلاثة من اخوته . وكان نحيفا ، وله لحية شقراء وعينان لاتستقران على شىء بل تتحركان هنا وهناك باستمرار ، ولاتتقابلان مع نظرة احد .**

رآه (**هيرغر**) وقال : « انه ثعلب » .

وكان يريد بذلك انه متقلب ، ومتلون ، ومتزلق ، ومزيف السريرة ، والشماليون يعدون الثعلب حيواناً يستطيع ان يتقمص أى شكل يريد .

وفى وسط الاحتفالات ارسل(**روثغار**) حاجبه الى ابواب قاعة (**هيوارث**) فعاد هذا واخبر بان الضباب لن ينزل فى تلك الليلة ، وسُرّ الجميع جدا لذلك ، واحتفلوا بخبر ان الليلة ستكون صافية ، ولقد سر الجميع سوى (**ويغليف**) .

وفى وقت معين وقف (**ويغليف**) ، وقال :

« اشرب نخب ضيوفنا ، وخصوصا (**بوليويف**) المحارب الشجاع الصادق الذى جاء لمساعدتنا فى محنتنا ، رغم أن الأمر قد يكون اعظم من أن يتغلب عليه » .

« وهمس (**هيرغر**) ذلك فى اذنى ففكرت انه مدح وقدح فى نفس واحد .

والتفتَتْ جميع العيون الى (**بوليويف**) لسماع رده . ووقف (**بوليويف**) ونظر الى (**ويغليف**) ، وقال :

« أنا لا أخاف من أى شيء ، حتى الغول الذى يزحف بالليل ليقتل الناس فى نومهم .» .

وفهمت انه يعنى (**القندول**) ، ولكن (**ويغليف**) شحب لونه ، وقبض على الكرسى الذى كان يجلس عليه . وقال بصوت مرتعد :

« هل تتلكم عنى ؟ »

فأجاب (بوليويف) :

« لا ، ولكنى لا أخشاك ، كما لا أخشى غيلان الضباب »

وألح (ويغليف) ، رغم أن الملك اشار اليه ليبقى جالسا فى مكانه ، فقال لجميع النبلاء المتجمعين :

(**بوليويف**) هذا جاءنا من بلاد بعيدة ، ويبدو عليه الكبرياء والقوة العظيمة . إلاّ اننى قد عزمت على اختبار شجاعته ، لأن الكبرياء قد تغطى عين أى رجل » .

وحينئذ وقف محارب قوى كان يجلس خلف (**بوليويف**) ، **على مائدة قريبة من الباب وبسرعة أمسك رمحا وهاجم** (**بوليويف**) من الخلف . وقع هذا فى أقل من طرفة عين . ورغم ذلك استدار (**بوليويف**) ، واستل رمحا طعن به المحارب وسط الصدر ، ورفعه به فوق رأسه ورماه على الحائط . وبقى المحارب على السفود . ورجلاه متدليتان على الأرض ، وهو يركل ، ورأس الرمح مغروزة فى حائط القاعة ، حتى مات دون صوت .

فقامت فوضى كبيرة واستدار (**بوليويف**) (**ويغليف**) ، وقال : « وهكذا سأفعل بأى تهديد ! »

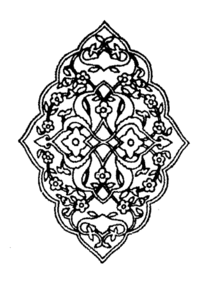
وبعد ذلك ، وبسرعة كبيرة تكلم (**هيرغر**) وبصوت عال جدا وهو يشير إلىّ اشارات كثيرة فاحترت مما حدث ، وفى الحقيقة بِقيَتْ عيناى معلقتين على المحارب الميت المعلق بالحائط ..

○ الهوامش ○

(١) الخليفة المقتدر بالله ، هو ابو الفضل جعفر بن المعتضد ، تولى الخلافة سنة ٢٩٥ وقتل سنة ٣٢٠هـ

(٢) الصور المعروفة للسكندينافيين تظهرهم بخوذات عليها قرون . وعند زيارة ابن فضلان كان قد مرّ على تركهم لها أكثر من ألف سنة ، أى من بداية عصر البرونز.

(٣) يتفق هذا الوصف مع عدد من النحوت التى عثر عليها فى فرنسا والنمسا





بقلم : الأستاذ روكس بن زائد العُزيزي

يسمى الأرادنة (الزهرة) ـ ام العرايس ـ لاعتقادهم ان الفتاة التى تراهـا عنـد ظهورها ، تتزوج بمن تحب ، وتسعد فى زواجها ، وهذا الاعتقاد د متلف عن تأليه القوم ـ ق قغا ـ لـ (الزهرة) وقبادتهم إياها ، فقد دعيت (العزى) ومما قاله (الاب شيخو اليسوعى) ما حرفه :ـ

« قد أجمع الأثريون على ان (اللات) هى (الزهـرة) ، ولنـا على ذلك شهـادة (هيرودتس) المؤرخ ، الذى قال فى تاريخه :ـ

ان العرب يعبدون (الزهرة السماوية) وهم يدعونها(أليتا) Alittaوقد ذكر اسمها فى مكان آخر هكذا (الالات ،) Alilat وهو اختصار (الالاهت) كما اختصر الاسم الكريم (الاله) فقالوا (الله) . ثم اختصروا (الالات) فقالوا (اللات) وكانت اللات معبودة فى كثير من مدن الجزيرة ليس (الطائف) كما زعم كتبة العرب ، فان الاثريين وجدوا كتابات عديدة ورد فيها ذكر (اللات) ولاسيما فى بلاد الانباط ، وفى (حجر) و (صلخد)● و(بصرى) حيث كان لها هيكل ، وفى انحاء (حوران) حتى فى (تدمر) وتدعى هناك بألقاب تدل على مقامها كـ (اللات العظمى) وأم الآلهة ، وكانو يضمون الى اسمها ، اسم المكان الـذى تكرم فيه فيقولـون « لات صلخد » مثلا !

وقال : « ودخل اسمها بين اهل المدر ، وبين سكان (موران) المتكلمين باليونانية ، فنقلوا اسمها الى اليونانية (ايثنى) وهى عند اليونان الهة الحكمـة ، لكن صورهـا ، واوصافها فى الكتابات القديمة ، تثبت انها (**الزهرة**) وقد خالفة بعض الباحثين اذا فـ (الزهرة) دعيت (**العزى**) ودعيت (اللات) ودعيت فى بلاد اليونان (**اثينا**) ودعيت (**عشتروت**) عند الفينيقيين ، ثم دعيت عند اليونان (افرودي) ودعيت (**فينوس**) عند الرومان ، وهى الهة الجمال ـ عندهم ـ أما العرب ، فكانوا يطلقـون عليهـا ـ اى

● صلخد قضاء فى سورية اليوم ، (محافظة السويداء) وقرية ، فيها خلوة للدروز ، فيها انقاض قلعة صليبية ، المنجد فى الاداب والعلوم مادة (ص ل خ د) ..

(**العزى**) ـ لقب الهة العشق ..

النجم ذو الذنب ـ يتشاءم الارادنة بهذا النجم ، او هذه الظاهرة غير المألوفة ، وقد ظهر هذا النجم ، سنة ٨٤٢ للميلاد وهى السنة التى مات فيها الخليفة العباسى الثامن (المعتصم بالار) وقد اشار الى ذلك الشاعر العربى النابه (ابو تمام) وألمح الى تخويف الناس بعضهم بعضا من ظهور هذا النجم ، قال :ـ

« وخوفوا الناس ، من دهياء مظلمة
إذا بدا الكوكب « الغربى » ، ذو الذنب !

يقول الفلكيون :« إن هذا النجم ظهر لاول مرة سنة ٢٤٠ قبل ميلاد السيد المسيح ـ عليه السلام ـ ويقولون ، انه هو النجم الذى اكتشفه الفلكى الانكليزى (هلى) Halley ١٦٨٢ وقد ظهر سنة ١٩١٠ ، وظهر ١٩٧٠ فى ايلول ، الشهر الذى توفى فيه المرحوم جمال (عبدالناصر) والناس يربطون بين ظهوره ، والحوادث الجسام والعامة يتشاءمون بكل ظاهرة جوية غير مألوفة عندهم فالأرادنة ، ـ ولاسيما البدو منهم ـ يقولون : « لن حوط القمر عوذ بالله ، يا اما آعرب تؤخذ● يا اما شيخا يموت ! »

●●

الشهب وسقوطها :ـ يتشاءمون بذلك ، أقصى التشاؤم ، ويقولون :ـ « هذا غضب من غضب الجبار ، أعوذ بالله من غضب الله ، لاعتقادهم أن اول ما أصاب (سدوم) و (عمورة) كان شهبا تساقطت ، ثم جاء دور النار ، والكبريت . فاذا لاحظوا شيئا من ذلك ، اخذوا يكررون بذعر شديد : « يارب عفوك !» واذا خسف القمر ، قرعوا الطبول ، وكل آنية من نحاس وهم يرددون : « ياحوت اطلق قمرنا » لاعتقادهم ان حوتا قد ابتلع القمر ، وقالوا :ـ حوالينا ولاعلينا يارب !»

● تؤخذ ، تنهب اموالها .

● كان العامة يعتقدون ـ قبل انتشار الوعى ـ أن البرق ابتسام الملائكة ، والرعد ، هو عراك الملائكة الابرار ، والملائكة الاشرار ـ الشياطين ـ يوم طردهم الله من السماء قبل ان يزجهم البارى فى الجحيم ، وان (قوس قزح) هو انعكاس لعمائم اهل الجنة ، وسمعت من يقول عند سماعه الرعد : « دستوريا ابا الحسن والحسين ! هذا صليل سيفك ، ووقع حوافر فرسك ، عليك السلام يا ابا الحسن والحسين طارد الكفر ، واهزم الكافرين ، حياك الله ، يا ابا الحسن والحسين » .

● يعتقد العامة ـ عندنا ـ ان كل عاصفة مدمرة ، وكل اعصار ساحق ، لابد ان يكون (**سليمان بن داود**) قد سمح به ، لذلك كنت تسمع : « دستور يا آ سليمان أبن داهود[1] ، ياصاحب الكرم والجود ، ياحاكم المردة والجن ، ردهم فى مخابيهم ، إوسد عليهم زرابيهم ، دخيلك يا آسلميان آبن داهود !»

●●

● حمامات زرقاء ماعين ، فى كل سنة يزور الكثيرون من الارادنة هذه الحمامات ذات المياه الكبريتية الحارة ، ويسمها البدو خاصة (**حمامات سليمان بن داهود**) ، اعتقادا منهم ان (**سليمان**) اقام فى هذه البقعة حماماته ، وجاء فى اوابدهم ، ان سليمان يلتقط ـ فى كل ليلة ـ روث الحيوانات التى تزور الحمام ، ويضرمها عند العين ، التى يسمونها (الشيخ) ويذبحون عندها ذبيحة تكريم ، وان شغل سليمان الشاغل هو تسخين الماء وفى اوابدهم ، أن (**سليمان**) ـ باعتباره مسلطا على الجن ـ سخرهم ان يضرموا النار ليل نهار لتسخن المياه ، ومازال الجن يعملون ـ حتى الآن ـ والى ان تقوم القيامة ، بأمر سليمان ، وان اتفق أن تراخت همة الجن وخفت حرارة الماء ، صاح المستحمون : « يا آسليمان اخضر يابس هات !» فيتصورون ان حرارة الماء قد ارتفعت ، بعد ندائهم هذا ، فتتهلل وجوههم ، ويأخذ كل واحد منهم يذكر امراضه وما يؤلمه لشيخ الحمام غير المرئى ، معتقدا أنه سيذكر ذلك لسليمان بن داهود ، فيشفى امراضه ، ويزيل آلامه !...

ويهتف المستحمون ، بين اللحظة واللحظة قائلين :ـ « حمامك بارد ياشيخ » ويرد عليهم فوج منهم بقولهم : « بارد وابرد ياشيخ ! » فتزداد حرارة الماء على مايزعمون ، او يتصورون !..

وقد اعتاد زوار الحمام ، ان يبدأوا زيارتهم بذبيحةعند النبع الاكبر ، الذى يسمونه (**الشيخ**) ويلقون دم الذبيحة فى الماء قائلين :« ياشيخ دونك فجة الدم [٢] أما بعض الأرادنة ، فإنهم يزورون حمامات (**زرقاء ماعين**) للتكريم ـ عدا الاستشفاء ـ اعتقادا منهم ان هذه الاماكن مخلوقات تشبه بنى آدم ، تحتاج اى الامتاع والمؤانسة ، خوفا من غضبها ، الذى يدفعها الى الفتك بالناس عامة ، والبحارة والصيادين خاصة !

ويعتقد العامة من الأرادنة ، ان اصل جميع مجارى المياه من السماء ، فلما كفر الناس ، او حادوا عن حقيقة الايمان ، انقطعت الصلة بين السماء ومجارى المياه ، واصبح الغيث هو المصدر الرئيسى ، لامداد هذه المجارى ، والعامة ينظرون الى مجارى المياه الكبيرة ، نظرة تقديس . ويرون انها كلها فى جميع انحاء الدنيا ـ اصلا ـ من الجنة ، فلما عصى آدم ربه ، حرم من صلتها بالجنة ، لكنهم ظلوا يقدسون المياه ومجاريها ، ولايلمسون الماء الا بعد ان يقولوا : « دستور ، يارب !» واذا شربوا شربوه على ثلاث دفعات[٣].

وهناك بعض العامة ، الذين يعتقدون أن نهر النيل ينبع من بلدة فى العراق ، بين بغداد والكوفة ، ومنها أخذ اسمه ... ولقداسته ، استطاع ان يربط مابين العراق ومصر !...

ومن اوابد الارادنة ، انهم يتشاءمون بـ (**زحل**) فيقولون : « إفلان وجهه (**زحل**) إوكعبه[٤] (**زحل**) » اى انه جالب للنحس ، وسر هذا التشاؤم ، وسببه ، ان العرب ـ قديما ـ وغير العرب ، كانوا يعبدون الكواكب ، ومنها (**زحل**) الذى كانوا يسمونه « شيخ النجوم » وهو مثل العلو والبعد ، قال (المعرى) :ـ

(زحل) اشرف الكواكب دارا
من لقاء الردى ، على ميعاد !

فلما عمت الأديان السمائية العالم ، صاروا يتشاءمون به ، وليس فى هذا غرابة ، فكل شيء يسقط من قائمة الاعتبار ، ينال من الاحتقار ، بمقدار ماتمتع به من تكريم ، واحترام . لقد عبد الناس البوم ـ فى عهد من العهود ـ وكرموا الخنزير فلما الغيت عبادته صار مثلا فى الشؤم ، وكان المصريون ـ على قول (هيرودتس) ـ يضحون فى اعياد لهم الخنزير ، على اعتبار انه حيوان مقدس ، فلما انصرفوا عن تكريمه صار مثلا فى القذارة وحرم أكل لحمه .. ولمسه !

عبد الناس فى جاهليتهم العمياء (القرد) وعندما تحولوا عن عبادته صار رمزا للاحتقار ، ومازالت آثار عبادة القرد ماثلة فى بعض الاسماء مثل (رباح) وكان فى الاصل (رُباًح) فخفف فصار (الربّاح) وليس ذلك خاصا بالمعبودات الوثنية ، بل نرى ذلك فى رجالات التاريخ ، فقد كان الناس اذا ارادوا ان يمدحوا رجلا ، قالوا (تبرمك الرجل) اي تشبه بالبرامكه . أما بعد ان نكبوا صار الناس ، اذا ارادوا ان يشتموا رجلا ، قالوا ـ فى الاردن خاصة ، ولاسيما البدو ـ « سبعه ابها لوجه ، اللى لون[٥] وجه البرمكى ! » وقس على ذلك ، ماحل بـ(**زحل**) يوم بطلت عبادته !..

●●

● ومن اوابدهم الاستغاثة ، عند احتجاب الغيث يجتمع جمهور من الفتيات ، لايقل عددهم عن خمس فتيات ، ولابد ان يكون العدد مفردا . يحملن عصا طويلة يجعلن قوامها كقوام المرأة او كهيكل انسان ويضعن على هذا الهيكل كساء نسويا اسود ، يمثل المرأة ، وتطوف هؤلاء الفتيات فى الأحياء وهن يغنين هذه الاغنية :ـ

يا ام الغيث ، ياررايم ، بلى ازريعنا النايم!
بلى زرع ابو فلان[٦] هاللى ع الكرم رائم !

❊❊

يا ام الغيث ياربى بلى ازريعنـــا الغربى
بلى زرع ابـــو فلان هاللى ع الـــكرم مربى[٧]

**

راحــت ام الغيث تجيب الزلازل
- ويقلن احيانا الزنازل -
اجت غير الـزرع طول السناسل[٨]

راحــت ام الغيث تجيب الرياح ماجـت غـير الـــزرع طول الرماح
راحــت ام الغيث تجيب الرعود ما اجت غير الزرع طول القعود[٩]
يا ام الغيث ، يامنجد بلى جورة المقعد
إوخلى سيلهـــا يدعج[١٠]

والاصل فى هذه الاستغاثة ، ان تبدأ الفتيات الطواف ، من الشرق الى الغرب !، وبعد ان يصلن الى منتصف الطريق التى بدأن منها ، ويردن قطعها ، يتجهن شمالا ، ومن ثم يعدن من النقطة التى بدأن منها الى الشمال ، ويسرن الى الجنوب ، وهن يرددن الاغنية نفسها ، وعندما ينتهين الى الجنوب ، يخرج الرجل الذى نوهن باسمه ، ووضعن الشارة عند منزله ، ويولم وليمة من ميسوره ، وبعد ان يطعمن ، يعدن من حيث اتين !

والاصل فى الاستغاثة ، ان يرافقها ذبائح ، وكانـت الذبيحـة التـى تكرم بهـا هؤلاء المستغيثات تدعى (ذبيحة ام الغيث) او ذبيحة الغياثات[١١] واذا كانت المستغيثـات مجموعات من الفرق ، بسبب كبر القرية ، او لان سكان القرية عشائر ، لكل عشيرة شيخها فعند ذلك ، توقد نار تنصب عندها شارات ام الغيث ، مهما يكن عودها ، للتفريق بين نار ام الغيث ، ونار الحرابة ونار السامر ، ونار الضيوف[١٢] وكان العرب قديما يربطون

عند نار الضيوف كلبا ، ليدل نباحه من ضل من الضيفان ونار الاقرى (القرى) وهى النار التى تشتعل لطبخ طعام العرس ، لان كلمة القرى فى البادية تخصص بالطعام الذى يدعى اليه الذين يشاركون فى تكريم العريس ويقدمون له الهدايا ، المعروفة عند الارادنة به (النقوط) والجمع نقوطات ، وإنقوطات ولعلها من قبيل قلب الدال طاء للتفريق بين هذا العمل ، وغيره من الاعمال ونعتقد ان هذه الهدايا النقدية سميت بهذا الاسم ، لانها فى الاصل ، كانت من النقود ، مساعدة للعريس على ماقدم من مهر او مساعدة على ماينفق فى أيام العرس ، اما تقديم الذبائح والارز ، والسكر ، والقهوة لأهل العريس ، فذاك يسمى (الواجب) وعلينا ان نعلم ان النقوط ، والواجب ، كلاهما دين اجتماعى يجب الوفاء به فى مناسبة مماثلة ، لانهم يقولون :« طعمة الرجال ، على الرجال قرضة ، او على المستحقين احسان ، او حسنة » ..

ومن أوابد الارادنة التى كانت تراعى بدقة ، انهم عند نزول الغيث لاول مرة فى السنة ، يتجمع الاطفال اناثا وذكورا ، الى حدّ سنّ العاشرة ، ويتعرضون للغيث ، وهم يرقصون ويغنون :ـ

إشتــى او زيدى ــ بيتنــا حديدى
عمنــا عطــا الله ــ إو رزقنــا على الله
عمتنــا خميســة[13] ــ منهــا لا لله ـ

ومنهــم من يقــول يسخطهــا الله
تحــرس المريسه ــ إيحــوش الهــا المغلــة[14]
والمريســة حارة ــ اتقطــع السحارة
إشتــى اشتــى الهوبل[16] ــ بيتنــا امدوبل[17]
تنسجــة خالاتى ــ مــولا شغــل عماتى
إشتــى او زيدى ــ يوم اشتــاك عيدى !

ويظل الاطفال يرددون هذه الاغنية ، ويطوفون فى الاحياء الى ان يشترى لهم احد رجال الحى :-

أ - تمرا

ب - حلاوة

جـ - او بعض السكاكر .

ويوزع ما اشتراه عليهم بالتساوى ، وقد يتفق ان يهمل هؤلاء الاطفال - وهذا نادر جدا - عندها يقف الاطفال فى أبرز طريق وهم يرددون :-

سبعـــك ياهـــا الحـــى سبعك الهمـــل[19] والله ربعك !

مالقينـــا من يحلى رزقهـــم ريتـــه[20] يولى

ومن اوابدهم (مية[21] الرواح) يقولون :- « ان الله خلق بحيرة كانت فى مكان البحر الميت ، ماؤها عذب مقطر ، الغرض منها ، ان كل من بلغ الشيخوخة ، واراد ان يستعيد شبابه ، فما عليه الا ان يذهب الى هذه البحيرة ، ويشرب منها ، فيعود شابا ، لكن لما اخطأ آدم وحواء حول الله تلك البحيرة ، الى ماهى عليه الان ، لايعيش فيها حى ولايمكن شرب مائها ، ولما تكاثرت جرائم بنى ادم امطرها الله هى وماحولها ، نارا وكبريتا وابقى هذه البحيرة المنتنة ، تشهد على قدرة الله ، ورفع البحيرة الاولى التى فيها (مية الرواح) - الارواح - الى السماء الاولى ، ليمر عليها الانسان الصالح ، بعد موته ، ويشرب منها - او تسقيه الملائكة - فترد له الحياة ، وينظر الديونة :[22]

فالنصارى منهم يؤمنون .. بان هذا الميت يبقى فى المطهر ، الى ان يرفعه الله الى السماء .

اما المسلمون فيعتقدون ان الصالح اذا شرب من ماء تلك البحيرة السمائية ، عادت اليه الحياة ، لكنه يبقى واقفا على الاعراف ، محروما من رؤية الله الى ان يدان ، فيرفع الى السماء !!

وقد ذكر لى شيخ من (الشرارات) ١٩٢٨م وانا اريد ان ادونه حرفيا فقد سألته عما عند هذه القبيلة من اوابد ، قال :ـ قبل مايعلمونا الاسلام الصحيح كانت لنا صلاة لكن الله لايفضيها لابونا (ادب) بقلب الميم باء وهذا القلب كثير عند البدو فيقولون (جهنب) بدلا من جهنم . الله لايفضيها لابونا (ادب) وامنا (حوه)[٢٣] سألته لماذا ؟

قال : «هم اللى اطلبوا من ربنا الموت ، عقب ما عاش كل واحد منهم الف سنة إو ماقبلوا يشربون من ميه الرواح ، او لو انهم شربوا ، ما مات ابن آدم !...

●●

● ومن أوابدهم ـ اعتقادهم ان لـ (عزرائيل) مساعدا ، يسمية بعضهم (سطنائيل) وهذا المساعد موكل بتخصيص نوع الميتة التى يموتها كل انسان ، منذ تكوينه جنينا ، وتعيين البقعة التى يموت فيها ، واسلوب دفنه ، ومن اقوالهم ـ الادعية ـ ياملاك الله القوى (عزرايين) قول لمساعدك (اسطنايل) الامين ، يهون علينا الميته ، من غير وجع ولا انين ، خليه ييسر النا دفنة حشيمة او تربة طاهرة كريمة« الله واكبر ، الله واكبر ، الله واكبر[٢٤] !» ..

●●

● ومن أوابدهم ، انهم يعتقدون أن إلقاء الملح فى الماء ، وتحريكه ، سبع مرات ، ونداء الغائب فى المرات السبع ، يحضره فى الحال ولو كان وراء سبعة ابحر . ويجب ان يحرك الماء باليد اليسرى ومع النداء يجب تكرار هذا الدعاء : « يامن خلقت الماء من اربع الارياح ، احضر الغائب (فلان ابن فلانه [٢٥] بسرعة السحاب والضباب !» ..

ويعتقدون ان الماء الجارى ، لايتدنس ، ولايحمل جراثيم اطلاقا وان الذى يقطع

● سقطت ورقته ـ يعتقد عامة الارادنة أن أسماء البشر ، مكتوبة على أوراق شجرة ، تحت العرش ، وانه كلما سقطت ورقة مات صاحب الاسم المكتوب عليها . لذلك يقولون :ـ « فلان سقطت ورقته » اى مات ! وان الانسان لايموت ، الا بعد ان تسقط الورقة المكتوب اسمه عليها ..

مجرى الماء ليلا راجلا ، من غير ان يقول : « يا ملايكة الله ، لاتآذونا ، ولاناذيكم » يتملكه الجن . ويعتقدون ان كل مجارى المياه مملوكة ، اما من الجن الخبثاء ، واما من الملائكة الاطهار ، ويكون هذا بالتناوب ، والذى يسوء حظه ، يقطع الماء ، فى نوبه الجن الخبثاء !.. فان الوبل يحل به ، من :-

أ - مرض عضال يصيبه ، او يصيب احبابه .

ب - الصرع .

جـ - الفقر المدقع بسبب غارة على ابله ، او اغنامه

د - الموت المفاجىء

وهناك مياه مباركة مثل :

أ - عين المنية قرب (ماعين)[٢٦]

ب - عين سارة قرب (الكرك)

ج - عيون موسى قرب (مادبا)

اما (عين سويمة) فيعتقدون ان الجن يرصدها ليل نهار . وان كل من يشرب من مائها يصاب باذى ..

ويعتقدون ان كل من افاض ماء ليلا فى ساحة داره ، من غير ان يقول (دستور) يتبخطه الجن ، وان كل من سقط على الارض عند غروب الشمس ولم يبادر الى طرح الماء والملح فى مكانه ، يصيبه عارض من جن او مرض ..

هذه بعض الاوابد الاردنية التى اخذت تخفف فى الحواضر ، لكنها مازالت شائعة فى بعض الاوساط ..

ο ο ο

الدارة : هذه الاوابد التى ساقها العلامة العزيزى تدلنا على مدى تغلغل الجهل المطبق فى البادية الاردنية كما تغلغل فى غيرها الى ان اخذ فى الانزياح بفضل التوعية الدينية والعلمية التى انتشرت الان .

○ أسس البحث ○

- ملاحظات شخصية ، وتحقيقات ميدانية ..
- قاموس العادات واللهجات والأوابد الاردنية ، ثلاثة أجزاء
- معلمة للتراث الاردنى ـ خمسة اجزاء .
- خمسة أعوام فى شرقى الاردن ..
- تاريخ هيرودتس الترجمة العربية
- فريسة ابى ماضى ـ دراسة علمية للشعر فى البادية ..
- أزاهر الصحراء ..
- الأرض اولا
- نمر العدوان ـ مسلسل تلفزيونى
- رجم الغريب ـ مسلسل تلفزيونى
- الميثولوجيا عند العرب
- المنجد فى الادب والعلوم ..
- ديوان أبى تمام
- تاريخ الامم الاسلامية

□□□□

○ تفسير ماغمض ○

١ ـ داهود ـ داود بقلب الهمزة هاء
٢ ـ دونك فجة الدم ـ تقدم لك سيلان الدم
٣ ـ سألتهم لماذا يشربون الماء على ثلاث دفعات ؟ فأجابوا هذا يخلص من موت الفجأة .
٤ ـ اى ان سيره على الارض جالب للتعاسة .
٥ ـ لون ـ يشبه ـ مثل .
٦ ـ هاللى ـ هذا الذى .
٧ ـ مربى ـ قد ربى .
٨ ـ السناسل ـ جمع سنسلة عندهم وتعنى الجدار العالى المبنى بالطين .
٩ ـ القعود ـ صغير الابل ويلفظون القاف مكسورة .
١٠ ـ يعج ـ يسير بغزارة
١١ ـ الغياثات ـ جمع غياثة وهى احدى المستغيثات ..
١٢ ـ كان الارادنة يشعلون نارا يسمونها (النار الكبرى) بفتح الكاف هربا من الضم وهى النار التى ترى من بعيد فى الحالات التى ذكرت ..اما نار الحرابة ، فقد كانوا يقفون حولها يغنون قائلين : نار الحرابة واشعلت ، يامن يطفى نارها ؟ فيرد بعض الواقفين نار الحرابة وأشعلت .
ـ حنالها .. حنا لها !
ـ حنا ـ نحن
١٣ ـ منها لألله ـ تولى الله عقوبتها ، نشكوها لله .
١٤ ـ يحوش الها المغلة ـ يبعث لها الله وجع البطن الحاد والكلمة عربية فصيحة يقال مغلت الدابة ، اكلت التراب مع البقل فاخذها وجع فى بطنها ..

١٥ ـ المريسة ، هى ذوب الاقط الجميد ، وهى عربية صحيحة يقال مرس التمر نقعة فى الماء ومرثه بيده ..

١٦ ـ والسحارة ـ هى السحارة التى يقتلعها القصاب من الشاة من الرئة والحلقوم .

١٦ ـ الهوبل ـ بغزارة شديدة ولعل الهوبل فى الاصل هى (هيل) بدليل ان الرعاة عندما ينزحون الماء من الآبار يغنون قائلين :ـ

« هوبل ما ، يا ابا الما ـ

هوبل ما يا ابا الما »

ياهبل اعطنا ماء ياسيد الماء وهو اثر من آثار عبادة الاصنام ..

١٧ ـ إمدوبل ـ مزدوج الاعمدة اى قائم على عمودين ، وهو البيت الشائع لدى الطبقة الوسطى .

١٨ ـ موه شغل عماتى ـ ماهو بعمل عماتى ..

١٩ـ الهمل ربعك ـ الانذال أهلك والكلمة صحيحة ، الهمل من الابل المتروك ليلا ونهارا يرعى بلا راع ..

٢٠ ـ ريته يولى ـ ليته يزول وقد قلبوا اللام فى (ليته) راء وهى بادرة لغوية .

٢١ ـ ميه ـ الماء .

٢٢ ـ الدينونة ـ هى يوم الدين ، ويوم الحشر .

٢٣ ـ حوه ـ هى حواء بقلب الهمزة هاء ! .

٢٤ ـ الله واكبر ـ يشبعون الضمة الى ان يتولد منها حرف عطف ..

٢٥ ـ فى الدعاء وفى غيره من الادعية ، اشارة الى طور الامومة الذى مرت به المجتمعات البدائية ..

٢٦ ـ ماعين قرية مملوءه بالآثار الى الجنوب الغربى من (ماوما) .

□□□□□□



بقلم : الأستاذ الغزالى حرب

ولد أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن محمد الجرجاني ، في بلدة «جرجانة» بين طبرستان وخراسان ، ثم دفن بها عام ٤٧١هـ ١٠٧٨م ، تاركا وراءه مؤلفات مايزال بعضها مخطوطا حتى اليوم ، وأشهر مؤلفاته المخطوطة : (العوامل المائة في النحو) [١] ، و (الجمل في النحو) وفيهما حاول إصلاح النحو بأسلوب جامع بين التفسير النظرى ، والتطبيق العملى ، وأشهر مؤلفاته المطبوعة : « أسرار البلاغة » ، و «دلائل الاعجاز» .
وقد اختلف الباحثون [٢] قديما وحديثا في الاجابة عن السؤال الآتي : أي هذين الكتابين ألفه عبد القاهر قبل الآخر ؟.. فالدكتور محمد غنيمي هلال وآخرون ، يرون الأسبقية في التأليف «للأسرار» ، ومن أدلتهم على ذلك أنه في ص ٦ من «الدلائل» قال مانصه : « وضربوا المثل بالملح - كما عرفت - » مشيرا بذلك إلى ماسبق أن عرَّ فنابه في « الأسرار» ص ٥١ .

والدكتور محمد خلف الله أحمد وآخرون ، يرون الأسبقية «للدلائل» ومن أدلتهم على ذلك - كما قال الدكتور أحمد بدوى - إن كلَّ ما جاء في «الاسرار» من حديث عن النظم ، ليس الا تلخيصا لاكتال النظرية ، والاستاذ امين الخولى لم يقل كلمة فاصلة في ذلك .
والذى يعنينى هنا عرض ماتيسر من الآراء اللغوية لعبد القاهر الجرجاني ، الذى كما تلمذ في البلاغة لعلى بن عبد العزيز الحسن الجرجاني صاحب (**الوساطة**) ، تلمذ في النحو واللغة لأبى الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث الفارسى ، وهو ابن أخت الامام المشهور أبى على الفارسى ، الذى حاول إصلاح النحو في كتابه « مختصر عوامل الاعراب» ثم جاء تلميذه ابن جنى فحاول اصلاح النحو في كتابه : « الخصائص » [٣] ، ثم جاء عبد القاهر الجرجاني، فحاول هو الآخر إصلاح اللغة والنحو ، ولن نكلف نفوسنا هنا عناء نسبة هذه المحاولة الاصلاحية الجرجانية ، إلى أية مدرسة من المدارس النحوية ، التى اعتبرها الزبيدىُّ خمس مدارس ، واعتبرها أبو عبد الله العكبرىّ ثلاث مدارس ، وحدثنا عنها بعض الباحثين [٤] قديما وحديثا ، وحسبى - كما قلت آنفا - عرض ماتيسر لى من الآراء اللغوية والنحوية ، لعبد القاهر الجرجاني ، الذى نعرفه اليوم حديثا إماما من أئمة البلاغة ، وعرفه القدامى - فيما



عرفوه ـ بلقب (**اللغوى**) ولقب (**النحوى**) ويكفيه فخراً وشرفاً أنه أوّل نحوىٍّ جرؤ على نقد إمام البصريين (**سيبويه**) ، الذى بلغ من تقديسهم كتابه فى النحو ، أنهم أطلقوا [٥] عليه دون سواه اسم (**الكتاب**) وأول نحوىٍّ التفت ، ولفت الأنظار فى معرض حديثه عن معانى النحو وأحكامه إلى مابين الكلمات ، والأساليب من علاقات ، قائلا فى (الدلائل) : (هذا كلام وجيز ، يطلع به الناظر على أصول النحو جملة ، وكل مايكون به النظم دفعة ..) إلى آخر حديثه الجديد الرائد الذى كشف به عن الصلة بين العلوم العربية الأصيلة الثلاث : علم النحو ، وعلم المعانى ، وعلم البيان ... وقائلا أيضا فى (الدلائل) ص ٤١٦ : « إن الألفاظ لم توضع لتعرف بها معانيها فى أنفسها ، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها علم شريف وأصل عظيم » .

والمراد بالنحو عند عبد القاهر الجرجانى ، مايشمل مانعرفه نحن اليوم باسم النحو ...وما نعرفه باسم الصرف ، وهذه تفرقة لم يعرفها المشتغلون بالنحو ، والصرف فى ظلال التخصّص الا على مر[٦] الأيام ، وقبل أن أعرض ماتيسر من الآراء اللغوية والنحوية لعبد القاهر ، يروقنى أن يشاركنى القراء فى الاستماع للدكتور محمد مندور ، اذ يقول مانصه ـ رحمه الله ـ « تأثرت[٧] بعبد القاهر الجرجانى فى اهتمامه البالغ بنقد أساليب التعبير اللغوى وتراكيبه ، وفى رأيى أنه اهتدى الى علمى التراكيب والأساليب بمفهومها الأوروبى الحديث » ، ثم تعالوا بنا الى ماتيسر من التراكيب ، والأساليب التى لم يحاول النحاة القدامى ـ على اختلاف مدارسهم ، واتجاهاتهم ، وآرائهم ـ التماس علة ، او سبب لمجيئها على هذا النحو أو ذاك .. ثم جاء عبد القاهر بهذه المحاولة الرائدة ، التى يعتبر ابن بجدتها ، بل يعتبر أبا عذرتها ..

أ ـ **فعبد القاهر الجرجانى** لم يقف كما وقف سواه عند قول النحاة القدامى : إن الواو للجمع ، والفاء للعطف مع التعقيب ، وثم للعطف مع التراخى ، وانما راح يطالب بإحسان التخير للأسلوب الملائم ، والموضوع المناسب ، من مواضيع التراكيب والأساليب[٨] .

ب ـ ولم يقف عند قولهم ماقالوه عن « **واو الحال** » و« **جملة الحال** » وانما راح يذكر قراءه فى تفتُّح بيانى رائع بأن هذه الواو لها وظيفتها الأساسية التركيبية ، الماثلة فى ضم جملة الى جملة ،

واضافة تركيب الى تركيب ، كما راح يمتعهم بما قاله فى الجملة الحالية مسبوقة بواو الحال ، أو غير مسبوقة بها ، وما أبرعه فى وقفته الأدبية التذوقية أمام الجملة الحالية التى ختم بها بشار ابن برد بيته المشهور:

اذا انكرتنى بلدة أو نكرتها خرجت مع البازى علىّ سواد

وفى معرض الخلاف بين أبى بكر السراج ، والأخفش فى تخريج هذا البيت ، واعرابه ، قال عبد القاهر ـ فيما قال ـ : ان الشاعر لم يأت هنا بواو الحال ، لأن ذلك هو الأكثر فى مثل هذا التركيب ، وهو اللازم او الأكثر فى تركيب آخر تكون فيه الجملة الحالية ـ لاجملة قدم فيها الخبر والمجرور على المبتدأ ـ وانما تكون جملة فعلية فعلها مضارع مثبت غير منفى من طراز قوله تعالى :[٩] « ونذرهم فى طغيانهم يعمهون » . وقوله ـ سبحانه ـ :[١٠]« وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى » . فان كانت الجملة الحالية جملة فعلية ، فعلها ماض ، سبقتها الواو غالبا ، وسبقتها « قد » حتما كما فى قولنا مثلا : أتانى وقد جهده السير . وقول الشاعر القديم :

يمشون قد كسروا الجفون الى الوغى متبسمين وفيهم استبشار

وقول الشاعر القديم الآخر متسائلا :

متى أرى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السرابيل ؟[١١]

ج ـ ولم يقف عبد القاهر عند قولهم ماقالوه عن الفاء الواقعة فى جواب الشرط ، وإنما تجاوز ذلك الى قوله ـ وقد توهج حسه التركيبى البيانى ـ : ان هذه الفاء ـ وان لم تكن عاطفة ـ بمنزلة الفاء العاطفة فى أداء وظيفتها التركيبية الماثلة فى ربط أجزاء الكلام بعضها ببعض[١٢] .

و ـ وفى معرض حديثه عن مجىء الحال بعد الحال ، لم يقف ـ رحمه الله ـ جامدا عند ماقالوه ، ولكنه راح بحسه البيانى المرهف ، يستلطف مجىء الحال الجملة بعد الحال المفردة ، فى قول ابى العباس بن الرومى الشاعر المشهور:

والله يبقيك لنا سالما برداك تبجيل وتعظيم



وهنا يقول عبد القاهر : « ولو أنك أسقطت سالما » ـ وهى الحال المفردة ـ من هذا البيت ، فقلت مثلا :

والله يبقيك لنا برداك تبجيل وتعظيم

لم يكن موقع هذه الجملة ـ وهى : برداك تبجيل وتعظيم ـ شيئا يرتاح اليه الذوق التركيبى السليم القويم ، الذى عبر عنه عبد القاهر العظيم[١٣] بقوله : « واذا قد رأيت الجمل الواقعة حالا ، قد اختلفت بها الحال هذا الاختلاف الظاهر ، فلابد أن يكون ذلك انما كان من اجل علل توجبه واسباب تقتضيه ، فمحال ان تكون هاهنا جملة لاتصلح الا مع الواو ، وأخرى لاتصلح فيها الواو ، وثالثة تصلح ان تجىء فيها الواو ، وان تدعها فلا تجىء بها ، ثم لايكون لذلك سبب وعله » .

هـ ـ ولم يكتف عبد القاهر بقول النحاة القدامى : ان « ان المشددة » تنصب المبتدأ ، وترفع الخبر ، وتفيد معنى التوكيد ، فراح بوعيه التركيبى اليقظ ، يبين لنا أهمية « ان » المشددة هذه فى ربطها مابعدها بما قبلها ، ربط السبب بالمسبب والعلة بالمعلول ، قائلا من تعقيبه على بيت بشار بن برد :

بكرا صاحبىَّ قبل الهجير إنَّ ذاك النجاح فى التبكير

اننا لو قلنا مثلا : « ذاك النجاح فى التبكير » بإسقاط ان المشددة لأحسسنا شيئا من الخلل فى تركيب هذا البيت ، ومصدره اسقاط « ان » المشددة التى تقوم هنا بوظيفة فاء التعليل .. ثم قائلا بعد ذلك من تعقيبه على بيت آخر لشاعر آخر يقول :

ان دهرا يلف شملى بسعدى لزمان يهم بالإحسان

فلو أننا أسقطنا « ان » من هذا البيت ، وقلنا مثلا :

دهر يلف شملى بسعدى لزمان يهم بالإحسان

لعدمنا منه الحسن والطلاوة ، والتمكن الذى أنت واجده الآن ، ووجدت مكانه ضعفا

وفتورا . وفى موضع آخر من « الدلائل » يبين لنا عبد القاهر أهمية « ان » المشددة هذه فى تحسين وتجميل موقع ضمير الشأن فى الجملة المكونة من الشرط والجزاء ، ومن الأمثلة التى ذكرها هنا قوله ـ سبحانه ـ[١٤] : « فانها لا تعمى الأبصار » . وقوله تعالى ـ : [١٥] « انه من يتق ويصبر ، فإن الله لايضيع اجر المحسنين » وما أبعد البون فى الحسن والجمال ، بين ضمير الشأن المتصل « بأن » المشددة فى هاتين الآيتين ، وضمير الشأن المنطوق به غير مصحوب بأن المشددة كقولنا مثلا : هى لا تعمى الابصار . وقولنا : هو من يتق ويصبر ، فإن الله لايضيع اجر المحسنين[١٦] .

و ـ ولم يقنع الامام عبد القاهر بما قنع به سواه من قول النحاة : إن الجملة بعد النكرة صفة ، وبعد المعرفة حال ، وبعد النكرة المخصصة صفة او حال ، وانما راح فى « الدلائل » يلتمس العلة لذلك قائلا ماخلاصته ان الجمل كلها نكرات ، بدليل انها تستقاد ، وانما يستقاد المجهول دون المعلوم ، ومن هنا كانت موافقة للنكرة ، فجاز وصفها بها ، ولم يجز أن توصف بها المعرفة إذ لم تكن وفقا لها[١٧] .

د ـ ولم يقف عند قولهم : ان كلمة « الذى » تجتلب لتكون وصلة الى وصل المعرفة بالجملة ، وكلمة « ذو » تجتلب ليتوصل بها الى الوصف بأسماء الاجناس ، وانما راح يعلل لذلك قائلا : ان الجملة التى بها كلمة « الذى ، أو كلمة « ذو » ينبغى ان تكون جملة قد سبق علم السامع بها[١٨] .

ز ـ ومن وحى دقة الملاحظة عند عبد القاهر الذى نبهنا الى ان كلمتى « مثل » و « غير » لهما مكان الصدارة فى الأسلوب الذى يجيئان فيه حتما أنه عرض علينا الشواهد الآتية :

أ ـ مثلك يثنى المزن عن صوبه ويسترد الدمع من غربه

ب ـ غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع

ج ـ وغيرى يأكل المعروف سحتا وتشحب عنده بيض الأيادى



ثم عقب على هذا البيت الأخير لأبي تمام[١٩] ،بأن كلا من هؤلاء الشعـراء الثلاثـة ، لايريد التعريض بغيره ، وأن ابا تمام لم يرد أن ينفى عن نفسه ، معـرة الكفـر بالنعمـة والجحود للمعروف ، شأن اللؤماء الخبثاء .

ح ـ وأمام « **نظرية العامل** » لم يكتف عبد القاهـر بالقيـاس والتأويـل ـ كما اكتفـى بعضهم ـ ولم يكتف بالتفسير النظرى لها كما صنع من قبله ابو على الفـارسى[٢٠] ، ثم ابو الفتح بن جنى[٢١] ، وانما راح هذا النحوى البلاغى الرائد ، يجمع بين النظرية والتطبيق لها فى كتابه « العوامل المائة فى النحو »[٢٢] ، وهو يعنى بالعوامل المائة ماعبر لكل طالب معرفة الاعراب من معرفة مائة شيء : ستون منها تسمى « عاملا » وثلاثون منها تسمى « معمولا » ، وعشرة منها تسمى عملا واعرابا » . وعلى هذا المنوال سار فى كتابه الآخر : « الجمل فى النحو »[٢٣] ، وقد شرحه الشيخ خالد الأزهرى فى كتاب له سماه : « الفاخر فى شرح جمل[٢٤] عبد القاهر » ، ومن أهم مافدناه من قراءتنا لهذه المؤلفات المخطوطة لعبد القاهر ، وشرح بعضها الفوائد الآتية التى نرجو ان يرتاح اليها المعجبون بالآراء التقدمية الإصلاحية لعبد القاهرة فى اللغة والنحو والبلاغة ، والمعجبون مثلى بما دبجته يراعة العلامة المعاصر استاذنا الشيخ حمد الجاسر ، جزاه الله عن خدمة اللغة ، والأدب خير الجزاء :

الفائدة الأولى : أن الفارق الأساسى بين المعرب والمبنى ، أن حركة المعرب وسكونه ، لامصدر لهما إلا العامل اللفظى او المعنوى على حين ان حركة المبنى ، او سكونه يكونان بغير عامل .

الفائدة الثانية : ان النحو الذى يعنيه عبد القاهر الجرجانى ـ وهو الأديب الذواقة انما هو النحو الأصيل الذى يعنيه بقوله ـ رحمه الله ـ لمن يعادونه ، ماخلاصته : لن تستطيعوا أن تنكروا مهما جهدتم مسيس حاجتنا فى كلامنا الى مراعاة النحو ، لأن كلامنا ليس مجرد الفاظ مرصوصة يشد بعضها بعضها ، وانما هو تراكيب ، واساليب تربطها علاقات وثيقة تعين قواعد النحو الأصيل على توثيقها وتوكيدها كما تعيننا ـ وهنا بيت القصيد ـ على فهـم القـرآن الكريم .

الفائدة الثالثة : أن هذا القرآن الكريم معجز بنظمه الذى يعنى به عبدالقاهر توخى مابين كلماته واساليبه من علاقات ، وصلات ، تنير طريق المعانى والدلالات ، وليس معجزا بمجرد ألفاظه ، أو بمجرد معانيه ، وهو على اعجازه بنظمه جار على عرف العرب فى نظمهم كلامهم ، وليس خارجا « عن جميع وجوه النظم المعتادة فى كلام العرب ، ولامباينا لأساليب خطابهم » كما زعم الباقلانى(٢٦) .

الفائدة الرابعة : ان البنية الشكلية للأسلوب ، لربطها أهميته القصوى فى بيان المعنى المراد ، ومن هنا وقف عبد القاهر امام قوله تعالى(٢٧) : « أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم ؟ قال : بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم إن كانوا ينطقون » ، ليذكرنا بأن المستفهم عنه فى الآية الأولى ، ليس هو تكسير الأصنام ، أو عدم تكسيرها وانما المستفهم عنه هو شخص مكسر الأصنام : اهو ابراهيم ام سواه ؟ ومن الشواهد التى وقف عندها هنا عبد القاهر ايضا على هذا المنوال ، قول الشاعر القديم(٢٨) .

فما أنا أسقمت جسمى به ولا أنا أضرمت فى القلب نارا

الفائدة الخامسة : ان المبتدأ لم يسمه النحاة مبتدا لأنه مبتدأ به فى الكلام ، والخبر لم يسموه خبرا لأنه مذكور بعد المبتدأ .. لا .. انما سمى المبتدأ ، لأنه مسند اليه ، ومثبت له المعنى ، وسمى الخبر خبرا لأنه مسند ومثبت به المعنى ، ومن الشواهد الأدبية التى استأنس بها عبد عبد القاهر هنا ، قول العرب : ليس الطيب الا المسك ، وقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح ؟

وقول المتنبى : ألست ابن الألى سعدوا وسادوا .. ؟

وفى ضوء ماسبق يفطن عبد القاهر الى مالم يفطن اليه النحاة الذين لم يفرقوا بين جملة : « اخوك زيد » وجملة : « زيد أخوك »



على حين فرق بينهما عبد القاهر[٢٩] بناء على مامر بنا آنفا .

الفائدة السادسة : أن البون شاسع بين الحال المفردة والحال الجملة فى بيت المتنبى الذى قاله فى قلعة بناها سيف الدولة .

غضب الدهر والملوك عليها فبناها فى وجنة الدهر خالا

ولو ان المتنبى اتى بالحال هنا جملة فقال مثلا : فبناها وهى خال فى وجنة الدهر « لوجدت الصورة غير ماترى » - على حد تعبير عبد القاهر الذواقة الذى كما فرق بين الحال المفردة ، والحال الجملة - فرق فى التعبير عن معنى شمول الشيب للرأس بين أسلوب التمييز القرآنى المعجز[٣٠] : « واشتعل الرأس شيبا » وبين اسلوب بشرى آخر لا تمييز فيه كقولنا مثلا : اشتعل شيب الرأس ، لأن الأسلوب القرآنى - وله المثل الأعلى - « لايفيد لمعان الشيب فقط ، وانما يفيد مع لمعان الشيب فى الرأس شموله للرأس »[٣١] .

الفائدة السابعة : أهمية ملاحظة الأطوار التى مرت بها بعض الكلمات ، وقد ذكر عبد القاهر[٣٢] - على سبيل التمثيل - لا الحصر - كلمتين : العقيقة ، والعقيرة .

اما العقيقة : فمعناها الأصلى : شعر كل مولود من الناس او البهائم منذ اللحظة الأولى للميلاد ، ثم تطور الى معنى الشاة التى تذبح عن الصبى ، اذا حلقت عقيقته اى شعره الذى ولد به .

واما العقيرة : فمعناها الأصلى الرجل المعقورة ثم تطور الى معنى الصوت فى قولهم : رفع عقيرته .

الفائدة الثامنة : ان مبدأ اهمية ربط الكلام بمقام استعماله مبدأ قديم ، بل عريق فى القدم قبل عبد القاهر الجرجانى بمئات القرون .

نادى به افلاطون[٣٣] فى كتابه « فيدروس ٢٧١أ ، ٢٧٢ب » ، ثم نادى به تلميذه ارسطو فى كتابه : « فن الشعر ١٥٥ ب » فلا عجب ان قال الدكتور ابراهيم سلامة ص ٦٢ من مقدمته لكتاب الخطابة لأرسطو : ان الفصل السابع من هذا الكتاب ـ وهو فصل ملاءمة الأسلوب ـ شبيه بما يسميه علماء البلاغة العرب « مطابقة الكلام لمقتضى الحال » .

ثم نادى به امام البصريين ، سيبويه فى كتابه غير انه لم يذكر مثالا واحدا له ، وذلك ما أخذه عليه عبد القاهر الجرجانى ، الذى نادى بهذا المبدأ ، وفى الوقت نفسه ذكر له ـ فيما ذكر ـ الأمثلة الستة الآتية .

١ ـ مثالا نذكر فيه المفعول به قبل الفاعل ، لأن المفعول به هو محط الاهتمام ، مثل قولنا : « قتل الخارجى زيد »

٢ ـ ومثالا نحذف فيه المفعول به اكتفاء باثبات الفعل لفاعله ، لأن ذلك هو محط الاهتمام ، كما فى قوله تعالى فى سورة « القصص »[٣٤] : « ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم امرأتين تذودان » وواضح ان المقام هنا لايقتضى بيان نوع المذود من ابل او غنم ، وانما يقتضى انه كان هنالك سعى من الناس ، وذود من المرأتين وكفى ، وتلك هى المسألة .

٣ ـ ومثالا تحذف فيه المفعول به ، لأن فعله هو « الفعل المتناهى » ـ على حد تعبير عبد القاهر ـ أى الفعل الذى يتناهى عند الفاعل ولا يتجاوزه ، مثل قولهم : « قد مل فلان »

٤ ـ ومثالا تحذف فيه المفعول به حتى يذهب فهم القارىء ، أو السامع فى تصوره كل مذهب ، كما فى قولهم : فلان يحل ويعقد ، ويأمر وينهى ، أى صار له الحل والعقد ، والأمر والنهى ، وكما فى قوله ـ تعالى ـ :[٣٥] « وأنه هو اضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا ، وأنه هو اغنى وأقنى » لأن الذى يقتضيه المقام هنا هو أنه ـ سبحانه ـ المصدر الوحيد للاضحاك والابكاء ، وللامانة والاحياء ، وللأغناء ، وذلك هو بيت القصيد .



٥ ـ ومثالا تحذف فيه المفعول به ، اكتفاء بتقديره فى النفس ، أو اعتمادا على ذكر سابق ، أو لسان حال ـ كما فى بيت البحترى مادحا المعتز بالله العباسى ، ومعرضا باخيه المستعين المتهم بقتل والده جعفر المتوكل :

شجـــو حســـاده وغيـــظ عداه ان يرى مبصر ويسمـــع واع

يريد البحترى انه لاشىء أهجى لحساد المعتز ، وأغيظ لأعدائه ، من علمهم أن للناس عيونا تبصر ، وآذانا تسمع ، فلن تبصر تلك العيون ، ولن تسمع هذه الآذان ، الا كل فضل وتقدير للمعتز دون سواه .

٦ ـ ومثالا تكرر فيه الكلمة نفسها ـ وللتكرار اثره وخطره الذى يقتضيه المقام ـ كما فى تكرار « الله » وتكرار « الحق » فى الآيتين الآتيتين :[٣٦] « قل هو الله أحد ، الله الصمد » .[٣٧] « وبالحق أنزلناه ، وبالحق نزل » .

وهذه العناية البالغة ،.من الامام عبد القاهر الجرجانى ، بوجوب مراعاة المقامات ، والأحوال ، وجدت وماتزال تجد صداها حتى اليوم فى احدث ، وارقى المدارس اللغوية فى اوروبا وغيرها ، ولاسيما مدرسة « فيرث » كما حقق ذلك كثير من اعلام ادبائنا المعاصرين[٣٨] .

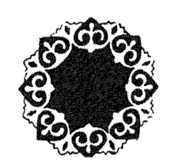


○ هوامش ○

(١) ضمن مجموعة رقم ٣٣٩ و (هـ) رقم ٦٥٧٠ .
(٢) انظر كتاب « من الوجهة النفسية » لخلف الله : ١٠٦ ، ١٦٤ ، وكتاب « عبدالقاهر الجرجانى وجهوده فى البلاغة العربية » لاحمد بدوى .
(٣) ج ١ : ١٠٩ ، ١٥٥ .
(٤) انظر « طبقات النحويين واللغويين » للزبيدى ، و« شرح اللمع » مخطوط رقم ٥ م . دار الكتب المصرية ، و« المدارس النحوية » د . شوقى ضيف .
(٥) الأصوات اللغوية د . ابراهيم انيس ط ٣ ص ٦ ، ٧ ومابعدها .
(٦) انظر « الافصاح » لأبى على الفارسى مخطوط « نحو » رقم ١٠٠٦ دار الكتب ص ٦٤ .
(٧) انظر « المجلة » فبراير ١٩٦٥ .
(٨) انظر هنا « دلائل الاعجاز » ١٩٣ .
(٩) سورة الأنعام الآية ١١٠ .
(١٠) سورة الليل الآية ١٧ ، ١٨ .
(١١) دلائل الاعجاز : ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٩ .
(١٢) الدلائل : ١٦٥ .
(١٣) الدلائل : ١٦٤ .
(١٤) سورة الحج الآية ٤٦ .
(١٥) سورة يوسف الآية ٩٠ .
(١٦) الدلائل : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ .
(١٧) الدلائل : ١٥٤ .
(١٨) الدلائل : ١٥٦ .
(١٩) الدلائل : ١٠٦ ، ١٠٧ .
(٢٠) فى كتابه الموجز : مختصر عوامل الاعراب ..
(٢١) فى كتابه : الخصائص .
(٢٢) وهذا كتاب مخطوط ضمن مجموعة رقم ٣٣٩ .
(٢٣) وهذا الكتاب ايضا مخطوط هـ ـ رقم ٦٥٧٠ .
(٢٤) مخطوط « نحو » رقم ٢٢٧ .
(٢٥) الدلائل : ٢٣ .
(٢٦) اعجاز القرآن لابى بكر الباقلانى تحقيق البحاثة الفاضل السيد صقر ص ٧٥ و « الدلائل » : ٣٥ ، ٤٠٤ ، ٤١٨ ، ٤١٩ .
(٢٧) سورة الأنبياء الآية ٦٢ .



(٢٨) الدلائل : ٨٧ ، ٩٦ ، ٩٧ .
(٢٩) الدلائل : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ .
(٣٠) سورة مريم الآية ٤ .
(٣١) الدلائل : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٣٠١ .
(٣٢) اسرار البلاغة :. ٢٤٥
(٣٣) مواقف ادبية ، د . محمد غنيمي هلال : ١٧ .
(٣٤) سورة القصص ، الآية ٢٣ .
(٣٥) سورة النجم ، الآية ٤٣ .
(٣٦) سورة الإخلاص ، الآية ١ ، ٢ .
(٣٧) سورة الإسراء ، الآية ١٠٥ .
(٣٨) انظر مثلا : « علم اللغة العام » ق أول : ٣٢ ، ٣٣ ، وق ثان : ١٧٢ ، ٢١٦ د . كمال بشر ، و« علم اللغة ».د . محمود السعران : ٣٣٧ ، و« مناهج البحث فى اللغة » د . تمام حسان : ٢٤٥ .





على كتاب الدكتور محسن غياض عجيل

عن

الصحفي، السياسي، المؤرخ النجدي

سليمان بن صالح الدخيل

تعقيب د ./ عبدالله الصالح العثيمين

مركز دراسات الخليج العربى فى جامعة البصرة جهود طيبة فى نشر الوثائق والدراسات المفيدة . ولعل حرصه الشديد على نشر ماله علاقة بتاريخ الخليج هو الذى دفعه الى نشر هذا الكتاب للدكتور عجيل . وقد كتب على غلافه الخارجى مايوحى بأنه صدر سنة ١٩٨٢م ، لكنه نص فى الصفحة الداخلية منه على انه صدر سنة ١٩٨١م .

ويتكون الكتاب من ١٧٤ صفحة ، منها ٢٩ صفحة تكلم فيها المؤلف عن سيرة سليمان الدخيل وآثاره ومنهجه العلمى وجهاده السياسى . ومنها ١٢٥ صفحة اعاد فيها نشر مقالات سبق ان نشرها الدخيل فى مجلة « لغة العرب » بين سنتى ١٩١١ و١٩١٤م ، مع تعليقات قليلة .

ويبدو ان شعبة الدراسات اللغوية والأدبية فى المركز قد تأثرت بما كتبه الدكتور عجيل عن الدخيل حتى قالت عنه :

انه يعتبر واحدا من الرواد العرب الذين أسهموا فى مجالات متعددة توزعتها الصحافة والسياسة والتاريخ واللغة والأدب فكان متمكنا بكل ماطرحه وواثقا ثقة العالم الجاد[1]

واذا كان فى هذه العبارة مافيها من مبالغة سوف تتضح من خلال المناقشة؛فإن الشعبة كانت اكثر اعتدالا حين أملت فى نهاية تقديمها للكتاب ان يكون نافعا ـ ولو بعض الشيء ـ لأولئك المهتمين بدراسة التاريخ والأدب والصحافة العربية[2]

والملاحظات على الكتاب بعضها يتعلق بدراسة المؤلف ، وبعضها يتعلق ببعض ماكتبه الدخيل ، واذا كان تناول الدراسة مهماً فى حد ذاته ؛ فان الهدف الرئيسى من تناول بعض ماكتبه الدخيل ابداء ما قد يساعد فى تقديم ماذكره المؤلف عنه .

○ ملاحظات على الدراسة

ذكر الدكتور عجيل ، عند كلامه عن مناصب الدخيل ، انه لم يتح له الاطلاع على ملف خدمته المحفوظ فى وزارة الداخلية العراقية . وقال : « ولاشك ان فيه سجلا كاملا

لمناصبه ووظائفه الحكومية واسباب نزوله فى التدرج الوظيفى بعد ذلك . »[٣] وكلامه يفيد ان ملف خدمة الدخيل محفوظ فى وزارة الداخلية العراقية ، وان فيه سجلا كاملا لما ذكره . فاذا كان الملف محفوظا فى الوزارة وهو من الأهمية بالدرجة التى اشار اليها فهل يقتنع القارئ من مؤلف عراقى بالذات بعبارة « لم يتح لنا الاطلاع » دون ابداء مايثبت محاولته الاطلاع وفشله فى تلك المحاولة ؟ ومادام المؤلف لم يطلع على الملف فكيف يجزم بانه يشتمل على ماذكره ؟ أليس من الأفضل فى مثل هذه المسألة ان يقال « ومن المحتمل » او « ومن المرجح » بدلا من « ولاشك » ؟ ان ملفات الموظفين ـ وبخاصة فى بلداننا ـ قد لاتشتمل على كل ماله علاقة بالموظف فقد لايذكر فيها مثلا اسباب نزوله فى التدرج الوظيفى ، وانما يكتفى بذكر نقله من وظيفة الى اخرى دون اشارة الى سبب ذلك النقل .

وحين تكلم الدكتور عجيل عن جريدة الرياض قال : انها « استمرت فى الصدور اربع سنوات طويلة » ولا ادرى لماذا وصف السنوات بالطول مادام عددها معلوما « وإنه من المؤسف حقا الا يبقى من اعدادها التى قد تبلغ المائتين غير عدد واحد فقط ، محفوظ فى المكتبة الوطنية ببغداد »[٤] وعبارته تفيد الجزم بانه لم يبق من اعداد الجريدة الا عدد واحد . وهذا امر محتمل لكن من المحتمل ايضا ان توجد اعداد منها فى امكنة اخرى مثل مكتبات تركيا او مكتبة المتحف البريطانى،ومع افتراض بحث المؤلف فى جميع المكتبات وفشله فى العثور على شيء منها فانه ينبغى الا يعبر بما يفيد الجزم بعدم الوجود ، وانما يعبر بما يفيد انه لم يعثر حتى الآن الا على عدد واحد منها .

ومن الواضح ان الدكتور عجيلا معجب جدا بالدخيل . ومن الواضح ايضا ، انه اراد ان يشرك القارئ هذا الأعجاب . ومن وسائله فى ذلك تفخيم مكانة من كتب عن الدخيل اذا كان فى كلامه عنه مايوحى بفضله،وترك ذلك التفخيم اذا لم يكن فيه مايوحى بفضل . فحمد الجاسر « علامة نجد ومؤرخها الاستاذ حمد الجاسر » حين قال : ان الدخيل « اول نجدى مارس الصحافة »[٥] لكنه وصف قبل ذلك بالأستاذ حمد الجاسر »

حين لم يكن في كلامه مايدل على اسبقية .[٦] ورفائيل بطي « الصحفي الكبير الاستاذ رفائيل بطي » حين قال عن جريدة الرياض : انها « جريدة ذات لون خاص في الصحف العراقية بل في الصحف العربية قاطبة في ذلك الجيل »[٧] لكنه وصف قبل ذلك بالاستاذ رفائيل بطي حين لم يكن كلامه عن الدخيل يوحي بعظمة .[٨]

ولقد عمد الدكتور عجيل ، الى تغيير كلام من تحدثوا عن الدخيل اما بذكر جوانب المدح في كلامهم عنه غير مقرونة بجوانب الذم من ذلك الكلام ، واما بتغيير منطوق الكلام ليدل على عظمة من قيل فيه . ومن ذلك :

١ ـ ذكر ان الاستاذ رفائيل بطي اشاد بجريدة الرياض وقال : « انها خدمت القضية العربية وساعدت على نشر الوعي القومي » وأنها كانت مصدرا بكل ماينشر او يذاع في العالم آنذاك من اخبار الجزيرة العربية وحوادثها « وان مروياتها تشيع في عالم الصحافة فتتناقلها الجرائد في العراق والشام ومصر . وقد تشغل بعض مروياتها ، عن جزيرة العرب ، اسلاك البرق ودواوين الدولة العثمانية اياما بل اشهرا .[٩]

فماذا قال الاستاذ رفائيل بطي عن الرياض ؟ قال : « انها خدمت القضية العربية بما احدثت من كثرة الضجيج والكتابة عن قلب الجزيرة العربية وينبوع العروبة ؛ فقد اذاعت الأحاديث عن العرب المعاصرين وقبائلهم ومنازلهم ومنازعاتهم وغزواتهم وحروبهم وسلمهم بنطاق واسع اثر على العقول ولغتها الى هذه الرقعة من العالم العربي »

وليس عليكم بعد ذلك ان تدققوا او تلحفوا في تمحيص صحة ماترويه صحيفة الرياض من اخبار الامارات العربية وسلطات الخليج وزعامات البوادي . فالمبالغة بادية عليها ، ولكن هذا لايهم الكاتب او الناشر ، انما المهم ان اكثر مروياتها تشيع في عالم الصحافة فتتناقلها الجرائد في العراق والشام ومصر . وقد تشغل بعض مروياتها من هذا اللون اسلاك البرق ودواوين الدولة العثمانية اياما بل اشهرا ، بينما يكون الحادث من اساسه من مبتدعات خيال مدير الرياض او محررها .[١٠]

ولعل القارئ يرى الفرق بين مانقله الدكتور عجيل من كلام الاستاذ رفائيل بطي

وبين كلام ذلك الاستاذ .

٢ ـ ذكر الدكتور عجيل ان الشيخ حمد الجاسر قال عن الدخيل : « اديب نجد ، اشتغل بالأدب والتاريخ والصحافة ، وله فيها اثار لايسع الباحث فى تاريخ نجد إهمالها »(١١)

والواقع ان الجاسر لم يقل عن الدخيل : « اديب نجد » وانما قال : « اديب نجدى »(١٢) والفرق واضح بين مدلولى التعبيرين .

٣ ـ وذكر الدكتور عجيل ان الجاسر قال عن (القول السديد فى اخبار الرشيد) انه اقدم ماكتب عن تاريخ هذه الامارة فى العصر الحاضر ، وانه يشتمل على فوائد تاريخية لا توجد فى غيره »(١٣)

وعنوان الكتاب : « القول السديد فى اخبار امارة آل رشيد » ولعل كلمة « امارة » سقطت سهوا فى الطباعة وماذكره الشيخ الجاسر هو :

« والمؤلف وان ظهر فى كتابة كثير من الضعف الا انه بحكم صلته بتلك الامارة يصح القول بأن ماكتبه من اقدم ماكتب عن تاريخ تلك الامارة فى العصر الحاضر ، ومع كونه لايخلو من تحيز الا ان فيه فوائد تاريخية لاتوجد فى غيره » .(١٤)

ومن الواضح ان الدكتور حذف من الكلام اشاره الجاسر الى مايوجد فى الكتاب من ضعف كثير وعدم خلوه من التحيز ، كما انه ادعى ان الجاسر قال عن الكتاب : انه اقدم ماكتب عن تاريخ الامارة مع ان الجاسر قال فى الحقيقة : من اقدم والفرق واضح بين مدلولى التعبيرين .

وذكر الدكتور عجيل ان الجاسر نشر الكتاب المذكور.(١٥) والواقع انه لم ينشر الكتاب كله . يقول الجاسر :

« ويمكن تقسيم الكتاب الى قسمين : القسم الأول يتعلق بتاريخ نشوء الامارة قبل منتصف القرن الثالث عشر الهجرى عندما . نشأت امارة آل فضل ، وعنها تفرعت امارة آل على ، التى خلفتها امارة آل رشيد .

وهذا القسم معلومات المؤلف فيه على درجة من التفاهة والضعف بحيث لايصح

التعويل عليها . وهذا مادفعنا الى الاكتفاء من الكتاب بالقسم الثانى المتضمن لذكر امارة آل رشيد .»[١٦]

كما ان الجاسر اضاف الى مانشره من الكتاب تتمة من كتاب فؤاد حمزة « قلب جزيرة العرب » لأن ماكتبه الدخيل يقف عند الحديث عن امارة سعود بن عبدالعزيز بن متعب .[١٧]

وذكر الدكتور عجيل ان الكرملى قال عن كتاب « العقد المتلالئ فى حساب اللالئ » :

وهو كتاب جليل لايستغنى عنه من يريد التعاطى بتجارة اللالئ ، لاسيما فى الخليج ، وفيه من اصطلاحات اهل الفن فى هذا العصر ، وما يحرص عليه التاجر واللغوى والغريب الوطن لفهم رطانة الغواصين ، وذكر فيه عدد السفن وبلادهم وعدد غواصيها والرسوم المستوفاة عن كل سفينة ، ومقدار عمق الماء فى محل الغوص ، ومايصيب الغواصين من آفات وأمراض .[١٨]

وقد وضع الدكتور الكلام السابق بين قوسين . وهذا يفهم منه انه نص كلام الكرملى ، والواقع ان الكلام يشتمل على ماهو من كلام الكرملى نصّا وماهو من تلخيص الدكتور[١٩]

وذكر الدكتور عجيل ان الكرملى قال عن كتاب « عنوان المجد فى تاريخ نجد :

« ومع ذلك فانك تجد اناسا لايعرفون اتم المعرفة مايتعلق بأصل صاحب هذا المذهب » يعنى المذهب الوهابى[٢٠]

والواقع ان عبارة الكرملى : ومع ذلك فانك لاتجد اناسا يعرفون اتم المعرفة .. الخ [٢١] وإخال أن القارئ يدرك الفرق بين مدلول « تجد اناسا لايعرفون » ومدلول (لاتجد اناسا يعرفون) . وعلى اية حال ، فالمهم الا يغير الكلام مادام قد اورد نصا .

وذكر الدكتور عجيل ان الدخيل طالب بدراسة العربية والقيام على نشرها وخدمتها وتنقيتها من شوائب الكلمة الدخيلة والأعجمية ، ودلل على ذلك بان الدخيل قال :

« اما اللغة العربية فقد كادت تفسد بالتمام فى هذه العصور الأخيرة لكثرة ما اصاب

ابناءها من النوائب لولا ان القرآن الذى هو اساس الدين ، ولغته لغة الدين حفظها من الدمار والبوار ، ثم قيض الله لها باجثين ، اصحاب نظر وفكر ، بينوا محاسنها ، وصححوا مافسد من ألفاظها ، وميزوا مافيها من حسن وسيئ فاخذت تعود الى نضارة عزها وغضارة مجدها . واصبحت اليوم واسطة الوحدة العربية ، والرابطة القومية بين بلاد وبلاد .(٢٢)

فهل كلام الدخيل الذى استشهد به الدكتور مطالبة أو إخبار بما تم يوحى باقتناع كاتبه الى ماتوصل اليه ؟

ومن الواضح ان اعجاب الدكتور عجيل بالدخيل جعله يصف كتاباته وصفا غير مطابق للواقع فى بعض الاحيان ؛ فقد ذكر مثلا ان معظم كتاباته جاءت بكرا لم يسبقه احد الى الكتابة فيها ، وتوفرت فيها الجدة والطرافة . وعد من ذلك ماكتبه الدخيل عن نجد وامارة آل رشيد .(٢٣)

ومن المعلوم ان كتابات كثيرة كانت قد نشرت عن نجد وامارة آل رشيد بلغات مختلفة قبل كتابة الدخيل عنهما ؛ بل ان تاريخ ابن غنام ، وهو مصدر مهم عن نجد ودعوة ابن عبدالوهاب وتاريخ آل سعود ، كان قد طبع سنة ١٩٠٢ .(٢٤)

وذكر الدكتور عجيل ان الدخيل كان « حريصا كل الحرص على ترقيم متون بحوثه واستخدام حواشى الصفحات فيما تستخدم به عادة من الاشارة الى المصادر وضبط وتفسير مايحتاج الى ذلك من المتن .» وقال فى الهامش : « انظر على سبيل المثال حواشى بحوثه عن اخلاق اهل نجد والأعراب غير المنسوبة وحواشى تحفة الألباء »(٢٥)

وبما أن « تحفة الألباء » ليست مما اعيد نشره فى الكتاب المتكلم عنه هنا فلعله من المستحسن ان ننظر الى مقالى الدخيل عن « اخلاق اهل نجد » و « بعض الأعراب غير المنسوبة » لنرى مدى صحة كلام الدكتور . مقال الدخيل عن اخلاق اهل نجد لاتوجد فيه حاشية واحدة من عمله . اما مقاله عن بعض الأعراب غير المنسوبة فلا توجد فيه الا حاشية واحدة من عمله مكونة من سطر ونصف السطر . وهى ضبط لكلمة « شذاذ » دون

ان يعزو ذلك الى مصدر[٢٦]

وبقية مقالات الدخيل التى أعاد الدكتور عجيل نشرها فى كتابه يوجد فى بعضها هوامش . وقد تكون بعض هذه الهوامش كثيرة العدد . لكن اكثر هذه الهوامش غير معزوة الى مصادر ، وهى مجرد ضبط لكلمات وردت فى متون تلك المقالات .

○ ملاحظات على بعض ماكتبه الدخيل :

قال الاستاذ الدخيل : ان اهل نجد قبل الاسلام كانوا « كأغلب سكان بلاد العرب اخلاطا من امم شتى : من عرب وفرس وآراميين وعبران واشوريين وكلدان وبابليين »[٢٧] وكلامه هذا غير معزو الى مصدر . اما مدى صحته فامر متروك لمن له ادنى معرفة بتاريخ المنطقة فى تلك الفترة .

وقال الاستاذ الدخيل : ولما ظهرت الوهابية بان بسكان نجد« كل البينونة عن سائر سكان الجزيرة حتى اضحوا أمة مستقلة بنفسها ولها اوصاف خاصة بها كالشجاعة والسباطة والتدين المفرط الضارب الى التعصب والإباء وعدم تحمل[٢٨] الضيم وتوقد الذكاء وحب التجارة الواقفة على اصول الشرع .

صحيح ان الوهابية اثرت فى النجديين ، وبخاصة من الناحية الدينية ، لكن هل جعلتهم يختلفون عن سكان الجزيرة العربية الآخرين حتى فى الذكاء وحب التجارة ؟

وقال الاستاذ الدخيل : انه كان فى نجد ثلاث امارات : امارة ابن سعود وقاعدتها الرياض ، وامارة ابن رشيد وقاعدتها حائل ، وامارة القصيم وهى بلدتا عنيزة وبريدة . ثم قال : ان كلتا البلدتين دخلتا فى قبضة ابن سعود .[٢٩]

والواقع ان منطقة القصيم ، ببلدانها المتعددة ، كانت تحت حكم آل سعود . ثم دخلت تحت حكم آل رشيد منذ سنة ١٨٩١م وظلت تحت حكم هؤلاء حتى استولى عليها ابن سعود سنة ١٩٠٤م . وقد سبب آل مهنا ، امراء بريدة ، بعض المشكلات لابن سعود ،

لكنه تمكن من حلها وابعاد مسببها عن الامارة بسرعة . اما عنيزة وبقية بلدان القصيم فقد ظل امراؤها مخلصين له[٣٠]

وقال الاستاذ الدخيل : اما اليوم ـ وذلك سنة ١٩١١م ـ فلم يبق من تلك العلوم[٣١] شيء فى الرياض . وانتقل اغلبه الى بلاد القصيم وحائل السالفتى الذكر . ولا يوجد من يتعاطى العلوم فيها الا اناس قلائل . ووجودهم كعدمهم[٣٢]

والصحيح ان الرياض كانت مركز التعليم المتداول فى نجد منذ ان اصبحت قاعدة حكم آل سعود فى القرن الثالث عشر الهجرى . وظل فيها علماء اجلاء ان لم يفوقوا غيرهم من علماء نجد عددا ومعرفة،فانهم لم يقلوا عنهم ، وكان العلماء من آل الشيخ ، ومقر اكثرهم فى الرياض ، دائما فى طليعة علماء نجد .

وقال الاستاذ الدخيل : واما العلوم والآداب فى الحائل « ويقال لهذه الامارة ايضا الجبل » و« جبل شمر » « وهو جبل طيئ فى السابق » فهى على غير مارأيته فى الامارة الأولى .[٣٣] ـ يقصد امارة ابن سعود .

وحائل بدون الف ولام . والمنطقة فى السابق كانت تسمى جبلى طيىء لاجبل طيىء .

ثم قال الاستاذ الدخيل :

« وامارتها ـ اى امارة حائل ـ لشمر منذ ان وجدوا الى يومنا هذا . وقد استولى عليها آل سعود حين قويت شوكتهم وعظمت صولتهم وماكادت شمسهم تميل الى الغروب الا وعادت تلك الديار الى اهلها الاقدمين . وكان اول اهلها ورؤسائهم آل على . ثم انتقلت الى طلال فبندر محمد الرشيد فعبد العزيز ثم الى ابنه متعب ثم الى خال متعب سلطان ثم الى سعود اخ سلطان ثم الى سعود بن عبدالعزيز اخ متعب »[٣٤]

والواقع ان آل على كانوا رؤساء حائل . وفى مستهل القرن الثالث عشر الهجرى دخلوا تحت حكم آل سعود وحين قضى على الدولة السعودية الأولى تفككت وحدة البلدان النجدية ، ومنها حائل . ثم نجح تركى بن عبدالله آل سعود فى اقامة الدولة من جديد .ودخلت حائل تحت حكمه ، شأنها فى ذلك شأن بقية بلدان نجد . ولما استولى ابنه

فيصل على الحكم عزل آل على عن امارة حائل وعين فيها عبدالله بن على بن رشيد ، مؤسس امارة آل رشيد . وحين توفى عبدالله خلفه فى الامارة ابنه طلال .. وحين انتحر طلال تولى الامارة اخوه متعب بن عبدالله . لكن علاقته بابناء اخيه طلال ساءت فقتلوه ، وتولى الامارة بندر بن طلال . ثم قتل محمد بن عبدالله ابناء اخيه طلال وتولى الامارة الخ(٣٥)

وقال الاستاذ الدخيل : ان اهل القصيم دخلوا بتجارتهم بلدانا منها لندن ومدن امريكية ، وذكر انك اذا دخلت بلادهم « ترى فيهم هذا يكلمك بالتركية وذلك يطارحك الكلام بالفارسية وتسمع واحدا يذاكرك بالهندية ويقبل اليك آخر يفتحك بالايطالية ويقترب منك صديق كتب يخاطبك بالفرنسوية الى غير هذه اللغات من اردوية وتامولية وانجليزية »(٣٦)

ولم تقف المبالغة الواضحة بالاستاذ الدخيل عند هذا الحد ، بل قال :

« وبيوت اكثرهم ـ اى اكثر اهل القصيم ـ ليست الا مدارس ونوادى علم » .(٣٧)

والواقع ان اهل القصيم ـ رغم النهضة التعليمية الحديثة ـ لم يصلوا حتى الآن الى المستوى الذى ادعى الاستاذ الدخيل انهم وصلوا اليه منذ اكثر من سبعين عاما .

وقال الاستاذ الدخيل :

« وقع بين سعود الفيصل وقائع جمة توفى فى أثنائها سعود ؛ فقام احفاده محمد وعبدالعزيز وسعد وخرجوا على عمهم عبدالله الفيصل واذاقوه الأمرين فاستنجد بالامير محمد الرشيد فسار بجيش لهام وزحف به عليهم واخرجهم من الرياض . وبعد ان مات البعض القى القبض على الباقين وعلى اولادهم وسجنهم فى حائل مقر امارته الى ان توفى سنة ١٣١٥ فخلفه الأمير ابن اخيه وهو عبدالعزيز بن متعب الرشيد . وفى ايامه وقعت تلك الفتن فاطلق سراح الباقين مع اولادهم . ومن ذلك العهد لقبوا بالعرائف لأن قضيتهم والفصل فيها يشبهان قضية العرافة التى مر بنا ذكرها . ولما اطلق سراحهم استقبلهم عبدالعزيز باشا السعود بالسرور والاكرام » .(٣٨)

ومن الملاحظ ان الدخيل قال : « أحفاده » ـ يعنى احفاد سعود بن فيصل ، بينما قال خرجوا على « عمهم عبدالله » ومعروف ان من ذكرهم الدخيل كانوا ابناء سعود لا أحفاده . ومن الملاحظ » ايضا انه ذكر هنا ان وفاة محمد بن رشيد كانت سنة ١٣١٥هـ ـ وهذا هو الصحيح لكنه ذكر فى موضع اخر ان وفاته كانت سنة ١٣١٤هـ[٣٩]

وقد يفهم من كلام الدخيل ان سعود بن فيصل قد توفى فى احدى الوقائع التى دارت بينه وبين خصومه . والحقيقة انه توفى وفاة طبيعية سنة ١٢٩١هـ . وقد تولى أخوه عبدالرحمن الحكم بعده حوالى سنتين ثم تنازل عن الحكم لاخيه عبدالله بن فيصل وظل عبدالله حاكما ـ وان كان نفوذه فى نجد يضعف تدريجيا ـ حتى سنة ١٣٠٥هـ . وفى هذه السنة استولى ابناء اخيه سعود على الرياض وقبضوا عليه فسار اليهم محمد بن رشيد واجبرهم على مغادرة الرياض . وقد اخذ محمد بن رشيد عبدالله ابن فيصل معه الى حائل ، وعين سالم بن سبهان اميرا على الرياض . وقد احتال ابن سبهان بأبناء سعود بن فيصل فى الخرج فقتل ثلاثة منهم . اما الرابع ، وهو عبدالعزيز ، فقد سلم من القتل لكنه أبقى هو واولاده واولاد اخوته فى حائل . وفى سنة ١٣٢٢هـ دارت معركة بين عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل « الملك عبدالعزيز » وبين ماجد بن حمود آل رشيد عند اسوار عنيزة . وكان النصر فيها حليف عبدالعزيز . وكان بعض احفاد سعود بن فيصل مع ماجد فاسروا ؛ ولكن عبدالعزيز اطلق سراحهم على اساس انهم عرائف له . فاصبحوا يسمون العرائف .[٤٠]

وقال الاستاذ الدخيل :

ان نجدا ثلاثة اقسام : « الأول العروض او العارض او الرياض او الدرعية ، وهى امارة ابن السعود »[٤١]

والعارض ـ كما هو معلوم ـ منطقة تضم بلدانا عديدة منها الرياض والدرعية ومنفوحة والعيينة . اما الدرعية فهى بلدة كانت مقر حكم آل سعود ايام الدولة السعودية الأولى ، لكن لما انتهت تلك الدولة خرب ابراهيم باشا هذه البلدة . وحين نجح تركى بن عبدالله

آل سعود فى اعادة حكم اسرته،اتخذ من الرياض عاصمة له ، وظلت قاعدة آل سعود حتى الآن .

وقال الاستاذ الدخيل هنا ـ كما قال من قبل ـ ان القصيم امارة مستقلة . وقد سبقت الملاحظة على ذلك .

وقال الاستاذ الدخيل : ان الامير سعودا هو الذى رفع ذكر امارة آل سعود ، وانه « ابن الأمير محمد بن الأمير مقرن بن الأمير مرخان بن الأمير ابراهيم ، الذى كان فى عهد العباسيين اميرا قائما بنفسه صاحب الأمر والنهى فى جزيرة العرب . وهو ابن الأمير موسى الذى كان مستبدا بنجد وبما والاها فى آخر ايام الدولة العباسية . وهو ابن الأمير ربيعة وقد كانت تخضع له الاحساء والقطيف وقطر ، وهو ابن الأمير مانع الذى وضع اساسَ الدرعية وبناها وجدد بناء الاحساء والقطيف وقطر وعمان ، واول من بنى القلاع المنيعة والحصون المكينة والاسوار الشامخة وكان مستقلا بالامارة سنة ٨٥٠ »[٤٢]

وفى تعليق له حول هذا الموضوع بعنوان « رجوع الى الحق » ذكر ان امارة مانع كانت سنة ٨٥٠هـ ، وامارة ربيعة سنة ٦٢٧هـ ، وامارة موسى سنة ٦٤٥هـ .[٤٣]

وليته لم يرجع عما قاله سابقا ؛ لأنه برجوعه زاد الطين بلـه ، وضـاعف الخطـأ . فما حقيقة اولئك الأفراد ؟

فى سنة ٨٥٠هـ قدم مانع المريدى ـ جد آل سعود ـ من منطقة قرب بلدة القطيف الى قريب له يسمى ابن درع كان يسكن منطقة الرياض الحالية . وقد منح ابن درع مانعا المكان الذى اصبح يسمى فيما بعد الدرعية . وحين توفى مانع اصبح ابنه ربيعة صاحب ذلك المكان . وقد ثار موسى بن ربيعة على ابيه وتولى امارة البلدة ثم خلفه ابنه ابراهيم . وبعد وفاة ابراهيم تولى الامارة ابنه مرخان . وبعد وفاة مرخان تعاقب على الامارة افراد من ذريته حتى تولاها سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان سنة ١١٣٢هـ . وظل اميرا للدرعية حتى سنة ١١٣٧هـ[٤٤] ولم يكن سعود بن محمد بن مقرن ولا من قبله على شىء يختلف عن غيرهم من امراء نجد من حيث القوة بل كان هناك من الأمراء النجديين من كانوا

اقوى منهم بكثير . ذلك ان نفوذ سعود بن محمد وآبائه واجداده لم يتعد حدود بلدة الدرعية الصغيرة حينذاك . ولم تبدأ قوة آل سعود حقيقة ، الا فى عهد محمد بن سعود ، وذلك نتيجة لتحالفه مع المصلح محمد بن عبدالوهاب .

وقال الاستاذ الدخيل : ان محمد بن سعود توفى سنة ١١٧٠هـ[٤٥] والصحيح انه توفى سنة ١١٧٩هـ[٤٦] وقال : ان عبدالله بن سعود توفى فى القسطنطينية سنة ١٢٣٣هـ[٤٧] وقد توحى عبارته بان وفاة عبدالله كانت طبيعية والواقع انه أعدم فى العاصمة العثمانية سنة ١٢٣٤هـ . [٤٨] وقال : ان نجدا مازالت عاصية لمشارى بن سعود حتى توفى سنة ١٢٣٥هـ[٤٩] والواقع ان محمد بن معمر ، المتعاون مع قادة محمد على حاكم مصر قبض على مشارى وارسله الى القائد التركى فى عنيزة حيث توفى مسجونا فى تلك البلدة[٥٠] وقال : ان ابن عمه اى ابن عم مشارى بن سعود تركى بن عبدالله بن محمد بن سعود خلفه فى الحكم[٥١] وواضح ان تركى بن عبدالله لم يكن ابن عم مشارى ، وانما كان ابن عم ابيه سعود .

وقال الاستاذ الدخيل ـ وهو يتكلم عن القضاء على مشارى بن عبدالرحمن سنة ١٢٤٩ ـ ١٢٥٠هـ ـ :«ثم هجرت الدرعية واتخذت الرياض مقرا للأمارة فاصبحت هى العاصمة »[٥٢]

والواقع ان الدرعية خربت سنة ١٢٣٤هـ ، وان الرياض اتخذت عاصمة من قبل تركى بن عبدالله منذ سنة ١٢٤٠هـ .

وقال الدخيل : ان عبدالله بن ثنيان توفى مسموما أو قتيلا سنة ١٢٥٩هـ ، وان مجىء فيصل بن تركى من مصر الى نجد صادف وفاة عبدالله بن ثنيان فتولى الامارة بعده[٥٧]

والواقع ان عبدالله بن ثنيان لم يمت قبل عودة فيصل من مصر الى نجد ، بل قاوم فيصلا حتى حوصر فى الرياض . ثم استسلم لفيصل ، وتوفى بعد ايام من استسلامه له[٥٤]

وقال الدخيل : ان آل سعود خلعوا عبدالله بن فيصل عن الحكم سنة ١٢٨١هـ ، مع انه ذكر قبل ذلك مباشرة ان فيصل بن تركي توفي سنة ١٢٨٢هـ[٥٥] ومعلوم ان عبدالله لم يتول الحكم الا بعد وفاة ابيه .

وقال الدخيل : ان البلاد تجزأت بين آل سعود وأصبح كل صقع منها لأمير ، فأمير الخرج ثنيان بن عبدالله بن ثنيان ، وامير الاحساء وماحولها عبدالله بن عبدالله ابن ثنيان ، وامير العارض وما والاه سعود بن جلوى بن تركي ، وامير الفرع فهد بن صنيتان ، وامير الرياض وملحقاتها عبد الرحمن بن فيصل ، وامراء نجد « القصيم وما يضم اليها من الملحقات » الأمير محمد بن سعود والأمير عبدالله بن سعود والأمير سعد بن سعود والأمير عبدالرحمن بن سعود والامير عبدالعزيز بن سعود آل فيصل والامير ناصر بن فيصل[٥٦]

ولعل من الواضح مافي هذا الكلام من خلط جغرافي : فمعروف ان نجدا تضم مناطق متعددة منها المناطق التي ذكرها وهي القصيم والعارض والخرج والفرع . ومعروف أيضا ، ان العارض منطقة تضم بلدانا عدة منها الرياض . فكيف يذكر انه كان للخرج امير وللعارض امير وللفرع امير وللرياض امير . ثم يذكر ان امراء نجد غير هؤلاء ! اليست الامكنة التي ذكرها من نجد ؟ ثم ماهي الرياض وملحقاتها اذا لم تكن العارض ؟

اما من الناحية التاريخية فان عبدالله بن فيصل تولى الحكم بعد وفاة ابيه سنة ١٢٨٢هـ . وفي السنة التي تلت ثار ضده اخوه سعود . وبعد خمس سنوات استولى سعود على الرياض . وكان ان استنجد عبدالله بوالي بغداد ضد اخيه فكان ذلك فرصة للوالي استولى بها على منطقة الاحساء سنة ١٢٨٨هـ[٥٧] وحين توفي سعود سنة ١٢٩١هـ تولى الحكم اخوه عبدالرحمن ، ثم تنازل عنه لأخيه عبدالله . وظل عبدالله حاكما حتى سنة ١٣٠٥هـ حين قبض عليه ابناء اخيه سعود ، كما سبق ان ذكر .

وقال الاستاذ الدخيل : ان الحرب استعرت بين عبدالله بن فيصل واخويه سعود وعبدالرحمن وان عبدالله استعان فى الآخر بمحمد الرشيد فكان ذلك فرصة لمحمد للتغلب على كليهما .

وكلامه يوحى بان الاستعانة بابن رشيد كانت وسعود لايزال حيا . لكنه تابع كلامه قائلا :

« ثم اتفق معهما على ان يكونا فى بلاد امارتهما وله عليهما اليد العليا وشرط عليهما شروطا أخرى رضيا بها. فكان اولاد سعود فى الخرج وعبدالرحمن فى الرياض . اما عبدالله فانه زهد بالملك واستقر فى حائل »(٥٨)

وكلامه هنا يوحى بان الاستعانة المذكورة لم تكن زمن سعود اذ لم يرد ذكر له . ومعروف ان الحادثة كانت بعد وفاة سعود باربعة عشر عاما . وقال الاستاذ الدخيل :

« فى بحر سنة ١٢٩٥هـ « ١٨٧٨م » وقع بين ابن الرشيد وبين امراء القصيم فتور فاتفق آل سعود مع عبدالرحمن ووعدوه بالمساعدة ان فعل بما يطلبونه منه . فقدم عبدالرحمن لينكب المعتمدين هناك فأحس الامير ابن الرشيد بالامر فأسرع الى مصالحة امراء القصيم ثم بعد ان تم له هذا الأمر غزا الرياض والخرج واجتاحهما . وقتل بعض اولاد السعود والبعض الآخر أخذوا اسرى وأبقوا فى حائل فى تجلة واحترام . وهم الذين يعرفون اليوم باسم العرائف واما عبدالرحمن فانه فر من بين يدى الأمير ونزل الأحساء ثم بغداد ومنها رحل الى الاستانة ثم زايلها فرجع الى ديار العرب فاحتل الكويت »(٥٩)

وقوله « فاتفق آل سعود مع عبدالرحمن » واضح انه خطأ ، وانه يريد فاتفق اهل القصيم مع عبدالرحمن .

والواقع ان فتور العلاقات بين محمد بن رشيد وبين اهل القصيم كان حوالى سنة ١٣٠٧هـ . وفى تلك السنة قبض عبدالرحمن بن فيصل على سالم بن سبهان فى الرياض . فحسن ابن رشيد علاقاته مع اهل القصيم مؤقتا ليتفرغ لقتال عبدالرحمن

ابن فيصل . وفى سنة ١٣٠٨هـ نجح فى فك اسر ابن سبهان ، ثم عاد الى حائل .
وفى نفس السنة دارت معركة المليداء بينه وبين اهل القصيم ، فانتصر عليهم
وخضعت بلادهم له وكان عبدالرحمن بن فيصل قد جهز جيشا لمساعدة اهل القصيم ،
لكنه علم بانتهاء المعركة بينهم وبين ابن رشيد فلم يواصل جيشه السير الى القصيم
وقد ثبطت هزيمة اهل القصيم همة عبدالرحمن بن فيصل فترك الرياض لكنه لم
يذهب الى بغداد والأستانة ، وانما اقام عند قبيلة آل مرة ينتقل معها من مكان الي
مكان آخر حتى وجد ملجا فى قطر عند ابن ثانى . ثم سمح له اخيرا ان يستقر فى
الكويت(٦٠)

وقال الاستاذ الدخيل : ان عبدالعزيز بن متعب آل رشيد بعد توليه الامارة فكر
فى غزو الكويت .. وبينما كان يتأهب لذلك قتل الشيخ مبارك بن الصباح أخويه
محمدا وجراحا . وهم بغزو نجد فثارت الحرب بين ابن الرشيد وبين ابن الصباح ولم
تخمد نارها الا بعد مدة مديدة كان الفوز فيها للأمير ابن السعود « هكذا » . فاغتنم
عبدالعزيز هذه الفرصة ودخل الرياض سنة ١٣١٩هـ .(٦١)

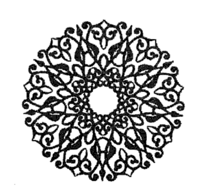
ومعروف ان عبدالعزيز بن متعب لم يتول الحكم الا بعد وفاة عمه محمد سنة
١٣١٥هـ(٦٢) ومعروف ايضا ، ان قتل مبارك بن صباح لاخويه كان سنة ١٣١٣هـ
(٦٣) وهكذا يتضح ان قتل مبارك لاخويه كان قبل تولى عبدالعزيز بن متعب
الامارة .

وفى سنة ١٣١٨هـ قام مبارك بن صباح بغزو نجد وتقابل مع عبدالعزيز بن رشيد
فى معركة الصريف المشهورة . وكان النصر فى تلك المعركة حليف ابن رشيد(٦٤)

وبعد هذا أترك للقارئ الكريم تقويم ماذكره الدكتور عجيل عن الاستاذ
الدخيل ووصفه اياه بانه كان « عادلا جدا فى تحليله وتعليله ولم يكن متعصبا ولا
متحيزا » وأن كتاباته كانت موضوعاتها « أصيلة بكرا . كان الدخيل اول من بحث
فيها لم يسبقه احد من الباحثين » وانه كان « حريصا كل الحرص على ترقيم متون

بحوثه واستخدام حواشي الصفحات فيما تستخدم به عادة من الاشارة الى المصادر » وانه « قد ابعد بحوثه عن ان تكون مجرد جمع للمعلومات وسرد لها ، واضفى عليها طابع البحث العلمي الدقيق » وانه « قد اخذ بأسباب المنهج العلمي كاملة واستوفى جوانبه استيفاء ، من دقة فى اختيار الموضوعات وخطة متكاملة فى بحثها ومعالجتها وحرص على ذكر المصادر والاشارة اليها واستكمال لما يقتضيه البحث من الترقيم والحواشي والتعليقات ، وتحقيق الشخصية الباحثة المتميزة من خلال المناقشة والاستدراك والتحليل والتعليل(٦٥) .

والله الموفق



○ الهوامش ○

١ ـ ص ٩ من الكتاب وسيكتفى ، مستقبلا ، بذكر الصفحة دون الاشارة الى الكتاب
٢ ـ ص ٩
٣ ـ ص ١٧
٤ ـ ص ١٩
٥ ـ ص ١٨
٦ ـ ص ١٤ و ص ١٧
٧ ـ ص ١٨
٨ ـ ص ١٥ و ١٧
٩ ـ ص ١٩
١٠ ـ رفائيل بطى ، الصحافة فى العراق ، معهد الدراسات العالمية ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٢٨ ، ص ٢٩
١١ ـ ص ٢٠
١٢ ـ حمد الجاسر ، « مؤرخو نجد من أهلها » العرب ١٩٧١م ، ج ١ ص ٨٩٣
١٣ ـ ص ٢٠ ، ٢١
١٤ ـ حمد الجاسر القول السديد فى اخبار امارة ال رشيد دار اليمامة ١٩٦٦م ، ص ١٤٦
١٥ ـ ص ٢٠
١٦ ـ حمد الجاسر القول السديد ... ، ص ١٤٣
١٧ ـ نفس المرجع ، ص ١٤٦
١٨ ـ ص ٢١
١٩ ـ لغة العرب ١٩١٢م ج ٧ ص ٢٦٤
٢٠ ـ ص ٢٣
٢١ ـ لغة العرب ١٩١١ ج ١٢ ص ٤٨٨
٢٢ ـ ص ٢٩
٢٣ ـ ص ٣٣
٢٤ ـ طبع تلك السنة فى بومبى فى الهند .
٢٥ ـ ص ٣٥ وهامش ١ من هذه الصفحة
٢٦ ـ ص ٥١ ص ٥٥ ص ٥٧ ص ٦٥
٢٧ ـ ص ٤٥
٢٨ ـ ص ٤٥ ـ ٤٦
٢٩ ـ ص ٤٦

٣٠ ـ ابراهيم بن عيسى تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد دار اليمامة ١٩٦٦م ص ١٩٥ ـ ١٩٦ خير الدين الزركلى ، شبه الجزيرة فى عهد الملك عبدالعزيز بيروت ١٩٧١م ، ص ١٤٨
٣١ ـ هذه العلوم كما ذكر الدخيل ـ هى علم التوحيد والكلام والأصول والتفسير والفقه واللغة وجميع العلوم الدينية وقليل من النحو والصرف وسائر علوم الآلة . انظر ص ٤٧
٣٢ ـ ص ٤٧
٣٣ ـ ص ٤٨
٣٤ ـ ص ٤٨ ص ٤٩
٣٥ ـ عثمان بن بشر عنوان المجد فى تاريخ نجد ، طبعة وزارة المعارف السعودية الثانية ١٣٩١هـ ج ١ ص ٩٩ ص ١٠٠ وج ٢ ص ٤١ ص ٨٤ص ١٤٩ابن عيسى عقد الدرر فيما وقع فى نجد من الحوادث فى آخر القرن الثالث عشر واول الرابع عشر طبع ذيلا لعنوان المجد .. ص ٥٢ ص ٦٢ ص ٧٤ ص ١٠٢
٣٦ ـ ص ٥٠
٣٧ ـ ص ٥١
٣٨ ـ ص ١٠٣ ص ١٠٤
٣٩ ـ ص ١١٦
٤٠ ـ ابن عيسى عقد الدور ص ٨٠ ص ٨٤ ص ٩٨ ص ٩٩ الزركلى المصدر السابق ج ١ ص ١٤٦
٤١ ـ ص ١٠٧
٤٢ ـ ص ١٠٨
٤٣ ـ الصفحة نفسها هامش
٤٤ ـ ابن عيسى تارخ بعض الحوادث ص ٣٦ ص ٤١
٤٥ ـ ص ١٠٩
٤٦ ـ ابن بشر المصدر السابق ج ١ ص ٦٣
٤٧ ـ ص ١١٠
٤٨ ـ منير العجلانى عهد عبدالله بن سعود بيروت ١٣٩٢هـ ص ١٤٢
٤٩ ـ ص ١١٠
٥٠ ـ ابن بشر المصدر السابق ج ١ ص ٢٩٧ ص ٢٩٨
٥١ ـ ص ١١٠
٥٢ ـ ص ١١١
٥٣ ـ ص ١١٢
٥٤ ـ ابن بشر المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٠ ص ١٣٤
٥٥ ـ ص ١١٢
٥٦ ـ ص ١١٢ ص ١١٣
٥٧ ـ ابن عيسى عقد الدرر ص ٤٩ ص ٥١ ص ٥٢ ص ٦٩ ص ٧٠

٥٨ ـ ص ١١٥
٥٩ ـ ص ١١٦
٦٠ ـ ابن عيسى عقد الدرر ص ١٠٠ الزركلي المصدر السابق ج ١ ص ٦٤ ص ٦٧
٦١ ـ ص ١١٦ ص ١١٧
٦٢ ـ ابن عيسى عقد الدرر ص ١٠٢
٦٣ ـ نفس المصدر الصفحة نفسها
٦٤ ـ نفس المصدر ص ١٠٢ ص ١٠٣
٦٥ ـ ص ٣١ ص ٣٣ ص ٣٥ ص ٣٧

● ● ● ●

◆ من بحوث الاعداد القادمة .. ◆

- دراسة للتسبيح الاسلامي المذهب في صقلية .. د . عبد المنعم عبد العزيز رسلان
- تحفة المشتاق للشيخ عبدالله بن بسام .. د . محمد بن سعد السويعر .
- « الجار » ميناء المدينة القديم « أي البريكة حاليا » .. ا . عبدالكريم محمود الخطيب .
- بداية التنصير الأمريكي في وادي النيل .. د . عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم .
- رحلة العبدري إلى الحجاز .. ا . محمد محمد النهامي .
- الاطار القانوني والسياسي لمجلس التعاون الخليجي « عرض كتاب » .
  د . طه عثمان الفرا .
- البحر الأحمر وشعبه المرجانية .. د . محمد احمد الرويثي . د . احمد عبدالقادر المهندس .
- الزراعة في اليمامة في العصر العباسي . د . عبدالله محمد السيف .
- قرية « الفاو » صورة للحضارة العربية قبل الإسلام « عرض كتاب » .
  د . أحمد حسين غزال .
- على ضفاف العربية .. ا . عبدالله السيد شرف .
- حكيم بني أمية « خالد بن يزيد بن معاوية » د . علي عبد الله الدفاع .

حملات الرومان على الجزيرة العربيّة

إعداد : الأستاذ ابراهيم يوسف أحمد الشتلة



\- ١ -

« حملات الرومان على الجزيرة العربية »

بدأت أطماع الرومان فى الجزيرة العربية فى نهاية القرن الأول قبل الميلاد أى فى بداية العصر الامبراطورى ، وقت أن سيطرت روما على معظم دول وممالك الشرق ، حتى أصبح البحر الأبيض المتوسط بحيرة رومانية وكان يطلق عليه بحر الرومان .

وكانت الامبراطورية الرومانية تضم أغنى مناطق أوروبا الغربية والشمالية الغربية وجميع بلاد أوروبا الجنوبية ، وأنها كانت تضم جميع مناطق آسيا الغربية بين البحر الأسود ووادى الفرات شرقا والبحر الأبيض المتوسط وخليج السويس غربا ، كما كانت تضم فى أفريقيا مصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش ، وان أدركنا أن هذه المناطق غنية جدا بمحاصيلها الزراعية وثرواتها المعدنية ، وأن بعض تلك المناطق تحتل موقعا تجاريا ممتازا ، فان تذكرنا كل ذلك قدرنا بصورة دقيقة أهمية الاقتصاد الرومانى ومدى ما نعمت به الامبراطورية الرومانية من رخاء وازدهار اقتصادى لاسيما فى فترات السلم .

لقد حرصت السلطات المركزية الرومانية نشدانا منها لتأمين وصول جميع ما فرضته على الولايات من أجل استتباب الأمن وتوطيده على طرق المواصلات البرية والبحرية ، وتنفيذا لهذه الخطة المرسومة أقام الرومان حاميات من قوات الأمن فى مراكز شتى على طول طرق المواصلات البرية .

كما ضاعفوا عدد تلك المراكز وعدد جنودها فى المناطق الجبلية الوعرة المسالك وفى المناطق الكثيرة الحراج ، أما خفر السواحل ومحاربة القرصنة فى البحار فقد كُلفت بها سفن الأسطول الرومانى حرصا على سلامة المواصلات البحرية [١] .

وبعد ان استولى الرومان على مصر ، وأصبحت تابعة لحكم الامبراطورية الرومانية شملتها تلك الخطة المرسومة من قبل السلطات المركزية الرومانية لاستتباب الأمن



وتوطيده ؛ فقد أمر الامبراطور الرومانى أوغسطس باصلاح ماكان قد فسد بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية السيئة التى حدثت فى أيام البطالمة (٣٣١ ـ ٣١ق.م) فأصلحت الطرق وطهرت القنوات ،وعنى بالتجارة البحرية وبمياه البحر الأحمر التى غصت بلصوص البحر ، وأوعز إلى حاكم مصر ايليوس جالوس بغزو جزيرة العرب ؛ للاستيلاء عليها وعلى ثروتها العظيمة التى اشتهرت بها من الاتجار بالمر واللبان والبخور والأفاويه . وللقضاء على لصوص البحر الذين كانوا يحتمون بسواحل الحجاز واليمن وللهيمنة على البحر ؛ وذلك لضمان مصالح الامبراطورية الرومانية فى ذلك الجزء من العالم ، وجعل البحر الأحمر بحرا رومانيا (٢) . وأن يضعوا أيديهم على مصادر الثروة العربية (٣) .

وقد اهتمت الامبراطورية الرومانية كذلك بهذا الجزء من العالم لتأمين الخط التجارى الى الصومال والجزيرة العربية والهند بسبب استهلاكهم المتزايد للطيوب والتوابل أو لاحتياطهم الاستراتيجى أمام التحدى الفارسى (٤) .

ويذكر سترابو وبليى أن العرب تكاثروا فى أيامها « **العصر الامبراطورى** » على العدوة الغربية من البحر الأحمر ، حتى شغلوا مابينه وبين النيل فى أعلى الصعيد ، وأصبح نصف سكان مصر منهم ، وكانت لهم جمال ينقلون عليها التجارة والناس بين البحر والنيل ، وكان العرب فى أيام أغسطس فى بداية القرن الأول الميلادى قد دخلوا الحبشة وتملكوها ، وأوغلوا فى بلاد النوبة ، واتفق فى أثناء ذلك ارسال حملة رومانية لفتح بلاد العرب بقيادة ايليوس جالوس .

ومنذ أن دخلت مصر فى حوزة الرومان وهم يرسلون حملاتهم لرد هجمات العرب والعرب يهزمونهم (٥) .

وخلاصة القول:إن دوافع الرومان لغزو الجزيرة العربية مما سبق ذكره تتلخص فى النقاط الآتية :

١ ـ تأمين طرق المواصلات البرية والبحرية فى الشرق وبخاصة الى الصومال والجزيرة العربية والهند .



٢ ـ جعل البحر الأحمر بحرا رومانيا .
٣ ـ تأمين استراتيجيتهم أمام التحدى الفارسى .
٤ ـ رد هجمات العرب وتدفقهم على مصر وبلاد النوبة والحبشة .
٥ ـ وضع أيديهم على مصادر الثروة العربية .

حملة ايليوس جالوس عام ٢٤ ق .م :

إن الأمل المنشود لدى العديد من علماء التاريخ والآثار هو العثور على بقايا مراكز الجيش الرومانى ومخلفاتهم ، لتكون أهم الوثائق التاريخية التى يمكن بها إلقاء الضوء على فترة من أهم فترات التاريخ القديم ، وأن الهدف من هذه الدراسة البحث والتنقيب عن المخلفات الحربية ومعدات القتال التى اشتهرت بها جيوش روما من رماح وسهام وسيوف وأقواس وملابس عسكرية وخوذات بالاضافة إلى بقايا معسكراتهم التى أقاموا بها خلال فترات تجوالهم وإقامتهم .

وكذلك يمكن العثور على بقايا رسائل الجنود إلى ذويهم فى روما على أوراق البردى يمكن أن تحتفظ بها رمال المملكة العربية السعودية وكذلك النقود الرومانية التى أتوا بها وبعض رسائل القادة الى الامبراطور الرومانى وبقايا كتابات سترابو الذى رافق الحملة .
كل هذه الأدلة الأثرية تحتفظ بها رمال الجزيرة العربية فى انتظار معاول البحث والتنقيب .

ولاننكر فضل الرومان فى ترك اللوحات الحجرية المنقوشة التى يقيمونها فى أماكن معسكراتهم ، لتكون من أهم مصادر التاريخ .
ذكر **فورستر** فى كتابه «الجغرافيا التاريخية للجزيرة العربية» أن هذه الحملة خطط لها الامبراطور الرومانى **أوغسطس فى نهاية القرن الأول قبل الميلاد**[٦] .
وذلك بعد وعد تلقاه من صديقه ملك الأنباط عبادة بالتعاون معه [٧] .



وقد نفذ ذلك القائد الرومانى ايليوس جالوس الذى كان واليا على مصر وقتذاك . وقد صحبه فى هذه الحملة الكاتب الرومانى سترابو الذى سجلها فى كتابه (الجغرافيا) [٨] .

وقد بدأ الرومان ببناء ٨٠ سفينة حربية وذلك قبل التأكد من أن العدو لايملك أسطولا حربيا،واكمل ١٣٠ سفينة حربية،وقد خسر الرومان عدة سفن في البحر الأحمر نتيجة جهل المرشدين [٩] .

ذكر فورستر أن الحملة أبحرت من ميناء **كليوباتريس** على خليج السويس على ظهر أسطول حربى .

وبعد رحلة استغرقت خمسة عشر يوما وصلت الحملة الى الساحل الغربى للبحر الأحمر للجزيرة العربية .

وكان **جالوس** على رأس جيش يتكون من حوالى ألف مقاتل رومانى ، وألف مقاتل من الأنباط ، وخمسمائة من اليهود [١٠] . أرسلهم الحاكم الرومانى هيرود [١١] .

وذكر **فورستر** أنهم نزلوا فى ميناء لوكا كوما [١٢] . وتقع لوكاكوما على ساحل البحر الأحمر على حدود مملكة الأنباط التى كان يحكمها الملك عباده الذى كان حليفا للرومان وقتذاك . وقد أجبر لقضاء بقية فصل الصيف الشديد الحرارة وفصل الشتاء فى الميناء[١٣] .

ثم دخلت قوات الرومان الى قلب الجزيرة العربية فى بداية فصل الربيع عام **٢٤** ق .م جهة الشرق عبر الصحراء والمناطق الخصبة ، وكان مرشدهم فى هذا السير هو **الوزير النبطى سيلايوس بعد اتصال جاليوس بملك الأنباط عباده [١٤] الذى لم يمد ايليوس جالوس بأية معونات ومساعدات سوى الحبوب والبلح والزبد [١٥] .**

وذكر سترابو أنهم وصلوا مارسيابا عاصمة الريمانيين ، وهم مجاورون لمملكة الأنباط ، وكان جالوس قد وصل الى مرحلة كبيرة من الفشل لحاجة قواته الى الامدادات بالاضافة الى ما أصابهم من أمراض .



ومن الملاحظ أن معظم الأماكن التى ذكرها سترابو فى كتاباته عن الجزيرة العربية لايمكن تحديدها بدقة ومعرفة أماكنها الحالية ، والنتائج فى هذا الموضوع لدى علماء التاريخ والآثار والدراسات الشرقية القديمة كلها تقوم على الاجتهادات؛لحين مواصلة إدارة الآثار والمتاحف بالمملكة العربية السعودية المسح الأثرى الشامل للساحل العربى للبحر الأحمر والطرق الرئيسية داخل المملكة،وإجراء التنقيبات والحفائر العلمية التى سوف تعطينا نتائج علمية تغطى جوانب عديدة فى تلك النقاط .

وقد حاول **السير لورانس كيروان فى الندوة العالمية الثانية لتاريخ الجزيرة العربية بكلية الآداب جامعة الرياض عام ١٣٩٩ هـ . إلقاء الضوء على ميناء لوكاكوما من خلال بحثه بعنوان « أين يبحث عن ميناء لوكا كوما »** .

فذكر أن لوكا كوما ميناء يقع على ساحل شبة الجزيرة الغربى،وهى الميناء التى رست عندها سفن ايليوس جالوس وهى فى طريقها الى جنوب غرب بلاد العرب قرب نهاية القرن الأول قبل الميلاد ، وكانت تقع عند نهاية الطرف الشمالى للطريق التجارى .

وكانت المدينة تتاجر مع البتراء ، ومع ميناء ميوس هرموس المصرى عبر البحر الأحمر كما ورد ذكر اسم لوكا كوما فى نقش عدول بأثيوبيا « **وهو نقش يونانى على كرسى عرش كان قد نسخه كوزماس أنديكو بليوسيتس فى عدول بأثيوبيا عام ٥١٨م** (١٦) .

ولقد اتفق أكثر العلماء على أن **لوكا كوما** هى موضع ميناء الحوراء،كما تعرف آخرون عليها فى موضع ميناء ينبع ، ومهما كان الأمر فان المصادر اليونانية واللاتينية تقودنا الى الاستنتاج التالى :

وهو وجوب البحث عن ميناء لوكا كوما فى منطقة أكثر بعدا الى الشمال وبخاصة وأن الاعتبارات الجغرافية تدعم ذلك ، وهذا البحث الذى قدمه السير لورانس كيروان يقترح تحديدا مكانيا جديدا بالنسبة للوكا كوما،وكذلك بالنسبة للميناء النبطى اجرا الذى ذكره سترابو .



ويبدو أن ساحل البحر الأحمر كان يتمتع بعدد كبير من المرافئ البحرية الهامة ؛ حيث كانت حركة التجارة فى القرن الاول قبل الميلاد قد وصلت الى ذروتها ، بعد أن أصبح للأنباط قوة كبيرة سيطرت على شمال الجزيرة العربية ، وشيدت الحصون العسكرية،أهمها حصن عبودا فى صحراء النقب . (١٧)

وكذلك لتأمين طرق التجارة التى تحكموا فيها لوقت طويل .

وأستطيع القول بأن مرافئ دولة الأنباط العديدة مازالت بقاياها على الساحل الغربى للبحر الأحمر .

ذكر سترابو أن الحملة استغرقت ستة أشهر داخل الجزيرة العربية،وشهران عند العودة وسلك الطريق من لوكا كوما عبر الصحراء مارا بالمدينة المنورة حتى القصيم حتى وصل الى قلب بلاد نجد وعاد فى اتجاه الجنوب حتى مدينة نجران عن طريق من أشهر الطرق التى تربط بين نجد والجنوب .

واصل **سترابو** وصفه لسير الحملة وذكر أن **سيلايوس** أرشدهم للسير فى طرق دائرية . وأحيانا سلكوا طرقاً وعرة عبر الأقاليم الصحراوية .

وكان هدف **سيلايوس** من السير بالحملة على هذه الطرق ، ليس لإرشاد جالوس داخل الجزيرة ؛ لكن للاتصال برؤساء المدن الواقعة بها لكسب ولائها الى مملكتة وليكون سيدا عليها (١٨) .

ولم تكن مصادر المياه وفيرة فى هذه الطرق ؛ الأمر الذى جعل الرومان يعتمدون على مالديهم من مياه فى «القرب» المحمولة على ظهور الجمال .

وعبر هذه الطرق الوعرة،وبعد سير شاق وصل الرومان الى منطقة حيث الأراضى الخصبة المزروعة بالقمح والذرة والنخيل . وهى أخصب أراضى نجد وهى منطقة القصيم .

بعد ذلك وخلال سير على مدى خمسين يوما وصل الرومان الى مدينة « **نجران** » وهى مدينة تقع فى مكان آمن ومنطقة خصبة وسقط ملكها (١٩) .



وذكر **فورستر** بالاضافة الى ماذكره سترابو أيضا ماكتبه بليني فى كتابه التاريخ الطبيعي ؛ أن **جالوس** دمر عدداً من المدن التى لم يذكرها كتاب من قبل وهى ، **نجران** ، **أمنيستوس ، نيسيا ، ماجنوسا ، تاماكوس ، لابيشيا ، ماريابا وكذلك كاربيتيا** (٢٠) .

وقد وصلت قوات جالوس حتى مدينة **ماريابا وذكر سترابو أن اليزاروس دافع عن ماريابا** ضد قوات جالوس ، وذكر المعينيين وأن أراضيهم خصبة وأشجارهم وثرواتهم عديدة وتحدث عن حاكم نجران الذى هرب ، ولكن ملك المعينيين لم يهرب ، وعندما وصل **جالوس الى مأرب واجهه اليزاروس وتصدى له** .

ذكر د . جواد على فى كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام عن بعض أسماء المدن التى ذكرها بليني بالجزيرة العربية ان نجرا هى نجران الحالية.اما اسكا أونسكا فمدينة « **نشق** » **وتعرف اليوم بـ «البيضاء»** أما **ماجوسا فيرى جلاسر** أنها قريبة من **مجزر** وهو موضع يقع جنوب «**البيضاء** » أو **مجزع** أو مجزأة . اما جروهمان فيرى أنها قرية مجزرة معروفة حتى هذا اليوم وهى فى موضع ذى مياه ، وقد كان مأهولا ومازال ؛ لذلك رأى أنه ذلك المكان الذى قصده **بليني** .

أما **كاميناكوم** فهو قريب من **كمنه أو كمنهو** الواردة فى المسند ، « وكمنا » فى الزمن الحاضر ويقع شرق البيضاء وشمال شرقى كاربيتا .

أما كاربيتا . فيرى جلاسر ، أن هذه التسمية قريبة من « **خربة** » **العربية** وأن بليني الذى أوردها إنما أراد إحدى المدن التى كانت خربة فى ذلك العهد ، ويذهب فيلبى الى هذا الرأى أيضا ويرى احتمال كون كاريبتيا موضع « **خربة سعود** » .

ويرى **شبرنجر** أن لابشيا هى «**لقبق**» أما «**جلاسر** » **فيرى أنها** «**لوق**» وهى موضع خربة فى « شحاط » عند جبل قدم على مسيرة ساعتين من شمال شرق معين أوقاع « لبة » **غرب البيضاء**.



أما نستم هى نستم أو « **وادى وسط** » **الواقع بين الحنب والجوف أو وادى وسط أونشآن أو نشن المدينة المعينية القديمة** .

وماريابا أوماريفا إنما هى ماريبا لدى سترابون أى مأرب فى رأى بعض الباحثين .

أما جلاسر فيرى أن الرومان لم يتمكنوا من الوصول الى **مأرب** ، **وأن مارسيابا أو ماريفا أو ماريابا** لايقصد بها مأرب عاصمة سبأ ، كما ذكر سترابون أنها عاصمة شعب يعرف باسم الريمانيين .

كما يحكمه ملك يسمى **اليزاروس** وفى ذلك دليل على أنها مأرب أخرى ، لا مأرب السبئيين .

ويواصل د . جواد على تعليقه على ذلك فيقول : وكما ذكرت من قبل أن هذه الاجتهادات فى حاجة الى الأدلة الأثرية التى تسعى اليها إدارة الآثار والمتاحف بالمملكة للحصول عليها خلال عمليات المسح الأثرى والحفائر .

أكمل **فورستر** فى وصفه للحملة عند عودتها أنهم سلكوا طرقا أخرى أقصر ؛ وفرت عليهم بعض الزمن ، **مروا بنجران ومنها إلى الآبار السبعة «العيون السبعة» وهى الحصبه**؛وهو موضع يقع على مسافة **١٥٠ ميلا** الى الغرب من **نجران** ومنه الى موضع خالا ، وهو **خولان** فى بلد **خولان** ومنه الى مالوثا وهو مدينة تقع على نهر وادى (ضنكان) وهو واد فى أسافل السراة يصب فى البحر وهو من مخاليف اليمن .

ويرى البعض أن جالوس أبحر إلى مصر مع من بقى حيا من الرومان(٢١) .

رأى آخر ذكره د . جواد على فى نفس المرجع أن جالوس تراجع على طريق أثلولا « اترله » إلى نجران سالكا وادى مذاب ثم « وادى دماج » .

أما الآبار السبعة التى ذكرها سترابون،فتقع فى رأى جلاسر فى عسير ، وأما موضع خالا ، فهو (كهالة) أو (حواله) ومنه الى مالوثا الواقعة على نهر ، لعله (**وادى بيشه**) الى موضع قفر أوصلهم الى تهامة عسير فالحجاز فمدينة اجرا حيث أبحر منها الى مصر .

ويذكر د . جواد على أن ما ذكره عن تشخيص هذه المواضع التى ذكرها سترابون



وبلينى إنما هى مجرد آراء . لعدم وجود كتابات أو أدلة ترشدنا الى تعيين تلك المسميات على وجه مقنع صحيح (٢٢) .

ويذكر د . جواد على فى نفس المرجع أن مدينة **أثلولا هى مدينة «يثل»** على رأى بعض الباحثين الذين يرون أن الرومان حرفوا الاسم العربى حتى صيروه على الشكل المذكور ليستقيم بذلك مع لسانهم (٢٣) .

وقد قدم الأستاذ **الدكتور ج . و . باورسك** بحثا بعنوان : (**نقش براقش الجديد المكتوب بلغتين**) .فى الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ وآثار الجزيرة العربية بكلية الآداب - جامعة الرياض عام ٩٩هـ وأوضح فيه :

أنه قد تم نشر نص على بضع قطع حجرية عثر عليه فى براقش فى شمال شرق صنعاء داخل الجوف فى اليمن مكتوب باللغتين اليونانية واللاتينية ، عثر عليه أحد رجال قبائل بنى أشرف ، **والنص يتصل بجندى من الغرب** يدعى **«بوبليوس كورنيليوس»** .

وحاول **الدكتور باورسك** تفسير ذلك النص على أسس تاريخية ؛ فبلدة براقش هى « يثل المعينية » وأغلب الظن «أثلولا الرومانية» أى التى ذكرت فى كتابات الرومان عن حملة **ايليوس جالوس** وهى تحتل موقعا ممتازا اذا ما عسكرت به إحدى الحاميات إذ يسهل عليها السيطرة على الاقاليم .

وقد أقامت قوات ايليوس جالوس معسكرا هناك قبل أن تعود من حصارها الفاشل فى الجنوب ، ووجود ذلك المعسكر يعطينا تفسيرا لهذا الظهور الممتاز على شاهد قبر خاص بجندى رومانى .

وقد فشلت حملة ايليوس جالوس بسبب عدم دراسة طبيعة الجزيرة العربية دراسة وافية لأرضها ومناخها ، بالاضافة الى خيانة الوزير النبطى سيلايوس ؛ حيث أنه كان من المستحيل الاعتقاد بأن الأنباط يرحبون بنفوذ الرومان فى بلادهم . وليس من مصلحتهم نجاح الحملة ؛ حيث ستكون نهاية لسيطرتهم على طرق التجارة .



وبلاشك قد أثرت هذه الحملة على نفوس العرب الذين لم يعرفوا الغزو لبلادهم من قبل .

ولعل الخبرات التى نالها الرومان بعد فشل ايليوس جالوس قد وضعت نهاية للفكرة التى كانت تراود أباطرة روما فى غزو الجزيرة العربية [٢٤] .

حملة الامبراطور تراجان ١٠٦م :

كان المقصود من هذه الحملة هو القضاء على دولة الأنباط والسيطرة على بلاد العرب وتشمل شمال المملكة العربية السعودية ؛ حيث لم يستطع تراجان المغامرة بجيوشه داخل الجزيرة العربية خشية الفشل الذريع الذى اصاب ايليوس جالوس .

وكان الأنباط قد كونوا مملكة شاسعة قوية واستطاعوا السيطرة على طرق التجارة عبر شمال ووسط الجزيرة العربية .

وعندما بدأ الضعف يظهر على الدولة السلوقية فى بلاد الشام اغتنم هذه الفرصة الأنباط ، وأغاروا على أطراف الدولة السلوقية ، **وفى عهد الحارث الثالث النبطى ٨٧ - ٦٢ ق . م بلغت الدولة النبطية أقصى اتساعها** ؛ فقد احتل هذا الملك دمشق حوالى عام ٨٥ ق.م ولقب باسم **محب اليونان** وفى نفس العام تمكن الحارث من ضم كثير من البلاد السورية الى أملاكه .

وفى عهده زحف القائد الرومانى بومبى عام ٦٤ ق.م على سورية وخضعت له المدن السورية الواحدة تلو الأخرى ، وقضى على حكم السلوقيين نهائيا ، ووصل دمشق فاصطدم بالأنباط فغلبهم ، ثم سار الى البتراء وفتحها وجعلها ولاية رومانية ، وعندما شعر الأنباط بقوة بومبى وبخطر القوات الرومانية تعهدوا بأن يقدموا للدولة الرومانية جندا يساعدونها فى حروبها،وبدفع جزية سنوية الى الرومان مقابل بقاء مملكتهم حرة مستقلة تحت النفوذ الرومانى،وعرفت مملكة الانباط بعد ذلك باسم فلسطين أو مملكة فلسطين المسالمة .



ولكن خضوعهم للرومان وقبولهم لهذه الشروط لم يكن سوى واسطة للخلاص من أذاهم ، فانهم لم يكونوا مخلصين فى ولائهم للمحتل ، وكانوا يغتنمون كل فرصة للانقضاض على السلطة الرومانية ، وكانت المواقع تتحدد غالبا بين الطرفين ، بالرغم من أن النصر كان بجانب الرومان فى أغلب الأحيان ، ولما رأى الرومان استحالة الإبقاء على الصداقة بينهم وبين الأنباط قرروا القضاء عليهم مهما كلفهم ذلك من جهد ، فحمل عليهم حاكم الشام الرومانى (كورنيليوس) حملة عنيفة واستولى على العاصمة (البتراء) وقضى على استقلال الأنباط ولكنهم ثاروا من جديد فى سبيل الاستقلال فحمل عليهم الامبراطور الرومانى تراجان فى العام التالى ١٠٦م حملة بددت شملهم وقضت على دولتهم نهائيا (٢٥) .

وقد كون **تراجان** مايسمى بالمقاطعة العربية وأحدث تغييرات مهمة فى الادارة وفى طرق المواصلات وأصول الجباية ؛ فأنشأ طريقا مهمة من «أيلة» على رأس خليج العقبة مارة بالبتراء فبصرى الى دمشق .

وصارت بصرى محطة مهمة جدا للقوافل القادمة من اليمن والحجاز ، وقوى الاسطول الرومانى وأمده بسفن أحدث ، وذلك لمقاومة لصوص البحر وللسير بحرية فى البحر الأحمر ولاحتكار التجارة البحرية (٢٦) .

وهكذا سعى الامبراطور تراجان الى السيطرة على موانئ الجزيرة العربية على البحر الأحمر ، وذلك لضمان التحكم فى تجارتها البحرية وللحصول على البخور الذى كان يعتبر رأس بضائع العالم الثمينة المطلوبة فى ذلك العهد ، وكان سعره يساوى سعر الذهب ، ولم يكن يشتريه لغلائه هذا الارجال الدين ؛ لاستعماله فى الشعائر الدينية التى تستنزف القسم الاكبر منه ، والملوك ، والأثرياء وذلك لحرقه فى المناسبات الدينية وفى اجتماعاتهم .

حملة سبتيموس سافيروس ٢٠١م :

إن آخر مايقال عن تدخل الرومان فى شئون جزيرة العرب هو ان **القيصر سيبتموس**



ساقيروس أرسل حملة عسكرية فى عام ٢٠١م توغلت فى (العربية السعيدة) غير ان معارفنا عنها قليلة ، فلا نعلم الى أين وصلت وكيف انتهت ، ولعلها كانت قد تقدمت من المقاطعة العربية، وهى المقاطعة الجديدة التى أوجدها الامبراطور الرومانى تراجان على حطام مملكة الانباط .

وكان الذى قاد الحملة العسكرية على العربية السعيدة **ابن القيصر سبتيمرس ساقيروس** وقد اشتهر فيها ، غير ان معارفنا عنها لاتزال قليلة ، وقد وردت أخبار هذه الحملة فى موارد لم تشر الى اسم القيصر الذى أمر بارسال هذه الحملة إلى العربية السعيدة ، إذ اكتفت بذكر لفظة قيصر (٢٧) ، ويظهر منها أن جيوش القيصر أنزلت خسائر فادحة؛أولا بالعرب الساكنين فى البادية،وقد دعتهم تلك الموارد بسكان الخيام ، ويراد بهم الاعراب.ثم سارت تلك الجيوش حتى بلغت العربية السعيدة ولا نعلم الى أى مدى وصل اليه القيصر أو ابنه فى هذه الغزوات(٢٨) .

وقد ذهب بعض الباحثين الى ان الحاكم الرومانى كراكلا الذى خلف والده سبيتموس ساقيروس في الحكم هو الذى قاد الجيش الرومانى الذى زحف على العرب الساكنين فى أعالى (**العربية السعيدة**) .

ويرون أن الرومان لم يتوغلوا بعيدا فى جزيرة العرب وربما كان أقصى مابلغوه ديار ثمود (٢٩) .

الصراع النهائى بين الرومان والعرب :

بعد تقسيم الامبراطورية الرومانية تقسيما نهائيا بين ابناء الامبراطور الرومانى ثيودوسيوس فى القرن الرابع الميلادى انتشرت فى الولايات الرومانية جماعات من البرابرة قضت على امبراطورية روما قضاء مبرما ، وكان ضعف القسطنطينية يختفى وراء اتساع ممتلكاتها ، فلم تنتهك حدودها أو على الأقل لم تمس ، وقد اتسعت مملكة الامبراطور



جستنيان فى القرن السادس الميلادى بضم افريقيا وايطاليا،وهذا عمل باهر ، ولكن تملّك هذه الفتوحات الجديدة كان مؤقتا غير دائم ، إذ انتزعت جيوش العرب حوالى نصف الامبراطورية الشرقية ، وفتح الخلفاء الراشدون الشام ومصر وغزت قواتهم الولايات الرومانية (٣٠) .

خالد بن الوليد وهزيمة الرومان فى اليرموك :

اجتمع للرومان باليرموك مائتان وأربعون ألفا من المحاربين ، وكان للمسلمين أربعون ألفا فى جيوشهم جميعا .

كان لكل من هذه الجيوش استقلاله وانفصاله عن سواه،حتى كان لكل جيش أذانه وصلاته ، فكان أول أعمال خالد أن اعترض على ذلك فى اجتماع لأمرائها،واتفقوا على توحيدها ، ثم أجرى عملية تنظيم سريع لجيشه فقسمه الى ثمانية وثلاثين قسما،جعل ثمانية عشر منها فى القلب يقودها أبو عبيدة بن الجراح ، وعشرة فى الميمنة يقودها عمرو بن العاص ، وعشرة فى الميسرة يقودها يزيد بن أبى سفيان ، كما جعل للجيش مقدمة عليه قباث بن أعشم .

وأمر قائد الرومان جيشه ببدء القتال فهجموا هجوما عنيفا على المسلمين حتى أزاحوهم عن مواقفهم وبلغوا فسطاط خالد بفرسانهم ، بينما كانت مشاتهم مازالت فى الخلف تحاول أن تلحق بالفرسان المتقدمة . ووجد خالد فرصته لتحويل نصر الرومان الى هزيمة ، فأدخل قواته بين فرسان الرومان ومشاتهم ، وأفسح لتلك الفرسان طريقا خلال صفوف المسلمين ، فأخرجهم من خلفهم بينما شد على المشاة الرومان الذين صاروا بدون فرسان فردهم ، واستمر يزيحهم حتى ألقى بهم من شاهق فى خور اليرموك العميق .

وفر قائد الرومان ، وقتل من الرومان مائة الف على الاقل ، واستشهد من المسلمين ثلاثة آلاف . ووصلت أخبار الهزيمة الى الحاكم الرومانى هرقل وهو فى حمص فخرج منها وهو يقول : سلام عليك ياسوريا ، سلاما لا لقاء بعده (٣١) .



عمرو بن العاص وهزيمة الرومان فى مصر :

بينا كان عمر فى الشام ، بعد دخوله مدينة بيت المقدس ؛ تشاور عمر مع عمرو بن العاص بشأن تحرير مصر من الحكم البيزنطى وحماية الشام والجزيرة العربية من هجوم بيزنطى ، ثم أرسله على رأس قوة مؤلفة من اربعة آلاف رجل الى مصر وأمده فيما بعد بثمانية الاف آخرين ، وكتب الله لعمرو النصر ، فتغلب على التوالى على التحصينات الرومانية : (حصن الفرما ـ حصن بلبيس ـ حصن أم دنين ـ حصن بابليون) .

ثم حاصر عمرو الاسكندرية عاصمة مصر عدة أشهر وتم له التغلب على قواتها البرية والبحرية ، ووقّع صلحا مع المقوقس حاكم مصر الرومانى فى المدينة،وفيه وافق عمرو على انسحاب الرومان من المدينة ومغادرتهم أرض مصر مقابل تعهد الحاكم الرومانى ألا يحاول البيزنطيون استرداد مصر ثانية ، وبذلك اصبحت جزيرة العرب محمية من الشمال ، إذ انضم اليها عرب الهلال الخصيب ، وانسحب الرومان البيزنطيون من الشام ومصر ، وأصبح البحر الأحمر بحرا عربيا (٣٢) .

وخلاصة القول : إن جيوش الاسلام التى خرجت من الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى استطاعت ان تضع نهاية للنفوذ الرومانى وأن تنقذ الشام ومصر من هذا الخطر الذى كان جاثما عليها وأن تحطم أحلامهم الى الأبد .. تلك الاحلام التى طالما راودت أباطرة الرومان فى غزو الجزيرة العربية .

OOOOO

■ الهوامش ■

(١)نور الدين حاطوم ومجموعة : موجز تاريخ الحضارة ص : ٥٩٩ ـ ٦٠٠

(٢) د . جواد على المراجع السابق ص : ٤٣

(٣) انور الرفاعي : تاريخ العرب والاسلام ص : ط؟

(٤) د . لطفي عبد الوهاب يحيى : المرجع السابق .

(٥) جورجي زيدان : المرجع السابق ص : ٢٣٠ ، ٢٣١

(٦) Ch. Forster, Historical Geography Of Arabia, P. 277

(٧) The Cambridge Ancient History, 5, P. ¼½⅞

(٨) Ch. Forster, Op. Cit. P. 279

(٩) The Cambridge, Op. Cit. P. ¼

(١٠) Ch. Forster, Op. Cit, P. 280

(١١) The Cambridge, Op. Cit, P. 250

(١٢) Ch. Forster, Op. Cit, P. 280

(١٣) The cambridge, Op. Cit, P. 250

(١٤) Ch. Forster, Op. Cit, P. 281

(١٥) The Cambridge, Op. Cit, P. 251

الريمانيون : ريمان قبيلة عربية ورد اسمها فى عدد من كتابات المسند ، وقيل من أقيال هذه القبيلة كان هو المدافع عن مأرب وظن الرومان أنهم أهل مأرب .

د . جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٥٦

(١٦) السير لورنس كيروان : بحث (خليفة من الجزيرة العربية لبعض نقوش كوزماس فى عدولية بأثيوبيا ، الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ وآثار الجزيرة العربية عام ٩٧ هـ . كلية الآداب ـ جامعة الرياض .

(١٧) New Atlas Of The Bible, P. 143

(١٨) Ch. Forster, Op Cit., P. 312

(١٩) F.,R. Stiehl, Op. Cit., 2 P P. ¼⅜

(٢٠) Ch Forster, Op. Cit., 309

(٢١) د . جواد على المرجع السابق ص : ٥٧

(٢٢) د . جواد على المرجع السابق ص : ٥٧

(٢٣) د . جواد على المرجع السابق ص : ٥٧

(٢٤) The Cambridge, Op. Cit., P. 252

(٢٥) أنور الرفاعي : تاريخ العرب والاسلام ص : ١١٨

(٢٦) د . جواد على : المرجع السابق ص : ٦٥

(٢٧) لفظة قيصر : هى أحد ألقاب أباطرة الرومان نسبة الى يوليوس قيصر .

(٢٨) د جواد على : السابق ص : ٦٧

(٢٩) د . جواد على : المرجع السابق ص : ٦٧

(٣٠) أجيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانيه وسقوطها ج٣ ص : ٩٩

(٣١) ا ع . كمال : الطريق الى المدائن ص : ٣٥ ـ ٣٦

(٣٢) أنور الرفاعي : المرجع السابق ص : ٩٤

المجمَع العِلمي اللغوي

صرح جديد من صروح العلم والمعرفة وتتويج للحركة الأدبية والفكرية في بلادنا

بقلم الأستاذ/ عبدالله حمد الحقيل



هذه الأرض بكنوز فكرية وثقافية وتراثية ، عمل عدد من الباحثين والدارسين على إحيائها لتكون نورا ساطعا ونبراسا لطلاب المعرفة ، وإذا كانت اللغة هى وعاء الفكر فقد رفع الله هذه اللغة العربية فاكتسبت قوتها بنزول القرآن الكريم بها ..

فهذه البلاد كانت منبت الشعر والأدب واللغة والبيان والفصاحة وغير ذلك من أمجاد القول والكلمة والإبداع إلى جانب ما خصها الله من مزايا ، فهى مهبط الوحى وبها الكعبة المشرفة ومنها انطلقت الرسالة المحمدية . ولقد حمل أبناء هذه البلاد منذ ظهور الإسلام مشاعل الحضارة الإسلامية فملئوا العالم علما ومعرفة ومدنية وحضارة ..

وإن تأسيس مجمع علمى لغوى لهو بادرة طيبة ويدل دلالة واضحة على الاهتمام بأهم ما يجب أن نعتز به ؛ ألا وهى اللغة العربية ذات الجمال والثراء اللغوى الغزير،فهذا المجمع صرح من صروح العلم والمعرفة سوف يسهم فى إثراء لغتنا ويحفظها من كل دخيل وغريب ويعمل على مقاومة الغزو اللغوى ووسائل الهدم المغرضة .. وتخليص اللغة من تسلط الغزو الثقافى المتواصل .. فهذه اللغة التى أعزها الله بالإسلام قادرة على استيعاب جميع ألفاظ المدنية الحديثة ومصطلحات وعلوم التقنية العصرية .. إلى جانب ما تمتاز به من مميزات خاصة لا توجد فى كثير من اللغات الأخرى . ومن هذا المنطلق فان تأسيس المجمع اللغوى فى هذه البلاد سوف يحقق أمورا كثيرة ويخدم اللغة العربية والباحثين والدارسين والمهتمين باللغة وآدابها وعلومها ..

كما يعمل على العودة إلى أصالة الكلمة والمحافظة على دلالاتها والابتعاد بها عن تيار التغريب وموجة العامية وربط ماضى لغتنا المجيد بحاضرها وتحقيق الأهداف المثلى فى مضمار العالم ومجال الأدب والفكر .. وتنشيط البحث والتأليف فى آداب اللغة وتاريخها والآثار العلمية لعلماء اللغة واستنهاض الهمم وبث الروح الغلمية ..

إن الهدف من إنشاء المجامع اللغوية العلمية هو المحافظة على سلامة اللغة ، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ، ملائمة لحاجات العصر ، ودراسة علاقات الشعوب الإسلامية ، ونشر الثقافة العربية ، وحفظ المخطوطات واحيائها ،وتشجيع الترجمة والتأليف ..

ويدور انتاج المجامع العلمية بوجه عام حول القضايا التالية :

(١) تيسير اللغة متنا وقواعد وكتابة ورسم حروف ، وما يتصل باللغة وأوضاعها العامة ، والترجمة والتعريب وكتابة الأعلام الأجنبية ، وطريقة وضع المعاجم والمصطلحات ، وتيسير النحو والصرف

والكتابة والإملاء .

(٢) توفير المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية .

(٣) تهذيب المعجمات اللغوية ، ووضع معجم شامل يعرض لتطور اللغة فى عصورها المختلفة .

(٤) تشجيع الانتاج الأدبى ، باعلان المسابقات الأدبية .

(٥) إحياء التراث القديم .

(٦) إنشاء مجلة تصدر باسمه .

(٧) إصدار (كتاب سنوى) يضم مجموعة من البحوث والمحاضرات ، وما يدور حولها من جدل ومناقشات .

وعلى العموم فمجامع اللغة العربية تقوم على الحفاظ على لغة القرآن الكريم ، وتشجيع الانتاج الأدبى ، ووضع المصطلحات العلمية ، وتيسير اللغة ، ووضع بعض المعجمات اللغوية مثل « المعجم الوسيط » ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ، ومعجم ألفاظ الحضارة .

والذى أود أن أومئ إليه أن ترتبط المجامع بالناطقين بالضاد فى مختلف البلاد العربية بحيث يكون هناك تفاعل وامتزاج لتحقيق الأهداف التى ننشدها ، إذ الغرض من انشاء المجامع كما هو معروف ؛ أن يجعل اللغة وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر مواجهة لهذا التقدم العلمى والنشاط الحضارى الذى تشهده اليوم ..

والذى أود أن أشير إليه ألا تبقى نشاطات المجامع اللغوية حبيسة بين أضابيره وسجلاته، بل نريد بعد إقراره للمصطلحات العلمية واللغوية فى الطب وعلوم الأحياء والكيمياء والتاريخ والاقتصاد والآداب وأسماء المخترعات الحديثة أن ينشر تلك الألفاظ والمصطلحات بمختلف وسائل النشر والإعلام ..

اننا نريد من المجمع أن ينشر ما اتفق عليه أعضاؤه وما اصطلح عليه العلماء والمختصون من تعريب لألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية ويوضح كل مصطلح بشرح موجز ..

إن الكثير من عبارات الدعابة بين الأدباء صارت تطلق على بعض نشاط المجامع ، وما قول : « شاطر ومشطور وبينهما كامخ » وغير ذلك إلا واحدة من نكات الأدباء التى لا تخلو من متعة وطرافة ، أو بالأصح من النقد الموجه إلى المجامع اللغوية ومن المعروف أن مجامع اللغة قد عقدت عشرات الدورات ، وتضم محاضرها آلاف المصطلحات مما يعتبر ثروة لغوية هائلة ..

ولذا فاننا نطلب من أمناء هذه المجامع أن يعجلوا فى نشر تلك المصطلحات والتغلب على

الصعاب التى تصادف نشرها ليتم تداول تلك الألفاظ والمسميات فى حينها مع ملاحظة أن تكون متمشية مع روح السهولة والتيسير والبعد عن أسلوب التقعر والتكلف الذى لا طائل تحته ولا حاجة إليه ، وبذلك تثبت المجامع اللغوية قدرتها وتفاعلها وتضيف دليلا على مدى مسايرتها للمجتمع وروح العصر ومقتضيات الحياة والتطور بدون تفريط أو غلو .

كذلك أود أن أشير إلى أهمية وضع معجم تاريخى للغة العربية ؛ بحيث يشتمل على تاريخ بعض الكلمات والمصطلحات وتغيير مدلولاتها . إننا نريد لمجامع اللغة العربية الحياة والانتعاش بدلا من الجمود والعقم .. فتعمل على احياء تراث الحضارة الإسلامية وما تفيض به من كتب ومخطوطات وعلوم ومعارف وتشجيع حركة النشر والتأليف،وكل ما يزيد فى ثروتنا اللغوية والثقافية ، وتخليص اللغة العربية من شوائب العجمة والابتذال ؛ فاللغة تفتقر اليوم إلى سرعة وضع المصطلحات اللغوية الحديثة ولغة القرآن الكريم قادرة على التعبير عن المعانى الحديثة .

إن الكثير من دور النشر والصحافة أصبحت تتساهل فى بعض القواعد النحوية وكثرت الألفاظ الدخيلة من قبل دور الترجمة عند نقل الآداب الأجنبية مع أن أسلافنا رحمهم الله من علماء النحو لم يدخروا وسعا ، وبذلوا جهدا عظيما فى توضيح قواعد اللغة وما هو شاذ وغريب ونادر بمنطق واضح ودقيق وبقى دور مجامع اللغة فى تبسيط تلك القواعد للناشئين للحفاظ على صحة النطق والكتابة والتراكيب .. ولا أريد أن أسترسل فى ذلك ؛ فإن مجامع اللغة تضم بين جنباتها رجالا أفذاذا يمتازون بملكات ومواهب العلماء ويبصرون مشكلات اللغة وصعوباتها .. وأكرر ما قلته آنفا إن الكلمات والمصطلحات حينما تكون حبيسة فى الأضابير ، فانها تظل جامدة ولن تدب فيها الحياة إلا بنشرها وشيوعها واستعمالها وتأدية المعنى المقصود منها ..

وبعد ... فإن رسالة المجمع اللغوى أن يحفظ على اللغة شبابها وازدهارها ووفاءها بحاجات العصر ومستحدثاته . ان الكثير من العلماء والأدباء يتطلعون إلى مجامع اللغة لتمدهم بالمصطلحات والألفاظ التى تم تعريبها لدحض تهمة أعداء اللغة الذين يرمونها بالعجز عن متابعة التطور العلمى الحديث .. ومجمل القول كم نحن سعداء بهذا المجمع الذى سيؤدى إلى المحافظة على اللغة وتطورها ..

وأسأل الله تعالى أن يسدد خطى الجميع فى خدمة لغتنا العربية الجليلة .

■■■■■



اعداد : د . عبدالرحيم محمود زلط

كثيرا ماتتردد كلمة البطولة فى المحيط البشرى على ألسنة الناس ، وحين يتلقفهـا السمع تترجم فى الشعور الإنسانى الى الانتصار الساحق أو الغلبة الحربية فى معركة طاحنة ، أو خذلان الباطل بلون من القوة والسيطرة . ولايكلف الانسان نفسه التفتيش عن المعنى الجديد للبطولة فى غير مجال الضرب والقهر والفوز العضلى ..

وإذا كان الناس قد اتفقوا على معنى الغلبة والانتصار العضلى رمزاً للبطولة فهذا أمر ظاهرى يشترك فى فهمه طائفة من البشر ، ولكن البطولة النفسية هى التى ينفرد بفهمها خاصتهم ، وتلك التى شاعت فى معارك الإنسان ونفسه ضد نظم الحياة وقسوتها ، وفيها انتصر الإنسان وخلد بانتصاره أسساً قويمة تشهد له بقوة التحكم والسيطرة عبر العصور والأماكن ..

فجاء دور الشعراء يمجدون تلك البطولة الجديدة ويخلدون ذكرها حتى تلقفتها أفندة الناس ودعوا مافيها من شمائل تحتذى وخبرة تحتاج الى وقفات دراسية مما وضعت دعائم للتربية والسلوك منذ القدم .

إن البطولة العضلية بيّنة معروفه للجميع،ويمكن للإنسان أن يدرك أسبابها ليصل الى نتائجها دون عناء أو إهمال للفكر ، فمن وهبه الله قوة عضلية أو بسطة فى الجسم يستطيع أن يحققها فى يسر واطمئنان . أما تلك البطولة النفسية الخفية فما أشق أن يبحث عنها الإنسان ويسبر غور أخيه ليعرف مكوناتها ودوافعها ووسائل ظهورها ، والى ماتحقق من نتائج . والكشف النفسى للبطولـة أمـر ليس بالهـين ؛ بل يحتـاج إلى مقـاييس عديدة واختبارات تعارف عليها علماء النفس لكشف مكنون الإنسان ومفهومه الداخلى . ولم يكن ذلك بالأمر اليسير أن نتعرف على مكونات البطولة النفسية لإنسان العصر الجاهلى وهو الذى لم يصلنا عنه غير إنتاجه النظمى ، ولانستطيع التحدث اليه لنخضعه للمقاييس النفسية ، أو نجرى عليه تجارب العلماء حتى ندرك دوافعه التى تشكل سلوكه ، ونقرأ فى وجهه علامات الانفعال أو الرضا لنشرح إنتاجه النظمى وفق العلاقة والارتباط بين داخله ومسلكه ، وإن هى الا محاولة لإخضاعه على البعد الزمنى والمكانى وتصـوره باجتهـاد

شخصى لعله يصيب .

فمما لاشك فيه أن الإنسان يعيش في حياته متبعا للعديد من مألوف الخصال التى توارثتها الأجيال وتناقلتها عبر السنين ، وتختلف هذه الخصال من بيئة لأخرى ، فما ألفه رجل البادية استهجنه أخوه الساحلى ، وما ارتاح اليه الحَضرى نفر منه القروى ، ولكن مضمون هذه الخصال يؤلف فيما بين هذه الأنماط من البشر ، ويتفق الجميع على مفهومها ويَدّعون شاذها وينفرون منه ..

وإذا رجعنا إلى عملية الاستحسان والميل لبعض الخصال وترك البعض الآخر وجدنا أنها ترجع فى المقام الأول الى مجموعة من العناصر والأسس التربوية ، وهى التى تحدد سلوك الإنسان وتنظمه وتسيطر عليه سيطرة كاملة ، المجتمع فيها هو صاحب الكلمة والإنسان الفرد هو المنفذ . وقد أدركت المجتمعات الأولى ـ لاسيما فى محيط الجزيرة العربية وفى العصر الجاهلى ـ العديد من الأسس التربوية وخططت لشيوعها فى المجتمع وتغلغها فى كيانه والحرص على تقويمه بها والنهوض به من خلال تطبيقها .

ولم يكن العربى الجاهلى قد انخرط فى سلك التعليم أو التحق بالمدارس أو التقى بعلماء العصر ، ولكنه ألف التربية من كيان المجتمع وتهذب بأسسها وفق الأنماط العديدة الموضوعة له ..

ولقد أدرك التربويون وعلماء النفس أن مجموعة الخصال التى يؤكدون على وجوودها ونموها الضرورى فى المجتمع هى نفس الخصال المتوارثة منذ العصر الجاهلى حتى الآن،وإن دخل عليها بعض التعديل للتناسب ومتطلبات العصر،وهى التى أدركها العربى آنذاك نتيجة تفاعله مع مجتمعه واستحسان بعضها واستهجان البعض الآخر..

ولو عرضنا هذه الخصال والشمائل الإنسانية على المقاييس الحديثة لنظم التربية وما استكشفه الإنسان من معايير مقننة تفيد البشرية وتعمل على نهضتها ـ لو فعلنا ذلك ـ لوجدنا أنها تخضع الى حد كبير لما أجهد الإنسان نفسه فى البحث عنه ومعرفة كنهه ، وما أطلق عليه من مسميات حديثة ربما لم تكن مألوفة للسابقين من قبل ، ولكنهم أدركوا

الأمور بجوهرها ، وسموها بمسميات اتفقوا فيها بينهم على وظائفها وماتفيد به المجتمع من خصوصيات ، فهى تشكل فى نهاية المطاف قيماً بطولية محمودة وتحض على التحلى بها ، أو تظهر قيما مذمومة وتدعو لهجرها بكل السبل الممكنة ، وبتلك البطولة يفرق بين السمين والغث من الأخلاق والشمائل التى إنتهجها الانسان منذ العصر الجاهلى .

ولاغرابة أن يدرك الفرد الجاهلى مع ذاته أو مجموعة الأفراد الذين يعاشرهم تلك الأسس ويهتف بها فى شعره مؤمنا أن رسالة الشعر فى هذا المجال تعليمية تهذيبية ، مدركاً أن العقل الإنسانى يفهم مضمون الشعر بشغف ويتلهف لكل ماتسمعه أذنه بوعى وإرادة ، فكانت وسيلتهم خلال تلك الفترة هى الترديد والوعظ والإرشاد والإشادة بحميد الصفات والحث عليها فى شكل الحكمة المؤدية لغرض ، الداعية الى الالتزام أو الهجر حسب مقتضى ظروف مايقال .

وربما يعجب الانسان متسائلاً لماذا ذخر الشعر الجاهلى بهذه الشمائل رغم بعد المسافة الزمنية بين عصره وعصر تقنين العلوم ووضع حدود المألوف والمستهجن من السلوك الإنسانى ؟ ويكون الجواب : إن هؤلاء الذين عاشوا فى خضم الجاهلية وعركوا وعورها وارتادوا سهولها كان أمامهم فرصة سانحة لقراءة كتاب الحياة والتعلم منه ، فهده الآفاق البعيدة !، وتلك الحدود الاجتماعية المتعارف عليها ، وذلك الإعجاز الإلهى لليل والنهار واختلاف ألوانهما مع اختلاف تعامل الناس وتفكريهم بما عرف فيما بعد بالفروق الفردية أمر كان مألوفاً بالنسبة لهم ، وحدود كانت مشروحة شرحاً ذاتيا أمام نواظرهم ، فالعجب أن يهتم الإنسان بدراسة خصال قوم لم يدرسوا ، ويبحث فى أفكارهم عن خصال وشمائل استنباطية أفادت البشرية عبر الأجيال المتعاقبة ..

فكان لابد من دراسة هذا الرصيد الثمين من الشعر الجاهلى والتنقيب فيه عما تركه هؤلاء من أسس تصلح نبراساً عبر الأجيال والعصور وتدل على البطولة النفسية . ولاغرابة فى ذلك ، فمتى صح تفكير العقل البشرى واهتدى الى نور اليقين بصحة إعمال ذاته أنتج درراً خليقة بالدراسة والبحث .

ومهما كان الأمر فى هداية الناس فى العصر الجاهلى بأسس إنسانية قبل الإسلام ونوره والإرشاد القرآنى وآياته ، فإن الباحث فى مضمون الشعر الجاهلى وبخاصة فى ميدان الحكمة يستطيع أن يضع يده فى راحة تامة وجلاء بينّ على الأبيات التى اهتدى بها الناس كأنماط سلوكية متى وعتها عقولهم وعقلتها أفئدتهم ، ومما يؤكد نفعها أنه لما جاء القرآن الكريم أكدت آياته صدق ما اهتدى اليه الجاهليون من خصال وشمائل إنسانية حميدة اتخذها الناس دستوراً لهم متى جنحوا الى الخبر واتبعوا سبيله ، فمنهم قوم هيأ الله تعالى نفوسهم للتقوى وبذر فيها بذور الخير فوهبوا أنفسهم لهداية الآخرين، وإشعال منارات الحياة أمام نواظرهم حتى ترجم الشعراء نظرات هؤلاء القوم وملاحظاتهم الى بطولات منظومة يمكن اتخاذها نبراساً لتغذية معارف الإنسانية ودفعها الى الرقى فى سلم الحضارة المتطورة عبر السنين والأماكن .

وليس المقصود بهذه البطولات ماكان منها عسكرياً هجومياً أو دفاعيا ؛ ولكنها بطولات نفسية ينسج الشاعر عدتها وينظم عقدها حتى غدت تسر الناظرين وتأخذ بالألباب وتكون خليقة بالدراسة ؛ فدائما ماتكون البطولة فى الشعر مما اطمأنت اليه نفس الشاعر عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، وتتمثل البطولات عادة فى سلوك الإنسان سلوكاً طيباً مقبولا مع نفسه ثم من يجاور فى المحيط البشرى ، فعموم الناس دون رابطة الدم أو النسب ، ثم لمن يكون فى مضمون كلمة الإنسانية .

إن غاية مايرجوه الباحث من عنصر النفسية هو رسم الصورة الخلقية التى يألفها الجميع ويقدمون عليها ، فالبطولة هى مكونات الرجولة الحقة للخلق الكريم من صبر وكرم ونجدة وعفة نفس وعدم تلون وحفظ الجار والدفاع عنه وصلة الرحم والسمو فوق مايصيب الإنسان ، والالتزام بالحمية، وكلها من الدوافع الاجتماعية التى تحض الفرد على السوك ليشعر بالأمن مع الجماعة لتحقيق البطولة المرغوبة . ويعنى الأمن التحرر من الخوف ، ويكون الإنسان فى حالة أمن متى كان مطمئناً فى حياته ويعمل على اكتساب رضاء الناس وحبهم واهتمامهم ومساندتهم العاطفية[1] . ومتى تحقق الشعور بالأمن بدأت العوامل

الإنسانية الداخلية فى التحرك والتفاعل لتوائم حاجات المجتمع وسلوك الأفراد ، ومن هنا كان نسج الشعراء نظماً يهدى البشرية ويعبرون عما يحسونه تجاه بناء مجتمع صالح حتى يكونوا موضع قبول وتقدير واحترام من الآخرين ، وأن يكونوا بمنأى من استهجان المجتمع أو نبذه وهى حاجة يرضاها الشعور بأن لهم قيمة اجتماعية وأن وجودهم وجهدهم لازمان للآخرين ؛ ومن هنا كان اندفاعهم للتعبير عن الذات والإفصاح عن الشخصية وتوكيدها بأن يحققوا مالديهم من إمكانات ، وأن يبدوا مالديهم من آراء أو أن يقوموا بأعمال نافعة وذات قيمة للآخرين[٢] .

ومن هنا تتحقق البطولة النفسية التى تحقق الصداقة بين الشاعر وغيره ممن يعملون بنظمه ويتبعونه فى آرائه ، فعاطفة الصداقة تنشأ وتتكون تدريجياً نحو شخص يفتح صدره لك ويقاسمك متاعبك ، ويعينك فى الشدة وعند العثار، ويحتمل أخطاءك ويدافع عنك فى غيبتك ، ويستمع الى شكواك ويشعرك بأنك غير وحيد ويحول بينك وبين السخط على الناس ، يشاركك فى مسراتك فيضاعفها ، وفى أحزانك فيخففها ، ويعطيك من تجاربه مايفيدك مما يزيدك شعوراً بالأمن واحترام النفس[٣] . وذلك ماحرص شعراء العصر الجاهلى أن يضعوا لبناته الأولى لكل المجتمع الإنسانى .

لقد ألف النقاد وتبعهم أجيال من المثقفين أن تكون ألوان الشعر فى العصر الجاهلى هى الغزل والنسيب والمدح والفخر والحماسة والهجاء والرثاء وذلك الجانب العريض من الوصف ، ولم يتطلع أحد منهم الى ماخفى منها مما كان يجول بخاطر الشعراء حين أجهدوا أنفسهم نظماً وغوصاً وراء الألفاظ المعبرة عن الخواطر الجارفة ، فأهملت دراسة الجانب الإنسانى النفسى فى الشعر الجاهلى ، ولم يخصص أحد من الباحثين وقته وجهده لدراسته مما جعله من مكنون القول ومكنوز التراث الذى ينبغى التنقيب عنه فى المحيط الأدبى من أقصاه الى أدناه . مع أننا لو أعطينا لأنفسنا حق الكشف عنه لحزنا فضل السبق وكانت لنا الآراء التى تشد الكثيرين للتأمل والدراسة المتأنية والبرهنة على صدق دعوانا ، ولحققنا قول الشاعر الجاهلى عبيد بن الأبرص[٤] :

الخـــير يبقـــى وإن طال الزمـــان به والشر أخبـــث ما أوعيت من زاد

ولضربنا الصفح عن قول الشاعر الصعلوك تأبط شراً[٥] الذى رأى البطولة متمثلة فى نفسه أحيانا حين وصف ذاته بأنه :

قليل غرار النـــوم أكبـــر همه دم الثـــأر أو يلقـــى كميا مسفعاً

عفة النفس :-

وفى تناولنا للبطولة النفسية والشمائل الإنسانية فى محيط الشعر الجاهلى نجد أن أول مايطالعنا ويلفت الأنظار تلك الأمور المتعلقة بالنفس وعفتها .

لقد كان من أصعب الأمور على النفس الإنسانية فى العصر الجاهلى أن يهجر الإنسان مألوف قومه ، وينبرى لقضية فردية يدافع عنها حتى إذا آمن له قومه علت كلمته بينهم وأصبحت تتسم بسمة الإنسانية ووعتها أفئدتهم ، ورددتها ألسنتهم وهم لها فرحون حتى أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ماجدوى هذا الجديد الذى ساقه الينا هذا الشاعر ؟ فإذا اطمأنت أنفسهم اليه رددوه وجاهدوا القوم دونه .

إن الشاعر الجاهلى الذى ألف قومه يهرعون الى أول نداء له وكأنهم :

لايسألـــون أخاهـــم حـــين يندبهم فى النائبـــات على ماقـــال برهانا

أخذاً لثأر أو رداً لمظلمة ، أو إغارة لمغنم يأخذونه ، رأى أن من واجبه الإنسانى الأمثل أن يدعوهم للعفة وهجر ماعند الآخرين والترفع عن ذلك؛فينصب نفسه داعية للخير والتحكم فى النفس الأمارة بالسوء ويحّول وجهتها الشريرة الى خير دائم ، ويهتف بهم أن اتركو مغانمكم الزائلة ، وروّضوا أنفسكم على حب الخير وألفة العفة والتسامى فوق الدنايا محققاً قول الحق تبارك وتعالى « قد أفلح من زكاها »[٦] . فياها من بطولة نفسية حين يستطيع تغيير مسار حياتهم ويأخذ بأيديهم لما فيه نفعهم وصلاح أحوالهم . فهذا عبيد

ابن الأبرص[٧] يباهى قومه بعفة النفس ويدعو اليها كدليل على كرم الخلق وحميد الخصال :

لعمرك إننى لأعف نفسى وأستر بالتكرم من خصاصى

ويأتى الشاعر الشنفرى ذلك المتصعلك والذى نحل جسمه من قلة الطعام حتى غدا هيكلاً مخيفاً،ولكنه بعفة نفسه يقهر الجوع حتى يميته قبل أن يقضى هو عليه،أو يسأل الناس ماعندهم ليسد حاجته،ويفضل أن يستف تراب الأرض ولا يتفضل أحد عليه بكسرة خبز ، فهو عفيف النفس يترفع عما يشنيها من معايرة الناس له بفقره الظاهرى ، ويهتف بقناعة النفس وعفتها مفتخراً :[٨]

أديم مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذكر صفحاً فأذهل
وأستف ترب الأرض كيلا لايرى علىَّ من الطول امرؤ متطول

فعفة نفسه جعلته يفرض إرادته ساعة يصارع هذا الجوع ويتحداه حتى لو دفعه ذلك أن يأكل التراب[٩] .

ويأتى الشاعر أبو خراش الهذلى فيهتف بعفة نفس أنه يصارع الجوع حتى يمله ويتركه ولايدنس نفسه بسؤال بخيل طعاماً ، فهو شجاع متحكم فى غرائزه ويؤثر عياله على نفسه ولايقبل الذل والضيم ويفضل عليه الموت ، فأى ارادة عفيفة تلك التى جعلته يقول :[١٠]

وإنى لأثوى الجوع حتى يملنى فيذهب لم يدنس ثيابى ولاجرمى
وأغتبق الماء القراح فأنتهى الى الزاد أمس للمزلج ذاطعم[١١]
أرد شجاع البطن قد تعلمينه فأوثر غيرى من عيالك بالطعم
مخافة أن أحيا برغم وذلة وللموت خير من حياة على رغم

ويدور الشاعر ذو الاصبع العدواني[١٢] في لوحة من حميد الخصال يتبين فيها أنه عفيف النفس عفيف اللسان وبخاصة على الأقربين ، فيعف نفسه عن فحش القول وفاجره ، وليس ذلك عن ضعف واستكانة ، وإنما هو الشجاع المقدام متى ناداه واجب الحق دفاعاً ، ولكنه البطل الجسور الذى يكبح جماح نفسه وينتصر عليها حتى لايلام بإثم ليس من خلائقه ؛ فالعفة تدعوه الى تقدير العواقب وتبين له النتائج وهو مؤمن بأن :

كل امرئ راجع يوماً لشيمته ... وإن تخالق أخلاقاً الى حين
فما لسانى على الأدنى بمنطلق ... بالفاحشات ولافتكى بمأمون
عف يؤوس إذا ماخفت من بلدٍ ... هوناً فلست بوقّاف على الهون[١٣]

وعفة النفس تورث الانسان الحلم والرفق ولين الجانب ، وحتى لو طلب الإنسان نوال الآخرين فلا ينبغى له أن يتساقط أمامهم ذلة ومهانة ، فيكفى أن ينال نوالهم بترفع وإباء ، فلا عفة مع الضعة أوذل النفس ، وفى هذا الموقف يصور لنا الشاعر عدى بن زيد[١٤] فى شكل الوعظ والإرشاد كيف يكون الإنسان بطلاً حتى فى سؤاله العطاء :

إذا أنت طالبت الرجال نوالهم ... فعف ولاتأت بجهد فتنكد
ستدرك من ذى الفحش حقك كله ... بحلمك فى رفق ولما تشدد

وفى محيط عفة النفس وإيثار الجوع على السؤال أو طلب الآخرين يبرز عنتره العبسى[١٥] فى بيت مضمون البطولة النفسية إذ استطاع أن ينال من الجوع خير مأكل وأحسنه .

ولقد أبيت على الطوى وأظله ... حتى أنال به كريم المأكل

وهذا المعنى المغرق فى تصوير عفة النفس هو الذى دفع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى الإعجاب بعنترة حتى أنه نقل صورة البطولة التى رسمها عنترة الى شخص

الرسول ﷺ ، فلقد سمع عمر من ينشد ذلك البيت من قول عنتره . فقال : ذاك رسول الله ﷺ (١٦)

ومن عفة النفس كذلك أن يرضى الإنسان بما قسم الله له ، وهذه قضية يصعب الفصل فيها خصوصاً فى العصر الجاهلى فحياة السطو والإغارة والنهب والسلب كانت السائدة بينهم وملكت على الناس افئدتهم ، والغنىّ عندهم من كثر ماله وقطعانه وبسط سلطانه على الآخرين ، ولكن الشاعر قيس بن الخطيم(١٧) يضع لنا قاعدة عريضة فى غنى النفس عندما يعف الإنسان عما بيد الآخرين ويقنع بنصيبه فى حياته ، فإن كان كذلك فهو السعيد المطمئن ، وإن تطلع الى ماعند الآخرين فويل لنفسه مما كسبت يداه من الطمع فيما عند غيره ولذلك يرى بثاقب رأيه أن :

غنــى النفس ما استغنــى غنى   وفقــر النفس ماعمــرت شقاء

وما أحسن البطولة النفسية عند عنترة العبسى حين جهر أنه ماكان يدخل المعارك طمعاً فى الغنائم رغم أنه لم يكن من الأثرياء بل كان يقنع بما يجده فى حياته ومايجعله فى رفعة نفسية ، فيصرخ بذلك لعبلته(١٨) :

هلا سألــت الخيل يا ابنــة مالك   إن كنــت جاهلــة بمــا لم تعلمِ
يخبــرك من شهــد الوقائــع أننى   أغشى الوغــى وأعف عنــد المغنم

ولايقف الشنفرى عند إعلان عفة نفسه حين يتناول الطعام بصحبة الآخرين ، وهو أحوجهم الى ملء بطنه وسد حاجته ولكنها العفة النفسية التى توصله إلى أن التفضل على الآخرين غايته ، وكأنما يضع لنا قاعدة تربوية أخلاقية ينبغى على كل إنسان إدراكها ليقضى على الشره والطمع لما ملكه الغير ، فإذا فعل الإنسان ذلك - ولو كان فقيراً كالشنفرى - فهو الغنى المتفضل :(١٩)

وان مدت الأيدى الى الـزاد لم أكن بأعجلهـم إذ أجشـع القـوم أعجل
ومـاذاك الا بسطـة عن تفضل عليهـم وكان الأفضـل المتفضل
وأعـدم أحيانـا وأغنـى وإنما ينـال الغنـى ذو البعـدة المتبذل

ويؤكد الشاعر الأعشى من معانى عفة النفس أن يبتعد الإنسان عن الحسد ؛ فالحسود مريضة نفسه طامعة فيما وُهبه الغير، ودائما يضعف فى كل المواقف ، والحسد يمحق النعمة من الآخرين، فالأحرى بالإنسان أن يبعد مطامعه عن الناس ويقضى على تفكيره السيئ فى امتلاك ماليس له ، وما أحسن أن تكون العلاقة بين الناس أساسها عفة النفس :[٢٠]

ولاتحسـدن مولاك إن كان ذا غنى ولاتجفـه إن كنـت فى المال غانيا

وهذا أبو ذؤيب الهذلى يعطى لنا تصوراً كاملاً عن مقاومة شره النفس وإعادتها لعفتها التى فطرها الله عليها ، وأن على الإنسان أن يكون قائداً لها موجها إياها الى الكمال والعفة ويردها الى الطريق المستقيم متى أرادت الانحراف عنه ، فنفس الإنسان هينة طائعة متى أخلص المرء فى معاملتها وتسير كيف يوجهها ، ولهذا فإن الشاعر يرى أن الإصلاح وقت الانحراف والتعديل وقت الاعوجاج، وأن النفس العفيفة تقنع بما يقدم لها من أوجه الخير والإصلاح وتلك هى البطولة فى القبول[٢١] :

فالنفس راغبـة إذا رغبتها وإذا تُردُّ الى قليل تقنع

ويقف داعية السلام فى العصر الجاهلى الشاعر زهير بن أبى سلمى مشيراً الى موقف الإنسان الذى لايكرم نفسه ولايعفها عما يشينها من ذل ومسألة ، أو يخضعها لهـوى الآخرين وتسييرهم إياها ، فيرسم للإنسان طريقة إعزاز نفسه بقوة الدفاع عنها والسيطرة عليها ، وكل ذلك رسم لبطولة الشمائل الإنسانية ، وحق لزهير أن يتولى ذلك، فهو الذى

استطاع ان يخلد دعاة السلام فى العصر الجاهلى بنظمه ويهبهم أوسمة شعرية خيراً من هباتهم لإيقاف نزف الدم فى حرب داحس والغبراء ، فما أجدره حين يقوم واعظاً ويخطط للعفة النفسية بقوله :

ومن لايزل يسترحم الناس نفسه ولا يعفها يوماً من الذل يندم

ومن عفة النفس أن يتحكم الإنسان فى نفسه حين تحدثه بالسوء ، فلقد فشت الفاحشة فى العصر الجاهلى وترنم بعض الشعراء وتطاولوا فى مجال الفضيحة والسطو على نساء الغير والنوال منهن واعتبروا ذلك من محاسن الرجال وقوة سطوهم ، فى حين نجد بعض الشعراء من أمثال عنترة العبسى يهتف بملء فيه عن عفة نفسه وحميد خلقه فى أنه حتى ولو غنم بأنثى فلا يقربها اغتصاباً ، أو يراودها عن نفسها خيانة ، وإنما يقدم على الزواج منها بعد أن يمهرها وتلك بطولة نفسية تتجلى فى العبد المنبوذ ولكنه العفيف المشهود له بذلك حيث يقول :(٢٢)

ما استمت أنثى نفسها فى موطن حتى أوفى مهرها مولاها

ومن صور عفة النفس ان يشعر الانسان بمكانته فى المجتمع فى نفسه ومع الآخرين ، وان يحدد موقفه من الجميع ويتبادل معهم نظرات الإكبار والاحترام فإن مالوا الى خذلانه أو التعفف عنه فسرعان مايفلت من شباك حقدهم وغيظ أنفسهم فمن لايكرم نفسه لايكرمه الناس ، ويرسم لنا الأعشى(٢٣) كيف يتعامل الإنسان مع الآخرين من الذين يريدون إذلاله فعليه أن يترفع عليهم ويعف بنفسه عن دناياهم حتى وإن كانوا من أقاربه وذوى رحمه؛فمن هان على نفسه هان على الناس واستصغروه ، وتربية المرء على العزة وعفة النفس خير له من ان يكون ذنبا يتبع صاحبه أينما حل ، ويعتذر اليه كلما أخطأ فيستضعفه كلما تهاون فى إنسانيته وتمادى فى إمعته ، وما الرجل الحق إلا الذى يقف بشخصيته وقد

ازدانت عفة وكمالا ولينظر دائما الى قول الشاعر :

وإن بشرَ يومـاً أحـال بوجهه عليك فحـل عنـه وإن كان دانيا

ونختم لوحات عفة النفس واكرامها بما خلده الشنفرى حيث حرص على رفع الرأس والبعد عن ذلة النفس وعفتها عن مجال الإهانة وهجر محيط من يريدون شقوتها ، حتى سارت أبياته من مضمون الحكمة الخلاقة عبر العصور،وينظر لمن تحلى بها أنه من أصحاب البطولة النفسية والشمائل الانسانية(٢٤)

لعمـرك ما فى الأرض ضيق على امرئ
سرى راغبـاً أو راهبـاً وهـو يعقل
وفى الأرض منـأى للـكريم عن الأذى
وفيهـا لمن خاف القلى متعزل

ويضيق المجال عن ذكر كل لوحات عفة النفس فى الشعر الجاهلى وكلهـا تفيض بعنصر البطولة النفسية ، وكلها من رائق الشمائل فى إباء الذل والتسامى فوق مايصيب وكأن الإقدام فى ميدان الحروب وإحجام النفس فى مجال الفضيلة والعفة يسيران فى خطين متوازين ، فمهما كان الاندفاع والكر والفر كان التعقل والتريث لإكرام النفس بعفتها ورفعة مكانتها ..

ولقد اشترك شعراء الجاهلية من فرسان ودعاة سلام وصعاليك وأثرياء القوم فى الدعوة الى عفة النفس وتجميلها بوفور الصفات التى تجعلها فى مكانها اللائق،فالإنسان انسان فى عفته ولو اختلف مشربه .

رعاية الجار :ـ

إنه لمن دواعى العجب أن تجد فى الشعر الجاهلى أنماطا من الشعراء يحترمون الجار

ويقدرون حقه فى الوقت الذى كانت هناك جماعات منهم تتلصص فى غير حياء على عورات النساء وتشهر بهن فى غير استحياء بمقطعات أو ضمن المعلقات ، ومدعين بذلك قصب السبق فى ميدان الفاحشة وماكانت النسوة اللائى شهرن بهن الا من جاراتهم .

فكان لابد أن تظهر البطولة النفسية وأن تكون حماية الجار والحرص على الدفاع عنه ، والإسراع لنجدته وحفظ حرمته موضوع البطولة بأوضح صورها ، ولقد حض القرآن الكريم فى آيات عديدة على اكرام الجار والحفاظ عليه ، ومنها قوله تعالى « واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجُنب والصاحب بالجَنْب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لايحب من كان مختالا فخورا »[٢٥] . **كما أوصانا الرسول الكريم ﷺ بالجار فى قوله**« مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . فمن كان فى الجاهلية حافظا لجاره حاميا له فهو البطل بلا منازع وهو الذى استحق أن يجمع من الشمائل الإنسانية مايخلد ذكره ، وهذا ما ألفه الأخيار من شعراء العصر الجاهلى ودأبوا على الحث عليه والتمسك به،فأحبطوا أنفسهم الأمارة بالسوء وقهروها فى ميدان الفضيلة والبعد عما يشينها خاصة فيما يتعلق بحقوق الجار والحفاظ عليه بكل معانى الحفاظ وبدأوا بأنفسهم فيما يتعلق بسلوكهم تجاه جيرانهم ، ومن ثم أشادوا بحماية الجار لأنه استجار بهم وأعطوه عهداً أن ينصروه ، مما جعلهم يعظمون الاخلاق فلا ينقضونها مهما قاسوا بسببها من حروب[٢٦] .

فعهد الجار والصديق واحد ، وكلاهما له الحق الإنسانى كما بينه الشاعر زهير بن أبى سلمى،وعلى المجتمع أن يعترف بذلك ويباشر تنفيذه حتى يعيش الناس جميعا فى اطمئنان وأمان من الغدر والسطو ، وتبرز عاطفة الإخاء وحق الدفاع عن الجار فيما اتفق عليه مهما كانت النتائج :

وجار البيت والرجل المنادى أمام الحى عقدهما سواء

ويعلن الشاعر عوف بن عطية[٢٧] كيف يمنع الظلم والغدر عن جاره حتى يمنحه

الأمان والاطمئنان فى حياته ويعلن ميثاق شرف بأن الجار ممتنع من الغدر والسطو والفزع حيث أجير ، وهذا أمر تطيب به النفوس :

وأمنــع جارى من المجحفا ت والجــار ممتنــع حيث صارا

وعن الوفاء بعهد الجار يقول طرفة بن العبد مفتخراً بأنـه أوفى النـاس عهـدا لجاره[٢٨] :

ومـــن كان ذا جارٍ يرجـى وفاؤه فجـارى أوفى ذمـة وهما آبّر

وكثيرا مايقرن الشعراء الجار بحق الضيوف ، ولعل السبب فى ذلك أن الضيف يعيش دائما فترة ضيافته فى أمان ورغد العيش ، فكون الجار ملازماً له فى مسلك الجيران أمر يدل على سعة الصدر وغلبة جانب الخير والمؤازرة ويسرحال،ولأن الضيف ناقل أخبار مضيفه فالجار دائما يتحدث بالحسنى عن جيرانه متى كانوا له مدافعين ولحرمته حافظين ، فما أحسن تلك الشمائل أن تكون مادة شعرية يتغنى بها الناس وتتناقلها الاجيال ، وكثيرا ما كانت فى شكل وصايا وغالباً ماتكون الوصية من والد لابنه،ولابد أن تكون الوصية لخيرى الدنيا والآخرة ولرفعة مكانة الأبناء وتخليد ذكر آبائهم ، وهذا ما أبرزه الأعشى فى لوحته الفنية حيث قال :[٢٩]

إن الأعــز أبانـــا كان قال لنا أوصيكم بثــلاث إننــى تلف
الضيف أوصيكم بالضيف إن له حقــاً عَلَىَّ فأعــطيه وأعترف
والجــار أوصيكم بالجـــار إن له يومــاً من الدهــر يثنيه فينصرف
وقاتلــوا القــوم إن القتــل مكرمة إذا تلــوى بكف المعصـــم العرف

وبنفس الصورة ينطلق الشاعر الجاهلى عمرو بن الأهتم[٣٠] موصياً ابنه بحفظ جاره وضيفه فى الوقت الذى لايحفظ فيه جار ولايقرى فيه ضيف لشدة الزمان وتخلى الناس

الأدنياء عن رعاية جيرانهم، ويرون ماينزل بهم من إهانات ولايدفعونها ، فهنا تظهر النخوة العربية الأصيلة والخلق الحميد ويهتف الشاعر بابنه الا يفعل مثلما يفعل الآخرون،وإنما عليه أن يشد من أزر جاره ويصد عنه عوادى الأيام،ويظهر له سماحة الخلق وطيب الخاطر فإنه آنذاك أحوج مايكون الى من يواسيه ويحفظ جواره

لقـد أوصيت ربعـىَّ بن عمرو إذا حزبـت عشيرتـك الأمور
بأن لاتفسـدن ماقـد سعينا وحفـظ السـورة العليا كبير
وجـارى لاتهيننـه ، وضيفى إذا أمسى وراء البيت كور
أصبـه بالكرامـة واحتفظه عليك فان منطقـة يسير

أما الشاعر سلامة بن جندل[٣١] فيجعل سعادة الجار والضيف أمراً مألوفاً لديهم ، فهم دائما يحرصون أن تكون للجار مكانة مرموقة يشهدها كل الناس ، فجعل سعادة الجار والضيف لاتعادلها سعادة لهم إذ يهبونهما خير مالديهم عن طواعية نفس وطيب خاطر ، فهم يغامرون على نياق سمينة غالية الثمن لتوزع لحومها على السائلين احتفاءً بالجار والضيف ، ويظهرون من ألوان الطعام مايدل على كرمهم ويعطى الصورة الكاملة للبطولة النفسية فى حماية الجار وإكرامه وإكرام الآخرين حباً فيه وترحيبا به .

إنـا إذا غربـت شمس أو ارتفعت وفى مباركهـا بزل المصاعيب
قد يسعد الجـار والضيف القـريب بنا والسائلـون ونغلى ميسر النيب

وكانت هذه أسعد لحظات حياة العربى فى العصر الجاهلى أن يظهر الكرم والعطاء خاصة فى حضرة الجيران والضيوف وملاعب الشباب وحكمة الشيوخ وهى من الشمائل الإنسانية المعدودة عندهم .

ويهتف الشاعر مالك بن حريم[٣٢]أنه حتى لو كان أدركه الكبر واشتعل الرأس شيباً إلا أنه آل على نفسه أن يظل وفياً لخصال أربع ، ومنها حماية الجار والا يقذعه بفاحش

القول حتى ولو تفاحش الناس جميعا على جيرانهم ، فهو الحافظ للعهد الساهر على راحة جاره وضيفه ، المعلن عن كرمه وعطائه لكل الناس ، فما أجمل هذه الشمائل متى اجتمعت للمرء وهذبت نفسه وهيأته لمحبة الناس وكسب ودهم :

فإن يك شاب الرأس منى فإننى ... أبيت على نفسى مناقب أربعا
فواحدة ألا أبيت بغرة ... إذا ماسَوام الحى حولى تضوعا
وثانية ألا أصمت كلبنا ... إذا نزل الأضياف حرصا لنودعا
وثالثة الا تقذع جارتى ... إذا كان جار القوم فيهم مقذعا
ورابعة الا أُحَجِّل قدرنا ... على لحمها حين الشتاء لنشبعا[٣٣]

وكثيرا مافخر الشعراء بإكرام جيرانهم ، ومن ذلك ماقاله الشاعر المثقب العبدى [٣٤] من أنه يرعى حق جاره ويسهر على راحته وان الخلق الكريم لن يضيع ذكره بين الناس ، ورعاية الجار واجب حتمى عليه :

أكرم الجار وأرعى حقه ... إن عرفان الفتى الحق كرم

ويسوق صاحب موسوعة الشعر العربى قصة عن الشاعر دريد بن الصمة[٣٥] تحت عنوان « مال الجار » لابد من ذكرها فى هذا المقام : كان بين بنى الحارث بن كعب ، وقوم دريد ، إغارات وثارات . وقد قتل بنو الحارث خالد بن الصمة فى احد ايامهم فهددهم دريد . ورد عليه عبدالله بن عبدالمدان الحارثى ، من سادة نجران ، وكان أن أنس بن مدركة الخثعمى ، حليف الحوارث أغار على جشم فأسر وسبى واستاق أموالا لأحد جيران دريد . وخلف ذلك بنجران وعجز دريد عن طلب ذلك بالقوة ، فلجأ الى السؤال . فمدح يزيد بن عبدالمدان سيد نجران ، ثم قدم عليه ، فرد السبايا وفك الأسرى . وزاده أموالا وفى ذلك قال الشاعر مادحاً وسائلا لحق الجار :

بنـــى الـــديان ردوا مال جارى   وأسرى فى كبولهـــم الثقال
وردوا السبـــى إن شئتـــم بَمنٍّ   وإن شئتـــم مفـــاداة بمال
فأنتـــم أهـــل عائـــدة ، وفضلٍ   وأيدٍ فى مواهبـــكم طوال
متـــى ماتمنعـــوا شيئـــاً ، فليست   حبائـــل أخـــذه غـــير السؤال
وحربـــكم بنـــى الـــديان حربٌ   يغص المرء منهـــا بالزلال
وجارتـــكم بنـــى الـــديان بسل   وجـــاركم يعـــد من العيال
بنـــى الـــديان إن بنـــى زيادٍ   هم أهـــل التـــكرم والفعال
فأولونـــى بنـــى الـــديان خيراً   أقـــر لكم به أخـــرى الليالى

فهذه براعة من الشاعر أن يعتب عليهم مادحاً كيف يكون جارهم فى منعة ولايستطيع هو أن يخلص جيرانه ويحميهم.

لقد قال صاحب البطولة النفسية الأول محمد بن عبدالله ﷺ « ليس منا من بات شبعان وجاره إن علم به جوعان » فنجد هذه البطولة قد ألفها العربى الأبى فى جاهليته وأشاد بها الشعراء وربطوا بينها وبين حق الجار المشروع من حماية ورعاية عهد ، فهذا الشاعر الأعشى[٣٦] يشيد بقوم ممدوحه عامر بن الطفيل بأنهم :

المطعمـــون اللحـــم إذا ماشتوا   والجاعلـــون القـــوت على الياسر[٣٧]
والشافعـــون الجـــوع عن جارهم   حتـــى يرى كالغصـــن الناضر

والشاعر نفسه لايرى هذه البطولة فى قوم هجاهم بأنهم يملئون بطونهـم ويتـركون جيرانهم جوعى لايجدون مايطعمون ، وفى ذلك عيب وإهانه لاتغتفر متى ثبتت حقيقتها أمام القوم،فلا يفعل ذلك إلا من حقرت نفسه وضعفت عزيمته ، والأوْلى بالأبى الشجاع أن يمد العون من الطعام لجيرانه حتى تتآلف القلوب وتصفـو النفـوس وتلك من شيم الكرام[٣٨] :

تبيتــون فى المشتــى ملاءٍ بطونكم وجاراتــكم غرثــى يبتــن خمائصا
يراقبــن من جوع خلال مخافةٍ نجــوم السماء الطالعــات الشواخصا

وتلك خصلة من أحط الخصال ؛ ألا يصيب الرجل جاره مما ساقه الله اليه من رزق ، ويرعى حقه متى قل مورده ، أو نزلت به النوازل أو أصابته حاجة .

ونجد الشاعر عروة بن الورد[٣٩] يحرم على نفسه لونا من الطعام إذا علم أن بيت جاره قد خلى من ذلك الطعام ، وفى ذلك مشاركة وجدانية ، وهــى من الخصــال الاسلامية الحقة؛فقد أمرنا الرسول الكريم ﷺ الا يؤذى الانسان جاره برائحة قدره . وماذلك إلا ليشعر الجار بعدم استطاعته ان يكون له نفس لون الطعام الذى يعد بالقِدر ، ويشعر الإنسان بعجزه عن مجاراة جاره ، فما بالنا لو وجدنا تلك الخصلة عند هذا الشاعر الجاهلى حين يقول :

فإن حُميتَنــا أبــداً حرامٌ وليس لجــار منزلنــا حميت[٤٠]

ونرى هذه الصورة الإنسانية فى شعر حاتم الطائى[٤١] من أنه يرعى شئون جيرانه حال غياب رب الأسرة عنهم ، ويقدم لهم من الوان الطعام ماتشتهيه الأنفس متى نضجت قدوره وهفت عليهم رائتحها ، ويحرص أن يصلهم هذا الطعام فى خفاء مادام رب الأسرة غائبا فلا يجرح شعورهم ولايسىء الى سمعتهم ولايتجسس عليهم بل يتحسس اخبارهم ليقضى حوائجهــم وراء حجــاب ، وتلك شيمــة العفيف الأبــى النفس وبطولة نفسية الشريف :

فلا وأبيك مايظــل ابــن جارتى يطــوف حوالى قدرنــا مايطورها
وماتشتكينــى جارتــى غــير أنها إذا غاب عنهــا بعلهــا لا أزورها
سيبلغهــا خــيرى ويرجــع بعلها اليهــا ولــم يقصر علىَّ ستورها

ومن البعد عن مواطن الريبة وحفظ حقوق الجار:ألا يزور الرجل بيت جاره أو يحاول رؤية زوجه مادام رب البيت غائبا ، ولكن يحرص أن يقدم لها ولأولادها مطلبهم ويسهر على راحة الجميع عن بعد ، وهذا ما افتخر به عنترة العبسى (٤٢) من أنه يزور جارته حال وجود بعلها واصلا لرحمه ، فإن خرج بعلها غازياً لايقترب من دارها حفاظاً على عرضها وعرضه وصونا لها ، وتلك بطولة نفسية،وخصلة الشرفاء الذين يحملون حميد الصفات :

إنـــى امـــرؤ سمـــح الخليقـــة ماجدٌ   لا أتبـــع النفس اللجـــوج هواها
أغشى فتـــاة الحـــى عنـــد حليلها   فإذا غزا فى الجيش لا أغشاها
وأغض طرفى إن بدت لى جارتى   حتـــى يوارى جارتـــى مأواها

أما عبيد بن الأبرص(٤٣) فيشيد فى شجاعه وعزم وإقدام كيف يحمى قومه كل من تجب عليه الحفاظ عليهم ، ويدخل فى ذلك كل من استجار بهم أو جاورهم ، كما تجب عليهم رعاية شئون أراملهم وأيتامهم حتى لايشعر هؤلاء الضعفاء بقسوة الحياة وتتخطفهم ذئاب البشر ، وتلك من الحقائق الثابتة . التى تحتاج الى أصحاب الخلق القويم ليكونوا عونا وسنداً :

نحمـــى حقيقتنـــا ونمنـــع جارنا   ونلف بـــين أرامـــل الأيتام

وفى مجال حماية الجار والسهر على راحته ومنع الجوع أن يطرق بابه وحفظ أولاده ورعاية بيته فى غيبته يدخل بعض الشعراء عدم إفشاء سر الجار ، والابتعاد عن الفضول لمعرفة ماخفى منه ، فعفة النفس لازمة للانسان كفرد صالح ، وأكثر لزوماً حين يتطلع أو يعرف من أسرار جاره شيئاً فالأولى به ان يكون ملتزماً بالميثاق الأخلاقى ، وفى مثل هذه المواقف تظهر البطولة النفسية الحقيقية فيمن يحفظ السر ولايجاهر بالفضيحة فلكل بيت حرمة وأسرار.

فيردد الشاعر قيس بن الخطيم[٤٤] أنه لايخون جاره بالنظر الى حليلته ولايضع نفسه موضع الريبة ، ويمنع أن يتعرض لذم الناس لحسن مسلكه مع جيرانه دائما فهو يرتاح لذلك راحة نفسية لاتضارعها سعادة ، فهو طاهر الذيل متناسل من أطهار :

وهل يحذر الجار الغريب فجيعتي   وخوني وبعض المقرفين خئون
وما لمعت عيني لغرة جارة   ولا ودعت بالذم حين تبين
أبى الذمَ آباءٌ نمتني جدودهم   ومجدى لمجد الصالحين معين

ويصرح حاتم الطائى فى نفس محيط عدم التطلع لأسرار الجار والحفاظ عليه بخلق الكريم وخصال الإنسان ، فما حاول التطلع لجاره ومعرفة سر بيته ليفضحه ؛ لانه يعلم يقيناً أن الكريم من اكتملت شمائله المعنوية والحسية ، فما احسن قوله[٤٦] :

إذا ماريت أختل عرس جارى   ليخفيني الظلام فلا خفيت
أأفضح جارتى وأخون جارى   معاذ الله أفعل ماحييت

ويكمل الصورة البديعة من اخلاقه فى نفس المعنى بقوله :

فأقمست لا أمشى الى سر جارةٍ   مدى الدهر مادام الحمام يغرد

ولابد من عرض لوحة فنية أخلاقية ثانية للشاعر حاتم الطائى تفيض طمأنينة وأمانا للإنسان الذى يجاور حاتما ، فهو دائما يغض بصره عن جاراته وكأن فى سمعه وقراً من حديثهم وذلك من شمائل كرام الناس خلقاً ، فكما تعود أن يستر حاجات الناس جميعا بكرمه وعطاياه وتقديم العون لهم عفيفا كريما ساتراً لجارته بصراً وسمعاً ؛ وتلك بطولة نفسية لاتتوفر لكثرة الناس :[٤٨]

ومـاضر جاراً يا ابنـة القـوم فاعلمى   يجاورنـي ألا يكون له ستر
بعينـي عن جارات قومـي غفلة   وفى السمـع منـي عن حديثهـم وقر

ويبرز الشاعر عمر بن كلثوم صورة عن حمايته للجار من لون جديد فى انهم كانوا يدافعون عن ديار الجيران قبل الدفاع عن جيرانهم ، ويدرءون أى أخطار تحيق بالجيران قبل أنفسهم ، وفى ذلك برهان طيب عن الإيثار الخلقى الذى يشكل البطولة النفسية للانسان ، فهم يدفعون الشر عن جيرانهم ، ويدفعون عنهم الديات متى كانت هناك غرامات حرب حفاظا عليهم وإبقاءً على حسن جوارهم ، فما أحسن هذا العمل وأنبل صفات قوم الشاعر :(٤٩)

ونحـن إذا عماد الحـي خرت   على الأحفـاض نمنـع من يلينا
ندافـع عنهـم الأعـداء قدماً   ونحمـل عنهـم ماحملونا

ويكمل الصورة فى انهم لاينتظرون الدخول فى الحرب دفاعاً عن الجار ، ولكن بمجرد أن تلوح لهم سيوف الأعداء قد سلت من أغمادها يكون أول عمل يقومون به هو إحاطة الجيران بكل حماية ويكونوا جبهة دفاعاً لما يتوقع من هجوم الأعداء واغارتهم ، ويبدءون بتركيز القوة الدفاعية حول بيوت الجيران :(٥٠)

ونحـن المانعـون لما يلينا   إذا ما البيض زايلـت الجفونا

ويربط عروة بن الورد(٥١) الشاعر الصعلوك بين نفسه وجاره ، فى أنه إذا أصاب غنى كان لابد أن يقاسم فيه جاره ، وهو ذلك الرجل الذى تعود حياة خطف الرزق من غيره ويكفيه مايتبلغ به من صعلكته ، ولكنه يضع موثقاً على نفسه أنه متى صار غنيا فلن يكون أنانيا فى غناه ؛ وإنما هى سماحة خلقه وايثاره من هـو فيه من حاجة ماسه لما يصيب وتلك خصال حميدة :

فإذا غنيت فإن جارى نيله من نائلى وميسَّرى معهود

ويعرض الأعشى فى ابيات صورة فريدة فى الحفاظ على الجار متى تكون الحرب ، ويكون من نتائجها أسر وسبايا من الطرفين ، فيقف معاتبا الأعداء ومدافعاً عن قومه بادئا بأنه لايصح أن تستباح حرمات جيرانه فى الوقت الذى يحافظ فيه اعداؤهم على حرمات جيرانهم ، ولم يتعرض الشاعر لأهله وذويه وأولاده وانما قَدَّم عليهم جميعا حق الجار وحمايته ، ورفض كل مايثير حفيظته قبل الكلام عن رحمه . فما أبدع هذا الإيثار من خلق كريم ، وما أجمل ان يرى الإنسان البطولة النفسية فى كلام الشاعر :(٥٢)

أجارتكم بسل علينا محرَّم وجارتنا حل لكم وحليلها
فإن كان هذا حكمكم فى قبيلة فإن رضيت هذا فَقَلّ قليلها

ونختم تلك الصورة البطولية بما قاله حاتم الطائى فى ان يختار الانسان جاره كريم الخلق حتى يتمثل به فى كل تصرفاته ، ويقارنه فى كل شمائله ويحاكيه فى سماحة خلقه:(٥٣)

فجاور كريماً واقتدح من زناده وأسند إليه ان تطاول سُلماً

صلة الرحم :

إن صلة الرحم علاقة فطرية بين الإنسان وذويه ، واحيانا تكون فى توافق تام أو تنافر فيما بين الأفراد بعضهم وبعض متى دب بينهم الشقاق وسعت اليهم الخصوبة بسمومها ولعب الشيطان بالأفئدة وتخيل الإنسان انه يستطيع الحياة فرداً ، وإذا كانت الانفصالية بين افراد الأسرة الواحدة قد سادت بين القبائل فى العصر الجاهلى الا من الدعوة الى إغارة أو سطو : فإننا نجد فى شعر ذلك العصر مايدل على أن بعضهم جنح الى شمل الأسرة وأخذت دعواهم تطوف فى انحاء الجزيرة العربية وتجمع ماتفرق منهم ، وأكد القرآن الكريم ذلك فى العديد من الآيات مبيناً أن الخير والسعادة فى الدارين فى صلة الرحم

ووصل ما انقطع والتسامح بين أفراد الأسرة الواحدة والبعد عن دعوة الشاعر الجاهلى الذى كان يدعو للإغارة حتى على الأشقاء :

وكنا إذا أغرنا على جناب وأعوزهن نهب حيث كانا
أغرن من الضباب على حلول وضبة إنه من حان حانا
وأحيانا على بكر أخينا إذا مالم نجد إلا أخانا

بينما نجد الدعوة الصالحة فى الآيات الكريمة « وإذْ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لاتعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذى القربى واليتامى والمساكين ..»(٥٤) « ويسألونك ماذا ينفقون قل ما ما أنفقتهم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وماتفعلوا من خير فإن الله به عليم »(٢٥) « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين .. »(٥٦) « قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم »(٥٧) « وقضى ربك الا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما إف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »(٥٨)

فإذا كانت هذه هى نقاط اصلاح الفرد وتحسين العلاقة بينه وبين ذويه وصلة رحمه على أسس اسلامية مجيدة فإن الأمر لم يخل أن نجد أمارات صلة الرحم والحض عليها عند بعض شعراء الجاهلية ، ولهذا يمكن أن نعتبر ذلك ضرباً من البطولة النفسية التى تخطت قواعد المجتمع وأسست نهجاً إنسانيا خصصت له من الشمائل مايجعله مقبولا فى سلوك البشر ، فدعوا الى الكف عن العناد والقتل والتدمير والتبصر فى العواقب وحفظ القوم ودفع غائلة الأعادى عنهم وتوطيد أواصر المحبة والأخوة بين الجميع ؛ فالشاعر فى العصر الجاهلى أو فى غيره من العصور إنسان فيه نزعه الخير ونزعة الشر ، وإن تغلبت الثانية فى الجاهلية فقد استيقظت الأولى وحققت مكاسب إنسانية يمكن الإشّادة بها . فهذا زهير بن

ابى سلمى[٥٩] يعلن فى إشارة صريحة كي يكون محاطاً بأهله مقرباً لعشيرته حافظاً لرحمه فى بيته المشهور :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله — على قومه يستغن عنه ويذمم

فالإحسان الى الأهل والعشيرة أول درجات صلة الرحم ، وبه تطمئن القلوب الى سيادة الخير ، وتصفو النفوس من الحسد ، وتزداد المودة ، بينما إذا قطع الإنسان القادر صلته لرحمه وتباعد عنهم ومنع عنهم فضل مالديه من مال أو حسن قول أو بشاشة لقاء فهو المكروه المذموم المبعد من عِداد الأسرة ، بل والمحتقر من الجميع ؛ لانه استغنى عن أردية الإنسانية فعاش عارياً .

وإن هذه اللفتة الكريمة من زهير تؤكدها الآية الكريمة « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى »[٦٠] .. « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين ..»[٦١] .

ومن صلة الرحم أن يكون الإنسان لين الجانب لأهله ، وهذا من الأمور الصعبة الوجود فى العصر الجاهلى ؛ فهم قوم كأن قلوبهم قدت من الحجارة فى غالبيتهم ، وتصلب فكرهم فلا ينقاد الإنسان للنصح بسهولة فكانت فيهم الغلظة والفظاظة ، ومن طوع نفسه للين عُدَّ من القلة النادرة ، وذلك مما دفع الشعراء أن ينادوا بلين الجانب موصولا بصلة الرحم ، وفى ذلك يقول الأعشى[٦٢] يحض الناس على صلة الرحم ولين الجانب ونصرة العشيرة متى نزل بها مكروه ، فليس الشر دائما طاغياً على الناس ولكن ربما تلوح أمارات الخير فى أفق الطيبين الطائعين فيعملوا بعمله :

ولاتزهدن فى وصل أهل قرابة — ولاتك سبعاً فى العشيرة عاديا
ولاتخذلن القوم إن ناب مغرم — فإنك لاتعدم الى المجد داعيا

وبنفس طريقة عرض الصورة السابقة يتقدم الشاعر عبيد بن الأبرص[٦٣] فى أبيات

من الحكمة يزينها بالدعوة الى صلة الرحم فإنهم ذخر للإنسان وأولى به أن يمد لهم يد الصفح والعون قبل أن يمدها للأباعد ، فالمرء قليل بنفسه كثير بأهله :

ولاتزهـدن فى وصـل أهـل قرابة لذخـر وفى وصـل الأباعـد فازهد

ويعلن الشاعر نفسه[٦٤] فى صراحة تامة تقديره لوالده وانه يبذل قصارى جهده كى يصون أباه ويحفظ عرضه ، وإن الانسان متى كان باراً بوالديه أو بأحدهما فهو الحميد الصفات الكريم الخصال ، وكذلك صيانة العرض من أسس صلة الرحم حتى يعيش الجميع مرفوعى الرأس أعزاء النفوس ، ويعرض كذلك أنه معطاء لأهله فماله ليس له ، وإنما يبذله إنفاقاً لحاجات قومه وحفاظاً لهم من الفاقة ، فما أحسن أن يدرك الشاعر الجاهلى بفطرته تلك الخصال ، ويستطيع الانتصار على نفسه الأمارة بالسوء ليحقق البطولة المنشودة ويرقى فى مدارك الأشراف،فإن تعديل سلوك البشر فى عصر لم تكن فيه المفاهيم النفسية والاجتماعية قد دونت أمر صعب،ولكنها فطرة الخير التى فطر الله بعض الناس عليها فى العصر الجاهلى لتكتمل بها شمائلهم حيث يقول :

وأكرم والـدى وأصـون عرضى وأكره أن أعـد من اللئام

ويمثل كرم الشاعر حاتم الطائى للضيوف وضرب المثل به فى محيط الجزيرة العربية كانت دعوته الخيرة الى صلة الرحم ، فإكرام الأهل والعشيرة بأن يكون الإنسان متحملاً عنهم عبء صعوبة حياتهم ومتجاوزاً عن هفواتهم وحلالا لمشكلاتهم وكافاً لأذى الغير عنهم أمر ليس بالهين ، وإنما هى تعليمات الكرم الخلقى التى تخفى على الكثيرين يبرزها الشاعر الكريم معدلا من سلوك البشر ، حاثاً لهم على سلامة حياتهم بفضل مايقدمون لأهليهم من موائد المعروف التى تحفل بألوان الخصال الحميدة ، وهو بذلك يضرب المثل فى الحلم وسعة الصدر ، ويحفظ قومه من مفاجآت الزمن ، فما أحسن أن يبقى ود الناس متصلاً ونفوسهم مطمئنة :[٦٥]

تحلــم عن الأدنــين واستبــق ودهم فلن تستــطيع الحلــم حتــى تحلما
متــى ترق أضغــان العشــيرة بالأنا وكف الأذى يحســم لك الــداء محسما

أما الشاعر الحادرة[٦٦] فإنه يصل رحمه بطريقة دفاعية أخلاقية أخرى ، فيحافظ عليهم ويرعى حقوقهم ويقف دون مس كرامتهم ويقيهم السوء بالمال الحلال الذى لاتشوبه شائبة ؛ فإنه مال ينفق لغرض شريف وما أشرف من صلة الرحم ؟ فلابد أن يكون مالاً حلالاً تطمئن النفوس الى مصدره حتى يؤتى ثماره ، فإذا لم ينفع المال ودعوته السلمية أول الأمر ورأى أن الضرورة قد فرضت عليه القتال حفاظاً على أهله وتخليداً لحسبه فلا مناص من ذلك ، فهم السراع الى دخول المعامع ، والمنادى بعضهم بعضا حقنا لدماء العشيرة والتصدى لعاديات المغيرين . وتلك صفة إنسانية محببة لأن العاقل من أدرك أن الحرب دمار للمنتصر والمهزوم بنسب مختلفة ، والأولى أن يدفع الإنسان الحرب بسلاح المال فإن قصر هذا السلاح أو فنى فلا مناص من عدة الدماء حتى لايقف الإنسان عاجزاً أمام ذويه ، فالإقدام النفسى لفض الاشتباك سلميا خير وأبقى والا كانت الواقعة :

ونقــى بآمــن مالنــا أحسابنا ونجــر فى الهيجــا الرمــاح وندعى

فهذه صورة مشرفة لصلة الرحم والحفاظ عليه والعاقل من جعل هدفه لا إثم ولا عدوان بل دفاع ورد طغيان .

وإذا كان شعراء العصر الجاهلى قد تعرض الخيِّرُ منهم للدعوة لصلة الرحم ، فإن الشاعر طرفه بن العبد يعرض لنا مسألة انسانية تستحق التبصر والتأنى فى مضمونها ، وتلك هى قضية ظلم الأهل والأقارب ، فالمتعارف عليه إنسانيا أن يكون الإنسان دافعاً الظلم عن ذويه حصنا لهم ضد الآخرين ، أما أن يكون هو الظالم الغادر فهذا أمر يشق على النفس تصديقه وعلى العقل تصوره ، والشاعر حين يعرض لنا هذه الصورة إنما يحقق بها دفع الظلم ويدعو الى ذلك وبخاصة فى مجال الأهل حتى يكون الرحم موصولا ،

والبطل الحقيقى من يتحكم فى نفسه وقت الاندفاع للظلم ويحولها الى جانب الخير فتكون معطاء حانية .

ومرارة الظلم تشتد وتزداد عندما تكون فى محيط الأهل ووقعها أسوأ على النفس من السيف الباتر ، والأولى ان يداوى الانسان إيلامه بوده ودفع عاديات الأعداء عنهم :[٦٧]

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة　　على النفس من وقع الحسام المهند
إذا أنت لم تنفع بودك أهله　　ولم تنك بالبؤسى عدوك فابعد

بطولات نفسية متفرقة :

أ ـ الحزم وقوة العزيمة :

من الأمور التى حث عليها شعراء الحكمة فى العصر الجاهلى ان يلتزم الانسان بالحزم فى القول فلا ينبغى أن يتحدث بقولة فى غير موضعها ، فحين يرغب فى قول الحق فليقصد اليه مباشرة وأداته « نعم » ، وحين يريد نفى حديث لايروقه فليقصد اليه وأداته « لا » ، وهذا مايعنيه المثقب العبدى[٦٨] فى أبياته التى تدل على البطولة النفسية متى تحكم الإنسان فى فكره وحدد رأيه حتى لايتردد فيكون مثار سخرية الآخرين ، فالأولى بالإنسان أن يكون حديثه محدداً موجهاً للصواب فلا خذلان ولاندم ، فإن ذلك أحفظ لهيبة الرجل وأجمل :

لاتقولن إذا مالم ترد　　أن تتم الوعد فى شىء :نعم
حسن قول نعم من بعد لا　　وقبيح قول لا بعد نعم
إن لا بعد نعم فاحشة　　فبلا فابدأ إذا خفت الندم
فإذا ماقلت لا فاصبر لها　　بنجاح الوعد إن الخلف ذم
واعلم أن الذم نقص للفتى　　ومتى لايتق الذم يذم

ودار الشاعر زهير بن أبى سلمى فى مجال الحزم فى القول واثر البطولة النفسية فيه من أن الإنسان إذا لم يلتزم بالصراحة فى قوله ويبتعد عن فاحشه ومجالسة أصحابه أو الركون اليهم فلا يلومن الا نفسه فمثله كمثل صاحب جليس السوء ، اما أن يحرق بنار الكير أو تفسده مخلفات الفحم ، ويربأ بالحر ان يضع نفسه هذا الموضع ، وخليق به أن يقدر لرجله قبل الخطو موضعها وللسانه قبل النطق هدفه حتى تكون كلماته برداً وسلاماً على من يسمعه وأن يحقق قول الحق تبارك وتعالى « وقولوا للناس حسنا »[٦٩]

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليا أو اصابك جاهل

ومن الحزم فى القول الا يكذب الإنسان على نفسه ، فيوقعها فى حبال الغش ، فإن الرجل الذى يعوّد ذاته على صدق القول ويبعد بها عن مهاوى الرياء ، وينأى بها عن تمنى اقتناء ماعند الغير ، ويقنع بما وهبه الله فهو البطل الحازم لأمر نفسه ، ففى سجل البطولة النفسية الا يفسق المرء ولايحسد ولايطمع فيما عند الناس وهذا ما اشار اليه الشاعر أفنون[٧٠] :

فلا خير فيما يكذب المرء نفسه وتقواله للشىء ياليت ذا ليا

ومن الصفات الحميدة التى تدل على البطولة النفسية وتعتبر من شمائل الإنسان قوة التحمل وبث العزيمة القوية فى النفوس ، والارادة الحازمة ، فرحم الله امرأ عرف قدر نفسه ، فلا يحملها فوق طاقتها ، ويقف عند حدودها معلنا مقدرته ، وذلك من أمارات الرجولة التى عناها الشاعر المخضرم عمرو بن معد يكرب وكان قد نظم هذه الأبيات ضمن قصيدة فى جاهليته قبل ان يسلم حيث كانت فى موقف تزويجه[٧١] :

إذا لم تستطيع شيئاً فدعه وجاوزه الى ماتستطيع
وصله بالزماع فكل أمرٍ سمالك أو سموت له ولوع

وقد ساق البحترى[٧٢] ماقاله أحد الشعراء الجاهليين حاثاً على الإقدام فى الأمور ،

والمضاء في العزيمة بصدق وقوة وبسالة ، والابتعاد عن التباطؤ والكسل فهما مثبطان للهمم مهلكان للنشاط ، كما ينبغي على الإنسان الا يكون متشائما،وألا يركن الى الخرافات والشعوذة ، فقدر الانسان بيد الله وحده :

إذا ما أردت الأمر فامض لوجهه وخل الهوينى جانباً متنائياً
ولا يمنعنك الطير مما أردته فقد خط في الألواح ماكنت لاقيا

وكذلك يعبر الشاعر الصعلوك تأبط شراً(٧٣) أنه يجب على الإنسان أن يحزم أمره ، ومهما نزل به من خطب فليقابل ذلك بالصبر والتجلد ولايحيد عن جادة الطريق ، أو يركن الى الفشل وأن يتحايل في كل الأمور حتى يقضي حاجته عن اطمئنان نفس واقتناع ، فهو حينئذ البطل المتحكم في نزوات نفسه المهيمن عليها بقوة وعزم وصدق إرادة :

إذا المرء لم يحتل وقد جد جده أضاع وقاسى أمره وهو مدبر
ولكن أخو العزم الذي ليس نازلاً به الخطب إلا وهو للقصد مبصر

والحلم من عفة النفس وإكرامها ، وقد أدرك تلك الحقيقة العديد من شعراء العصر الجاهلي ؛ فهذا **النابغة**(٧٤) يحض الإنسان ان يكون حليماً متسامحاً فإن ذلك من عزم الأمور ، وألا يركن الى الخيلاء فإنه لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولا ؛ فلابد من الاعتدال عفافا للنفس وترفعاً عن مواطن الخذلان ، فما جدوى التكبر والخيلاء لانسان تفني نفسه :

ولاتذهب بحلمك طاميات من الخيلاء ليس لهن باب
فانك سوف تحلم أو تناهى إذا ماشبت أو شاب الغراب

وعن إكرام النفس يتحدث الشاعر حاتم الطائي (٧٥) مبرزا ضرورة إكرام النفس فمن هانت عليه نفسه سهل هوانها على الناس ، وماكان الانسان ليضعف أمام قوة نفسه ويخذلها :

ونفســك أكرمهــا فإنــك تهن عليك فلن تلقــى لهــا الدهــر مكرما

وبنفس الطريقة يحدثنا الشاعر مالك بن حريم(٧٦) عن اكرام النفس وابعادها عن الفحش والشح ، ويزجرها عن أمور كثيرة تشينها حتى لايكون هدفاً للوم الناس ، وهذا تأكيد لمن يتبصر فى الأمور ويحزم فعله وهى سمة محببة :

وأكرم نفسى عن أمــور كثيرة حفاظــاً وأنهــى شحهــا أن تطلعا

وإكرام النفس أمر واجب على كل أبى عفيف ، كــما يقــول الشاعر زهير بن أبى سلمى(٧٧) على أن يتبصر فى معرفة حقيقة الناس ويفرق بين الصديق والعدو ، ويكون سنده فى كل مخططات حياته اكرام نفسه فى كل احوال إقامته أو ظعنه :

ومــن يغتــرب يحســب عدواً صديقه ومــن لايكرم نفســه لايكرم

ومن أجلِّ سمات البطولة النفسية أن يحكم الإنسان أمره ، يفكر فى عواقب الأمور قبل الإقدام عليها ، ويحفظ نفسه عن مظانّ الشر ، وما أحسن ان يتحكم المرء فى دوافعه وبخاصة وقت الغضب وأن يركن الى الحلم وإظهار حزمه لأموره فلا يندفع فى أمر يجلب له الشرور والتهلكة ، وهذا مارسمه الشاعر عبد قيس بن خفاف(٧٨) :

وإذا تشاجــر فى فؤادك مرة أمــران فاعمــد للأعف الأجمل
وإذا هممــت بأمــر شر فاتئد وإذا هممــت بأمــر خــير فافعل

ب ـ هجر التلون والنفاق :

من أحط الخصال الإنسانية أن يتلون المرء أمام الآخرين فى المواقف المتعددة وقد أدرك هذا شعراء العصر الجاهلى ، فرأوا أن من اكتمال عناصر البطولة الإنسانية فى البشر أن يكون الرجل على صورة واحدة ، يراه بها الصديق وغيره ، فمن ملك أمر نفسه وسيطر

عليها لايهاب الناس ولاينافقهم أو يتلون أمامهم ليعطفوا عليه أو يكون موضع إحسانهم وتقديرهم ، فكمال المرء فى ثبات خلقه ، وبطولته النفسية فى أن يكون لمرآته وجه واحد،لأن الزيف سرعانماينكشف وتعود الصفات الأصيلة الى أصحابها ، ويظهر وجهه الآخر ليعبر للقوم عن زيف الحقائق ، فالخير كل الخير أن يوطن الإنسان نفسه على موقف الصدق حين تسول له أن يتلون أو يتصرف تصرفاً مغايراً لما أثر عنه من سمات أصيلة . فهذا ذو الاصبع العدوانى[٧٩] يهتف قائلا :

كل امرئ راجع يوماً لشيمته وإن تخالق أخلاقاً الى حين

ومن صور التلون التى أدركها شعراء العصر الجاهلى أن ينعت المرء أخاه بما يكره فى غيبته ، وحين يلقاه يتخلص من هذا النعت ويأتى بالصفات الحميدة ، فكره الشاعر المثقب العبدى[٨٠] أن يكون بين المجتمع البشرى مثل هذا الرجل ودعا الى التخلق بحميد الصفات الانسانية ، فالتلون من صفات الحيوانات الدنيئة وما أنبل أن يقى الإنسان نفسه .

أما الشاعر **أوس بن حجر**[٨١] فيبرز لنا صورة الإخاء الصحيحة البعيدة عن التلون والنفاق معلنا ان الإخاء الصدق أمر ضرورى فى بناء صرح كيان المجتمع الإنسانى ، ولاتكتمل شمائل الناس إلا إذا عمهم صدق الأخوة وظهر كل إنسان على حقيقته أمام الآخرين :

وليس أخوك الدائم العهد بالذى يذمك إن وَلىَّ ويرضيك مقبلا
ولكن أخوك النناء مادمت آمناً وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلا

ومن خير أبيات **عنترة العبسى** تحذيره للبشر جميعا من خداع الرؤية والتلون ، وأن يكون المرء خبيراً بمن يعاشر ، ملمّا بكل أطراف حياته حتى لايقع فى شراك الغدر والمباغتة ، وتلك بطولة نفسية تدل على الفراسة وبعد النظر ، فشأن من يركن الى الناس ولايدرك حقيقة أمرهم ويطمئن دائما اليهم دون تجربة ، كشأن من يأنس الى الحية الرقطاء

ويتلمسها بيده وقد بهرت العيون بلونها ونعومة ملمسها ، فإذا أظهرت حقيقتها فهى الفتك والفناء الكامن تحت أنيابها يسرى فى دم الإنسان فيقضى عليه كما يقضى المتلون على سلامة المجتمع فاحذروه :[٨٢]

إن الأفاعــى وإن لانــت ملامسها   عنــد التقلــب فى أنيابهــا العطب

جـ . الوفاء بالوعد :

من أنبل الشمائل الإنسانية ان يكون الانسان وفياً بوعده ، باراً بما أخذ على عاتقه ولو كلفه ذلك مشقة وعناءً . فقد حضت آيات الكتاب المبين على الوفاء بالعهد فى مواقف عديدة منها قوله تعـالى« **بلى من أوفى بعهـده واتقـى فإن الله يحـب المتقـين** »[٨٣] « **والموفون بعهدهم إذا عاهدوا** »[٨٤] فهم أولئك الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه . فمن عجيب الأمور أن نجد بين شعراء الجاهلية من يخطط لسلامة المجتمع الإنسانى بالوفاء بالعهود ، وينمّى فى أبناء ذلك العصر تلك الفضيلة لأنها انتصار الإنسان على نفسه بعد صراع مرير يتجاذب طرفيه عاملان هما الخير فى الانجاز والشر فى الخلف والغدر ، فمن استطاع أن يغلب الجانب الأول فهو البطل الحرىّ بالإكبار .

وكان العرب فى جاهليتهم لايقدرون شيئا كما يقدرون الوفاء ، فإذا وعد أحدهم وعداً أوفى به ، وأوفت معه قبيلته[٨٥] حتى ولو كلفه ذلك أعز مايملك من متاع الدنيا .

وقد تسابق الشعراء فى هذا الميدان ، فجاء الأعشى[٨٦] **يحض على الوفاء بالعهد وأداء الأمانة حتى ولو كلفه ذلك حياته ، فيكفى أن يخلد ذكره بين الناس ليقال وعد فأوفى ، فهتف بنصائحه الغالية قائلا :**

ولاتعـدن النــاس مالســت منجزاً   ولاتشتمــن جاراً لطيفــاً مصافيا

وإن امــرؤ أســدى اليك أمانة   فأوف بهــا إن مت سميت وافيا

ويؤكد هذا المعنى فى مناسبة ثانية عن نفسه بقوله : :

وإنــى إذا ماقلــت قولا فعلته   ولســت بمخــلاف لقــولى مبدل

أماعامر **بن الطفيل**[88] فيعطى لنا صورة الإنسان قوى الإرادة البطل الحقيقى الذى إذا أصدر وعيداً نحو غيره ربما يتناساه ،.ولايقدم عليه لأن فيه الضرر والهلاك له أو للموعود ، أما إذا وعد فلابد من ان يكون حريصاً على الوفاء بوعده لما فيه من خير وعلو مكانة بين الناس جميعا فيقول :

وإنـــى إن أوعدتـــه أو وعدته لأخلف إيعـــادى وأنجـــز موعدى

ويأتى دور **زهير بن أبى سلمى** داعية السلام ليحض الناس على الوفاء بالعهد ويبصرهم بأن مكنون صدور القوم من خلق دفينة لابد ظاهرة للعيان فى يوم من الأيام وان طال عليها الزمن او خفيت عن الناس أحيانا ، فكمال المرء أن يكون واضحاً ، ظاهره كباطنه ، وبطولته أن يفى بما وعد دون حاجة الى كذب أو اختلاق الأعذار ، وأجدر بأن يكون سر المرء وديعة عند من طابت سريرته وجملت خصاله وحمدت بين الناس أفعاله ، فقال مرشداً للناس :[89] :

ومهما تكن عنـــد امـــرئ من خليقة وإن خالهـــا تخفـــى على النـــاس تعلم
ومـــن يوف لايذمـــم ومـــن يفض قلبه الى مطمئـــن البـــر لايتجمجم

د ـ الحرص وبعد النظر :ـ

لم يكن بغريب أن نجد بين شعر الجاهلية مايدعو الإنسان الى الحرص فى أمور حياته وبعد النظر فيما ينفذه أو يقدم عليه ؛ فالبطل فى عُرف الناس هو من يقدر لرجله قبل الخطو موضعها ، ويحسب حساب الزمن فى كل ظروف حياة الإنسان أهو معه أم عليه ، ويدرك بثاقب بصره كيف يتصرف فى الأمور وفق ناموس الحياة ، ولايأتى من نفسه بدعة وإنما يكون ذا تجارب وحنكة وخبرة ربما استقاها من غيره من ذوى العقول المفكرة والخبرات القديمة ..

وفى هذا المجال ينبرى **عبيد بن الأبرص**[90] **ليعطى لنا نمطاً من السلوك البشرى**

السليم الذى ينبغى أن يتجمل به الإنسان ليصير بطلاً ذا شمائل محمودة ، وتلك خصلة الطاعة وسماع نصح الغير ممن صقلتهم الحياة بتجاربها العديدة والخير كل الخير ألا يشذ الإنسان عن الجماعة فى مجتمع تباعدت أطرافه وحاقت به الاخطار من كل جانب ، فما أحوجه الى الحرص والتآزر والتناصح :

إذا كنت لم تعبأ برأى ولم تطع لنصح ولاتصغى الى قول مرشد
فلا تتقى ذم العشيرة كلها وتدفع عنها باللسان وباليد

ومن بُعد بصيرة الإنسان أن يجرب الناس قبل أن يحكم عليهم ، فالبطولة النفسية فى اتخاذ قرار بحكم على الآخرين ليس بالأمر الهين ، وإنما يحتاج الى تجريب وإخضاع لأسس مسلكية فى حياة الفرد والجماعة ، وتبيان مدى التلاؤم والتلاحم بين جميع الأطراف ، والخروج بأحسن النتائج وأنفعها للفرد ..
وهذا مايشير اليه الشاعر عبيد بن الأبرص بنصحه للناس :(٩١)

ولاتظهرن حب امرئ قبل خبره وبعد بلاء المرء فاذمم أو احمد
ولاتتبعن رأى من لم تقصه ولكن برأى المرء ذى اللب فاقتد

والحرص وبعد النظر يتمثلان فى قول تأبط شراً(٩٢) حين قال إن التأكد فى اتخاذ القرار لايوصل الإنسان الى الندم والتحسر ، طالما كان بعيد النظر مقدراً للعواقب ، ويضع الشىء فى موضعه السليم ، فهو الأمثل خلقاً والأجدر بالاحترام ، ولاغرابة أن يصدر ذلك النصح من شاعر ـ وإن كان من صعاليك الجاهلية ـ أسس البطولة النفسية فى شعره مألوفة ، وخصاله أمام جميع الناس معروفة ، فالعاقل من يقدر العواقب ويدرك منتهاها :

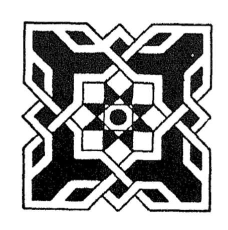
ولا أقول إذا ماخلة صرمت ياويح نفسى من شوق وإشفاق

ومن بطولة بعد النظر والحرص ألا يأتمن الإنسان خائنا ، سواء أكانت تلك الأمانة ماديه أم معنوية كالأسرار والود . ومن العجيب ان يظهر هذا السلوك فى مجتمع جاهلى

غلبت فيه علامات الخطف والنهب والسلب وأكل الأمانات واستطعام حقوق الناس ، ـ فإن الخئون لايصدقك وصحبته مهلكة لك وله ، والنسج على منواله كنسج العنكبوت بل هو أوهن ، وحياته شر مستطير ، وصاحبه مغرور كفور ، فما أجمل التحذير منه على لسان عبيد بن الأبرص(٩٣) حتى يكمل لوحات الشمائل الإنسانية فى الشعر الجاهلى :

إذا أنــت حمّلــت الخئــون أمانة فإنــك قد أسندتهــا شر مسند
وجدت خئــون القــوم كالعــرّ يُتقى وماخلــت غم الجــار الا بمعهدى

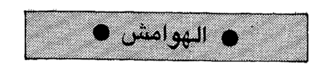
وبعد : فيضيق المجال عن ذكر كل مافى الخيال من صور البطولـة النفسية والشمائل الإنسانية وتحليها فى الشعر الجاهلى ويكفى هذا القدر أن يكون دليلا على صفاء نفوس بعض الشعراء وإحقاقاً لحقهم فى الحياة الشريفة فى تلك الفترة الجاهلية .



• المصادر •

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ الأصمعيات تحقيق الاستاذين احمد شاكر وعبدالسلام هارون ط٣ دار المعارف مصر ١٩٦٧ م .
٣ ـ أصول علم النفس د . احمد عزت راجح ط٩ المكتب المصرى الحديث بالاسكندرية ١٩٧٣ م .
٤ ـ جواهر الأدب احمد الهاشمى دار الفكر القاهرة د .ت
٥ ـ ديوان الحماسة لأبى تمام طبعة بولاق القاهرة ١٢٩٦هـ
٦ ـ حماسة البحترى المطبعة الرحمانية القاهرة ١٩٢٩
٧ ـ ديوان الأعشى فوزى عطوى بيروت ١٩٦٨
٨ ـ ديوان أوس بن حجر تحقيق د . محمد يوسف نجم بيروت ١٣٨٠هـ
٩ ـ ديوان حاتم الطائى كرم البستانى دار صادر بيروت ١٩٦٣
١٠ ـ ديوان زهير بن أبى سلمى تحقيق الاستاذ مصطفى السقا القاهرة ١٩٢٩
١١ ـ ديوان الشنفرى تحقيق عبدالعزيز الميمنى القاهرة ١٩٤٧
١٢ ـ ديوان طرفة بن العبد شرح الهمشرى القاهرة ١٩٠٠
١٣ ـ ديوان عامر بن الطفيل دار صادر بيروت ١٩٦٣
١٤ ـ ديوان عبيد بن الأبرص كرم البستانى دار صادر بيروت ١٩٦٤
١٥ ـ ديوان عروة بن الورد دار صادر بيروت ١٩٥٣
١٦ ـ ديوان عنترة العبسى تحقيق محمد سعيد مولوى ١٩٧٠
١٧ ـ ديوان قيس بن الخطيم تحقيق د . ناصر الأسدى دارالعروبة القاهرة ١٩٦٢
١٨ ـ ديوان النابغة دار صادر بيروت ١٩٦٠
١٩ ـ ديوان الهذليين دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٨

٢٠ ـ العصر الجاهلى د . شوقى ضيفَ دار المعارف القاهرة ١٩٦١
٢١ ـ لامية العرب دار مكتب الحياة بيروت ١٩٧٤
٢٢ ـ مختار الشعر الجاهلى تحقيق الاستاذ مصطفى السقا ط ٤ القاهرة ١٩٧١
٢٣ ـ المفضليات تحقيق الاستاذين احمد شاكر وعبدالسلام هارون ط٥ دار المعارف القاهرة ١٩٦٤
٢٤ ـ موسوعة الشعر العربى العصر الجاهلى بيروت ١٩٧٤



(١) أصول علم النفس ـ د . احمد عزت راجح ص٩٣
(٢) المصدر السابق ٩٦
(٣) المصدر السابق ٩٩
(٤) مختار الشعر الجاهلى ٢/٣٧
(٥) حماسة أبى تمام ٢/٤٩٢
(٦) سورة الشمس آية رقم ٩
(٧) ديوان عبيد ٨٦
(٨) لامية العرب ٥٧
(٩) لامية العرب ٤٣
(١٠) ديوان الهذليين ٢/١٢٧
(١١) المزلج : البخيل
(١٢) المفضليات ١٦٠
(١٣) يؤوس : نفور
(١٤) موسوعة الشعر العربى ـ العصر الجاهلى ـ ٢/٤٤٦
(١٥) ديوان عنترة ٢٤٩
(١٦) ديوان عنترة ٨٧
(١٧) مختار الشعر الجاهلى ٢/٢٩٠
(١٨) ديوان عنترة ٢٠٩
(١٩) لامية العرب ٨٣

(٢٠) مختار الشعر الجاهلى ٢/٣٠٢
(٢١) المفضليات ٤٢٢
(٢٢) ديوان عنترة ١٨٥
(٢٣) مختار الشعر الجاهلى ٢/٣٠١
(٢٤) لامية العرب ٨١
(٢٥) سورة النساء آية رقم ٣٦
(٢٦) العصر الجاهلى ٦٩ الدكتور شوقى ضيف
(٢٧) المفضليات ٤١٣
(٢٧) ديوان طرفة ١٣٥
(٢٩) مختار الشعر الجاهلى ٢/٢٨٦
(٣٠) المفضليات ٤١٠
(٣١) موسوعة الشعر العربى ـ العصر الجاهلى ـ ٤٨١
(٣٢) الأصمعيات ٦٣
(٣٣) أجمل : أستر
(٣٤) موسوعة الشعر العربى ـ العصر الجاهلى ـ ٢/١٨٨
(٣٥) موسوعة الشعر العربى ـ العصر الجاهلى ٥٨٩
(٣٦) مختار الشعر الجاهلى ٢/١٧٢
(٢٧) الشافعون : الدافعون
(٣٨) مختار الشعر الجاهلى ٢/١٧٥
(٣٩) موسوعة الشعر العربى ـ العصر الجاهلى ـ ١٧٨
(٤٠) الحميته : لون من الطعام يرب باللبن والسمن
(٤١) موسوعة الشعر العربى ـ العصر الجاهلى ـ ٥٠٩
(٤٢) ديوان عنترة ٣٠٨
(٤٣) ديوان عبيد بن الأبرص ١٣٢
(٤٤) مختار الشعر الجاهلى ٢/٥٧٧
(٤٥) المقرفون : المتهمون
(٤٦) ديوان حاتم ٣١
(٤٧) ديوان حاتم ٣٥
(٤٨) موسوعة الشعر العربى ـ العصر الجاهلى ـ ٤٩٣
(٤٩) مختار الشعر الجاهلى ٢/٣٦٦
(٥٠) مختار الشعر الجاهلى ٢/٣٧٣
(٥١) ديوان عروة بن الورد ٣١
(٥٢) مختار الشعر الجاهلى ٢/١٩٥
(٥٣) موسوعة الشعر العربى ـ العصر الجاهلى ٥٠٢
(٥٤) سورة البقرة آية رقم ٨٣
(٥٥) سورة البقرة اية رقم ٢١٥
(٥٦): سورة النساء آية رقم ١٣٥

(٥٧) سورة الأنعام آية رقم ١٥١
(٥٨) سورة الأسراء آية رقم ٢٣
(٥٩) شرح ديوان زهير للأعلم الشنتمر ٩٢ ط ١٣٠٦هـ
(٦٠) سورة الشورى آية رقم ٢٣
(٦١) سورة البقرة آية رقم ١٧٧
(٦٢) مختار الشعر الجاهلى ٢/٣٠٢
(٦٣) ديوان عبيد بن الأبرص ٦٧
(٦٤) ديوان عبيد بن الأبرص ٨٦
(٦٥) موسوعة الشعر العربى ـ العصر الجاهلى ـ ٥٠١
(٦٦) المفضليات ٤٥
(٦٧) مختار الشعر الجاهلى ٣٢٠
(٦٨) ديوان المثقب العبدى ٢٢٧
(٦٩) سورة البقرة آية رقم ٨٣
(٧٠) المفضليات ٢٦١
(٧١) الأصمعيات ١٧٥
(٧٢) حماسة البحترى ٢٥٨
(٧٣) موسوعة الشعر العربى ـ العصر الجاهلى ـ ١٠٥
(٧٤) مختار الشعر الجاهلى ١٩٢
(٧٥) موسوعة الشعر العربى ـ العصر الجاهلى ٥٠١
(٧٦) الأصمعيات ٦٣
(٧٧) مختار الشعر الجاهلى ٢٣٤
(٧٨) الأصمعيات ٢٣٠
(٧٩) المفضليات ٣٢٣
(٨٠) جواهر الادب ٢/٣٦٤
(٨١) ديوان أوس بن حجر ١٦٣ تحقيق محمد يوسف نجم
(٨٢) المفضليات ٧٥١
(٨٣) سورة آل عمران آية رقم ٧٦
(٨٤) سورة البقرة آية رقم ١٧٧
(٨٥) العصر الجاهلى ٦٩
(٨٦) مختار الشعر الجاهلى ٢/٣٠٢
(٨٧) مختار الشعر الجاهلى ٢/٣١٤
(٨٨) ديوان عامر بن الطفيل ٥٨
(٨٩) مختار الشعر الجاهلى ٢٣٤
(٩٠) ديوان عبيد بن الابرص ٦٦
(٩١) ديوان عبيد بن الأبرص ٦٧
(٩٢) المفضليات ٢٨
(٩٣) ديوان عبيد بن الابرص ٦٧

شعر : الأستاذ محمد بن محمد العلمى

شَطَّ المَزارُ وَهَزَّني الْوَجْدُ ... والقلْبُ مِنِّي بُلْبُلٌ يَشْدُو
وَالشَّوْقُ بالوِجْدانِ مُنْصَهِرٌ ... وَصَبَابَتِي ماحَدَّها حَدُّ
في العِشقِ سرٌ ليْسَ يُدرِكُهُ ... إلاَّ ذَووه ، ومَنْ بِهِ اعْتَدُّوا
وَاللُّطْفُ وَصْلٌ دائم أَبَداً ... وَمعَ المَحبةِ يَقْرُبُ البُعْدُ
وَصَدَى المحيط الى الخَليج غدا ... يَرْويهِ عَنَّا السَّهْلُ والنّجْدُ
وَمعَ الصفاءِ تَروقُ مَلْحَمَةٌ ... مِنْها استبان الحق والرُّشْدُ
وَمَع الولاءِ تدوم مَرْحَمَة ... في ظِلِ شَهْمٍ تَاجُهُ المَجدُ
وَأَرى الجَمالَ مَعَ الجَلالِ لَهُ ... رَمْزانِ رُوحُ كِلَيهِمَا فَرْدُ !
إنَّ العروبةَ مِلءِ مهجته ... وَلِسَانُها الشُّكْرانُ والحَمْدُ
وَطَبِيعَةُ الانسان تَطْبَعُهُ ... إذْ لَيْسَ مِنْ رُجْحانِها بُدُّ :
فالقائد المِغْوارُ تَحْرُسُهُ ... عَينُ الإلـه فَيَصْدُقُ الوَعْدُ
مِنْ نُخْبَةِ الابْطالِ طِينَتُهُ : ... إنّ الأُسُودَ شِعارُها (الفهد) !
يَسْعَى السعيد لخير أمته ... فَيَعُمُّها من سعيه السّعد
والكَوْثَرُ الفياضُ منه رَوَى ... عَقْلا سَلِيماً شَاقَه الوِردُ
إنَّ انتقادَ الذاتِ سيرته ... وَالنهج منه الوَغى والجدُّ
واذا غَفَتْ عَينٌ ، فانَّ لَهُ ... قَلْباً نَبِيلاً دأبُهُ السُّهْدُ
وَ (القُدْسُ) نَادَانا فَوَاجِبُنا ... صِدْقُ الجِهادِ لِيَحْسُنَ الرَّدُّ

فَبِالاتحاد تصولُ دَولتنا وَيَعز فى ميدانها الجُنْدُ
وَالعَهْدُ عَهْدِ اللّه يجْمَعُنَا ياحَبذا الميثاقُ وَالعهْدُ !

***

وَ (الْفَهْدُ) مِنْ (عَبْدِالعزيز) لَهُ سِرٌ بِهِ يَتأكَّدُ الْقَصْدُ :
مِثْل الْجُدودِ قَامَ هُنَا بأمانة يزكو بها الخلد
قَدْ فاحَ مِنْ أَسْمَى شَمائِلِهِ فى الْمُؤْمِنِينَ المسكُ والنَّدُّ
وَالصِّنْوُ (عَبْدُ اللّه) يحْفَظُهُ رَبٌّ بِهِ يَتَحَصَّنُ العَبْدُ
مِنْ أنْفَسِ الدُّرّ اليَتِيمِ لَقَدْ رَاقَ السَّنَا ، وتكامَل العِقْدُ
وَالشَّمْسُ لا تخْفَى أَشِعَّتُهَا فَمَعَ الحَقِيقَةِ ينتفى الضِّدُّ
وَالفَجْرُ مِنْ أبْهَى مَطَالِعِه فى العَالَمِينَ نراه يمتد !

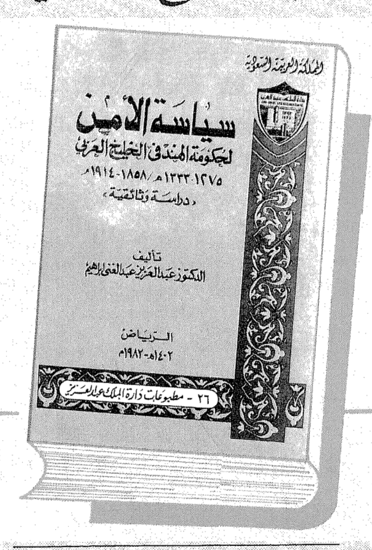
***

ياحارِسَ (البيتِ الحرامِ) ومَنْ فى (طيبَةٍ) أنْسَامُه ورد
دُمْ عُمْدَةَ الإسلامِ مُنْتَصراً فَمَعَ القَريحَةِ يَنْجَح الجَهْدُ
وَلتَبْقَ لِلآدابِ حَامِيَها فَالشِّعْر فيك مَذَاقه شهد !
ومن (الرباط) تحِيَّةٌ ترقى نَحْوَ (الرياض) يَبثها الوُدُّ
(حَسَنُ الشمائل) نَفحَةٌ عَبقَتْ مِنْ أصْلِهَا ، يَزْهُو بها الجد :
بمَسيرةٍ خَضْرَاءَ رَدَّ لَنَا صحراءنا وتحطمَ القَيْد
يَحْمِى السَّلاَمَ ، يصون حَوْزَتَهُ لَمْ يُثْنِهِ حَسَدُ وَلاَ حِقْدُ !
وَالوَالِدُ البَرُّ الرَّحِيمُ به يزْهُو هُنا ويفاخر الولد
(آل السُّعُودِ) نُجِلُّ مَوْقِفَهُمْ فَالنصر جاء به لنا الوَفْدُ !
وَالفَضْلُ فضلُ اللّه يشملنا مَاحَدَّهُ حَصْرٌ ولا عَدُّ
وَالقَلْبُ يَهْتِفُ « عَاشَ فَهْدُ » كُلَّما شَطَّ المَزارُ وَهَزنى الوَجْدُ !

***

عرض كتاب ...

سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي



عرض وتعليق د . عبدالله حسن الأشعل

الظواهر الصحية الهامة انتشار مراكز البحوث فى منطقة الخليج العربى التى تعنى بدراسات الخليج ودول الجزيرة العربيه دراسة وثائقية تحليلية من كافة قطاعات الحياة فيها : اقتصادية ، واجتماعية . وسياسية . وادبية . وثقافية ـ . وغيرها . ومن هذه الظواهر ايضا اتجاه هذه المراكز الى تنسيق جهودها سعيا الى تحقيق هدفها المشترك فى خدمة قضايا الخليج والجزيرة العربية . كما تقوم علاقات بين هذه المراكز ونظائرها فى الخارج

والدراسة التى بين ايدينا تقتضى ان ننوه بالقائمين على نشرها ، وهى دارة الملك عبدالعزيز ، التى تتقدم على مراكز البحوث السابق ذكرها ؛ حيث لا تقتصر اعباؤها على الخليج والجزيرة ؛ وانما تتعداها الى معالجة القضايا المتصلة بالعالمين العربى والاسلامى ، ولذلك تقوم الدارة بجهود كبيرة منوعة لخدمة هذه الاهداف ومن بينها طبع الكتابات المتعلقة بموضوع اهتمامها ، وتيسير تداولها بين اوسع طائفة من القراء . ولاشك أن هدفى من تقديم هذه الدراسة النقدية للقارئ يتحدد فى محاولة المساهمة فى استكمال ماقد يكون نقصا فى الأعمال المتعلقة بالخليج والجزيرة .

وينقسم الكتاب ـ الذى نعرض له ـ الى سبعة فصول ، تبدأ بمقدمة للتعريف بالفترة الزمنية للدراسة ، واستعراض عاجل لمحتوياتها ، وتنتهى بخاتمة تلخص فى عجالة بعض الأفكار العامة التى عنيت بها هذه الدراسة ، وقد اتبع المؤلف الخاتمة بملحقين الأول هو نص معاهدة ١٨٩١م بين مسقط وبريطانيا ، والثانى هو المعاهدة التجارية المتعلقة برحلات المراكب البحرية بين البلدين .

وتناول فى الفصل الأول وعنوانه (حراسة مياه الخليج العربى) محاولات الفرس للقيام بحراسة مياه الخليج ، وادخال نظام المراقبة عن طريق الابحار الدائم قبل أن تفكر الحكومة البريطانية فى الهند فى البحث عن قاعدة بحرية فى الخليج ، الامر الذى بدأت اولى خطواته العملية بعد الحملة البريطانية الأولى على الخليج عام ١٨١٩م

وخصص الفصل الثانى لمكافحة تجارة الرقيق ، كهدف فى الاستراتيجية البريطانية ، مسجلا ماهو معروف من ان بريطانيا قد اتخذت من حجة مكافحة الرقيق ذريعة لاجتياز

الخليج ، وقطع الخليج العربى عن زنجبار ، وابعاد المؤثرات الاجنبية عنه ولم يكن للدوافع الانسانية أثر فى تشكيل هذه السياسة ، وأفرد لتجارة السلاح فى الاستراتيجية الامنية للهند الفصل الثالث من الكتاب ، حيث تعقب الظروف « الحرب الافغانية ١٨٧٩ ـ ١٨٨٠م » التى لوحظ فيها رواج تجارة السلاح .. الأمر الذى ازعج القوى الاستعمارية ، فكان حظر تجارة السلاح الى افريقيا . والخليج احد مقررات مؤتمر برلين ١٨٨٥م ، لان تجارة السلاح كانت تقوى من مقاومة البلاد المحتلة ، وتشجع الثورات فيها ، مثلما حدث للثورات القبلية فى شمال غربى الهند ضد بريطانيا عام ١٨٩٧م . وهكذا وجدت بريطانيا من مصلحتها ان تحمل سلطان مسقط على اصدار اعلانات متتابعة لحظر تجارة الأسلحة ، ثم توسع السلطان فخول السفن البريطانية والفارسية حق تفتيش السفن التى تحمل اعلام فارس ومسقط وبريطانيا ومن مسقط اتجه العمل الى حظر تجارة السلاح فى كل من البحرين والكويت ، رغم ان الكويت كانت خاضعة للسيادة التركية . وهكذا امكن للحكومة البريطانية ان تقيم الامن فوق مياة الخليج العربى .

وعالج فى الفصل الرابع كيف ان العلاقات السياسية قد استخدمت فى خدمة الأمن فى الخليج ؛ من ذلك سعى حكومة لندن ـ دون علم حكومة الهند ـ لإصدار تعهد فرنسى بريطانى فى ١٠ مارس ١٨٦٢م ، باحترام سيادة سلطانى مسقط وزنجبار ، كما وجهت العلاقات بين حكومة الهند والسعوديين من ١٨٥٨ الى ١٨٧١م وجهة تخدم امن حكومة الهند فى الخليج ، اذ حاولت حكومة الهند ابعاد السعوديين عن التعامل مع مسقط ، أو التدخل فى شئون الخليج . وحاولت دون جدوى عقد محالفات بين البحرين ومسقط ضدهم ، وكانت تتحين الفرص للصدام معهم الا ان سياستها الثابتة كانت تقضى بعدم تعقبهم وكذلك حاولت حكومة الهند تحصين مسقط وغيرها من دعوة الوهابيين ، وابعاد السعوديين والفرس من الشاطئ خلال الفترة نفسها ، كما حرص البريطانيون ايضا على ابعاد القوتين عن البحرين التى افاض فى شرح تاريخها خلال الفترة موضع الدراسة ، دون ضرورة للسياق . وأشار الكاتب الى الاثر الذى أوجده استحداث الملاحة ووسائل الاتصال البرقية

فى تمكن الحكومة البريطانية فى لندن من شئون الخليج بشكل مباشر وانتقال الاشراف على الخليج الى لندن بدلا من حكومة الهند ؛ لأن الخليج فى رأى البعض قد بدأ أكثر قربا الى اوروبا منه الى الهند فضلا عن انتقال الاهتمام من جنوب الخليج الى شماله ؛ حيث مشروعات الملاحة النهرية التجارية والخطوط الحديدية وامتداد اسلاك البرق الى اوروبا .

ونظرا لأهمية ادخال البخار والبرق ، خصص الكاتب الفصل الخامس لدراسة اثرهما فى السياسة البريطانية تجاه الخليج ، حيث اضافت هذه التطورات فى قيمة الخليج الاستراتيجية الامنية ؛ فأصبح بالاضافة الى كونه بداية الحدود الامنية للهند شريانا للمعلومات . ويصل الكاتب الى نتيجة يخالف فيها بعض كتاب الغرب والناقلين عنهم من الكاتبين بالعربية ـ على حد تعبيره ـ مؤداها أن الازدهار التجارى الذى احدثه دخول البخار والبرق ، لم يكن سوى نهب منظم لثروات المنطقة حيث ادت هذه التطورات فى وسائل الاتصال الى نهب الفقراء الذين هزت هذه التطورات كل اقتصادهم التقليدى القائم على الملاحة الشراعية وتجار المخزن وصلت السفن البريطانية محل السفن الوطنية التقليدية .

وفى الفصل السادس يستعرض الكاتب المد الاقليمى وسياسة الاتفاقات المانعة ١٨٧١ ـ ١٨٩٨م ، مشيرا الى التعديلات التى دخلت على قواعد السياسة التقليدية البريطانية فى المنطقة لمواجهة المد التركى ؛ من ذلك هجر قاعدة عدم التدخل فى البر ، وتدخلها فى مسألة خور العديد لصالح شيخ ابوظبى « وذلك بغية وضع حد صريح للمد العثمانى ولتأديب القبائل فى المنطقة » وهذا التدخل كان بداية تغيير عام فى موقف بريطانيا من تركيا الذى كان يقضى بالحفاظ على اسرة عثمانية لخدمة المصالح البريطانية . وعالج الكاتب السياسة البريطانية تجاه قطر التى وقعت تحت سلطة العثمانيين ؛ فهى تارة تعترف بهذا النفوذ التركى فيها حتى عام ١٨٨٢م فى اطار السياسة البريطانية للتجزئة ، وهى تارة اخرى تنظر اليها كدولة عازلة غير مرتبطة بأى من البحرين أو تركيا .

وأخيرا تناول الفصل السابع المد الدولى وسياسة الاتفاقات المانعة ١٨٧١م حتى ١٨٩٨م لابعاد الخليج عن القوى الاجنبية وهى فرنسا وروسيا .

ونخلص من قراءة هذا الكتاب الى ان هناك خمسة ملامح لسياسة الأمن البريطانية فى الخليج وهى :

- الابحار الدائم فى صورة دوريات مستمرة قبل العثور على محطات ثابتة .
- تحديد النطاق الأمنى لمنطقة الهند ، بحيث لاتتعدى حدود الخليج الى ماوراءه .
- فصل الخليج عن الساحل الافريقى
- محاربة اتجاهات الضم والتوحيد والتركيز على التشتيت والتجزئة .
- التحكم فى مياه الخليج بحجة مكافحة تجارة الرقيق ، والعمل على التحكم فى تجارة السلاح .
- عزل الخليج عن العالم الخارجى وابعاد أية قوة خارجية من الاتصال بدولة مباشرة .

وبعد هذا العرض لنا على الكتاب أربع ملاحظات :

الملاحظة الأولى : ان الكاتب وقع فى لبس خطير عندما خلط بين امن الخليج بمفهومه الوطنى ، وامن الوجود الاستعمارى البريطانى فى فترة معينة ؛ فقد أشار صراحة فى مقدمته « صفحة ٩ » الى ان دراسته تنصب على امن الخليج العربى ، وترك الكاتب تحت انطباع قوى بان العلاقة بين قضية أمن الخليج الحالية وبين دراسته انما هى علاقة متصلة ، وان دراسته تهدف الى تأصيل هذه العلاقة واستعراض هذه القضية فى احدى مراحلها التى حددها الكاتب ، حتى ان « الدارة » وهى تقدم الدراسة قد عكست هذا الانطباع الذى اراده الكاتب إذ أشارت « صفحة ٧ » الى ان « قضية الأمن فى الخليج ليست بنت اليوم ، وانما ظهرت منذ ثلاثة قرون تقريبا .. ومرت بمراحل متعددة ، وهذا كتاب يبين احدى مراحل الصراع .. »

فالكاتب إذاً قد خلط بين امن اهل الخليج وبين وسائل تأمين الوجود والمصالح

البريطانية فى معركة الصراع الدولى للسيطرة على الخليج ، وتهديد أمن سكانه .

وعندما اشار الكاتب فى مقدمته الى ان تواتر موضوع امن الخليج حاليا بمعنى معين ارادت الصحف الاجنبية والعربية تثبيته فى اذهان اهل الخليج والعرب ؛ راودنى امل كبير فى انه مقدم - ولاشك - على تصحيح معنى الامن الذى تعمدت الاوساط الاجنبية غرسه فى اذهان اهل المنطقة فهو ولاشك مفهوم مغرض ويتعين تصحيحه . وظل هذا الأمل يراودنى من فصل لآخر حتى فرغت من الكتاب وفى نفسى هذا الأمل العزيز الذى غرس فى نفسى العزم على القيام بهذه المهمة فى دراسة مقبلة باذن الله .

والملاحظة الثانية : انه جميل من الكاتب ان يتعقب اجراءات الحكومة البريطانية لتأمين وجودها ، ولو انه استخدم نفس المعلومات التى تضمنتها دراساته السابقة حول بريطانيا وامارات الساحل وحكومة الهند والادارة البريطانية فى الخليج وحول السلام البريطانى فى الخليج وحول علاقة ساحل عمان ببريطانيا وقد وجدنا ان هذه الدراسات جميعا تستخدم نفس المعلومات المكررة ولا جديد فيها ، ولو انه استخدم المعلومات لتأصيل نقطة حيوية بسياق معين لكان افضل وانفع وأجدى من التكرار غير الضرورى فى خمسة كتب متعاقبة ولذلك صدرت أربعة منها خلال عامين اثنين هما ١٤٠١ - ١٤٠٢هـ .

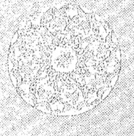
ولم نجد معنى لإصرار الكاتب على اضافة عبارة « دراسة وثائقية » لهذه الكتب الخمسة،فتاريخ مرحلة معينة لابد ان يستمد من الوثائق ، أتراه أول من يستخرج هذه المعلومات من هذه الوثائق البكر ؟ ام انه يقصد بها شيئا آخر ؟ ام لعله يخلط بين الدراسة الموثقة - وهذا طبيعى - وبين الدراسة الوثائقية التى لا تعنى سوى غلبة الوثائق والنصوص على الدراسة أى تدخل الكاتب . ؟

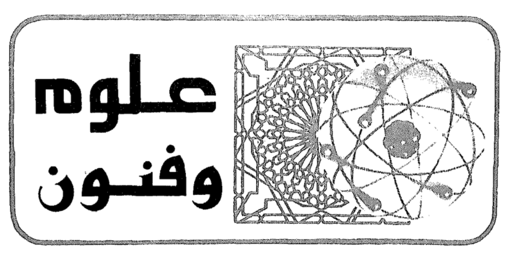
أما الملاحظة الثالثة فتنصب على لبس آخر أوقعنا فيه الكاتب الفاضل؛ذلك ان الاشارة المستمرة الى « الهند » دون تعريف بمعناها فى تلك الفترة يجعل القارئ يعتقد انها الهند الحالية ، وتلك كانت سياستها وممارستها بل انه امعن فى دفع القارئ الى هذا اللبس

باستخدام عبارات مثل « الأمن الهندى » (الفصل الرابع) والعلاقـات الهندوسعوديـة والاستراتيجية الأمنية للهند (الفصل الثالث) ، وخصوصا استخدامه فى عنوان (الفصل الثانى) عبارة الاستراتيجية الهندو بريطانية مما يعنى ان الهند وبريطانيا كانتا دولتـين مختلفتين . وخطورة دفع القارئ الى هذا الاعتقاد الخاطئ انه من الظلم ان يحمل الهند وهى واقعة تحت الاستعمار البريطانى ومقر قيادة المنطقة لغزواته ومنطلق فتوحاته ، تتحمل اوزار التاريخ الاستعمارى البريطانى فيحدث ذلك تشوها وخللا هائلا فى النظر الى تاريخ الهند ، وربما امتد هذا التشويه فى نظرة القارئ الى الهند الحالية التى كافحت للتخلص من الاستعمار البريطانى ، وكان انحسار هذا الاستعمار عن شبه القارة الهندية مدعاة لنقل مقر قيادته الى الخليج « البحرين »

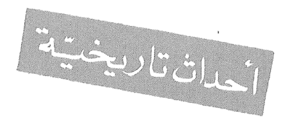
وأخيرا ، فان الملاحظة الرابعة تتعلق بأمور جوهرية شكلية ومنهجية فى البحث العلمى الصحيح لا اود الافاضة فيها ، فلعل الكاتب الفاضل على علم كامل بها نرجو ان يكون الحيد عنها قد جاء غفلا ؛ ولكنى اجد ضرورة الاشارة الى ان من افدح مااغفله الكاتب انه اورد فى صلب الكتاب نصوص اتفاقيات بلغتها التى صيغت فيها مما اربك القارئ ، وخالف اصول الكتابة العلمية .

ولكن هذه الملاحظات الموضوعية لايجب ان تثبط من همة الكاتب وإخلاصه لقضايا الخليج ، بل يجب ان تدفعه الى توثيق اجزاء أخرى من تاريخ الخليج وعلاقاته الدولية وبذلك يخدم التاريخ القومى العربى خدمة كبيرة .





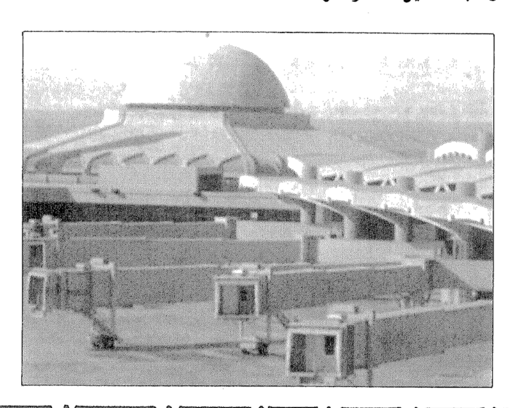
إعـــداد
الأستاذ مصطفى أمين جـاهين



● في يوم الأربعاء « ١٢ صفر ١٤٠٤هـ - ١٦ نوفمبر ١٩٨٣م » ، تفضل خادم الحرمين الشريفين « فهد بن عبدالعزيز» حفظـه الله بافتتاح مطار الملك خالد الدولى بالرياض ، والذى تبلغ مساحتـه ٢٢٥ كيلومتـراً مربعـاً ، ويضم هذا المطار خمس صالات سفر ، منهـا صالتان دوليتان ، وصالتان داخليتان ، والصالة الخامسة هى الصالة الملكية ، وغـير ذلك من المرافق والخدمات الأخرى .



ولقد أنشئ هذا المطار تكريماً لذكرى المغفور له الملك **خالد** بن عبدالعزيز الذى حكم المملكة العربية السعودية فى الفترة من « ١٣ ربيع الأول ١٣٩٥ إلى ٢٠ شعبان ١٤٠٢هـ ـ ٢٥ مارس ١٩٧٥ : ١٣ يونيو ١٩٨٢ » . وقد بدأ تشغيل المطار لشركات الطيران العالمية فى اليوم الأول من شهر ربيع الأول ١٤٠٤هـ (٥ ديسمبر ١٩٨٣م) وكانت أول طائرة تهبط أرض المطار قادمة من جدة ، وأول طائرة دولية كانت قادمة من صنعاء .



● فى ٢٥ شوال ١٣٦٤هـ « ٤ أكتوبر ١٩٤٥م » ، أول رحلة قام بها الملك عبدالعزيز « طيب الله ثراه » من عفيف إلى الحوية .

● أول مطار أنشئ فى المملكة هو مطار « جدة » ، كان فيه مدرجان مرصوفان طول أحدهما ٦٠٠٠ قدم ، والآخر ٦٣٥٠ قدماً ، وبلغت نفقات إنشائه ٤٠٤٥٠٠ دولاراً .

● فى عام « ١٣٦٤هـ » « ١٩٤٥م » تم تسليم أول طائرة تجارية للركاب ، وكانت من نوع دي . سى ـ ٣ داكوتا ، ثم طلب شراء طائرتين أخريين من نفس النوع ثم أضيفت إليها بعد ذلك عشر طائرات من طراز كونفير ١٣٤٠ عام ١٩٥٢م .

● فى عام ١٩٦٣م ، اشترت « السعودية » طائرتين من طراز بوينج ٧٢٠ ب .

● فى عام ١٩٦٥م ، انضمت « **السعودية** » إلى الاتحاد العربى للنقل الجوى .

● فى عام ١٩٦٧م ، انضمت « **السعودية** » إلى منظمة « **إياتا** » فأصبحت خطوطاً عالمية .

● فى عام ١٩٦٧م ، كانت أول الرحلات الخارجية للسعودية ، وكانت إلى **طرابلس** عن طريق بيروت ، وفى نفس العام أسس أول خط جوى إلى **جنيف** ، ثم **فراكفورت ولندن** ...

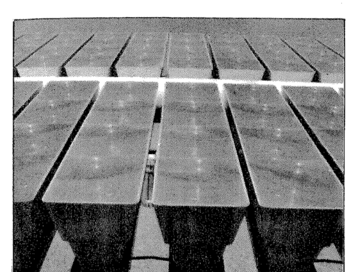
● فى ١٢/٤/١٣٩٦هـ ، صدر مرسوم ملكى رقم م/١٧ بشأن إلغاء رسوم المغادرة من مطارات وموانئ المملكة العربية السعودية .

■ ■ ■

● فى **١٩ صفر ١٤٠٤هـ « ٢٣ نوفمبر ١٩٨٣م »** افتتح جلالة الملك « **فهد بن عبدالعزيز** » المفدى ، مستشفى الملك خالد التخصصى للعيون ، والذى يحتوى على (٢٦٣) سريراً ، و (١٢) غرفة عمليات ، وجناحاً لغرف الإنعاش ، وقد زود المستشفى بالأجهزة التقنية النادر لخدمة المواطنين عامة .

■ ■ ■

● فى يوم **الثلاثاء « ١٢ المحرم ١٤٠٤هـ - ١٨ أكتوبر ١٩٨٣م »** ونيابة عن جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز ،افتتح صاحب السمو الملكى الأمير **سلمان بن عبدالعزيز** أمير منطقة الرياض أكبر **مشروع للطاقة الشمسية** فى

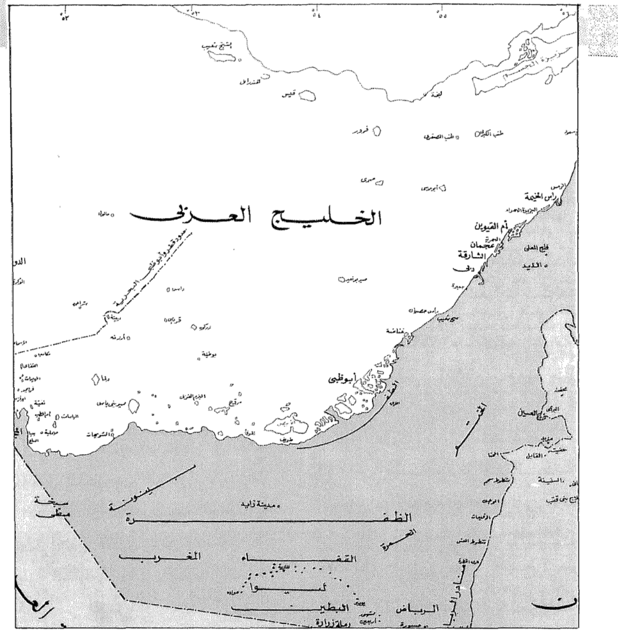


العالم ، حيث تحولت أشعة الشمس إلى تيار كهربائى . والمشروع يبعد عن مدينة الرياض بحوالى **٥٠ كيلومتراً** فى الشمال الغربى ؛ حيث ترقد ثلاث قرى صغيرة هى **العيينة** ، **الجبيلة** ، **والهجرة** .

وتقدر كمية الشعاع الواصلة إلى المتر المربع عند الشروق بـ ٢٥٠ وات ، وفى الظهيرة تصل إلى ١٠٠٠ وات ، وعند المغيب يتوقف الجهاز عن العمل ويستخدم نظام التخزين الذى يعتمده المشروع .

■ ■ ■

● فى يوم **الخميس « ٤ ربيع الأول ١٤٠٤هـ - ٨ ديسمبر ١٩٨٣م »** أعلنت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية ، عن اختيار صاحب الجلالة الملك « **فهد بن عبدالعزيز** » فائزاً وحيداً بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لهذا العام ؛ وذلك لما عرف به جلالته من عزيمة ثابتة وجهد صادق وعمل دائب فى خدمة الإسلام والمسلمين .



الإمارات العربية المتحدة في التاريخ

إن دولة الإمارات العربية المتحدة ـ التي تحتل ما كان يعرف سابقاً قبل عام ١٩٧١م بالإمارات المتصالحة ـ لم تحظ بعد ـ وحتى يومنا هذا ـ بما تستحقه من دراسة مستقلة خاصة ، إذ أن تاريخها الحديث قد عولج دائماً بصورة عابرة ، وفي نطاق تاريخ الخليج أو إقليم عُمان .

وقد أخذت هذه الإمارات في الظهور ككيان سياسي مستقل منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، ولعبت هذه الإمارات دوراً تاريخياً مهماً في تطور السياسة البريطانية في الخليج أثناء القرن التاسع عشر الميلادي . وازداد ثقل هذه الإمارات في الاستراتيجية البريطانية والدولية أوائل القرن العشرين ، وفيما بين الحربين العالميتين . وما إن بدأ عصر البترول في الخليج حتى قفزت هذه الإمارات لتحتل في سنوات قلائل مكانة مرموقة في عالم السياسة والمال ، وقامت بدور بارز في الأحداث العربية والدولية .

والإمارات السبع هي : « أبوظبي ، ودبي ، والشارقة ، وعجمان ، وأم القيوين ، ورأس الخيمة ، والفجيرة » التي أعلنت اتحادها في ٢ ديسمبر ١٩٧١م ، ويعني هذا الإعلان معنيين كبيرين :

● **الأول** : الاستقلال التام ونهاية فترة الحماية البريطانية وتولي بريطانيا شئون الإمارات الخارجية .

● **الثاني** : قيام الاتحاد بين الإمارات .

وقد عرفت هذه الإمارات منذ نشأتها بين أهل الخليج باسم « **إمارات الساحل** » ، أو « **إمارات ساحل عُمان** » ولكن بعد أن تدخل البريطانيون في أمور الساحل بعد الحملة البريطانية عام ١٨١٩م ، وتوقيع اتفاقية مع الإمارات اتفاقية ـ ١٨٥٣م ـ عرفت إمارات الساحل لدى الرسميين البريطانيين والخرائط الدولية باسم الإمارات المتصالحة وفي عام ١٨٩٢م ، عقدت حكومة الهند البريطانية مع الإمارات « **الاتفاقية المانعة** » التي مارست بها بريطانيا العلاقات الخارجية لهذه الإمارات وذلك نظير حمايتها . وهنا أصبح لإمارات الساحل وضع خاص في الكيان الدولي ، فهي إمارات مستقلة في شئونها الداخلية وليست بمحميات بالمعنى المتعارف عليه ، ولكن شئونها الخارجية والدفاع عنها هما مسئولية البريطانيين .

وقد مارست بريطانيا بعد هزيمة حملتها عام ١٩٢٠م ، ضد قبائل « بني بوعلي » في صور سياسة تقليدية سارت عليها حكومة الهند ، وهي سياسة عدم التدخل في شئون الجزيرة العربية الداخلية والاكتفاء بممارسة النفوذ في البحر والسواحل ، وقد مارست بريطانيا هذه

السياسة التقليدية فى الشئون الداخلية للإمارات ، ولكن بعد الحرب العالمية الثانية ، تدخلت وزارة الخارجية البريطانية - وهى المعنية وقتذاك بشئون المنطقة بعد استقلال الهند عام ١٩٤٧م - فى بعض الجوانب الداخلية ، بينما تغاضت عن بعض العلاقات الخارجية بين شيوخ الإمارات والدول العربية عندما اقتربت من سنوات الانسحاب من الخليج فى عام ١٩٦٨م ، **ونتيجة لذلك سارت الدولة منذ نشأتها فى خطوات ثابتة نحو توثيق عرى التوحيد والترابط ، وقد أثبتت هذه الدولة قدرتها على النمو والتقدم فى جميع المجالات المختلفة .**

● أخبار ● أخبار ● أخبار ●

الدورة السابعة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية بدولة البحرين

● شارك سعادة **الشيخ عبدالملك بن عبدالله آل الشيخ** الأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز ، ورافقه الاستاذ **عبدالرحمن بن عبدالعزيز السراء** ، فى اجتماعات الدورة السابعة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربى والجزيرة العربية التى عقدت فى دولة البحرين بتاريخ ٢٨ **نوفمبر** ١٩٨٣م .

وتناولت اجتماعات الدورة الموضوعات المطروحة فى جدول الأعمال ، وأهمها بحث سبل جلب الوثائق التى تهم المنطقة من مصادرها فى الخارج ، والتنسيق بين المراكز فى هذا العمل ، وتوطيد العلاقات وتبادل الآراء حول القضايا والمسائل التاريخية والاطلاع على ما يستجد من دراسات فى بعض المراكز والهيئات العلمية خارج المنطقة ، وكذا تدعيم الصلات بين المراكز بتبادل المطبوعات والوثائق وغير ذلك من مصادر ومراجع تفيد الباحثين والدارسين .

■ ■ ■

● فى المدة من ١ : ٦ من شهر صفر ١٤٠٤هـ الموافق من ٥ : ١٠ نوفمبر ١٩٨٣م ، اجتمعت اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم بوزارة المعارف مع خبراء ومسئولى مراكز التوثيق فى البلاد العربية بمدينة الرياض ، والذى نظمته إدارة التوثيق والإعلام بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وقد مثل الدارة فى هذه الندوة الاستاذ **حمد العمرو** المشرف على مركز الوثائق والمخطوطات بالدارة .

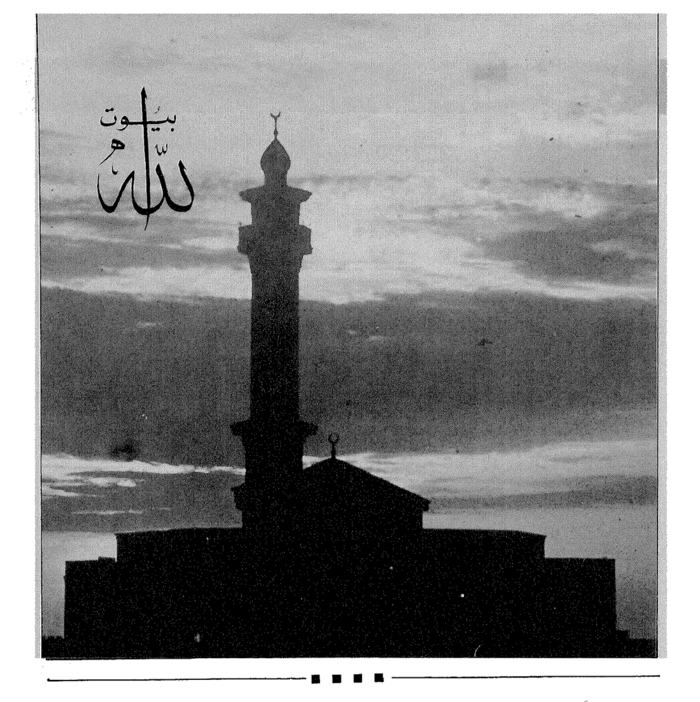
هذا وقد شملت الندوة عدة دراسات وبحوث وتقارير هامة انتهت بعشرين توصية فى مجالات مختلفة لأعمال التوثيق والمعلومات للأقطار العربية .



سمو الأمير طلال بن عبدالعزيز في زيارة للدارة

● قام صاحب السمو الملكي الأمير **طلال بن عبدالعزيز** بزيارة الدارة ، وكان في استقبال سموه ، سعادة الشيخ **عبدالملك بن عبدالله آل الشيخ** الأمين العام للدارة ، وكبار المسئولين فيها .

شملت زيارة سموه قاعة الملك عبدالعزيز التذكارية ، والمكتبة ، ومركز الوثائق والمخطوطات ، والبحوث ، وقسم ترميم الوثائق والمخطوطات ، والتجليد ..



محضر أعمال وقرارات وتوصيات الدورة السابعة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية

بدعوة كريمة من سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة وزير العدل والشئون الإسلامية ورئيس مركز الوثائق التاريخية فى البحرين ، انعقدت الدورة السابعة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية فى البحرين فى الفترة ما بين ٢٣ ـ ٢٥ صفر ١٤٠٤هـ الموافق ٢٨ ـ ٣٠ نوفمبر ١٩٨٣م .

وقد اكتمل وصول الوفود يوم ٢١ صفر ١٤٠٤هـ الموافق ٢٧ نوفمبر ١٩٨٣م إلى فندق شيراتون فى البحرين ، وقد شارك فى هذه الدورة :

● الأمانة العامة للمراكز :
١ ـ الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار ـ الأمين العام للمراكز .
٢ ـ الدكتور عبدالحسين مبارك .
● مركز الوثائق والدراسات ـ أبوظبى :
١ ـ الدكتور محمد مرسى عبدالله ـ مدير المركز .
● مركز الوثائق التاريخية ـ البحرين :
١ ـ سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة وزير العدل والشئون الاسلامية ورئيس المركز .
٢ ـ الدكتور على عبدالرحمن ابا حسين ـ مدير المركز .
● دارة الملك عبدالعزيز ـ الرياض :
١ ـ الاستاذ عبدالملك بن عبدالله آل الشيخ أمين عام الدارة .
٢ ـ الاستاذ عبدالرحمن عبدالعزيز السراء .
● قسم الوثائق والأبحاث ـ الدوحة :
١ ـ الاستاذ أحمد عبدالمحسن العنانى ـ رئيس القسم .
٢ ـ الاستاذ أحمد جاسم مفتاح .
● مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ـ جامعة الكويت :
١ ـ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم رئيس تحرير المجلة .
● مركز الدراسات والبحوث اليمنى ـ صنعاء :
١ ـ الاستاذ أحمد حسين المرونى .
٢ ـ الاستاذ محمد أحمد الرعدى .
● مركز الوثائق والدراسات الانسانية ـ جامعة قطر :
١ ـ الاستاذ محمد قافود
٢ ـ الاستاذ يوسف النعمة
● مركز التربية العربى لدول الخليج ـ الرياض :
١ ـ الدكتور توفيق اليوزبكى .

وقد افتتحت الدورة السابعة فى الساعة الثامنة من صباح يوم الأثنين ٢٣ صفر الموافق ٢٨ نوفمبر حيث ألقى سعادة الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة كلمة افتتاح الدورة . كما ألقى الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار كلمة حول الأمانة ونشاطها خلال العام وفى الساعة العاشرة صباحا صحب الوفود سعادة الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة لزيارة سمو أمير البلاد الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة ورئيس الوزراء سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة . وقد شكر الأمين العام الدكتور مصطفى النجار أمير البلاد لكرم الضيافة ، وأثنى على تشجيع سموه لنشاط وأهداف المراكز والهيئات بصفة عامة ، ومركز الوثائق التاريخية فى البحرين بصفة خاصة .

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر صاحبت

الوفود المشاركة فى الدورة السابعة سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة فى افتتاح معرض كتاب البحرين المقام بقاعة السفراء فى فندق الدبلومات .

وقد أعد ركن فى هذا المعرض للكتب ومنشورات المراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربى والجزيرة العربية .

وفى الساعة السابعة مساء أقام سعادة الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة حفل عشاء فى فندق شيراتون للوفود المشاركة فى الدورة السابعة .

وفى صباح الثلاثاء ٢٤ صفر الموافق ٢٩ نوفمبر عقدت الجلسة الثانية للمراكز والهيئات وتم فى بداية الجلسة اختيار سعادة الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة رئيسا للدورة السابعة . كما تمت الموافقة على اختيار الدكتور على عبدالرحمن أباحسين مقرراً للدورة . وتشكلت لجنة لصياغة أعمال الدورة وتوصياتها وقراراتها على النحو التالى :

الاستاذ أحمد عبدالمحسن العنانى - عضواً .
الاستاذ عبدالرحمن عبدالعزيز السراء - عضواً .
الاستاذ محمد أحمد الرعدى - عضواً .

وبعد ذلك أشار الأمين العام الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار إلى ضرورة أن يسلم كل مركز وهيئة بحثه الخاص إلى الدكتور على عبدالرحمن أباحسين وذلك لنشره فى الكتاب السنوى لأبحاث الحلقة السابعة .

وعلى الأثر طلب سعادة الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة من رؤساء الوفود قراءة تقاريرهم حول أحوال مراكزهم أو هيئاتهم خلال العام وبيان منجزاتهم ومنشوراتهم من الكتب والدوريات وقد تحدث على التعاقب :

الدكتور محمد مرسى عبدالله - مدير مركز الوثائق والدراسات - ابوظبى
الاستاذ عبدالملك بن عبدالله آل الشيخ - دارة الملك عبدالعزيز
الدكتور عبدالحسين مبارك - مركز دراسات الخليج العربى - جامعة البصرة
الدكتور عبدالله بن يوسف الغنيم - مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية
الاستاذ احمد عبدالمحسن العنانى - قسم الوثائق والأبحاث - الدوحة
الدكتور محمد قافود - مركز الوثائق والدراسات الانسانية - جامعة قطر
الاستاذ احمد حسين البرونى - مركز الدراسات والبحوث اليمنية - صنعاء
الدكتور توفيق اليوزبكى - مركز التربية العربى لدول الخليج - الرياض

وفى الساعة السادسة مساء يوم الثلاثاء ٢٤ صفر الموافق ٢٩ نوفمبر عقدت الوفود جلستها الثالثة ، وبعد تحديد موضوعات البحث التى تهم الأمانة العامة والوفود

المشاركة فى الدورة السابعة ، جرت مناقشة تفصيلية لهذه الموضوعات .

وفى صباح الاربعاء ٢٥ صفر الموافق ٣٠ نوفمر أقرت الوفود المشاركة فى الدورة السابعة هذه القرارات والتوصيات ..

اولا : تشكر الامانة العامة ورؤساء الوفود وأعضاؤها المشاركون فى الدورة السابعة للمركز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية صاحب السمو أمير البلاد الشيخ عيسى بن سلمان الخليفة وصاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان الخليفة وصاحب السمو ولى العهد الشيخ حمد بن عيسى الخليفة لما لقوا من رعاية وترحاب لهم وللدورة السابعة فى دولة البحرين ، وقد تقرر إرسال برقيات من الأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية لدول الخليج والجزيرة العربية . وتثنى الامانة العامة والوفود المشاركة على حسن الاستقبال والتنظيم لهذه الدورة واقامة معرض كتب ومنشورات المراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية وكذلك تنظيم الندوة العلمية (البحرين عبر التاريخ) التى ستعقد فى البحرين فى الفترة مابين ٢-٩ ديسمبر ١٩٨٣ تلك الندوة التى ستسهم فى إثراء الابحاث العلمية حول البحرين ومنطقة الخليج والجزيرة العربية ..

كما تقدم الامانة العامة والوفود خالص الشكر والثناء للدكتور على عبدالرحمن ابا حسين مدير مركز الوثائق التاريخية على الجهد الذى بذله فى إنجاح الدورة السابعة للمراكز والهيئات ومعرض الكتاب المصاحب لها ، وندوة البحرين عبر التاريخ ..

ثانيا :تشكر الامانة العامة والوفود المشاركة سعادة الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة لاستضافته وفد الوسائل التاريخية للدورة السابعة للمراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية .

ثالثا : تبدى المراكز والهيئات تقديرها الكبير للجهد البارز والدأب المستمر الذى يقوم به الأمين العام الدكتور مصطفى النجار فى تحقيق رسالة الأمانة وتقدم له عاطر شكرها على الجهد الذى بذله مع مركز الوثائق التاريخية فى البحرين لنجاح هذه الدورة السابعة للمراكز والهيئات ..

رابعا : وافق المجتمعون على قبول مركز الوثائق والدراسات الانسانية فى جامعة قطر عضوا عاملا فى الامانة العامة كما تمت الموافقة على قبول مركز التربية العربى لدول الخليج فى الرياض والمركز الوطنى للوثائق فى بغداد عضوا مراقبا ..

خامسا : تشكر الامانة العامة والمراكز والهيئات دعوة الدكتور عبدالعزيز المقالح رئيس مركز الدراسات والبحوث بالجمهورية العربية اليمنية استضافة الدورة الثامنة فى صنعاء .. وقد تقرر قبول الدعوة كما تقرر انعقادها فى شهر ابريل ١٩٨٥ .

سادسا : يوصي المجتمعون أن توثق المراكز والهيئات تعاونها العلمي مع اجهزة مجلس التعاون لدول الخليج العربية حينما يطلب منها ذلك

سابعا : يوصي المجتمعون بالاستجابة لدعوة وزارة الاعلام والارشاد فى السودان لإقامة اسبوع خليجي فى الخرطوم يبدأ يوم ٥ فبراير ١٩٨٤ . وعلى المراكز والهيئات ان تحصل على الموافقات الرسمية للمشاركة فى هذا الاسبوع . وترسل الكتب والمنشورات العلمية لمعرض الكتاب الخليجي على وجه السرعة الى السيد احمد شيلاب مدير عام الثقافة والارشاد فى وزارة الاعلام والارشاد بالخرطوم ..

ثامنا : يوصي المجتمعون بالاستجابة لدعوة المعهد العربي الأسباني فى مدريد لإقامة أسبوع خليجي هناك فى شهر اغسطس ١٩٨٤م

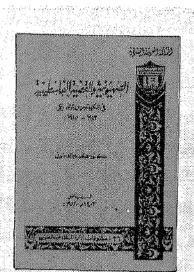
كما يشكر المجتمعون سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة . كريم تلبيته ان يكون هذا الاسبوع تحت رعايته .

تاسعا : يطلب المجتمعون أن يحدد ويرسل مركز الدراسات والبحوث اليمنية فى صنعاء بيانا بأسماء الكتب وفهارسها والمخطوطات التى يرغب فى طباعتها الى المراكز والهيئات الاعضاء فى الامانة العامة . ويوصي المجتمعون ان يترك لكل مركز وهيئة اختيار الكتاب الذى يرغب فى طباعته على نفقته . ويترك للامانة العامة ومركز الدراسات والبحوث اليمنية والمراكز والهيئات تنظيم امور النشر فى اسلوبه ..

عاشرا : يوصي المجتمعون بضرورة متابعة المراكز والهيئات قضية حفظ الوثائق الادارية للدولة ورعايتها لدى المسئولين فى كل دولة من دول الخليج؛ حيث ان هذه الوثائق لم تلق بعد الرعاية اللازمة لها من حفظ وتنظيم فى اغلب دول الخليج والجزيرة العربية ..

حادى عشر : يوصي المجتمعون بضرورة تبادل فهارس الوثائق بين المراكز والهيئات وكذلك يؤكدون على ضرورة تعميق التعاون فيما بينهم وخاصة فى تبادل الكتب والمنشورات العلمية . ويطلبون من الامانة العامة التنسيق بين المراكز فى مجال الابحاث ، كما يوصي المجتمعون بالاهتمام بكتب الرحلات فى العصر الحديث فى الخليج والجزيرة العربية وتبادل صور منها بين المراكز لتكتمل هذه المجموعة فى المركز ..

ثاني عشر : يوصي المجتمعون ان تعقد الهيئة التنفيذية للامانة العامة اجتماعاتها فى ابو ظبي فى وقت تحدده الامانة العامة وذلك لمراجعة النظام الداخلي للامانة ليواكب نمو الامانة وتطور نشاطها ويعرض النص الجديد على المراكز والهيئات فى اجتماع صنعاء فى ابريل ١٩٨٥م .

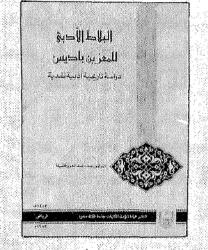


● الصهيونية والقضية الفلسطينية فى الكونجرس الأمريكى ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥م

ـ تأليف الدكتور عاصم الدسوقى .

ـ من مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز « ٣٦ » .

الطبعة الأولى « ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م » « ١٧٢ صفحة » .



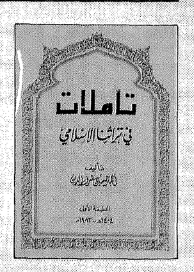
● البلاط الأدبى للمعز بن باديس

« دراسة تاريخية أدبية نقدية »

ـ للدكتور عبده عبدالعزيز قلقيلة

ـ من مطبوعات عمادة شئون المكتبات . جامعة الملك سعود .

الطبعة الأولى « ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م »

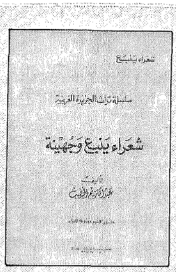


● تأملات فى تراثنا الإسلامى .

تأليف أحمد حسين شرف الدين .

الطبعة الأولى « ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م »

« ٢٣٧ صفحة » .



● شعراء ينبع وجُهينة

« سلسلة تراث الجزيرة العربية »

تأليف : عبدالكريم الخطيب

« ١٨٠ صفحة »

● أعلام الصحابة « ٢ »

عمر بن الخطاب

أمير المؤمنين

محمد على مغربى

« ٤٣٢ صفحة »



● أبيات المعانى فى شعر المتنبى

« دراسة أدبية نقدية مقارنة »

- تأليف الدكتور عبده عبدالعزيز قلقيله .

- من مطبوعات الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون .

الطبعة الأولى « ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م »

« ٢٦٤ صفحة » .

3 . Jerusalem — Jalilee :

This road passes through Ram —Allah, Qalqiliah, Tolkodm, Nablus, Samaria then Jalilee .

Jerusalem in history :

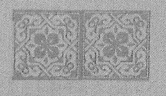
Of the ancient east, Jerusalem stands as the most well — known city in history owing to its famous sacred and historical monuments which are of supreme significance to the three great monotheistic religions : Judaism, Christianity and Islam.

For Muslims, Jerusalem has its main religious monuments which points out the legal Arab right throughout the different stages of history. The most famous is "Beit Al—Maqdes" the Sacred House, The Mosque of Omar and the Dome of the Rock which is considered as one of the most wonderful "edifices" in the world .

It is indeed a land of great spiritual interset which is considered, for Muslims, a religion statured land, analogo to Mecca and Medina .

Now having displayed the historical background of Jerusalem, in particular and of Palestine in general, isn't it a false claim of the Israeli propaganda to assume the so—Called "Historical Right" in Palestine ?

It is only history that can give the right judgement to such a false and illusive claim .



Jerusalem Geography:

Jerusalem , as a city, is distinguished for its strategic situation. it is situated on latitude 31 North, longitude 35 East, about fifty Kilometres of the Mediteranean Coast. The City stands on a plateau, surrounded by hills, eight hundred metres above sea level. The City is Surrounded by some famous mountain Peaks, Jabal Masharef (Mount Scopus) to The North, Zeitun (The Mount of Olives) to The West.

Jerusalem Routes :

Historians differ in the way of Building cities. They have some basic Considerations for the choice of a city's site which they think very necessary for the possibiliy of people's habitation.

There must exist the source of water without which life may become impossible. A city's location must also be safe and fortified against any strange forces . This is what we call "Strategy" which facilitates the process of trading and building up relations with neighbouring countries.

Hence, it seems quite necessary here to sketch an illustration of the nature of Jerusalem routes whith link the city with the other main cities in Palestine.

1 . Jerusalem — Jaffa :

This is a rough road that passes through mountains till it reaches the coastal plain, it measures about 67 K.m.

2 : Jerusalem — Hifa :

This road goes by Ram—Allah and Nablus.

the city was inhabited by the Arab race as long as ten thousand years ago.
Both ancient and modern names given to jerusalem evidently inidicate the Arab origin and character of the city.
The Various historical names of the city and the scientific Views of their intrepretation:

Jerusalem was first mentioned in Egyptian texts of the nineteenth and eighteenth centuries B.C. and was probably called "Rushalimum".
In the Tel EL-Amarna tablets, which were sent by Abd-Hiba to the pharaoh of Egypt in the Fourteenth Century B.C. we find it named by "Ur-Salem".

Historically Speaking, these tablets were sent as requests for help against the attacks of the "Habiru".
Then, it was called the "city of David". This was after David the Prophet captured it, but this name did not endure for long and the name "Ur-Shalem" came to replace it.
For the Canaanites the City was Known as "Ur-Salem" that means the City of Peace.

When Hadrian, the Roman Emperor conquered it, at the beginining of the second century AD.,the city was given the name of "Aelia Capitolina". Hadrian gave his orders not to allow any jews to enter the City. "He broke through the Walls and burnt the Temple". Jerusalem had remained thus known as Aelia till it surrendered to the Muslim Arab Armies under the second Caliph Omar IBn AL-Khattab in 637.

At that prticular period, the city appeared with several Arabic names: "AL-Quds, means the "Sacred", "Beit EL-Maqdes" means "the House of Peace".
Such evidences as these do in some measure reflect an apparant reality that all the historical names of Jerusalem are of Arabic origin whether ancient or modern.

This is a research intended to throw more Light on the history of Jerusalememphasizing the fact that this holy city is an Arab Islamic one. As a matter of fact, Jerusalem is a unique cultural phenomenon because of its religious significance to Muslims who revere it as one of the three holiest cities next to Mecca &nd Medina.
It is the city of "Al-Aqsa Mosque" which had been the "First prayer Direction" for Muslims, "Quibla". For the firt time in the history of the human race, God has selected it as a holy place for "Monotheism". Many prophets have had their messages at Jerusalem.

God the Almighty has actually elevated it when He transported the Prophet Muhammad (Peace and Prayer be upon him) by Night to the Remote House of Worship (AL-Aqsa Mosque). This Night Journey, which in Islam is Called "Israa", has been mentioned in the Holy Quran as an indication of the glory and Sacredness of the "Aqsa Mosque" "Which" has been blessed by God" as descerібed in the Quranic verse: "Limitless in His Glory is He Who transported His servant (Muhammad) by Night from the inviolable House of Worship at (Mecca) to the Remote House of Worship (at Jerusalem), the environs of which We had blessd".
It is a well-established fact that the Islamic religion has made pilgrimage as one of the Five basic supports upon which Islam is built.

In the Middle ages, Jews had lived under Muslim's protection, witnessing the Muslins' festival of their pilgrimage. They had seen Muslims sacrificing their souls for the sake of Jerusalem when the Crusaders invaded it. This has created in themeslves a great sense of devotedness towards Jerusalem. That jerusalem was inhabited by various tribal names who were the dominat inhabitants of the Whole of Palestine throughout historic and prehistoric periods, is an undoubted fact that most books of history ascertain. For Some historians,

” Jerusalem is an Arab Islamic City“

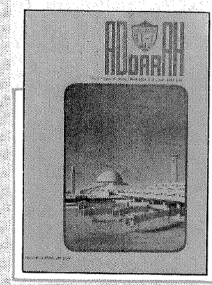
□□□□□

by:

Dr. Sayed Farag Rashid

Abridged and translated by:

Abdul Salam Abdul Monem



Cover Picture: King Khaled International Airport In Riyadh

The writers' views do not necessarily reflect those of the magazine.

Articles are arranged technically regardless of the writer's prestige.



- Saudi Arabia: 15 Riyals.
- **Arab Countries:** The equivalent of **15** Riyals.
- **Non-Arab Countries:** US $ **6.**

Articles can not be returned to awthors whether published or not.

PRICE PER ISSUE

— **Saudi Arabia**	:	**2** Riyals
— **U. A. E.**	:	**4** Dirhams
— **Qatar**	:	**4** Riyals
— **Egypt**	:	**25** Piastres
— **Morocco**	:	**4** Dirhams
— **Tunisia**	:	**350** Milliemes
— **Non-Arab Countries**	:	**1** U.S. $

DISTRIBUTORS

Saudi Arabia: Al-Greisy Distributing Est., P.O. Box 1405, Riyadh, Tel.: 4022564.

Abu-Dhaby: P.O. Box 3778, Abu-Dhaby, Tel.: 323011.

Dhubai: Dar-Al-Hikma Library, P.O. Box 2007, Tel.: 228552.

Qatar: Dar- Al-Thakafa, P.O. Box 323, Tel.: 413180.

Bahrain: Al-Hilal Distributing Est.,Manama, P. O. Box 224, Tel.: 262026.

Egypt: Al-Ahram Distributing Est., Al-Gataa Street, Cairo, Tel.: 755500.

Tunisia: The Tunisian Distributing Company, 5, Nahg Kortaj.

Morocco: Al-Sharifia Distributing Company, P.O. Box 683, Casablanca, 05.



All correspondence should be directed to the Editor-in-Chief. Tel.: 4417020

Editorial Director: Tel.: 4413944

Annual Subscriptions are to be directed to the Secretary General of-Addarah Tel: 4414681

Editorial Board: Tel: 4412316- 4412317- 4412318- 4412319



IN THE
NAME OF ALLAH.
THE MERCIFUL.
THE BENEFICENT

Quarterly magazine issued by King Abdul Aziz Research Centre

Rabi Thani 1404 A.H. / Jan. 1984 A.D. | Ninth Year | **No. 3**

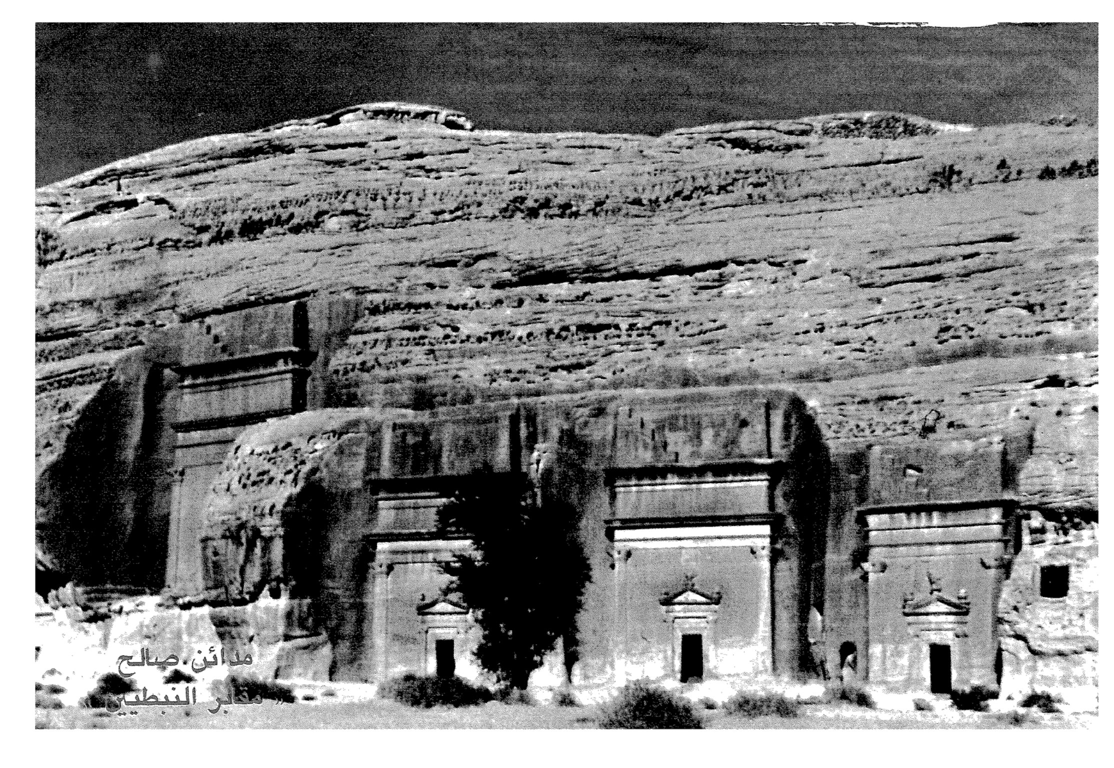
- Established by a Royal Decree No. M/ 45 dated 5/8/1392 A.H. as an autonomous body with independent juristic identity.
- Run by a Board of Directors vested with full authority to have its objectives materialized.

Objectives:

- To Further studies pertaining to the history of the Kingdom, its geography, literature, intellectual and cultural heritage in particular as well as those of the Arab and Islamic world in general.
— To issue a cultural magazine carrying its name **ADDARAH.**
- In accordance with the Royal approval No. 5/12608 dated 20/5/1396 A.H. the Centre has become the home of the National Saudi Archives and Manuscripts.

P.O. Box [illegible] Riyadh [illegible] Kingdom of Saudi Arabia

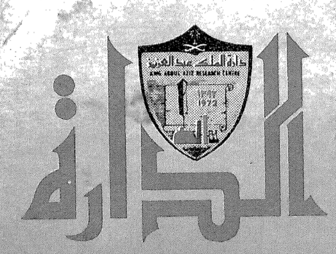
Printed by DAR EL BILAD —Jeddah


مدائن صالح
مقابر النبطيين



No. 3 - Year 9 - Rabi Thani 1404 A.H., Jan. 1984 A.D.

الاخراج الفنى والطباعة بدار البلاد بجدة

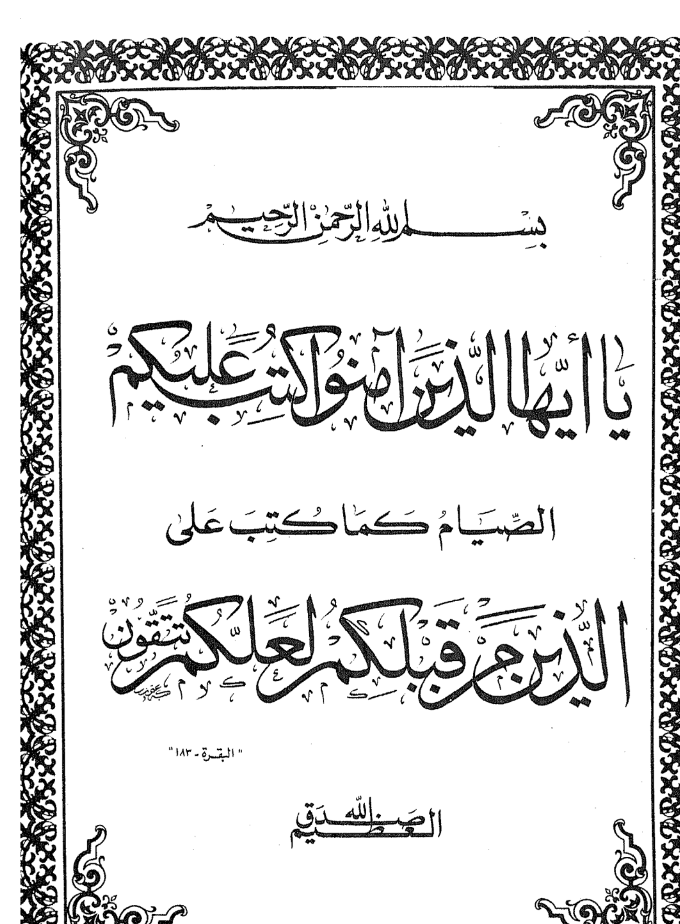


العدد الرابع - السنة التاسعة - رجب ١٤٠٤هـ - ابريل ١٩٨٤م

حلة العبدرى
إلى الحجاز .

على ضفاف
العربية .

البحر الأحمر
وشعبه المرجانية .


بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على
الذين من قبلكم لعلكم تتقون
" البقرة - ١٨٣ "
صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم





مجلة فصلية تصدر عن
دارة الملك عبد العزيز

العدد الرابع ○ السنة التاسعة ○ رجب ١٤٠٤هـ ابريل ١٩٨٤م

دارة الملك عبد العزيز:

أنشئت بمقتضى المرسوم الملكي الكريم رقم م/٤٥ في ٥/٨/١٣٩٢هـ كهيئة مستقلة ذات شخصية اعتبارية يديرها مجلس إدارة له كافة الصلاحيات اللازمة لتحقيق أهدافها.

والغرض من إنشائها: خدمة تاريخ المملكة، وجغرافيتها، وآدابها، وآثارها الفكرية والعمرانية بخاصة، والجزيرة وبلاد العرب والإسلام بعامة، وذلك عن طريق إنجاز البحوث ونشرها، وجلب الوثائق والمخطوطات وتحقيقها، وإصدار مجلة تحمل اسمها. كما أنها "المركز الوطني للوثائق والمخطوطات" بمقتضى الموافقة السامية رقم ٥/٨/١٢٦٠٨ في ٢٠/٥/١٣٩٦هـ.

ص.ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية

ترسل الاشتراكات باسم الأمين العام للدارة
☎ ٤٤١٤٦٨١

الادارة والتحرير
☎ ٤٤١٢٣١٦ - ٤٤١٢٣١٧



ترسل المقالات باسم
رئيس التحرير
☎ ٤٤١٧٠٢٠

مدير التحرير
☎ ٤٤١٣٩٤٤

* آراء الكتّاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة *

ترتيب الموضوعات
داخل العدد يخضع لأسباب
فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب
●●●●
لا ترد البحوث الى اصحابها سواء
نشرت أو لم تنشر ...

* الاشتراكات *

١٥ ريالا للاشتراك السنوى داخل
المملكة العربية السعودية
ـ وفي البلاد العربية ما يعادل القيمة
ـ ٦ دولارات خارج البلاد العربية

السعودية ٢ ريال ـ الامارات العربية ٤ دراهم
ـ قطر ٤ ريالات ـ مصر ٢٥ قرشا ـ المغرب ٤ دراهم ـ تونس ٣٥٠ مليما
خارج البلاد العربية دولار للعدد

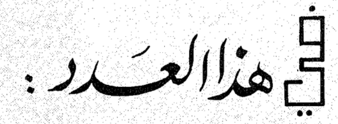
* السعودية : مؤسسة الجريسي للتوزيع
ص . ب ١٤٠٥ الرياض ـ ت ٤٠٢٢٥٦٤
* أبو ظبي : مكتبة المنهل
ص . ب ٣٧٧٨ أبو ظبى ـ ت ٣٢٣٠١١
* دبي : مكتبة دار الحكمة
ص . ب ٢٠٠٧ ت ٢٢٨٥٥٢
* قطر : دار الثقافة
ص . ب ٣٢٣ ت ٤١٣١٨٠

* البحرين : مؤسسة الهلال للتوزيع
ص . ب ٢٢٤ المنامة ت ٢٦٢٠٢٦
* مصر : مؤسسة الأهرام للتوزيع
شارع الجلاء ـ القاهرة ت ٧٥٥٥٠٠
* تونس : الشركة التونسية للتوزيع
٥ نهج قرطاج
* المغرب : الشركة الشريفية للتوزيع
ص . ب ٦٨٣ الدار البيضاء ٠٥

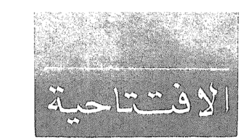


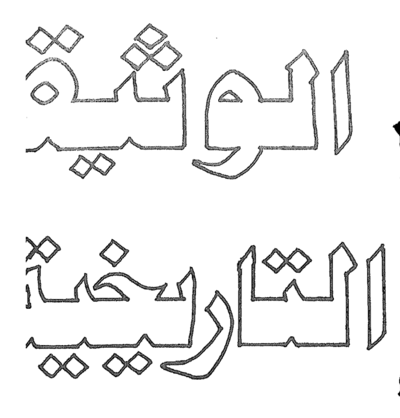
● صـورة الغــلاف ●

○ الجامع الأموى بدمشق



في هذا العدد :





Die Wahhabiten und der Magrib 73

und in Übersetzung mit Anmerkungen folgen und schließe daran die Übersetzung von Abū Ḥafṣ' Entgegnung, bezüglich deren — um Kosten und Raum zu ersparen — von dem Abdruck des arabischen Textes Abstand genommen wurde, da dieser ja leicht zu beschaffen ist.

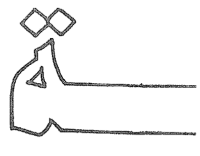
هذه رسالة راسل بها سعود الوهابى اهل تونس

نحمدها [الحمد لله]

نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيّئات اعمالنا من يَهْدِه الله فلا مضلّ له ومن يُضْلِل فلا هادى له ونشهد ان لا الاه [الا] الله وحده لا شريك له ونشهد ان محمدا عبده ورسوله من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ولا يضرّ الا نفسه ولن يضرّ الله شيأ وصلّى الله على محمد اما بعد فقد قال الله تعالى قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتّبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين وقال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهُوا وقال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فاخبر سبحانه انه اكمل الدين واتمّه على لسان رسوله صلعم وامرنا بلزوم ما أنزل الينا من ربّنا وترك البدع والتفرّق والاختلاف وقال تعالى اتّبعوا ما أنزل اليكم من ربّكم ولا تتّبعوا من دونه اولياء قليلا ما تَذَكّرون وقال تعالى وأن هذا صراطى مستقيما فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل فتَفرّق بكم عن سبيله ذالكم وصّاكم به لعلكم تتّقون والرسول صلعم قد اخبر ان امّته تاخذ ما اخذت الامم قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع وثبت فى الصحيحين وغيرهما انه صلعم قال لتتّبعُنّ سَنن من كان قبلكم حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن واخبر فى الحديث الاخر انه ستفترق امّتى ثلاثا وسبعين فرقة كلّها فى النار الّا واحدة قالوا من هى يا رسول

وأخذت أجتر لأكتب افتتاحية هذا العدد ، وماكدت أعثر على فكرة حتى وافتنى هذه الرسالة الكريمة من صاحب الفضيلة والمعالى رئيس مجلس إدارة دارة الملك عبد العزيز ، ووزير التعليم العالى الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ ، وقد قرأتها ، أو بالأحرى استقرأتها فرجحت نشرها ، لا لأضيف بذلك علماً جديداً عن دعوة السلف التى درج خصومها يبتعدون عن تسميتها « الدعوة السلفية » ؛ لأنهم يتحاشون إعلان الحرب على الدعوة السلفية ، فتخيروا أن يقولوا « الوهابية » تسمية أرادوها لتكون حربهم على الشخص ؛ يتقولون الأقاويل ، كما أنهم فعلوا الأفاعيل .

وإنصافاً للحق أنشر رسالة الشيخ وخطاب الدكتور الشويعر والرسالة الموجهة إلى من تخيرهم إمام الدعوة وسلطان الدعوة من أولى العلم فى تونس ، كما أن إمام الدعوة وسلطان الدعوة لم يقتصر على تونس ؛ بل كان السلطان سليمان ملك المغرب قد بلغته الدعوة فأصبح من





بقلم : رئيس التحرير

أنصارها . وقد سجل ذلك الاستاذ الكبير علاّل الفاسي يرحمه الله فى محاضرة ألقاها فى مكة المكرمة .

ثم إن الدعوة قد وصلت إلى مصر ، فإذا العلاّمة المؤرخ الجبرتي - وفى عهد محمد علي الذى كان حرباً على آل سعود وعلى أئمة الدعوة - يكتب فى تاريخه هذا اللقب يطلقه على الإمام عبدالله حين سماّه الشهيد . فلولا أن الجبرتى عرف هذه الدعوة وعرف أن الإمام عبدالله كان مجاهداً فى سبيل الإسلام الخالص من الشوائب الطرقية وما إليها ، لولا أن الجبرتي كان يعرف ذلك لما أطلق هذا اللقب يصف به الإمام عبدالله بأنّه الشّهيد .

74 E. Pröbster

فمعلوم ما جئتم به من حوادث الامور التى اعظمها الاشراك به [تعالى]
والتوجّه الى الموتى وسؤالهم النصر على الاعداء وقضاء الحاجات وتفريج
الكربات التى لا يقدر عليها الا ربّ الارض والسموات وكذلك التقرّب
اليهم بالنذور والزيارة وذبح القربات والاستعانة بهم فى كشف السرائر
5 وجلب الفوائد الى غير ذلك من انواع العبادات التى لا تصحّ الاّ للّه
وصرف شئ من انواع العبادات لغير [illegible] لانه سبحانه
اغنى الاغنياء عن الشرك ولا يقبل من العمل الاّ ما كان خالصا لوجهه
واخبر ان المشركين يدعون الملائكة والانبياء والصالحين [S. ٣٨] ليقرّبوهم
الى الله زُلْفَى ويشفعوا لهم عنده واخبر انّه لا يهدى من هو كاذب
10 كفّار وقال تعالى ويعبدون من دون اللّه ما لا يضرّهم ولا ينفعهم
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه قل أتُنَبِّئون اللّه بما لا يعلم فى
السموات ولا فى الارض سبحانه تعالى عمّا يشركون واخبر ان من جعل
بينه وبين اللّه وسائط برسم الشفاعة فقد كذب واشرك به ولذا
كانت الشفاعة كلّها لله كما قال تعالى قل للّه الشفاعة جميعا فلا يُشفَع
15 عنده الاّ باذنه [فانّه يقول] من ذا الذى يشفَع عنده الاّ باذنه وقال
تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الاّ من اذن له الرحمن ورضى له قولا وهو
سبحانه لا يرضى الاّ التوحيد كما قال تعالى ولا يشفعون الاّ لمن ارتضى
فالشفاعة حقّ ولا تطلب الا من الله كما قال تعالى وأنّ المساجد للّه
فلا تدعوا مع اللّه احدا وقال تعالى ولا تدع من دون اللّه ما لا ينفعك
20 ولا يضرّك فان فعلت فانّك اذا من الظالمين فاذا كان رسول الله صلعم
وهو سيّد الشفعاء وصاحب المقام المحمود وآدم فمن دونه تحت لوائه
لا يشفع الاّ باذن الله ولا يشفع ابتداء بل يأتى فيخرّ للّه ساجدا فيحمد
انعامه بمحامد يعلّمه اياها فيقول ارفع راسك وسل تُعطَ واشفع تُشفَّع
ثم يحدّ له حدًّا يُدخلهم الجنة فكيف بغيره من الانبياء والاولياء وهذا
25 الذى ذكرنا لا يُخالف فيه احد من المسلمين بل قد اجمع عليه السلف
الصالح من الصحابة والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم
ودرج على منهاجهم وما حدث من سؤال الانبياء والاولياء من

Die Wahhabiten und der Magrib 75

الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها وإسراجها
والصلاة عندها واتّخاذها اعيادا او جعل الصدقة والنذور لها فكلّ ذلك
من حوادث الامور التى اخبر بوقوعها صلعم وحذر امّته منها كما فى
الحديث عنه صلعم انه قال لا تقوم الساعة حتى يلحق حىّ من امّتى
5 بالمشركين وحتّى تعبد اقوام من امّتى الاوثان وهو صلعم حمى الدين
وحمى جانب التوحيد اعظم حماية ورسم كل طريق موصل الى الشرك
فنهى ان يجصّص القبر ويبنى عليه كما ثبت فى صحيح مسلم من
طريق [الرجال] وثبت فيه ايضا انّه بعث على بن ابى طالب رضه
وامره الاّ يدع قبرا مُشرِفا [S. ٣٩] الاّ سواه ولا تمثالا الاّ طمسه ولذا
10 قال غير واحد من العلماء يجب هدم القباب المبنيّة على القبور لانّها
اسّست على معصية الرسول صلعم وهذا هو الذى اوجب الاختلاف
بيننا وبين الناس حتى آل الامر الى ان قاتلونا وكفّرونا واستحلّوا دماءنا
وأموالنا حتّى نصرنا الله عليهم وظفّرنا بهم وهو الذى ندعو الناس
اليه ونقاتل من عليه بعدما نقيم عليهم الحجّة من كتاب الله وسنّة
15 رسول الله صلعم واجماع السلف الصالح من الائمّة ممتثلين قوله
تعالى وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه له فمن لم يجب
الدعوة بالحجّة والبيان دعوناه بالسيف والسنان كما قال تعالى لقد
ارسلنا رسلنا بالبيّنات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
بالقِسْط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد الى إقام الصلاة وايتاء الزكوة وصوم
20 شهر رمضان وحجّ بيت الله الحرام ونامر بالمعروف وننهى عن المنكر
كما قال تعالى الذين ان مكّنّاهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور فهذا الذى نعتقده
وندين الله به فمن عمل ذلك فهو اخونا المسلم له ما لنا وعليه ما
علينا ونعتقد ايضاً ان امّة محمد صلعم لا تجتمع على ضلالة وانّه لا
25 تزال طائفة من امّته على الحقّ حضورة لا يضرّهم من خذلهم ولا
خالفهم حتّى يأتى امر الله وهم على ذلك والسلام.

ورغم كل العراقيل والمعوقات التى تسلّطت على هذه الدعوة بقوة السلطان وشراسة الطرقيين ، فإن دعوة السلف قد انتشرت ، حتى أن الأكابر من علماء المغرب لم يكونوا بعيدين عنها .

والحكيم الكبير جمال الدين الأفغانى وتلميذه الإمام محمد عبده والسيد رشيد رضا وجمال الدين القاسمى ، من علماء دمشق ، والسلفيون من أهل الحديث فى الهند ، كلهم كانوا أنصارا لهذه الدعوة ، حتى أن جمال الدين الأفغانى لم يسلم من الملحدين ومن الطرقيين ، ومن عسف السلاطين ، وإذا هو اليوم يتعرض للذين يكنون الحرب على الدعوة السلفية : لأنهم يخافون سلطان القوة التى يناصرها الآن ، فأخذوا ـ وباسم السنّة التى يعلنون ـ يخرجون جمال الدين من الإسلام لأنّه « ماسونى » ! مع أن حربه للاستعمار وللطرق ، وما جاء فى « العروة الوثقى » تثبت أن الرجل كان نصيرا للسلفيين .

من هنا ، فإننا نحمد الله تعالى على أن هذا البلد قد توحّد كيانا وعقيدة ، كما أن الأمصار المسلمة بدأت تتقارب ، كأنما كلهم قد التقوا بأئمة الدعوة السلفية .

إن ساطع الحصرى ، وعبدالرحمن الرافعى ، ومحمد توفيق ، كلهم أكبروا ما صنع ال سعود : فقد اعتبروا أن قيام السلطان السعودى ودعوة السلف نهضة إسلامية وقومية ، فأشادوا بها كقوميين ، وتلك الإشادة رديف لا نرفضه . فإن هذا البلد كما قلت أكثر من مرة ، أعني المملكة العربية السعودية ، عربى على الذروة مسلم على السنام . فلئن كانت القوميات تعتز بأسماء الأقاليم أو بتسميات أخرى : فإن إقليمية هذا البلد ووطنيته هى الإسلام عربيا ، والعروبة مسلمة ، فلا ازدواجية ، وإنّما هو التزاوج ، لا ينفك العربى فى هذا البلد عن إسلامه ، ولا يتخذ الثناء على الاسلام من بعض الشعوبيين موضعا لمذمة العرب . يكفيهم أن القرآن بلسان عربى مبين ، وأن خاتم الرسل سيدنا محمد عربى ، وأن الهداية والفتح ما كانا إلا بعز الاسلام وكلمة التوحيد ، وعز الاسلام ما كان الاّ بسيف ومجاهد كلهم من أبناء هذا البلد : جزيرة العرب .

إن الدعوة السلفية ـ إذا ما دققنا النظر فى هذه الرسالة ـ تدل على قوة السعى لنشر الدعوة ، وعلى قوة العارضة والنية الصادقة . كل ذلك أبى الاّ أن يبلّغ ، رغم بُعْد الشُقّة وشظف العيش وقلة السلاح ، ورغم تكالب الأعداء . لكنه الايمان ينتصر دائما بالحرب عليه .

ومن عطاء الحق أن أنشر ذلك كاملا . والله من وراء القصد .

• محمد حسين زيدان •

دراسة للنسيج الإسلامي المذهب في صقلية

للدكتور عبد المنعم عبد العزيز رسلان

عرف العرب قبل الإسلام بمحبتهم للثياب الفاخرة والإكثار منها ، اعتقادا منهم بأنها تضفى على لابسها من الوجاهة ما يكبره فى أعين الناس ، كما عرفوا كذلك بتقديم الهدايا لكل عزيز عليهم ، ولعل من أهم هذه الهدايا كسوة الكعبة . ولما ظهر الاسلام زاد اهتمامهم بالمنسوجات لاسيما بعد أن أحيا الرسول ﷺ منح الخلع(١) . كما صارت المنسوجات مما يتصدق به فى المواسم والأعياد ، على الفقراء والمحتاجين .

ولما بدأت الفتوحات الإسلامية ، دانت للمسلمين بلاد كانت لها شهرتها فى صناعة المنسوجات كمصر والشام وإيران ، ووجدت هذه البلاد فى الإدارة الإسلامية دفعة قوية لازدهار هذه الصناعة ؛ إذ عمل الولاة على تنميتها وتشجيعها مما جعل النساجين يتسابقون فى إجادة صناعتهم وابتداع أنواع جديدة من المنسوجات . كما اهتم الولاة بمصانع النسيج أى « دور الطراز » فأخضعوها للرقابة الحكومية ، ووضعوا لها اللوائح والنظم لإحكام الإشراف والرقابة عليها حتى لا يهبط مستوى الصناعة من جهة ، وحتى لا يعرض فى السوق أو يصدر إلى الخارج إلا ماكان مطابقا لما حددته الدولة من مواصفات ، وإجازة المحتسب ، وتختم بخاتم الدولة .

كما تعددت أنواع النسيج الإسلامى ، فكان منها الصوفى والكتانى والحريرى والقطنى الذى اشتهرت بأنواعه بلدان عديدة من الوطن الإسلامى الكبير .

ولقد تبوأت صناعة المنسوجات فى العصر الفاطمى مكانة رفيعة ، وظهرت أنواع جديدة أيضا مثل العتابى (نسبة إلى حى العتبية ببغداد) والسقلاطون (رومى الأصل) ، والبوقلمون (وهو ثوب ذهبى يتلون باختلاف أوقات النهار) . كما زادت مراكز الإنتاج . واشتهرت صقلية بتصدير الكتان الرقيق والثياب المقلمة الغالية الثمن ، وباختصار كانت هناك نهضة شاملة فى صناعة المنسوجات تناولت المواد الخام ، ونسجها ، والزخارف بأنواعها ، مطرزة ومنسوجة ومذهبة ومطبوعة ومرسومة .

وشاءت الظروف حين دراستى لبعض المنسوجات الفاطمية بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة أن أجد قطعة متميزة من نسيج القطن ، مقيدة برقم سجل ١٠٨٣٦ ، نسبها المتحف إلى العصر الفاطمى فى القرن السادس الهجرى ـ (الثانى عشر الميلادى)[٢] ، وقد أرجعها الدكتور زكى محمد حسن أيضا ، فى كتابه « كنوز الفاطميين » إلى العصر الفاطمى ونسبها إلى النصف الأول من القرن السادس الهجرى ، بناء على دراسة طراز الكتابة الذى يزخرف هذه القطعة[٣] . أما نانسى بنس بريتون **Nancy Pence Britton** فقد اعتبرتها من صناعة مصر فى النصف الأول من القرن السادس الهجرى[٤] .

والحقيقة أن هذه القطعة تتفق إلى حد كبير مع المميزات العامة للنسيج الفاطمى وبخاصة من حيث الزخارف المنوعة التى تزينها سواء أكانت كتابية أو حيوانية أو نباتية[٥] . إلا أننا إذا ما تفحصنا هذه الزخارف بشىء من الدقة ، نحس بتميز واضح ، يجعلنا نفكر فى ضرورة البحث عن البلد الذى يرجح أنه أنتج مثل هذا المستوى الرفيع من المنسوجات ، لاسيما ونحن نعلم أن الدولة الفاطمية ترامت أطرافها[٦] ، وكانت تضم بلدانا اختلفت مواد النسيج فيها ، فبعضها اشتهر بالقطن ـ زراعة وصناعة ـ وبعضها الآخر اشتهر بالكتان[٧] . ومن الطبيعى

أن يختلف مستوى الانتاج الفنى فى بلد عنه فى بلد آخر ، تبعا لظروفه المحلية .

ووصولا إلى غايتنا ، من حيث ترجيح إسناد هذه القطعة من النسيج إلى بلد من بلدان الدولة الفاطمية ، سنحاول إجراء دراسة تفصيلية لها ، مادة وزخرفة وسنبدأ بالوصف الفنى .

وصف القطعة : لوحة رقم (١) .

١ ـ المادة : قطن ١٠٠٪[٨] .

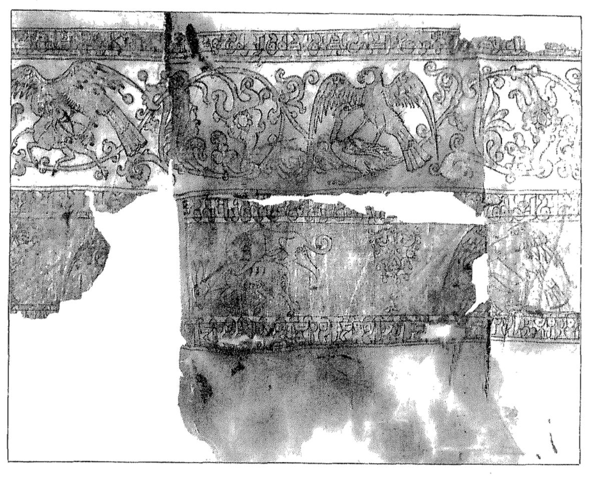
٢ ـ مساحتها : ٢٤,٨ سم × ٤٢,٥ سم .

٣ ـ عدد الخيوط فى السنتيمتر المربع : ٤١ خيطا (سدى) ،

٣ ـ عدد الخيوط فى السنتيمتر المربع : ٣٤ خيطا (لحمة)[٩] .

٤ ـ زخارفها :

عبارة عن شريطين من الزخارف فى وسطها سطر من الكتابة الكوفية ، وفى أعلاها سطر ثان ، وفى أسفلها سطر ثالث . وهذه الزخارف كلها مطبوعة وليست منسوجـة فى القماش . وتفصيلا لهذا نتتبع عناصر الزخرفة على هذه القطعة من أسفل إلى أعلى .



لوحة رقم (١) قطعة من نسيج القطن المذهب المطبوع ـ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ..

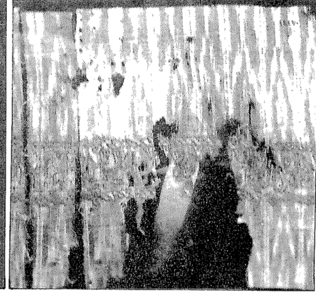
(أ) شريط من الكتابة الكوفية بعرض ١٢ مم على أرضية مموهة بالذهب . وحروف الكتابة محدودة بخطوط رفيعة سوداء وهى تتضمن كلمات دعائية مكررة نحو « بركه » و « سعاده » و « سلامه » و « رياسه » . وهى جميعها من نوع الكوفى المورق[١٠] .

(ب) شريط بعرض ٣٦ سم مذهب ، طبعت فوقه وحدات متباعدة لمناظر القنص ، يفصل بين كل مشهد والآخر زخرفة نباتية محورة والمشاهد عبارة عن عقاب Eagle[١١] ينقض على أرنب برى ، وأسد[١٢] يهاجم حمارا وحشيا Equus Zebra[١٣] تبدو عليه مظاهر الذلة والاستكانة ، وقد حرص الفنان على إبراز نوع الحمار ، بأن ميزه بالخطوط ثم تتكرر هذه المشاهد . وقد حددت جميع هذه الرسوم بخطوط رفيعة سوداء . ويتبين من فحص تلوين العناصر المرسومة ، أن الطباعة قد تمت بطباعة اللون المذهب أولا ، ثم تبعه اللون الأسود ثم اللون الأزرق . ونجد هذه الألوان المنوعة واضحة فى رسم الأرنب والأسد[١٤] .

(ج) شريط بعرض ١٢ سم يتضمن كتابات كوفية على غرار الكتابات فى الشريط السفلى وهى تتضمن كلمات دعائية منها « بركه » و « نعمه » و « كرامه » و « غبطه » و « رياسه » . وقد كتبت هذه الكلمات جميعها على أرضية مموهة بالذهب ، وحددت الحروف بخطوط سوداء رفيعة .

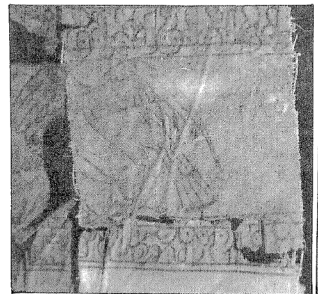
(د) شريط بعرض ٥٢ سم ، يعتبر المساحة الرئيسية فى التصميم ، وهو يتضمن مشاهد للقنص وعناصر نباتية بالتبادل ، موزعة بواسطة فرع نباتى متماوج تخرج منه فروع وأوراق وتتخلله عقد . والزخارف بنوعيها فى هذا الشريط تشغل الفراغ ، وتعبر عن وحدة لينة فى التخطيط ومترابطة فى نفس الوقت . ومشاهد القنص والعناصر النباتية كلها جاءت مطبوعة على أرضية بيضاء ، فى الوقت الذى موهت العناصر الزخرفية بالذهب وحددت بخطوط سوداء دقيقة . أما مشاهد القنص فقوامها عقاب[١٥] نشر جناحيه وانقض على بلشون **Grey Heron** طابعه أوروبى[١٦] ، أدار رأسه نحو العقاب فى جزع بعد أن تمكن منه وأحاط بمخلبه على عنقه . ومشهد آخر لعقاب ينقض على غزال ويضرب بمنقاره فى عنقه ليشل حركته ، والغزال فزع يحاول الفكاك منه متحفزا للجرى[١٧] ثم تتكرر المشاهد على هذا النحو . أما العناصر النباتية التى تمثل الفواصل المتماوجة بين مشاهد القنص ؛فهى عبارة عن عنصر نباتى محور ينتهى بقوس يلتف حول الفرع النباتى ويضم بداخله عنصرا نباتيا آخر (لوحة رقم ١) كما يخرج من الفرع النباتى أوراق وعناصر نباتية أخرى .

(هـ) شريط عرضه ١٢ سم يتضمن كتابات كوفية تضم كلمات دعائية على غرار ما فى الأشرطة الكتابية السابقة نحو « بركه » و « نعمه » و « سلامه » و « غبطه » ، كتبت على



لوحة رقم (٢) △

قطعة من نسيج القطن المذهب المصنوع بطريقة الوصايل IKAT من اليمن ـ القرن ٤ هـ /١٠م ـ متحف الفن الإسلامى بالقاهرة



لوحة زقم (٣) △

تفاصيل من لوحة رقم (١)

● ● ●

أرضية مموهة بالذهب ، وحددت الحروف فيها بخطوط رقيقة سوداء على غرار ما سبق (لوحة رقم ١) .

الأسلوب الفنى المتبع فى هذه القطعة من حيث الصناعة والتذهيب والرسم :

(١) بفحص هذه القطعة اتضح أنها من نوع النسيج البسيط الذى يطلق عليه اسم النسيج السادة ١/١[١٨] وهو نوع يمتاز بسهولة تقبله للتذهيب حيث يستوى وجهه ، مما يساعد على ثبات الذهب عليه .

(٢) تمت طباعة الأشرطة الزخرفية فى اتجاه السدى ، وهذا يعنى أنها كانت طويلة ، واستوجب هذا تكرار الموضوعات الزخرفية عن طريق القوالب[١٩] . التى حددت عناصر الزخرفة فقط باللون الأسود . فاذا تبين عدم وضوح أجزاء من الخطوط السوداء المحددة للزخرفة يمكن الاعادة عليها بالقلم لتوضيحها[٢٠] .

(٣) تبين بفحص هذه القطعة ميكروسكوبيا أنها موهت بالذهب على الطريقة التى كانت تستعمل فى العصور الوسطى من حيث وضع المادة اللاصقة ، ثم التنظيف ، وهو أسلوب

وجدناه مستعملا فى صقلية الإسلامية[٢١] .

(٤) زخرفت بعض أجزاء العناصر الزخرفية الحيوانية باللون الأزرق الزهرى المكون من أكاسيد المعادن التى تم لصقها على النسيج بواسطة لصاق وضع على سطح القماش[٢٢] .

التحليل الفنى لعناصر الزخرفة القطنية

أولا : الزخرفة الكتابية :

تمثلت هذه الزخرفة فى ثلاثة أشرطة من الخط الكوفى المورق ، اثنان منها متعاكسان[٢٣] (الأوسط والأسفل) أما الشريط الثالث (العلوى) فقد اتفق فى الاتجاه مع الشريط الأوسط . وتضم الأشرطة الثلاثة ألفاظا دعائية نحو « بركه » و « سلامه » و « نعمه » و « كرامه » و « سعاده » و « غبطه » . وكلها مكتوبة بواسطة الطبع بالقالب على أرضية مذهبة . والأشرطة الثلاثة محدود كل منها (من أعلى ومن أسفل) بخطين رقيقين باللون الأسود باستثناء الشريط العلوى الذى جاء بأسفله خطان بدلا من خط واحد . كما نلاحظ أن الخطاط (الرسام) قد جعل أسفل بعض الحروف (و ، ر ، ك ، ن ، م ، س ، ط ، س ..) على شكل أقواس نصف دائرية يحصرها خطان رقيقان (لوحة رقم ١) .

كما نلاحظ أن الحروف الأولى المستقيمة فى الكلمات مثل (ب ، ن ، س) قد ارتفعت أعمدتها وصارت تقرب من طول حرف الألف أو اللام ، كما هو الحال فى كلمة « بركه » فى الأشرطة الثلاثة وكلمة « نعمه » فى الشريط الأوسط ، وكلمة « سلامه » فى الشريط العلوى والشريط السفلى . أما حرف الواو فقد صحبته زخرفة تنثنى بشكل قوس وتنتهى بزخرفة على شكل ورقة نباتية غير متفتحة كثيرا (شكل ١) .

لوحة رقم (٤)

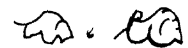
تفاصيل من لوحة رقم (١)

أما أرضية الكتابة فقد زخرفت بواسطة بعض الدوائر القليلة ، كما هو الحال فى زخرفة كلمة « غبطه » بالشريط العلوى و« رياسة » بالشريط الأوسط « وسعادة » بالشريط الأسفل . كما زخرفت أيضا بواسطة بعض الوريقات والتفريعات النباتية الصغيرة وكلمة « سلامه » فى الشريط الأسفل وكلمة « سعاده » بنفس الشريط .

ونستطيع أن نجمل ما تميز به الخط الكوفى المستعمل فى هذه المنسوجة فيما يلى :

(١) استعمال الكتابة المتعاكسة مع الكتابة المتوازية فى الزخرفة .

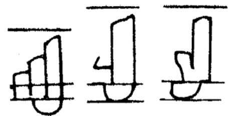
(٢) زخرفة المسافات بين سيقان الحروف ببعض الوريقات والتفريعات النباتية مثل :



(٣) استعمال زخرفة الأقواس فى أسفل بعض الحروف مثل :



(٤) استطالة بعض الحروف وصعودها مثل (ب ، ن ، س) :

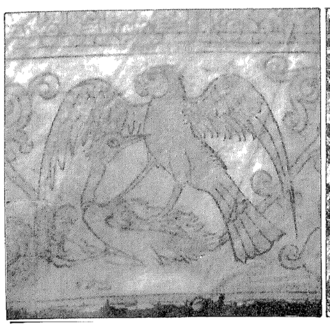


(٥) استعمال بعض الدوائر كعنصر زخرفى فى أرضية الكتابة مثل : O ، O

ونستطيع القول : إن الخط المستعمل فى زخرفة هذه القطعة من النسيج ، ولو أنه يشترك فى مميزاته مع ما شاع فى بعض بلدان العالم الإسلامى فى القرن الخامس الهجرى - (١١ ميلادى) كالكتابة المتعاكسة مثلا ، وهى التى شاعت فى كل من مصر وإيران[٢٤] ، وكذلك استعمال بعض الوريقات والتفريعات النباتية التى شاعت فى مصر وصقلية الفاطمية على السواء[٢٥] ، إلا أننا نلاحظ فى زخرفة الكتابة على هذه المنسوجة ظاهرة انفردت بها صقلية الإسلامية فى القرن الخامس الهجرى وهى استعمال الدوائر فى زخرفة أرضية النقوش الكتابية[٢٦] .

لوحة رقم (٥) △

قطعة من نسيج الحرير ـ مجموعة أكرمان ـ
إيران ـ القرن ٥/٦هـ ـ ١١/١٢م



لوحة رقم (٦) △

تفاصيل من لوحة رقم (١)



تشتمل زخارف هذه القطعة على عناصر حيوانية تمثل مشاهد قنص ؛ ففى شريط الزخرفة السفلى نجد مشهدين يتكرران (حسبما يشير إليه الجزء المتبقى من الزخرفة على الجانب الأيسر) . المشهد الأول عبارة عن عقاب ينقض على أرنب برى ، نجح الفنان نجاحا كبيرا فى التعبير عن الحالة التى يكون عليها الطائر المنقض على فريسته ، فقد رسم العقاب ناشرا جناحيه بعض الشىء ، وثبت جسمه على الأرض بقوة معتمدا على رجليه المثبتين بواسطة أظافره القوية ، فى الوقت الذى ضرب فيه بمنقاره فى حنجرة الأرنب ليشل حركته ، كما نجح فى التعبير عن الفزع الذى أصاب الأرنب برسم أذنيه منشورتين ورفع رجله اليمنى الأمامية إلى أعلى . أما ساقاه الخلفيتان فقد رسما فى وضع التحفز للجرى لإحساس الأرنب بالخوف والرغبة فى التخلص . والرسم يعبر بلا شك عن مقدرة الفنان الكبيرة فى التعبير عن الطائر القوى المسيطر على فريسته ، والفريسة الرشيقة النشطة الراغبة فى الفرار والتخلص مما دهاها . والفنان بلا شك متحرر فى رسمه ؛ فقد عنى بالفكرة وعبر عنها أحسن تعبير ، فجاء رسمه كأنه منظر من الطبيعة . ولم يلجأ الفنان إلى التحوير إلا فى رسم بعض العناصر الزخرفية القليلة التى

زين بها أعلى جناح العقاب ؛ حيث رسم زخرفة على شكل نصف ورقة نخيلية ، كما حزم ذيله برسم خط به أقواس ، ورسم خطا آخر مشابها له فى نهاية الذيل . (لوحة رقم ٣ وشكل رقم ٤) أما المشهد الثانى فهو عبارة عن أسد يمسك بحمار وحشى ويحمله على الانكفاء حتى يتمكن من افتراسه ، وقد نجح الفنان أيما نجاح فى التعبير عن الفكرة ؛ فقد رسم الأسد وهو يضغط على الحمار من المقدمة ومن المؤخرة فى وقت واحد ، ورسم رجل الأسد الأمامية اليسرى تضغط بشدة أعلى كتف الحمار، فى حين رسم رجله اليسرى الخلفية (فى نفس الاتجاه) تضغط على مؤخره ، وبالتالى بدأ الحمار ينكفئ حيث انثنت رجله اليسرى الأمامية ، وحتى يصل الأسد إلى غايته فى أسرع وقت ممكن عض الحمار بين كتفيه ليؤثر على أعصابه ، والرسم بهذه الطريقة يوحى بمقدرة الفنان الكبيرة ، ومدى ما بلغه من دراسة لطباع الأسد والحمار ، وقد أجاد الفنان فى التعبير عن الحالة النفسية عند كل من الحيوانين فى حالة الافتراس ، فالذل والاستكانة للحمار ، والقوة والتمكن للأسد (لوحة رقم « ١ ») . كما أكد الفنان مقدرته كذلك على حسن اختيار الأسد لفريسته المحببة ؛ فمن المعروف علميا أن أحب اللحوم للأسود هى لحوم الحمير الوحشية . وتأكيدا لهذا المعنى أبرز الفنان نوع الحمار بواسطة رسم الخطوط المميزة للحمار الوحشى ، كما أكد كذلك نوع الحيوان المفترس (الأسد) برسم البقعة الغامقة فى بطنه وفخذه . كما نلاحظ أن الفنان قد رسم هذا المشهد بأسلوب طبيعى ، فاحترم النسب التشريحية لكلا الحيوانين ، ولم يلجأ إلى أسلوب التحوير إلا فى القليل؛ حيث اكتفى برسم طرف ذيل الأسد على هيئة قوس ينتهى بزخرفة دائرية مشقوقة (لوحة رقم ٤) وماعدا ذلك فكله طبيعى فى رسم الحيوان .

أما من حيث التلوين ، فقد رسم الفنان بعض أجزاء جسم الأسد باللون الأزرق الزهرى[٢٧] ، فى حين استعمل التذهيب فى بقية جسم الحيوان إلى جانب البقع الغامقة المميزة لهذا الحيوان .

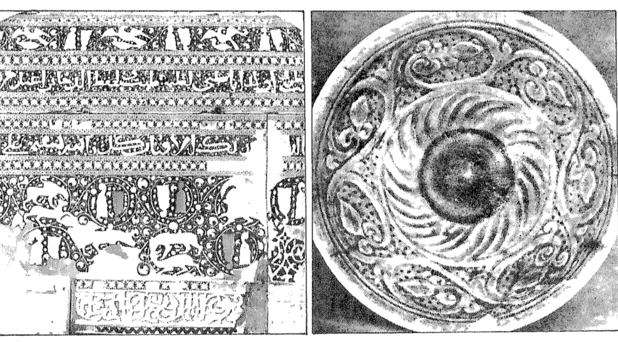
أما الشريط العلوى للزخرفة ، فيضم من العناصر الحيوانية مشهدين هما :

(أ) مشهد لعقاب ينقض على بلشون (لوحة « ٦ » وشكل « ٢ ») وقد رسم الفنان العقاب واقفا على ظهر البلشون ناشرا جناحيه ، بعد أن جثت تحته الفريسة فى فزع واضح ، وهى تمسك بأظافرها فى الأرض ، خوفا من أن يخطفها العقاب . والمشهد مرسوم بطريقة طبيعية ، وقد خلت عناصره من الزخرفة اللهم إلا أعلى جناحى العقاب اللذين رسم فى أعلاهما زخرفة على هيئة نصف سعفة نخيلية ، فضلا عن زخرفة ذيله بتحزيمه بورقة نباتية محورة وخط متعدد التقوسات فى آخر الذيل . وقد نجح الفنان فى التعبير الصادق عن الحالة النفسية عند كل من العقاب والبلشون ؛ فالأول فى حالة النصر والزهو حيث نشر جناحيه بعد سيطرته على

فريسته سيطرة كاملة ، وأحاط بمخالبه على عنق البلشون . أما الثانى وهو البلشون فهو فى حالة من الذهول بعد أن تمت السيطرة عليه ، فقد زاغ بصره . ونجح الفنان كذلك فى إبراز نوع البلشون حيث رسمه وقد ظهرت فى مؤخرة رأسه بعض الريشات التى تميز نوعه الأوروبى (شكل ٢ لوحة ٦) .

(ب) أما المشهد الثانى فهو عبارة عن عقاب ينقض على غزال . وقد نجح الفنان فى التعبير عن الحالة النفسية التى تنتاب كلا الطرفين فى مثل هذه الحال ؛ فالعقاب يضغط بجسمه وينشب مخالبه فى جنبى الغزال ، فى حين يضرب بمنقاره الحاد عنق الغزال وحنجرته حتى يستسلم ، فالعنف واضح فى حركات العقاب ، كما أن الضيق والفزع باديان على الغزال ، وفى نفس الوقت لم يخف رشاقته حتى فى الوقت الذى يحاول فيه الفكاك من عدوه . أما من حيث طريقة الرسم ، فقد لجأ الفنان إلى الأسلوب الطبيعى ، ولم يلجأ إلى التحوير الزخرفى ، إلا عند زخرفته لبعض أجزاء جسم العقاب ، على غرار الاسلوب الذى لاحظناه فى العناصر السابقة .

ومما هو جدير بالذكر أن رسم الحيوانات بصورة طبيعية أسلوب غلب فى صقلية الفاطمية عنه فى أى مكان من العالم الإسلامى المعاصر ؛ وذلك نظرا للتأثر الكبير بالفن البيزنطى وهذا أمر طبيعى ؛ لأن المسلمين عندما فتحوا الجزيرة كانت بيزنطية الحضارة ، فضلا عن أن قطاعا كبيرا من سكانها كان يونانيا ، وهذا ما يؤكده المؤرخون ،ويشير إليه نقش اللغات الثلاث فى العهد النورماندى[٢٨] .



لوحة رقم (٧) △ لوحة رقم (٨) △

طبق من الخزف ـ صناعة الرى ـ إيران القرن ٦هـ ـ ١٢م ● صندوق مغطى بالعاج ـ صقلية ـ القرن ١٢م

ثالثا : الزخرفة النباتية :

اشتركت الزخرفة النباتية فى هذه المنسوجة مع الزخرفة الكتابية والحيوانية ، فقد وجدناها تزخرف أرضية الأشرطة الكتابية على هيئة وريقات وفروع نباتية صغيرة محورة (وقد سبق الحديث عن هذا عند معالجة الزخرفة الكتابية) كما نجدها فى شريط الزخرفة السفلى على هيئة تكوينات نباتية محورة مجمعة فى وحدة زخرفية تفصل بين مشاهد القنص المختلفة (لوحة رقم ١) وهى تضم فى أسفلها ورقة عنب ثلاثية داخل منطقة لوزية الشكل ، كما تضم فى أعلاها ورقتين ثلاثيتين أيضا ، كل واحدة داخل فرع نباتى دائرى . وحول هذا التكوين الزخرفى مجموعة من الأوراق المحورة ذات الأشكال المختلفة ، ويتدلى من هذا التكوين فرع نباتى إلى أسفل .

أما الزخرفة النباتية فى الشريط العلوى ، فهى عبارة عن فرع نباتى متموج ، يضم بين موجاته إما مشهداً للقنص أو زخرفة نباتية تضم ورقة نباتية محورة مجوفة القاع فى أسفلها ، وتنتهى بشكل حلزونى يلف حول فرع نباتى خارج من الفرع الأصلى المتموج ويخرج منه عناصر نباتية عبارة عن أوراق على أشكال مختلفة (شكل ٥ ، شكل ٦ ولوحة ١) ونلاحظ أن الفرع النباتى المتموج يسير بشكل منتظم ، بحيث تضم كل موجة سفلية مشهدا من مشاهد القنص ، فى حين تضم الموجة العليا زخرفة نباتية مكونة من عنصر نباتى ، يتفرع من الفرع الأصلى ، كما يتفرع عنه بدوره عناصر نباتية أخرى مكونة من أوراق نباتية مختلفة الأشكال .

إن أسلوب الزخرفة بالفرع النباتى المتموج أمر شائع فى الفن الإسلامى سواء فى المشرق أو المغرب ، فقد وجدناه فى إيران يزين النسيج[٢٩] (لوحة ٥) كما يزين الخزف[٣٠] (لوحة ٧) ووجدناه فى مصر على النسيج[٣١] أيضا ، ووجدناه يزين صناديق العاج فى صقليه[٣٢] (لوحة ٨) ، (لوحة ٩) ، وشكل ٧ واستعمل البيزنطيون أيضا الفرع المتموج فى زخرفة منسوجاتهم ، ولو أنهم رسموه بأسلوب أكثر طبيعية مع أوراقه[٣٣] . وبمقارنة بسيطة بين طريقة رسم الفرع النباتى فى منسوجاتنا وما جاء على غطاء الصندوق العاجى الصقلى (لوحة ٨ ، لوحة ٩) من فرع نباتى متموج،يقطع بأن المدرسة الفنية التى يتبعها فنان صندوق العاج،هى نفسها التى تخرج فيها فنان الفرع النباتى المتموج على هذه المنسوجة ، فالتشابه تام ، حتى فى جعل الموجات العليا فى الفرع فى كلّ تضم عناصر نباتية محورة والموجات السفلى منه تضم عناصر حيوانية (مشاهد قنص) . وأمر آخر جدير بالملاحظة فى هذا الفرع النباتى المتموج أنه يمتاز برسم عقد على شكل دوائر أو كور (شكل ٥ ، شكل ٦) وهذا نفس الأسلوب الصقلى الذى وجدناه شائعا فى زخارف سقف الكابلابلاتينا ذات الزخارف الإسلامية المعروفة[٣٤] .

أما العناصر النباتية المتفرعة عن الفرع المتموج الرئيسى فيمكن إجمالها فى الشكلين (٥ ، ٦) : أولها عبارة عن ورقة نباتية مجوفة القاع ، وتمتد باستطالة حتى تلف نهايتها على الفرع الذى يخرج من الفرع الأصلى ، وقد زخرفت هذه الورقة فى وسطها بعنصر نباتى يتكون داخله من شكل لوزى ويحيط به وريقات متفتحة تنثنى إلى الخارج . أما العنصر الثانى فهو عبارة عن ورقة نباتية ذات ثلاثة فصوص قاعها كأسى وأعلاها مقوس . والعنصر الثالث عبارة عن ورقة نباتية على شكل نصف سعفة نخيلية مجوفة القاع . والعنصر الرابع عبارة عن ورقة نباتية ذات قاع مجوف وحوافها على شكل زهرة فى طور التفتح .

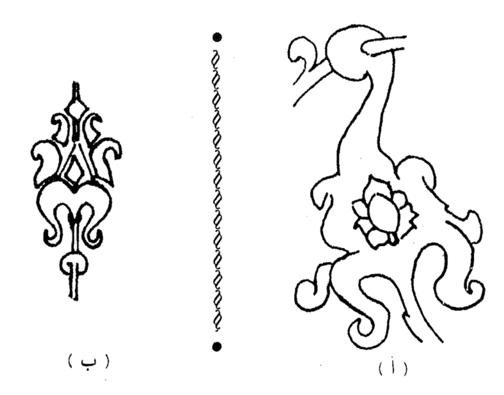
وبمقارنة بين العناصر النباتية الواردة فى زخرفة هذه القطعة من النسيج بالعناصر النباتية الشائعة فى العالم الإسلامى المعاصر ، نلمس التقارب الكبير بينها وبين العناصر الصقلية .



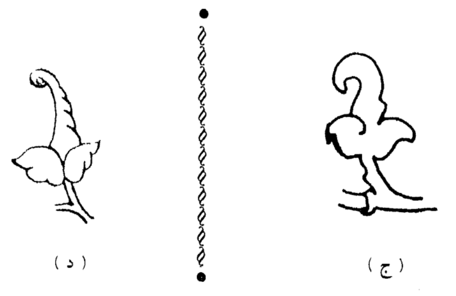
لوحة رقم (٩)

غطاء الصندوق الموجود باللوحة رقم (٨) ـ صقلية ـ ١٢م

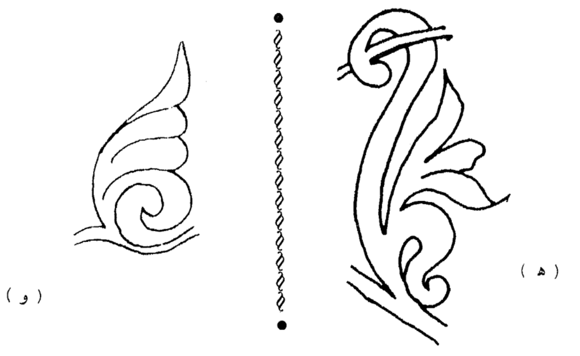
فمثلا العنصر (أ) وهو كأسي مجوف القاع يشبه في تكوينه العنصر (ب) الوارد على قطعة النسيج الصقلية[٣٥] .


(ب) (أ)

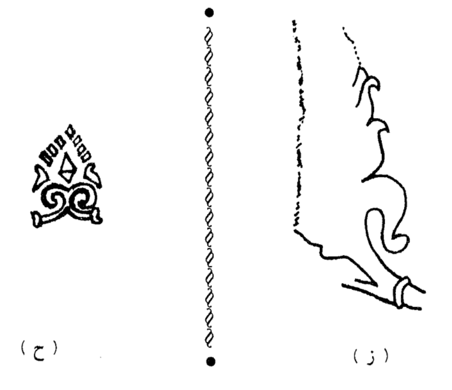
والعنصر (ج) وهو كأسي خطافي الرأس يشبه في تكوينه العام العنصر (د) الصقلي الوارد في رسوم الكابلابلاتينا[٣٦] .


(د) (ج)

العنصر (هـ) وهو يشبه نصف سعفة نخيلية مجوفة القاع يشبه فى تكوينه العام العنصر (و) الصقلى[٣٧] .



والعنصر (ز) يشبه فى تكوينه العام العنصر (ح) وهو صقلى أيضا[٣٨] .



التصميم الفنى :

يمكن تلخيص عناصر التصميم الفنى فى هذه القطعة من النسيج فيمايلى :

١ ـ خمسة أشرطة زخرفية تتجه باتجاه السدى ، ثلاثة منها كتابية تضم خطا كوفيا مورقا ، أما الشريطان الآخران فيضمان عناصر نباتية وحيوانية .

٢ ـ استخدام أكثر من لون فى الإخراج ، إذ استعمل مسحوق الذهب للحصول على اللون الأصفر الذهبى ، كما استعملت أكاسيد المعادن للحصول على اللون الأزرق الزهرى فى بعض أجزاء العناصر الحيوانية . أما اللون الأسود فقد حددت به جميع عناصر الزخرفة من نباتية وحيوانية وكتابية وهندسية .

٣ ـ خلو مناطق متسعة فى الأرضية من عناصر الزخرفة ، كما هو الحال فى شريط الزخرفة السفلى .

٤ ـ قصر التلوين على عناصر الزخرفة مع ترك الأرضية عاطلة والاكتفاء بلون النسيج الأصلى .

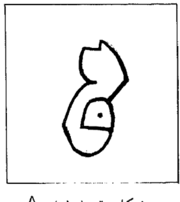
٥ ـ التوزيع الزخرفى للعناصر من خلال الفرع النباتى المتموج .

والجدير بالتنويه فى هذا التصميم ، أن الفنان قد أحدث تباينا بين الشريطين الرئيسيين فى الزخرفة ، وأعطى الأهمية الكبرى للشريط العلوى منهما ، وذلك بإبرازه عناصر الزخرفة وحدها ، سواء أكانت حيوانية أو نباتية مكتفيا بتلوينها باللون الذهبى المحدد بالمداد الأسود ، وترك الأرضية عاطلة عن الزخرفة تماما . مما جعل التركيز البصرى على العناصر الزخرفية فى هذا الشريط بالذات . وهذا أسلوب جديد لم نلحظ نظيره ـ على حد علمى ـ فى زخرفة المنسوجات المعاصرة فى العالم الإسلامى ، مما يدل على أن الفنان كان يتمتع بحرية كبيرة فى تكوين تصمياته الفنية .

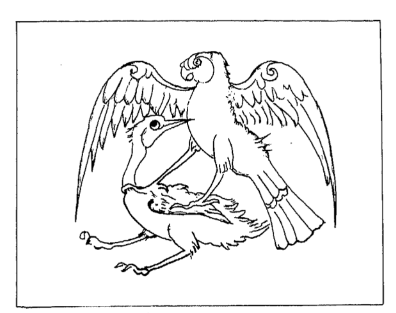
نسبة هذه القطعة :

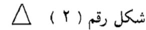
لعل بعد هذا الاستعراض للخصائص الفنية التى وجدناها فى هذه القطعة من النسيج ، سواء أكانت كتابية أو حيوانية أو نباتية ، وما لاحظناه من قرابة بينها وبين ما جاء فى الفن الصقلى ، لاسيما من حيث رسم العناصر الحيوانية بطريقة قريبة من الطبيعة واحترام النسب التشريحية لها ، والقدرة الفائقة فى التعبير عن الانفعالات النفسية عند الحيوان ، والبراعة فى

التصميم والإخراج مع الالتزام بالمميزات العامة للزخرفة الإسلامية الفاطمية ، ما يجعلنا نرجح نسبة هذه القطعة باطمئنان إلى صقلية ؛ لاسيما بعد المطابقة التامة للتوزيع الزخرفى الوارد على هذه القطعة وما جاء على علبة العاج الصقلية التى أشرنا إليها سلفا فى أواخر القرن الخامس الهجرى وأوائل القرن السادس الهجرى ، قبل أن تطغى الروح البيزنطية على النسيج وتتغير التصميمات بتأثير النساجين اليونانيين الذين جلبهم روجر الثانى واستعملهم فى مصانعه ببلرم[٣٩] .

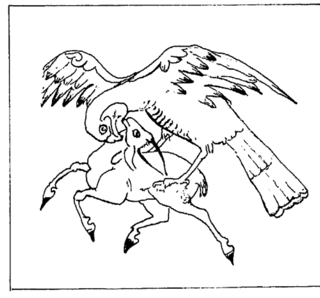


شكل رقم (١) △

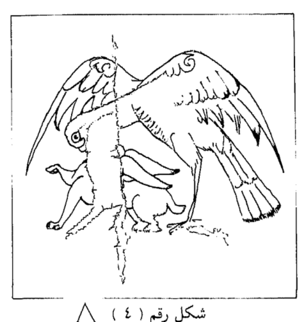




شكل رقم (٢) △



شكل رقم (٣) △

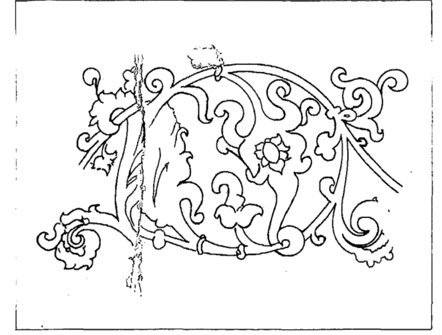


شكل رقم (٤) △

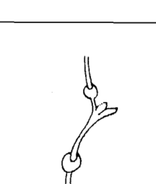


▷
شكل رقم (٥)

شكل رقم (٧) ▽



شكل رقم (٦) △



• التعليقات والحواشى •

(١) كان كعب بن زهير بن أبى سلمى قد هجا النبى صلى الله عليه وسلم وفر من وجه المسلمين ، ثم جاء تائبا وسلم نفسه للنبى ومدحه بقصيدة مطلعها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول

متيم إثرها لم يفد مكبول

فكساه النبى بردة كانت عليه . وهى على حد وصف ابن الأثير : « شملة مخططة » . ابن الأثير ، تاريخ الكامل ، جزء ٢ ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٢) سجل متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، وقد وردت به أوصاف هذه المنسوجة . وسنقوم بالتعليق عليها أثناء الدراسة .

(٣) دكتور زكى محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ط . دار الكتب المصرية ١٩٣٧م .

وانظر عنده رقم ٢٥٠ Wiet : Exposition des Tapisseries.

Wiet : Tissus et Tapisseries du Mussée Arabe.

فى مجلة Syria ، ١٩٣٥ ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

كما أشار إلى الشبه بين زخارف هذه المنسوجة والزخارف على صندوق مغطى بالعاج محفوظ بكنيسة Wurzburg منسوب إلى صقلية .

(٤) Nancy Pence Britton, Pre Tiraz in the Newberry Collection, Arts Islamica, Vol., 9. 1942 p. 166.

(٥) يمكن تلخيص المميزات العامة لزخرفة النسيج الفاطمى فيما يلى :

(أ) ظهور أشرطة كتابية تحيط من أعلى ومن أسفل بشريط به زخارف متعددة (نباتية وحيوانية) مرسومة بأسلوب محور .

(ب) تطورت الزخرفة فصارت تضم عدة أشرطة زخرفية متسعة فى حين احتلت الزخرفة الكتابية المرتبة الثانية .

(ج) ظهرت أشرطة وجدايل تتموج وتتداخل فتحصر بينها جامات ومعينات ودوائر تضم طيورا أو حيوانات أو عناصر نباتية إلى جانب الأشرطة الزخرفية والكتابية .

(د) فى أواخر العصر الفاطمى ، صارت الأشرطة الزخرفية سواء أكانت مجدولة أو كتابية تملأ الثوب كله فلا نكاد نرى فراغا على الإطلاق .

(٦) ترامت أطراف الدولة الفاطمية فقد بلغت غربا ما يعرف حاليا بالجزائر وتونس وصقلية ، كما امتدت شرقا إلى الحجاز واليمن .

(٧) اشتهرت جزيرة صقلية بزراعة القطن في أماكن مختلفة منها ، كما اشتهرت بعض بلادها بصناعته وتصديره إلى البلاد المجاورة ؛ فقد أورد لنا ياقوت الحموى فى كتابه « معجم البلدان » عند ذكر « جطين » وهى احدى قرى « ميلاص » فى جزيرة صقلية أن « أكثر زرعها القطن » .

انظر ياقوت ، فى المكتبة العربية الصقلية ، ص ١١٠ . كما ذكر ابن سعيد : « أن جزيرة صقلية كثيرة الأنهار والعيون والفواكه والأرزاق والقطن الكثير » .

انظر نور الدين على بن موسى بن سعيد المغربى الأندلسى ، البدى ، فى المكتبة العربية الصقلية ص ١٣٧ . كما ذكر لنا ابن العوام أن أهل صقلية كانوا يزرعون القطن فقال : (وأرض صقلية يقصدون به « القطن » الأرض الكريهة ، ويفعل هذا بالسواحل بالأندلس) . انظر أبا زكريا بن محمد بن أحمد بن العوام ، الفلاحة ، مخطوطة بدار الكتب رقم ٤٩٤ زراعة (القسم الأول من الجزء الثانى) ص ٩٨٩ .

أما من حيث نسج القطن وتصنيعه فى جزيرة صقلية،فقد أشار إليه الإدريسى فقال : « وبرطنيق بلدة جميلة طيبة وطية حسنة المنظر بهية وبها رباع زكية يعمل بها القطن الكثير والحنا ... » وتقع برطنيق غربى مدينة بلرم العاصمة بمسافة ليست كبيرة . انظر : أبوعبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس ، نزهة المشتاق ، فى المكتبة العربية الصقلية ص ٤٣ .

ومن حيث تصدير القطن من صقلية ، أشار إليه الزهرى قائلا : (وهذه الجزيرة « صقلية » كثيرة المياه والعيون والفواكه والأرزاق ، ومنها يجلب الجوز والقسطل إلى بلاد أفريقية ، ويجلب منها كثير من القطن .) انظر : أبوعبدالله محمد بن أبى بكر الزهرى ، الجغرافية ، فى المكتبة العربية الصقلية ص ١٥٩ . كما ذكر عبدالله بن محمد بن الحسين فى كتابه الفلاحة « أن الصقليين كانوا من الاجتهاد بحيث كانوا يعشبون الحقل حتى عشر مرات قبل أن يزرعوا فيه القطن ، وكما أحسنوا زراعته أحسنوا غزله وحياكته ، وكانوا يعملون به القرطاس كما كانوا يعملونه من البردى ... » انظر : مارتينو ماريو مورنيو ، المسلمون فى صقلية ، منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية ، ص ٣٤ ط . بيروت ١٩٥٧ .

كما اشتهرت صقلية أيضا بزراعة وصناعة الكتان ويكفى ما أشار إليه فى هذا الصدد الرحالة ابن حوقل الذى زار جزيرة صقلية سنة ٣٦٢هـ / سنة ٩٧٢م من أنه رأى فيها صناعة متقدمة فى النسيج فقال : (إلى شيء من ثياب الكتان والحق فيها أحق أن يتبع فإنه لا نظير لها جودة ورخصا ويباع مستعملها مما يقطع قطعين من الخمسين رباعيا « الرباعى هو ربع الدينار » إلى

ستين رباعيا ، فيزيد على ما يشتريه من أمثاله بمصـــر الخمسين والستين دينارا كثيرا). انظر ابن حوقل صورة الأرض ، ص ١٣٠ ، ص ١٣١ ط . ليدن ١٩٣٨ . كما أشار المقريزى إلى شهرة جزيرة صقلية فى تصدير النسيج الكثير حيث قال : « إن الأميرة عبده ابنة الخليفة المعز لدين الله تركت فيما خلفته ثلاثين ألف شقة » انظر المقريزى الخطط جزء ١ ص ٤١٥ . كما أشار ناصر خسرو إلى نشاط حركة التصدير للأقمشـة من صقلية فيقـول: (ويجلـب من هنـاك « صقلية » كتان رقيق وثياب مقلمة يساوى كل واحد منها فى مصـــر عشرة دنانير مغربية) راجع ناصر خسرو ، الرحلة فى مصـــر ترجمة يحيى الخشـاب ص ٤٧ عنـد الدكتـور محمـد عبدالعزيز مرزوق ، الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية ص ٥٨ . القاهرة سنة ١٩٤٢ .

أما مصر فكانت تشتهر فى العصر الفاطمى وما قبله بالكتان زراعة وصناعة أيضا ، وقد ورد فى كتب بعض الرحالة إشارات متناثرة عن المدن التى كانت تنتج الكتان فى العصر الإسلامى فيذكر ابن حوقل محلّة بَنَا وبُوصير وسمنود وكلها تنتج الكتان وتصدره إلى جميع أنحاء العالم . كما ذكر ابن بطوطة دلاص وبوش على أنهما من أكبر المدن انتاجا للكتان بمصر ، كما يذكر المقدسى الفيوم وبُوصير . انظر د . سعاد ماهر محمد ، النسيج الإسلامى ، ص ١٣ . كما برع المصريون كذلك فى غزل الكتان منذ العصر الفرعونى كما تشير إلى ذلك الرسوم التى وجدت فى مقابر الأسرات من الحادية عشرة إلى الثالثة عشرة ببنى حسن (محافظة المنيا) .

أما بالنسبة للقطن فى مصر،فقد تضاربت الأقوال فى وجوده فى أوائل العصر الإسلامى فعلى الرغم من وجود مراجع تاريخية تذكر وجود القطن بمصر منذ العصر الفرعونى ، فإنه لم يكتشف بعد دليل مادى مؤكد يؤيد ما ورد فى هذه المراجع . انظر دكتورة سعاد ماهر محمد ، النسيج الإسلامى ، ص ١٩ . وترى السيدة / نانسى بنس بريتـون أنـه فى أواخـر العصر الفاطمى بدأت ندرة القطن تزول فى مصر تدريجيا وكان هذا بمثابة تمهيد لظهوره بكثرة فى العصر المملوكى . انظر :

- Nancy Pence Britton, Pre Mameluke
- Tiraz in the Newberry collection, Arts Islamic, Vol. 9, 1942 p. 166.

وبالنسبة لبلاد اليمن كان القطن يزرع فيها أو على الأقل كان يسهل استيراده من البلاد التى كانت تنتجه فى العصر الإسلامى وما قبله كالعراق وإيران . انظر دكتورة سعاد ماهر محمد ، النسيج الإسلامى ص ٢٠ . ومن المعروف أن بلاد اليمن كانت تنتج الوصايل على عهد تبع بن كليكرب ملكها الذى أمر بكسوة الكعبة من الوصايل . انظر سيرة ابن هشام ـ جـ ١ ص ١٥ ط . « وستنفلد » (الوصايل لغة جمع وصيله والوصيلة كما جاء فى القاموس المحيط ثوب يمانى مخطط) وقد استمر إنتاج الوصايل فى العصور الإسلامية الأولى مع احتفاظها

بخصائصها التى تتميز بها بين أقمشة العالم الإسلامى الأخرى ، وهى الخطوط التى تنساب طولية أو عرضية وتتصل أو تنفصل لتعطى منظر ألوان متعددة كأنما غفل الفنان عنها فانسكبت على أرضية بيضاء واختلطت ببعضها وامتزجت ولكن فى نظام بديع . وفى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة مجموعة من هذه الوصايل اليمنية توضح مدى عظمة صناعة الأقمشة فى اليمن . وقد نجح اليمنيون فى صناعة هذا النوع من الأقمشة على أنوالهم المحلية وبلغوا فى ذلك درجة عظيمة من الروعة والإتقان . ويكفى دليلا على براعة الصناع أنهم ابتكروا طريقة فنية خاصة لزخرفة الوصايل اليمنية وهى طريقة نسج الخطوط الملونة الناشئة على صبغ خيوط السداة واللحمة قبل النسج بلون أو بعدة ألوان أبرزها الأزرق والأبيض الضارب إلى الصفرة ، والأسمر الضارب إلى الحمرة . ولعل مما ساعدهم على هذا النجاح سهولة حصولهم على القطن،لأن خيوط الوصايل اليمنية كلها من القطن المصبوغ . انظر : وفية عزى ، نماذج من الفنون الإسلامية فى اليمن ، ص ٢٨ ، المجلة ، العدد ٧١ ديسمبر ١٩٦٢ كما ابتكر الصناع اليمنيون طريقتين لتزيين الوصايل ، فاستعملوا التطريز تارة والطبع والتذهيب تارة أخرى ، مع وحدة العناصر الزخرفية فى كل من التطريز والتذهيب ، وهى تنحصر فى الخطوط المجدولة أو الحروف الكتابية انظر وفية عزى ، نماذج من الفنون الإسلامية فى اليمن ، ص ٢٩ ، المجلة ، العدد ٧١ . وانظر اللوحة رقم (٢) وهى عبارة عن نسيج يمنى مطبوع مذهب من القرن ٤هـ / ١٠م . ومحفوظة بمتحف الفن الإسلامى برقم سجل ١٤٤٧٠ .

(٨) قام بفحص خيوط هذه المنسوجة ميكروسكوبيا معمل مركز بحوث وصيانة الآثار بتاريخ ١٩٨١/٨/١٢م وتبين له أنها قطن ١٠٠٪ . وأرجو أن يعدل ما ورد عن تعريف هذه المنسوجة بسجل متحف الفن الإسلامى حيث جاء فيه أنها من الكتان .

(٩) قام بفحص هذه المنسوجة الدكتور سيد خليفة الاستاذ بكلية الفنون التطبيقية بالقاهرة (نسيج) وحدد سداها ولحمتها .

(١٠) انظر نهايات حرف الواو الواردة فى الشريط السفلى والشكل رقم (١) .

(١١) هذا الطائر عقاب وليس نسرا كما وصفه الدكتور زكى محمد حسن فى كتابه « كنوز الفاطميين » ص ١٢٧ . فالنسر يشترط فيه وجود رقبة .

(١٢) هذا الحيوان أسد أفريقى يطلق على نوعه Felis leo وليس فهدا حسبما وصفه الدكتور زكى محمد حسن،فالأسد له معرفة . كما تتميز السباع بوجود بقع غامقة اللون فى جسمها وهذا ما حرص الفنان على إبرازه .

(١٣) نجح الفنان فى إبراز العلاقة بين السباع وما تفضله من فرائس على رأسها الحمر

الوحشية،حيث ميز الفريسة بالخطوط لإدراكه محبة السباع لهذه الحمر الوحشية المخططة .
(١٤) يرى الدكتور سيد خليفة بعد فحصه لهذه المنسوجة وألوانها أن الأصباغ لم تستخدم فى الطباعة على الاطلاق ، فى حين استخدم مسحوق الذهب للتذهيب ، كما استخدمت أكاسيد المعادن للحصول على اللون الأزرق الزهرى . أما اللون الأسود فهو نوع من الأحجار التى كانت سائدة وقت صناعة المنسوجة . وقد استخدم لتثبيت مسحوق الذهب على القماش وكذلك أكاسيد المعادن الزرقاء ، لصاق وضع على سطح النسيج .
(١٥) هذا الطائر عقاب كسابقه وليس نسرا كما سبق أن بيناه .
(١٦) هذا الطائر بلشون Grey Heron وليس أوزة كما ذكر الدكتور زكى محمد حسن فى وصفه . وهو من نوع البلشون الأوروبى European Form حيث يتميز رأسه بوجود ريشات فى مؤخرة رأسه وقد بينها الفنان مما يدل على أنه يعيش فى بيئة أوروبية . (لوحة رقم ٥ والشكل رقم ٢) . ويستوطن هذا الطائر البحيرات والبرك والمستنقعات ، ويتغذى على الأسماك والقشريات والديدان .
(١٧) انظر لوحة رقم (١) والشكل رقم (٣) .
(١٨) هذا النوع من النسيج هو أكثر الأنواع ذيوعا وأعمها استعمالا ، ولذا كانت القطع المنسوجة منه أكثر من باقى قطع المنسوجات الأخرى ، وذلك لبساطة طريقة نسجه ومن أجل هذا يعتبر أول التراكيب النسجية التى استعملت فى صنع الأقمشة . وطريقة النسيج السادة معروفة منذ أزمنة بعيدة فى التاريخ وهى عبارة عن تقاطع خيوط السدى مع خيوط اللحمة تقاطعا منتظما بحيث يؤدى إلى اختفاء فريق من خيوط السدى تحت اللحمة ، وظهور الفريق الآخر فوقها وبالعكس فى اللحمة التى تليها وهكذا . انظر :

- John H. Strong : The Eoundation of Fabrics p. 117.
- Glazer : Historic Textile Fabrics. p. 5.
- Nisbet : Grammer of Textile design. pp. 6-10.

عند دكتورة سعاد ماهر محمد ، النسيج الإسلامى ، ص ١١ . وكذلك أشكال ١ ، ٢ ، ٣ عندها ويصنع هذا النسيج على الأنوال الرأسية والأفقية على حد سواء .

(١٩) الطباعة بالقالب عبارة عن رسم وحدة زخرفية على القالب الخشبى ، ثم تحفر هذه الرسوم إما حفرا بارزا ، أو غائرا ويسمى اليابانيون القالب ذا النقوش البارزة بالقالب الإيجابى Positive والقالب ذا النقوش الغائرة بالقالب السلبى Negative ثم يغمس القالب فى مادة الصباغة ، ويطبع على النسيج فيظهر الرسم ملونا بالصبغة فى حالة القالب الإيجابى ، وتكون الزخارف بيضاء خالية من الصبغة فى حالة القالب السلبى بينما يصبغ الإطار المحيط بها . وقد

عرفت الصين الطباعة بطريقة القوالب Block Print منذ عهد بعيد ، وإن لم يعرف على وجه التحديد تاريخ نشأتها . ويمتاز أسلوب الطباعة بالقالب بسهولته وقدرته الكبيرة على الإنتاج السريع . انظر دكتورة سعاد ماهر محمد ، النسيج الإسلامي ، ص ٨٢ . إلا أن القالب المستعمل في هذه المنسوجة لا يعدو أن يكون محددا لعناصر الزخرفة سواء كانت حيوانية أو نباتية أو كتابية ، ويطلق على هذا النوع من القوالب اسم « القالب ذو الشرائح المعدنية » .

(٢٠) انظر نقطة البداية على جناح العقاب الذى ينقض على البلشون (بالشريط العلوى للزخرفة) لوحة رقم (١) . ويحتمل أن تكون هذه النقطة نتيجة عملية ترميم ، لاسيما وأن القطعة قد تم شراؤها من أحد تجار الآثار واسمه موريس نجهان في ٨ مايو سنة ١٩٣٢م .

(٢١) السقلي ، صفة تذهيب الورق والكاغد . يقول : « تأخذ من الوشق ما شئت وتقطعه ثم تجعله في إناء وتصب عليه ما يغمره من الماء حتى تراه قد انحل وتحركه على نار لينة ، ثم ترمى فيه يسيرا من الزعفران ، ثم تكتب به في الكاغد أو الورق ، وتتركه حتى يجف ، ثم تتركه ساعة ، ثم تأخذ من ورقة الذهب الخالى فتقطعها قطعا صغارا على جلد نقى ، ثم تأخذ الكاغد المكتوب فتنفخ فيه قليلا حتى يعرف الموضع المكتوب برفق ثم تدلكها بقطن قليلا حتى تراه قد التزق ، ثم تبل أصبعك بالريق وتضعه على ذلك الموضع وتشدها عليه برفق فان الورقة تلزق الموضع المكتوب بالوشق ، ولا تثبت على سواه ، وكذلك فاعمل في كل شيء تريد تذهيبه » . انظر :

- Nallioo. Gentenario della Nascita di Michele Amari.
- Volume Prime. Palermo Stabilimento. Tipografico. Virzi 1910. p. 447-448.
- La preparazioпe Degli Inchiostri Hibre Midad Di Differenti Colori Sposta da un Anonimo siciliano.

(٢٢) انظر لوحة رقم (٤) .

(٢٣) يقصد بالكتابة المتعاكسة أن قواعد الحروف في السطرين متقاربة سواء فصلهما شريط زخرفي أو لم يفصلها فبينما تكون رءوس أحد الطرفين متجهة إلى الشمال نجد رءوس حروف السطر الآخر متجهة إلى الجنوب . انظر دكتور محمد عبدالعزيز مرزوق ، الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية ص ٩٦ .

(٢٤) بالنسبة لشيوع هذه الظاهرة في مصـــر انظر د . محمد عبدالعزيز مرزوق ، الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية من ص ٣٩ ـ ١٤٠ .

أما بالنسبة لشيوع هذه الظاهرة في إيران انظر لوحة (٥) عن :

- Arthur Upham pope
- A Survey of persian Art from prehistoric Times to the present. PL. B. p. 995.

(٢٥) د . محمد عبدالعزيز مرزوق ، الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية ، ص ١٢٤ ، ١٢٦ ، د . عبدالمنعم رسلان ، الحضارة الإسلامية فى صقلية وجنوب ايطاليا ، ص ٦١ ، لوحات ٨ ، ١٠ ، ط جدة ، تهامة ١٩٨٠ .

(٢٦) المرجع السابق ، ص ٦١ ، لوحات من ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ .

(٢٧) سبق أن عالجنا طريقة التلوين بالمساحيق المختلفة (راجع حاشية رقم ١٣ ، ٢٠) .

(٢٨) د . عبدالمنعم رسلان ، الحضارة الإسلامية فى صقلية وجنوب ايطاليا ص ١٤٥ ـ ص ١٤٨ واللوحة (٢٩) الخاصة بنقش اللغات الثلاث بالجزيرة عنده .

(٢٩) Arthur U. Pope, A Survey of Persian Art from Prehistoric Times to the present. PL. B. Volume XI p. 995.

(٣٠) Ibid. Vol. IX A. p. 598.

(٣١) د . محمد عبدالعزيز مرزوق ، الزخرفة المنسوجة ، لوحة ١٢ ، د . سعاد ماهر محمد ، النسيج الإسلامى ، لوحة ٢٢ .

(٣٢) د . عبدالمنعم رسلان ، الحضارة الإسلامية فى صقلية وجنوب ايطاليا ، لوحة ١٠٣ ، ص ١٧٣ .

(٣٣) Hayford Peirce et Royal Tyler, L'art Byzantin, Vol., I PLs., 101, 102, Paris 1932.

(٣٤) قارن بين طريقة رسم العقد على الفرع المتموج فى هذه المنسوجة (شكل ٤ ، شكل ٥) ، والعقد النباتية الصقلية (شكل ٧ ، ٨) . وانظر كذلك عند د . عبدالمنعم رسلان ، الحضارة الإسلامية فى صقلية وجنوب ايطاليا لوحات (٧١ ، ٧٣ ، ٨٦) .

(٣٥) د . عبد المنعم رسلان ، الحضارة الاسلامية فى صقلية وجنوب ايطاليا ، لوحة ٩٥ ، ص ١٦١ وانظر عنده :

- Falk, Otto. Decorative Silks. p. 21.
- Migeon. M. D'art M. Tome 11 p. 313.

(٣٦) المرجع السابق ، شكل ٢٠ أ ، لوحة رقم ٧٦ .

(٣٧) المرجع السابق شكل ١٩ ى .

(٣٨) المرجع السابق لوحة ٨٧ .

(٣٩) المرجع السابق ، ص ٨٧ ، ص ٨٨ ، Otto Vom Falke, decorative Silks, p. 20.

من المخطوطات التاريخية لبلادنا :

تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق

للشيخ عبدالله بن محمد بن بسام

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر



يهم كثيرا من الباحثين فى تاريخ بلادنا ، أن يعرفوا مصادر رصد المعلومات ، والتعرف على كتّاب تلك المصادر ، وطريقتهم فى البحث ، واقتناص المعلومات ، ثم تسجيلها ، ومنهجية الكاتب فى هذا ، والعوامل التى تحيط به أو تؤثر فيه .

ذلك أن قلة ما رصد عن نجد والأحساء وعسير ، والحجاز عدا مكة والمدينة ، وبخاصة فى الفترة ما بين الدولة العباسية ، وظهور الدعوة الإسلامية السلفية الإصلاحية فى الدرعية منذ عام ١١٥٨ هـ . وهى السنة التى منها بدأت تتحد أجزاء الجزيرة فى دولة منظمة ، سداها ولحمتها عقيدة التوحيد الخالص ، ونبذ ما سواه .

منذ ذلك التاريخ أقام الإمام محمد بن سعود دعامة الدولة السعودية الأولى ، والتى بدأت عندما تصافح الشيخان محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود رحمهما الله ، وتعاهدا على نصر دين الله ، والدعوة لذلك ، ومضى قدما لإنقاذ الناس من الضلالة والجهالة ، وإزالة ما ترسب فى المجتمعات من شكوك وفتن وخرافات وبدع .

ولذا يعد تاريخ المنطقة قد بدأ منذ ذلك التاريخ ، فرصده أبناؤه المشاهدون للأحداث المهتمون بجانب الإيضاح لكل حدث فى وقته .

ولئن كانت المنهجية العلمية ،والقدرة التعبيرية ، تنقص بعضهم ، الاّ أنهم رحمهم الله جميعا ، قد ملأوا فراغا ، وأوجدوا تراثا ، وخدموا من جاء بعدهم ، بما فتحوه من باب ، ومارصدوه من علم .

وهذا لا يمنع استفادة بعضهم من بعض ، والاتفاق فى المعلومات التى استقاها كاتبوها من أفواه الرجال ، ومما هو متناقل عن الصدور ، فى منتديات القوم ومجالسهم بالتوارث والتواتر .

ولكلٍّ من هؤلاء الراصدين منهج خاص ، وطريقة واضحة فى استقاء معلوماته ، وتدوين ما توصل إليه ، تميزه عن غيره .

وقد سبق أن طرقت فى أعداد ماضية ، وعلى صفحات مجلة « الدارة » لمحات عن سمات بعضهم ، أو على الأصح عرَّفتُ بكتب وشخصية من كتبوا فى هذا المجال ، أو شاركوا بجهودهم السابقة فى تجميع ما مرّ بأمتهم وبلادهم من أحداث تاريخية ، أو نظرات اجتماعية ..

ولا نعدم فى كل واحد مرّ بنا ، علامة فى جهده تميزه ، أو ظاهرة ينفرد بها ، وهذه سمة قلما يخلو منها جهد كاتب ، أو نتاج مؤرخ ؛ فجهد قلم الكاتب تعبير عن شخصيته ، والمؤثرات فيها .

وشيء آخر وضحت عنه فى سيرهم الذاتية ، ومنهجيتهم العلمية ، أن من أبرز ما لاحظت كثرة استفادة اللاحق من السابق ، وتكرار المعلومات المستقاة ؛ لأن مصدرها الأساسى الراصد الأول ، ولا مرجع يستقى منه غيره ، ومرجعه هو غير مكتوب .

وهكذا فيما يجدُّ من معلومات حسب التتابع الزمنى لكل مؤرخ مع أقرانه .

وفى هذا الموقف تبرز شخصية المؤرخ فيما عاصر من أحداث ، وما رصد من معلومات انفرد بها ، إلاّ أن الظاهرة العامة عند مؤرخى نجد ، أنهم لا يختلفون فى النظرات الدينية ، ولا فى الأحداث السياسية ، وليست لهم مآرب شخصية موجهة كما يبين عند غيرهم ، وأن النقل بأمانة من أبرز سماتهم ؛ ذلك أن عامل الدين السلفى هو المؤثر فيهم جميعا . وقد كنت تحدثت فى مرات ماضية عن :

ـ ابن غنام وتاريخه . فى العدد الأول من السنة الرابعة الصادر فى ربيع الآخر عام ١٣٩٨ هـ . مارس ١٩٧٨ م ، مجلة « الدارة » .

- مقبل الذكير ومخطوطته التاريخية . مجلة « الدارة » العددان الرابع والثالث من السنة الرابعة .
- ابراهيم الضويان وجهوده العلمية ونبذته التاريخية مجلة « الدارة » العدد الثانى من السنة الرابعة رجب عام ١٣٩٨ هـ . يونيه عام ١٩٧٨ م .
- عبد الرحمن الناصر وتاريخه المخطوط : عنوان السعد والمجد مجلة « الدارة » الأعداد الأول من السنة الخامسة ربيع الثانى عام ١٣٩٩ هـ .والثالث والرابع من السنة السادسة جمادى الآخرة وشعبان عام ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م .

وفى هذا الموقف سيكون لى معك يا أخى القارئ لقاء فى مخطوطة تاريخية جديدة ، تتحدث عن حقبة زمنية معينة ، واسعة المدى ، وكثيرة الأحداث .فيها جدة فى المعلومات ، ودقة فى التجميع ، ووفرة فى الدلالات والقرائن ، واستفادة من السابقين ، وحداثة فى الأسلوب الكتابى ، وطريقة خاصة فى التنظيم والترتيب ، وأفق واسع فى رصد الأحداث البعيدة عن بيئة الكاتب ، وان كان الناسخ قد أضفى بقلمه لمسات على ما سطره المؤرخ فى الأسلوب واللغة ، مما يزيد المخطوطة تجديدا وتبويبا .

وقد كنت أتمنى الوقوف على النسخة الأصلية التى بخط المؤلف نفسه ، لكى يظهر شىء جديد من ثنايا السطور ، ونوعية الخط وتاريخه . لكن على وجه الشمول ،فالأعم الأغلب منها لم يتبدل ؛ بل بقى على الشكل الذى وضعه المؤلف .

اسم الكتاب :«تحفة المشتاق فى أخبار نجد والحجاز والعراق » تأليف عبدالله بن محمد بسام .

ولا أحب أن أشرك القارئ معى فى الجهد والمشقة اللتين بذلتها للاطلاع على هذه المخطوطة طوال ست سنوات ، لكن لا يفوتنى الإشادة بحرص وتشجيع معالى الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير التعليم العالى الذى فتح لى صدره ،ومحضنى نصحه ، وساعد بتوجيهه فى هذا السبيل فجزاه الله خيرا .

لقد علمت بأن أكثر من نسخة من هذه المخطوطة موجودة عند مجموعة طيبة من الأسر الكريمة بالمملكة ممن يهتم بالتجميع والمتابعة ، كما قال الشيخ حمد الجاسر بأن فى مكتبة « أرامكو » بالظهران نسخا منها ،لكننى لم أجدها بالمكتبة ، ولم أستطع الاطلاع عليها عند من يملكها ، وأمضيت فى تلك المحاولة قرابة ست سنوات ، لم تُجد فتيلا .

وفى لحظة يأس من الاطلاع على هذه المخطوطة ، جمعنى المكان ثم الاستفاضة فى الحديث مع أخ حبيب لا يبخل بالعلم ، ولا يتباهى بالجمع أو الجاه . وقد وعد - جزاه الله خيرا - ببذل جاهه عند من يملكها ، رغبة فى توسيع دائرة المعرفة ، وقد وفّى بما وعد ، لأنه يقدر على من هى عنده . والذى نخشاه على تاريخ بلادنا هو ضياع حلقات منه قبل نشره ، لتشدد بعض من يملك تلك الحلقات ، ولايهتم بإخراجها وتحقيقها ، فكم سمعنا عن نبذ تاريخية لم نجد لها خبرا ، وقد تكون نسخة مكررة

عن سابقاتها ، وقد تكون محيرة فى بعض الجوانب ، لكن الباحث يهمه الاطلاع على الجميع،لأنه لا يعدم نادرة لم يتطرق إليها سواه .

ولقد ذكر الشيخ حمد الجاسر ـ أمد الله فى عمره ـ فى حديث بمجلة « العرب » ، تحت عنوان « مؤرخو نجد من أهلها » بأن هناك تواريخ كثيرة جاء ذكرها فى بحثه لم تنشر بعد ، وبعضها ذكر ولم ير.[1] وقد يكون ذلك العدد الكبير الذى أشار إليه ، مع نسبة لا يستهان بها غير ما ذكر ، سلكت ذلك المسلك ، وقد يكون فيها معلومات جديدة لا يعدم الباحث الفائدة فيها ، والتى هى ضرورة ملحة لإضافتها للحصيلة القليلة الموجودة على السطح .

وقبل التحدث عن المخطوطة : يحسن بنا أن نعطى فكرة عن الكاتب وأسرته ، لأن فى هذا الإيضاح جلاء للمهتمين بالبحث التاريخى ، وتعريف له حتى لا تختلط الأسماء والتخصصات ؛ ذلك أن أسرة آل بسام من الأسر العلمية العريقة فى نجد ، عندما كانت فى أشيقر بمنطقة الوشم ، وبعد انتقال بعضهم للعيينة ، ثم المصاهرة مع بنى عمهم الذين أصبحوا فيما بعد أسرة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه ، ثم بعدما انتقل أغلبهم الى مدينة عنيزة فى القصيم .

فمن هو المؤلف ؟؟ .

اسمه ولقبه :

المؤلف لهذا الكتاب : هو الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد العزيز بن حمد بن ابراهيم بن عبدالله ابن الشيخ أحمد بن عبدالله ابن بسام الوهيبى التميمى [2] .

لقد ترجم لحياة هذا المؤلف كل من الشيخ : حمد الجاسر فى بحثه عن مؤرخى نجد من أهلها بمجلة العرب ، والذى كان بحثا ألقاه فى محاضرة بجامعة الملك سعود بالرياض عام ١٣٧٩ هـ .[3] كما ترجم له الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام فى كتابه « علماء نجد خلال ستة قرون » [4] إلى جانب بعض النتف الذى ذكرها عنه الريحانى فى رحلته إلى نجد وانطباعاته عن نجد وعنيزة [5] .

أما ولادته فيرى الشيخ حمد الجاسر بأنه ولد عام ١٢٧٠ هـ . أى فى السنة التى ولد فيها المؤرخ ابراهيم بن صالح بن عيسى،استنادا إلى ما كتبه إليه الوجيه عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زامل آل سليم ، وأنه توفى عام ١٣٤٨ هـ . عن ٧٨ عاما [6] .

أما الشيخ عبدالله بن بسام فيرى بأن مؤرخنا ولد بعنيزة عام ١٢٦٨ هـ . قارنًا ذلك بهذه الحادثة : بأن والد المؤلف قتل فى معركة المطر عام ١٢٧٩ هـ . ، وكان له ابناء أربعة : حمد الذى لم يكن عمره يتجاوز السادسة عشرة،ويليه عبد العزيز،ويليهما المترجم له الذى لم يتجاوز عمره الرابعة ، ثم أصغرهم عبد الرحمن الذى كان حملا فى بطن أمه حين قتل والده [7] .

أما عن وفاته،فقد ذكر بأنه توفى فى بستانه المهيرية فى عنيزة عام ١٣٤٦ هـ . [8] وقد رأيت على

طرة المخطوطة حسبما أثبت الكاتب الذى نسخها بأنه توفى عام ١٣٤٦ هـ تقريبا . كما حدده بعض أهله (٩) . وأجد أن هذا يحتاج لمناقشة ، حيث أميل مع الشيخ حمد الجاسر فى تحديد تاريخ ميلاده بعام ١٢٧٠ هـ . للأسباب التالية : »

١ ـ استدلاله بالرسالة التى بعثا بها إليه الوجيه الشيخ عبد الرحمن الزامل ، وان كان لم تثبت نص الرسالة ، إلاّ أنها على كل حال قرينة قوية ؛ فقد يكون الشيخ عبد الرحمن صديقا ملازما للمؤلف ، وأنه نقل عنه هذا الرأى .

ومن المسلم به فيما يتعلق بالعمر وتاريخ الولادة : أخذ رأى الشيخ عن نفسه ، أو التقارب مع أترابه الذين عاشوا معه فترة الصبا ؛ لأنهم يقيسون ذلك بأحداث عالقة بالذهن ، ووقائع واستدلالات هم أخبر بها . وبذا يؤخذ برأيهم ؛ لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ .

٢ ـ ذكر الشيخ عبدالله بن بسام بأن عمره كان أربع سنوات عندما قتل والده سنة المطر عام ١٢٧٩ هـ . (١٠) وهذا غير مناسب ؛ بل يتبادر للذهن حسب هذا القول بأن عمره كان احدى عشرة سنة لا أربع سنوات .

أما إذا كان عمره يقينا أربع سنوات عندما قتل والده ، فان الأمر يحتاج إلى إيجاد رأى ثالث عن تاريخ ولادته وهو عام ١٢٧٥ هـ .، إذا كان قد ثبت بأن والده قتل بالفعل فى هذه المعركة .

٣ ـ ذكر وقعة المطر هذه كل من ابراهيم بن صالح بن عيسى فى كتابيه عقد الدرر (١١) وتاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد (١٢) ، والمؤلف عبدالله بن بسام فى تاريخه الذى بين أيدينا فى حوادث عام ١٢٧٩ هـ . (١٣) .

ولم يذكرا عن والد المؤلف بأنه قتل فى هذه المعركة ، وهذا غير مستبعد من ابن عيسى ؛ لأنه ذكر أن عدد القتلى من عنيزة فى حدود أربعمائة ،ولم يذكر من هذا الرقم أى اسم ، فمن باب أولى أن يكون ترك والد المؤلف مع غيره ممن ترك ،وبخاصة وأن الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام قد ذكر بأن والد المؤلف كان فقيرا ، ولم يذكر له منصبا اجتماعيا . ومن عادة المؤرخين تخصيص النابهين بالذكر .

لكن كان من المنتظر أن يشير المؤلف نفسه إلى ذلك ، باعتبار أن الموضوع يخصه هو ، ويؤثر فى نفسه ، إلاّ أنه لم يذكر ذلك ، رغم أنه ذكر أناسا من آل بسام لا يقل عددهم عن عشرة ، فى وفاتهم أو أبرز ما مر بهم .

٤ ـ وإذا اعتبرنا ولادته عام ١٢٧٠ هـ . كما أخبر الشيخ عبد الرحمن الزامل وأثبته الشيخ محمد الجاسر ، وهو ما أجدنى أميل إليه ، فإن عمره عندما قتل والده ، يصبح تسع سنوات لا أربعاً .

٥ ـ وعن وفاته أجدنى أميل إلى رأى الشيخ عبدالله بن بسام بأنه توفى عام ١٣٤٦ هـ الذى

أكده ما جاء على طرة الكتاب ، وأثبته الناسخ نقلا عن بعض أهل المؤلف . وبهذا يصبح عمره ٧٦ سنة ؛ لأن عبدالله بن بسام من أهله وعشيرته ، وقد يكون ممن أدركه وعرفه معرفة جيدة . وبذا يسهل عليه رصد تاريخ وفاته ببعض الشواهد المعينة على تحديد الزمن الذى توفى فيه .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فالشيخ عبدالله عبد الرحمن البسام أيضا لديه اهتمامات تاريخية مبكرة وقديمة، جعلته يهتم بالأمر ويجمع ما يتعلق بالرجال وتراجمهم حتى أخرج كتابه « علماءنجد خلال ستة قرون » فى ثلاثة أجزاء ، وينوى إعادة طبعه كما فهمت منه فى حجم يقارب ضعف حجمه الحالى .

ومن ناحية ثالثة فإن ناسخ مخطوطته قد رصد ذلك على الطرة منسوبة إلى بعض أهله . وقد نجد قرينة رابعة تتمثل فى رصد المؤلف للأحداث التاريخية حتى عام ١٣٤٤ هـ ، وأن السنتين الأخيرتين هما الفجوة بين وفاته وتوقفه ، قد تكونان فترة ضعف لكبر سنه .

ولم أجد فى الكتب التاريخية التى تحدثت عن أحداث الفترة التاريخية المقاربة لزمن وفاته ، من مطبوع ألّفه مؤرخون من نجد مثل : تذكرة أولى النهى والعرفان للشيخ ابراهيم بن عبيد ، الذى خرجت طبعته الأولى عن مطابع مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض غير محدد تاريخها . ومشاهير علماء نجد للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، الطبعة الثانية بإشراف دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة بالرياض عام ١٣٩٤ هـ . أو مخطوط مثل : تاريخ مقبل الذكير ، وعنوان السعد والمجد لعبد الرحمن الناصر ، من ذكر تاريخ وفاته أو تعرض لسيرته . ومن باب أولى ألاّ يذكره غيرهم ، إلاّ فيما رصد من معلومات لم يصل إلينا خبرها بعد .

وعلى هذا التحديد ، فإنه من الصدف أن يكون بين مؤرخنا هذا ، وبين المؤرخ محمد البسام صاحب كتاب (الدرر المفاخر ، فى أخبار العرب الأواخر) مائة سنة كاملة فى تاريخ الوفاة ، فمحمد البسام توفى عام ١٢٤٦ هـ ، وعبدالله هذا توفى عام ١٣٤٦ هـ .

سيرته وحياته :

ينقل الشيخ محمد الجاسر عن الرسالة التى بعث إليه الوجيه عبد الرحمن الزامل ثناء عاطرا على المؤلف بأنه : نعم الرجل دينا وعقلا وأدبا .

هذا عن التزكية الشخصية ، أما عن حياته الاجتماعية والعلمية ، فيقول : بأنه كان يشتغل بالتجارة فى « بمبى » بالهند ، ويقيم هناك سنتين أو ثلاثا ، ويزور وطنه عنيزة فيقيم فيها كذلك ، ويظهر أنه لم يشتغل بطلب العلم متجردا له ، ولكنه أديب مثقف ، وربما نظم بعض المقاطيع الشعرية الفكاهية التى لها صلة ببعض أصدقائه (١٤) .

لكن الشيخ عبدالله بن بسام قال : بأن صاحبنا هذا وإخوانه الثلاثة : حمد وعبد العزيز ، وهما أكبر منه ، وعبد الرحمن وهو أصغر من المؤلف ، بدأوا حياتهم التجارية من لا شيء ،لأن والدهم توفى ولم يخلف لهم مالا ،وقد بدأ ذلك أكبرهم حمد بتجارة بسيطة بين عنيزة وسوق الشيوخ فى العراق ، فلما كبر إخوانه وصار لهم منه مساعدة على أعمال التجارة ، فتح بيت تجارة فى جدة ، ولما اتسعت أعمالهم نقلوها من جدة الى البصرة ، فلما زادت فتحوا بيت تجارة آخر فى الهند ، فصار حمد وعبد الرحمن يعملان فى بيت البصرة بالتناوب ، وعبد العزيز وعبدالله يعملان بالتناوب فى بيت الهند ، فاتسعت أعمالهم ، وربحت تجارتهم ، وصاروا من أثرياء نجد المعدودين (١٥) .

ويزيد الشيخ عبدالله بن بسام عن علمه ومدرسة الحياة التى تخرج منها فيقول : والقصد أن المترجم له مع أعماله التجارية ، كانت هوايته ورغبته فى القراءة والمطالعة ، وجمع الكتب ، وأغلب ميوله الى التاريخ والأدب والسياسة ، ومعرفة أحوال البلدان والرحلات ، فصارت لديه ثقافة ومعلومات واسعة فى هذا الباب ، فتحصيل المترجم له للعلم هو من المطالعات ومجالسة العلماء والأدباء والمفكرين ، وليس من دراسة منظمة فى حلقات العلم فحسب ، ولذا فإن مشاركته فى العلوم الشرعية ، والعوم اللسانية ليست كبيرة (١٦) .

ويبدو أن أسرة آل بسام أسرة علم ومعرفة ، وذات اهتمام بالتاريخ فى وقت قلّ المهتمون به فى نجد لانشغالهم بلقمة العيش ، ومشاغل الحياة التى أهم ما يشغلهم فيها الأمن وانعدامه ، مع تفشى الجهل ، وغلبة الأمية فى الأعم الأغلب ، إلى جانب الهجرة المتكاثرة من نجد إلى حيث تتوفر مصادر العمل وطلب الرزق . وسوف يلمس القارىء اهتمام هذه الأسرة بالتاريخ خاصة من التعريف الذى سوف نلمّ به هنا عن الباحثين والمؤرخين من آل بسام .

لقد ذكر الشيخ عبدالله بن بسام أن المؤلف بدأ كتابة تاريخه فى الهند ، لكنه لم يحدد سنة بعينها ، ولم يحدد مدة مكثه فى الهند أيضا بدءاً وانتهاء ، كما ذكر أنه أكمله أثناء إقامته فى عنيزة (١٧) . والريحانى عندما مرّ بعنيزة فى حدود عام ١٣٤٣ هـ . ذكر انطباعه عن الشيخ عبدالله بن محمد بن بسام فيقول : وهذا عبدالله بن محمد آل بسام يثبت ما أقول ـ ويعنى بذلك ما قاله أمير عنيزة له بأنه لن يستقدم آلات بخارية لرفع المياه والرى ، حتى يستقدمها السلطان عبد العزيز للاحساء ونحن نتبعه ـ : فهو على علمه وأدبه ، وروحه العصرية فى كثير من أمور الحياة ، لا يتقدم طويل العمر فى الرياض ، لعبدالله أرض خارج المدينة حفر فيها قليبا عمقه ثمانون قدما ، وعرضه خمسة وعشرون بعشرين ، يشتغل فى رفع المياه منه عشرة جمال ، وهو مطوى بالحجارة ، محكم البناء ، كلفه أربعمائة ليرة انجليزية ، ويكلفه رفع المياه يوميا ليرة واحدة فى الأقل ، أما ثمن الآلة البخارية فلا يزيد على نصف كلفة القليب ، وثمن النفط أقل من أجرة الجمال ، وعبدالله البسام الذى ساح فى مصر والعراق

والهند ، يدرك ما فى الاستعاضة بالبخار من الاقتصاد والتوفير ، والسرعة فى العمل ، ولكنه عربى ، والعرب فى الزراعة على طريقة ملوكهم وأجدادهم [١٨] .

هذه البئر قد حفرها مؤرخنا فى عام ١٣٤١ هـ . أرّخها بثلاثة أبيات ذكرها الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام فى ترجمة حياة المؤلف وهى :

رجوت رحيما واستعنت بعونه	كمستمطر يرجو المنى من غمامه
على حفر بئر فاق ما كان قبله	فجاء نميرا يستقى من جمامه
ولما استتم الأمر قلت مؤرخا	حمدت كريما منّ لى بتمامه

٤٥٢ + ٢٧١ + ١٣٠ + ٤٨٨ = ١٣٤١ هـ [١٩] .

ومن هنا يبدو أن هذا البئر غير البستان المشهور لآل بسام والمعروف بالمهيرية ، والذى ذكر المؤلف فى أحداث عام ١٢٩٨ هـ . أنهم بدأوا فى غرسها عندما قال : فى سنة ١٢٩٨ هـ . ابتدأنا نحن آل محمد بن عبد العزيز بن حمد بن بسام فى غرس قليبنا المسماة المويهرية المعروفة فى بلد عنيزة [٢٠] وهذه البئر عرفت فيما بعد عند بعض الناس ، « أم المويهرية أو أم المهيرية » ولا خلاف فى هذا ـ والريحانى يعترف للشيخ عبدالله بن بسام بالفضل فى تعاونه معه عندما استعان به أثناء مروره بعنيزة ، فقد قال : استعنت عندما مررت بعنيزة بالشيخ عبدالله بن محمد العبد العزيز البسام ، فكتب لى لائحة بأسماء بلدان القصيم وسدير والعارض [٢١] .

وقال فى موضع آخر : والشيخ عبدالله البسام الذى قال فيه عظمة السلطان : إنه من العارفين المدققين ، هو من مراجعى فى النبذة الأولى [٢٢] .

فالريحانى لم يذكر ذلك إلاّ عن مكانة يحتلها الشيخ البسام عند الملك عبد العزيز ، وثقة فى جهده وعمله . مما جعل الريحانى يعتبره مرجعا فى كل ما قدم عن نجد ضمن حديثه فى رحلته .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر فقد نقل عن هنرى دوتى الذى زار نجدا ، وسموه النصرانى الكافر قد أثنى على ثلاثة هم : أمير عنيزة وعبدالله القنينى وعبدالله بن بسام الذى قال عن نفسه بأنه يومها كان شابا : فقد ذكرهم بالخير ونعتهم بالفلاسفة وأثنى عليهم ثناء طيبا [٢٣] . أما عن مؤلفاته ، فقد ذكر الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام أن له مجموعا فى الآداب والحكم والأشعار يسماه : الدليل المفيد لمن هو للدين والدنيا مريد .

وقد ذكر قطعة من مقدمته تنبئ عن تاريخ ابتداء تأليفه وسبب ذلك ، جاء فيها : قد اعتنى بجمعه لنفسه ، أحقر الأنام : عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البسام ، مبتدئاً به سنة خمس وثمانين بعد اثنتى عشرة من المئين من هجرة من له الفضل والشرف [٢٤] .

وعن مكانته الاجتماعية يزيد الأمر توضيحا الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام ،وهو لا شك ممن يعرفه ، ويدرك عن قرب معلومات دقيقة عنه وثيقة الصلة به ، بحكم القرابة والمعايشة والتناقل فى المجتمع الأسرى عن أخباره ، عندما يقول : والمترجم له من الأعيان الوجهاء فى بلده وغيرها ، ويحرص الأمراء والعلماء والأعيان على مجالسته ومنادمته ، والاستفادة منه ، فبستانه الغنى بالماء العذب ، وأشجار النخيل والفاكهة ، مزار لمحبيه ومجالسيه ، ويجدون الصدر الرحب ، والنفس الطيبة والبشاشة والطلاقة ، كما يجدون عنده حسن المجالسة والمؤانسة ، ولم يزل على أحواله الحميدة ، وصفاته الطيبة ، حتى توفاه الله فى عنيزة فى بسانه (٣٥) .

ويتبادر للذهن من هذا القول الذى جاء عن أحد أقاربه ، والذى يخبره جيدا ، إما بالنقل عن أخباره ممن كان يخالطه ويجالسه ، أو بالمعايشة والمؤانسة ولو لفترة قصيرة من العمر ـ إذا كان الشيخ عبدالله قد أدركه قبل وفاته ـ ما كان يتمتع به المؤلف من خلق حسن ، وسجية طيبة ، هى نماذج للصفات التى يدعو إليها الإسلام ، وتحث عليها تعاليمه : حسن فى الخلق ، وطيب فى المعشر ، اقتداء برسول الله الكريم ﷺ وهذا من باب التواضع له ، تلك السجية التى تزيد العبد مكانة عند الناس ، ورفعة بينهم علاوة على ما تحققه من أجر عند الله تعالى « فمن تواضع لله رفعه » .

وإذا كان المؤلف رحمه الله ، قد خلّف نتاجاً علمياً ، هو ما سوف نتحدث عنه فى عرضنا له مجملا ، فإن الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام يذكر بأن أولاده لم يخلفوا إلا حفيدين يقيمان فى البصرة ، وله بنات لهن أبناء (٢٦) .

وهذا القول يزيل ما يتبادر من لبس لمن يقرأ طرة المخطوطة ؛ بأن له أولادا فى عنيزة ، فالمدرس المصرى الذى نسخها : نور الدين شريبة قد قال : نقله عن الأصل الخطى المحفوظ لدى ورثة المؤلف ، وهو بخط نور الدين شريبة (٢٧) . وقد يكون هؤلاء الورثة أقاربه أو بنو عشيرته ، أو أحفاده من بناته ، لكن من الناحية الشرعية لا يعتبر الورثة إلا الأولاد الذين أشار اليهم الشيخ عبدالله بن بسام بأنهم فى البصرة وهذا ليس مقام تحقيق الورثة ، أو مناقشتهم حسب رأى الناسخ كما أنه أوضح فى نهاية المخطوطة عن نفسه ، بأنه كان مدرسا بالمدرسة الثانوية فى عنيزة عام ١٣٧٥ هـ والشيخ عبدالله بن بسام ألّف كتابه الذى طبع عام ١٣٩٨ هـ بمكة فى طبعته الأولى ، مما يدل على أن رأيه أكثر دلالة ، ولعل الناسخ يريد بالورثة البنات إذا كان منهن من هو على قيد الحياة فى وقت النسخ ، أو أولادهن ؛ ذلك أن أولاد البنات لا يعتبرون ورثة مع وجود الأبناء الذكور . فلعل الناسخ يريد بالورثة غير من عنى الشيخ عبدالله ، وأنهم ليسوا ورثة مباشرين ، أو يريد بذلك الأقرباء ، أو لأنه تصور أن أبناء البنات إذا قالوا له هذا تأليف جدنا أنهم أحفاده وورثته .

(٢)

مؤرخون وعلماء من آل بسام :

والحديث عن صاحب الترجمة ، يجرنا إلى إعطاء نبذة عن ذوى الاهتمام العلمى والتاريخى من أسرة آل بسام من باب تقريب المعلومات ، ومن باب تسليط الضوء على هذه الأسرة العلمية ، والتى كانت تبحث عن العلم ، وترعى التاريخ ، وتهتم بهما سنوات طويلة .

فلقد ترجم الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام ، فى كتابه علماء نجد خلال ستة قرون لأربعة عشر عالما من هذه الأسرة ، فى كتابه المكون من ثلاثة أجزاء ، وضم بين دفتيه ثلاثمائة وثمانية وثلاثين عالما « ٣٣٨ » . وهؤلاء الذين ترجم لهم فى كتابه هم حسب ترتيب حروف الهجاء :

١ ـ أحمد بن محمد بن بسام المتوفى بالعيينة عام ١٠٤٠ هـ . ذكره برقم ٤١ ج ١ .

٢ ـ أحمد بن عثمان بن بسام المتوفى بأشيقر عام ١١٣٩ هـ . ذكره برقم ٣٥ ج ١ .

٣ ـ حسن بن علي بن بسام المتوفى بأشيقر عام ٩٤٥ هـ . ذكره برقم ٥٧ ج ١ .

٤ ـ سليمان بن ابراهيم بن بسام المتوفى بعنيزة عام ١٣٧٧ هـ . ذكره برقم ٨٣ ج ١ .

٥ ـ صالح بن حمد بن بسام المتوفى بعنيزة عام ١٣٣٧ هـ . ذكره برقم ١٠٣ ج ٢ .

٦ ـ صالح بن عبدالله البسام المتوفى بعنيزة عام ١٣٠٧ هـ . ذكره برقم ١٠٩ ج ٢ .

٧ ـ طلحة بن حسن بن بسام المتوفى بأشيقر عام ٩٧٠ هـ . ذكره برقم ١١٨ ج ٢ .

٨ ـ عبد الرحمن بن محمد البسام المتوفى بأثينا ـ اليونان عام ١٣٩٧ هـ . ذكره برقم ١٣٧ ج ٢ .

٩ ـ عبد العزيز بن صالح البسام المتوفى بعنيزه عام ١٣٥٧ هـ . ذكره برقم ١٥٧ ج ٢ .

١٠ ـ عبدالله بن عثمان بن بسام المتوفى بأشيقر عام ١١٦٠ هـ . ذكره برقم ٢٠٤ ج ٢ .

١١ ـ عبدالله بن محمد بن بسام المتوفى بعنيزة عام ١٣٤٦ هـ .وهو صاحبنا هنا ، ذكره برقم ٢١٢ ج ٢ .

١٢ ـ عبدالله بن محمد بن عبدالله بن بسام المتوفى بأشيقر عام ١١٤٠ هـ . ذكره برقم ٢١٣ ج ٢ .

١٣ ـ على بن محمد بن بسام المتوفى بأشيقر عام ١٠٩٠ هـ . ذكره برقم ٢٤٩ ج ٢ .

١٤ ـ محمد بن صالح بن بسام المتوفى بالكويت عام ١٣٨٨ هـ . ذكره برقم ٢٨١ ج ٣ .

ولكل واحد من هؤلاء مساع فى طلب العلم ، وجهود فى تحصيله أو تبليغه ، إفادة ونشرا ، لا نحب أن نتوسع فيه ، لئلا يخرجنا عن موضوعنا ، ولمن يرغب ذلك العودة الى تراجم حياتهم فى كتاب

الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام المشار إليه والذى طبع فى مكة عام ١٣٩٨ هـ الطبعة الأولى مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة . وقد قال الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام مؤلف كتاب علماء نجد خلال ستة قرون ، وعضو محكمة التمييز فى مكة المكرمة أيضا ، فى نهاية ترجمة محمد بن صالح البسام ما نصه : وعندى عزم على تأليف كتاب عن أسرتى « آل بسام » فى أخبارهم وأنسابهم وتنقلاتهم ، وأعيانهم وعلمائهم ، وأدبائهم وتجارهم وبيوتهم التجارية ، وحين يتم العزم على ذلك ـ بعون الله تعالى ـ فسأجمع تراثهم العلمى والأدبى فى هذا الكتاب ، ومنه قصائد المترجم له ، وما سمعته منه من طرائف الأخبار ، والغرائب والأسفار (١) .

ولكن لست أدرى لماذا سهى على الشيخ غبدالله فى تجميعه المعلومات عن علماء نجد ، التحدث عن واحد من ذوى الاهتمامات التاريخية و الأنساب ، فلم يترجم له مع هذه المجموعة التى ذكر ، ليكون هو الخامس عشر ، ذلك هو : محمد بن حمد بن بسام صاحب كتاب الدرر المفاخر الذى سيأتى ذكره ، فسبحان من لا يغفل ولا يسهو . إلاّ أن استدراك الشيخ عبدالله السالف الذكر فى رغبته إخراج كتاب عن أسرة آل بسام ، قد يكون جاء من تذكره لأسماء لم ترد فى كتابه أمثال : محمد بن حمد البسام المشار إليه ، ومحمد السليمان البسام الذى ذكره محمد القاضى فى كتابه روضة الناظرين ، وغيرهما .

أما الشيخ محمد العثمان القاضى فى كتابه ، فإنه لم يترجم إلا لثلاثة من هؤلاء الذين ذكر الشيخ عبد الله وهم :

أحمد بن محمد البسام ، سليمان بن إبراهيم البسام ، صالح بن عبدالله البسام (٢) . وذكر رابعاً لم يشر إليه غيره هو محمد السليمان البسام ، وقال عنه بأنه توفى فى عنيزة عام ١٣٣٢ هـ . (٣) والشيخ حمد الجاسر فى حديثه عن مؤرخى نجد من أهلها قد أورد منهم ثلاثة هم :

ـ أحمد البسام الذى جعله الأول فى سلسلة الحديث عن مؤرخى نجد ، ولم يصل إلينا أحد قبله أرّخ لنجد .

ـ محمد البسام الذى جعله السادس فى ترتيب سلسلة الحديث عن مؤرخى نجد .

ـ عبد الله بن محمد البسام ـ صاحب الدراسة هذه ـ الذى جعله تحت رقم (١٨) فى مسلسل مؤرخى نجد من أهلها (٤) . والشيخ محمد فى تسلسله هذا يسير وفق التسلسل التاريخى لحياة كل واحد من أولئك المؤرخين .

وسوف نعطى نبذة سريعة بمن له اهتمام تاريخى ، ورصد للأحداث أو القبائل باعتبارها جزءاً من التاريخ ، مع تعريف بجهدهم ، من باب لفت نظر القارئ إلى هذه الاهتمامات التى حرصت عليها هذه الأسرة ، وهذا هو ما يعنينا فى هذا الموقف .. وهؤلاء - :

١ ـ أحمد بن محمد بن عبدالله بن بسام بن منيف بن عساكر بن بسام بن عقبة بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوى بن وهيب . ولد بأشيقر بمنطقة الوشم،وبها نشأ وترعرع . وقد قرأ على علمائها حتى أدرك ، حيث كانت فى وقته مركز علم ، ثم انتقل منها فى عام ١٠١٠ هـ إلى القصب لمدة عام ، والمسافة بين أشيقر والقصب قريبة ، إذْ لا تتجاوز ٢٥ كيلا يفصلهما الرغام أو ما يسمى الآن نفود الوشم .

ثم انتقل إلى ملهم بالشعيب ، حيث كانت فى ذلك الوقت تزخر بالعلماء إلى جانب الخصب والنماء ، وكثرة التمور التى تغلها نخيلها ، وهذه تبعد عن الرياض حوالى ٧٠ كيلا شمالا بغرب ، وقد بقى بها حتى عام ١٠١٥ حيث استقدمه أمير العيينة ، واستقر بها إلى أن توفى عام ١٠٤٠ هـ . ويعتبر من أوائل المؤرخين لنجد ؛ فقد كان من مؤلفاته نبذة تاريخية عن نجد تحكى ربع قرن من عام ١٠١٥ هـ . إلى عام ١٠٣٩ هـ .

وهذه الفترة ذات أهمية فى تاريخ المنطقة لقدمها وأولويتها ، ولوجود أحداث لم يرصدها أحد قبله . قال الشيخ عبدالله بن بسام بأنه اطلع عليها ، وقد نقل عنها كثير من مؤرخى نجد (٥) . وقال الشيخ حمد الجاسر بأن هذه النبذة وصلت إلى الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى فكانت من مصادر تاريخه (٦) .

وقد اعتبره محمد القاضى المرجع الأول لمن أرّخ لنجد ، وقال : بأن الكل ينقلون عنه (٧) . وله مؤلفات فى الفقه زيادة على هذه النبذة التاريخية .

٢ ـ محمد بن بسام قد جعله الشيخ حمد الجاسر فى بحثه « مؤرخو نجد من أهلها » السادس ، فى الرقم التسلسلى من مؤرخى نجد ، والأول هو أحمد بن محمد السالف ذكره ، كما مرّ بنا . لكن الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام ، لم يتعرض لترجمته فى كتابه علماء نجد خلال ستة قرون ، ولا محمد القاضى فى كتابه روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد ، وهما من بلده ويعرفان أسرته ويحتكان بالعارفين منها .

كما أن محقق كتابه : الدرر المفاخر فى أخبار العرب الأواخر ، لم يترجم لحياته ، أو يذكر شيئاً كثيرًا عنه ، حسبما يتطلع إليه القارئ المستزيد ، مما يدل على شح المصادر التى تعرضت لحياته بالدراسة والترجمة ، وبخاصة وان من يهمه تتبع حياته يعلق آمالاً على من تولى إنتاجه بالدراسة ويرجع أولا إلى من حقق كتابه .

ذلك أن ترجمة حياة المؤلف ، وتتبع أخباره ، وتصيد المعلومات عنه ، من لوازم التحقيق ، ومكملات التجميع ، لكنها فيما يبدو قد عزت على المحقق ، فذكر ما وجد وهو قليل جدا حتى لم يذكر اسم والد المؤلف .

وقد أورد خير الدين الزركلي نبذة صغيرة عنه ، نقلها عن كتاب عشائر العراق ، فيها فائدة جديدة فهو يقول : محمد بن حمد البسام التميمي مؤرخ من أهل العراق ، توفى بمكة عام ١٢٤٦ هـ . الموافق لعام ١٨٣١ م ، له الدرر المفاخر فى أخبار العرب الأواخر مخطوط : تكلم فيه على عشائر العرب ونجد والحجاز واليمن والعراق والجزيرة ، ولغته أقرب إلى العامية [٨] . قد تحدث الشيخ حمد الجاسر عن هذه المخطوطة ، فى بحثه عن مؤرخى نجد من أهلها ، وأعطى مرئيات جيدة حولها [٩] .

وإن كان الزركلى هو أول من أشار إلى اسم والده ، إلاّ أن سعود بن غانم الحمران العجمى الذى حقق هذا الكتاب ونشره فى الكويت الطبعة الأولى عام ١٤٠١ هـ . ـ ١٩٨١ م ، ولم يشر إلى اسم المطبعة التى طبعته قد قال : وهذا من الإضافات المعينة على تتبع حياته : بأن المؤلف محمد البسام التميمى النجدى المتوفى عام ١٢٤٦ هـ على ما ذكر المرحوم الأستاذ أحمد وصفى زكريا فى كتابه عشائر الشام الجزء الثانى ، وأنه انتهى من تأليفه عام ١٢٣٤ هـ . الموافق لعام ١٨١٨ م ، وقد قام بتأليفه بناء على طلب السيد كلوديس جيمز ريتش ، المقيم البريطانى بالبصرة وبغداد ، إلا أن هذا كتب عليها ؛ بأنه حصل عليها بالشراء فى بغداد عم ١٨١٨ م ، وقد قدّمها إلى مكتبة المتحف البريطانى فى حدود عام ١٨٢٥ م [١٠] .

لقد تمت طباعة هذه المخطوطة بتحقيق ونشر سعود بن غانم العجمى ، واستنتج أنه أخذ بها رسالة علمية « الماجستير » ، وأنها مقدمة لجامعة دمشق ، حيث يتراءى ذلك من تقديمه للتحقيق الذى أرّخه فى ٢٣ شعبان عام ١٤٠٠ هـ . بدمشق . وقد استكمله بفهارس للأعلام والقبائل والأمكنة ، إلى جانب فهارس الموضوعات والمقدمة ، يقع أصل هذا الكتاب بعد الطباعة فى ١٥٧ صفحة ، من القطع الكبير المعتاد ٢٤ × ١٧ سم . وقد أضاف إليا ٨٩ صفحة للفهارس والاستدراكات .

أما المخطوطة فى أصلها وبخط المؤلف فتبلغ ١١٦ صحيفة .

٣ ـ عبدالله بن محمد بن بسام ـ صاحبنا فى هذا الموقف ، والذى عزا الشيخ حمد الجاسر اهتمامه بالتاريخ ، ثم بجمع كتاب يصح القول بأنه يحوى خلاصة ما كتبه مؤرخو نجد عن تاريخ بلادهم ، ويضيف إليه ذكر حوادث تتعلق بمكة المكرمة ، فى عهودها الأخيرة ،وبعض حوادث أطراف العراق ، مما جاء فى المؤلفات النجدية ، ومن ثم يدعوه كتاب : تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق [١١] . ولم أجد فى ترجمة حياة غير هؤلاء ، من له اهتمامات تاريخية ، وقد ذكر الشيخ عبدالله ابن بسام اثنين منهما ، ولم يترجم للثالث ، وإنما ذكره غيره كما مرّ بنا .

٤ ـ ويصح أن نعتبر الشيخ عبدالله ـ أمد الله فى عمره ـ بكتابه علماء نجد خلال ستة قرون الذى طبع عام ١٣٩٨ هـ . فى ثلاثة أجزاء ، وقد علمت بأنه سيخرجه فى طبعة ثانية بحجم أكبر ، قد يبلغ

خمسة أجزاء ، لما فيه من زيادات وإضافات :

نقول:بأن الشيخ عبدالله بكتابه هذا يأتى الرابع فى التسلسل التاريخى من أسرة آل بسام ـ على حد علمنا ـ بما أعطى وبذل ؛ ذلك أن كتابه هذا يعتبر مرجعاً وافياً ، فى السِّير والتراجم ، وهى جزء مهم فى المعلومات التاريخية .

وصف المخطوطة :

تناول الشيخ حمد الجاسر وجهات نظر بالوصف والتحليل لهذه المخطوطة ، وما اشتملت عليه ، ويبدو أنه قد اطلع على نسخة منها بخط المؤلف ، يبين مثل هذا عند ذكره إطالة المؤلف ، حينما تجود عليه المصادر ، وتتوفر المعلومات ، وقد ضرب لذلك مثلاً بإجراء عين عرفات إلى مكة بالورقات ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ من الأصل (١٢) .فإن هذه الورقات تقع فى النسخة التى بين أيدينا ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ . هذه النسخة التى نتحدث عنها ، قد كتبت بالخط الرقعى الجميل ، وهى حديثة الكتابة ، إذْ نسخها عن أصلها الأستاذ محمد نور الدين بن السيد بن عوض بن حسين بن سالم آل شربية المتخرج من الأزهر ، والذى كان فى جمادى الآخرة من عام ١٣٧٥ هـ . الموافق ينـاير من عام ١٩٥٦ م ، وهو موعد البدء بنسخها كما جاء فى الطرة ، مدرسا بثانوية عنيزة . وقد فرغ من استكمال الخط مساء السبت فى الثامن عشر من شهر شعبان سنة ١٣٧٥ هـ . الموافق للحادى والثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٥٦ م ، كما جاء فى ختامها . وعلى هذا قد استغرق فى إعادة نسخها وتنظيمها قرابة شهور ثلاثة .

ومن يمعن أسلوبه وطريقة خطه ، ثم بما كتبه من دراسة عنها ، يتراءى للمطلع أن لديه خبرة فى المخطوطات ، ولذا نراه يلحق بالكتاب صفحة كاملة ، تحت عنوان : دراسة عن المخطوطة التى نقل عنها هذا التاريخ :

وقد جاء فى ذلك قوله :

ـ المخطوطة التى نقلت عنها هذا التاريخ محفوظة لدى ابن المؤلف ، وهو لا يزال على قيد الحياة في بلده ، وبلد أبيه عنيزة ، حتى سنة ١٩٥٥ م ـ ١٣٧٥ هـ . ، من بلاد منطقة القصيم إحدى مناطق نجد فى المملكة العربية السعودية (١٣) .

ـ ليس لهذا الكتاب أصول خطية غير هذه المخطوطة ، وهى تقع فى ستة عشر ومائة ورقة من القطع المتوسط ، مسطرته مختلفة ، وقد كتبت بأقلام مختلفة ، ورقمت صفحاته جميعا ، ولم يكتب له تعقيب .

ـ وهو من أوله إلى الصفحة الرابعة عشرة بعد المائتين ، مكتوب بقلم نسخ واضح مرتب .

ومن تلك الصحيفة إلى الصحيفة السادسة والعشرين بعد المائتين ، مكتوب بقلم آخر أميل إلى مشابهة المغازى ، والأرقام الحسابية فيه كتبت الأرقام الفارسية . ومن الصحيفة السابعة والعشرين بعد المائتين إلى آخر الكتاب ، قد كتبت بقلم ثالث ومداد يختلف عن مداد القسمين الأولين .

ـ بهامش الكتاب استدراكات كان يكتبها المؤلف ، وهى فى الكتاب كله بقلم واحد ، ويبدو أنها بخط المؤلف نفسه ، وهى تكثر فى القسم الأول من الكتاب ، أعنى حتى صحيفة ٢٢٦ ، وتقل فى القسمين الأخيرين ، وبخاصة الأوراق الثلاث الأخيرة كما تقدم .

ـ يبدو من الأوراق الثلاث الأخيرة أنها قد كتبت بعد القسم الأول الذى بدئ فى تبييضه عام ١٣٣٥ هـ . كما كتب المؤلف ذلك فى صفحة العنوان حيث قال : « قد تحرر هذا التاريخ فى سنة خمس وثلاثين وألف وثلاث من المئين ، وسميته: تحفة المشتاق فى أخبار نجد والحجاز والعراق » .

ـ يمتلئ الكتاب بصفة خاصة فى القسم الأخير بالأخطاء اللغوية والاملائية ، يضع بعض الكلمات كما يلفظها أهل نجد : فيكتب « الحفض » بدل « الحفظ » ؛ لأن أهل هذه المنطقة ، ينطقون الضاد ظاء ، كما يستعمل كثيرا من الألفاظ العامية التى قلما يدرك معناها إلا أهل نجد .

ـ كما أبان الناسخ فى صفحة قبل هذه الصفحة التى نقلها كما هى : بأنه استعان فى الحصول على هذا الأصل المخطوط بالشيخ العالم العلامة عبد الرحمن بن سعدى ، الذى اختاره الله إلى جواره فى عام ١٣٧٦ هـ (١٤) .

وكلمة اختاره الله إلى جواره عام ١٣٧٦ هـ ، جاءت بخط جديد ، بعد الدعاء للشيخ ابن سعدى بطول العمر والنفع للمسلمين ، مما يدل على أن الكاتب قد احتفظ لنفسه بنسخة من المخطوطة ، وهى التى وصلت إلينا .

لقد حرص الناسخ بأن يبقى على سمات وترقيم الصفحات الأصلية ، فكان يشير فى الهامش إلى بداية الصفحة برقم بين قوسين كبيرين شكلهما هكذا [ ] ، ولم يكتف بذلك ، بل كانت بداية الصفحات تأتى عنده فى نصف السطر ، ومع هذا فإنه يضع إشارة تمثل خطا مائلا ليعرفه من يهتم بذلك .

أما طريقته هو فى الترقيم ، فقد خالفت طريقة المؤلف فى الأصل ؛ إذ جعل ترقيمه بالورقة ، على طريقة المخطوطات القديمة ، ليعطى لهذا المؤلَّف التاريخى سمات المخطوطات ، والتى تدرك بالورقة ورقمها ، ثم يميز بين الصفحتين : بالوجه الأول ، والوجه الثانى .

وقد اهتم الناسخ أيضا بكثير من علامات الترقيم ، مما نستدل به على ادخاله تحسينات على هذه المخطوطة ، ولا بد أنه قد أصلح كثيرا من الأخطاء النحوية والاملائية التى ذكر كثرتها فى الأصل .

كما كان يجعل دخول السنوات بعناوين بارزة فى وسط السطر ، يكتبها بالرقم الحسابى وبالحروف

فيقول مثلا : (**ثم دخلت سنة ٨٨٥ هـ . خمس وثمانين وثمانمائة**) .

ولست أدرى هل هذه طريقة المؤلف وبعبارته ، أم اجتهاد من الناسخ ، فإن كان هذا منهج خاص بالكاتب ـ لأنه خالفه فى أشياء كما ذكر فى الوصف ـ فإن من الملائم أن يكتب ثمانمائة هكذا (ثمانمئة) لأن الهمزة إذا كسرت أو كسر ما قبلها تكتب على الياء ، ولا مبرر للألف قبلها .

أما ثمانين وكونها منصوبة ، فلعله أراد أن الفاعل محذوف وهو سنة . وفى قوله ثم دخلت سنة ١٣١٦ هـ . ست عشر وثلثمائة وألف ، مثلها السنوات قبلها وبعدها ، نطالب الناسخ بالتعديل حسب تمييز العدد ، وهكذا بقية الأرقام .

أما إذا كان قد أبقى على طريقة المؤلف ، فإنه من الملائم التنويه عن ذلك فى الوصف الذى كتب ، أو بتهميشات تلفت النظر . ويظهر لنا من معدل الصفحات لهذه المخطوطة ، أن الناسخ قد جعل فى كل صحيفة ٢٦ سطرا .

وبهذا الخط ندرك أن مَعدل الصفحة من المخطوطة الأصلية تستوعب ٣٠ سطرا ، بمعنى أن خط المؤلف قد يكون مرصوفا ودقيقا ، أو أن صفحته أكبر ، أو أن الكاتب قد أدخل الهوامش والتعليقات ، التى كانت موجودة فى الأصل ، ضمن هذه المخطوطة عند نسخها ، مما ترتب عليه زيادة فى الحجم .

وهذه النقطة الأخيرة قد لا تكون قضية مسلماً بها ، لأنها لو جازت فى بعض الصفحات ، فإنها لا تجوز فى الصفحات الأخرى ، لعدم التسليم بكثرة العليقات ، بحيث تستوعب جميع صفحات الكتاب .

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة أبانت مراجعه ، والسبب الذى جعله يبدأ مشروعه هذا ، ثم بين أشياء عن منهجه ، وسنتعرض لذلك فى الحديث عن مصادره ومنهجيته.

لقد بدأ ابن بسام كتابه هذا بقوله : الحمد لله جامع الخلائق لميعاده ، وموفق من شاء من عباده للصواب فى تحريره وإيراده ، أحمده سبحانه وتعالى على جزيل الإنعام ، وأشكره أن علم الانسان ما لا يعلم ، فأتقن وأحكم أى إحكام ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله ، وحده لا شريك له رب الأرباب ، الذى عنت له الوجوه ، وخضعت لعظمته الرقاب . إلى أن قال : أما بعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه ، راجى عفو ربه ورضاه ، عبدالله بن محمد بن عبد العزيز بن حمد بن ابراهيم بن عبدالله بن أحمد بن محمد (١٥) بن عبدالله بن بسام ، ساكن بلد عنيزة (١٦) .

وبعد المقدمة وبيان مراجعه ومنهجه ، جعل للكتاب تمهيداً ، قال فيه : وقد صار إبتداء هذا التاريخ من عام ٨٥٠ هـ . وهو المختص بحوادث نجد وأحوالها ، لأن ما قبله لم أقف له على خبر ، وقد جعلت الابتداء به فى ذكر بعض الحوادث التى ابتداؤها من أول الهجرة ، على سبيل الإيجاز ، لأنها مما يرغب الوقوف على حدوثها (١٧) . هذه البداية عنده ، هى نفسها البداية عند غالبية

مؤرخي نجد ، ولم يسبقها أى حدث عند جميع المؤرخين ، ولعلهم جميعا استقوا من منبع واحد ، والنقل للسابق .

ثم أوضح فى بيان مكون من أربع صفحات ، بعض الوقائع الشهيرة فى التاريخ الإسلامى ؛ بل وفى العالم بأسره بكلمات مختصرة ، تشبه الفارسى وهى طريقة جيدة تزيد حصيلة القارئ ، وتنمى معلوماته ، ومن الملاحظ ان تلك المعلومات بعيدة عن تاريخ نجد والحجاز والعراق ، الذى أوجد الكتاب من أجله .

وقد ابتدأ جدوله ذلك بالسنة الأولى من الهجرة ، والواقعة فيها : أحداث منها : تأسيس مسجد قباء وانتهى بالعام ١٢٩٤ هـ . والواقعة فيها : الحرب بين تركيا والروس ، وصار الصلح عام ١٢٩٥ هـ . ثم ختم هذا التمهيد التاريخى بقوله : وهذا ابتداء التاريخ المختص بحوادث نجد ، وابتداؤه فى سنة ثمانمئة وخمسين (٨٥٠ هـ) ، وقد سميته : تحفة المشتاق فى أخبار نجد والحجاز والعراق .

ثم بدأ التاريخ بعنوان جديد سنة ٨٥٠ هـ « خمسين وثمانمئة » .

بهذا المدخل التاريخى تعليقات وزيادات بالهامش ، على بعض السنين ، أثبتها الكاتب فى الحاشية وهى من تعليقات المؤلف . لكن مثل هذا الهامش لم أر الناسخ قد أثبته فى باقى صفحات الكتاب ، مما يدل على احتمال تصرف الناسخ وإدخال ما جاء من تعليقات وهوامش فى الصلب ، ليخرج الكتاب متكاملاً .

وعلى طريقة المؤرخ ابراهيم بن صالح بن عيسى . نرى ابن بسام يختتم كتابه بمحاولة أقل من الشيخ ابن عيسى حول التعريف بالأسر المقيمة فى عنيزة،أنسابها وأصولها ، وقد سمى ذلك تذييلا ، أخذ منه حيزا من نهاية المخطوط ، بلغ قرابة ثلاث صفحات [١٨] .

وهذا المنهج الذى سار عليه ابراهيم بن عيسى فى كتابه الذى نشره الشيخ حمد الجاسر من دار اليمامة بالرياض عام ١٣٨٦ هـ . ـ ١٩٦٦ م (تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض المدن) قد استغرق قرابة «٤٢» صفحة مطبوعة . ولعل مؤرخنا هذا قد استقى هذا المنهج من المؤرخ ابراهيم بن عيسى ، بل من المحتم أن يكون استقى أغلب معلوماته عنه ، حيث تربطه به صلة صداقة ومودة ، بعدما انتقل للأشيقر إلى عنيزة فى آخر حياته رحمهما الله .

وقبل التذييل الذى ختم به ابن بسام تاريخه ، والذى اعتقد أنه يحتاج لاستكمال ، لأنه لم يستوعب فيه جميع البيوتات فى عنيزة ، نراه قد ختم كتابه بحوادث عام ١٣٤٤ هـ . وقد ذكر فيها ضربة عظيمة فى زمن الغوص فى الخليج العربى ، وأبان عن بعض الخسائر فيها .

وذكره لحوادث عام ١٣٤٤ هـ . مما جعلنا نستنتج في موقف آخر أنه أنهى تاريخه بنهاية عام ١٣٤٤ هـ . إذْ لم يتضح لنا غير هذا ، ولعل أمين الريحاني عندما قابله وتحدث عنه في كتابه ملوك العرب : وكتابه الآخر نجد وملحقاتها الذي مر بنا طرف من شعوره نحوه،قد كان هذا في زيارته الأولى للملك عبد العزيز عام ١٣٤١ هـ . كما ذكر هذا في كتابه ملوك العرب [١٩] ، أما آخر ما ذكره المؤلف من أحداث في هذه السنة فهي من أبرز أحداث الجزيرة عموما عندما قال : ـ وفي ١٩ جمادى أول سلمت المدينة المنورة على يد ابنه ـ والضمير يعود للملك عبد العزيز ـ برضا الباشا .

ـ وفي ٦ جمادى آخر سلمت جدة وينبع للإمام ، ورحل الشريف علي منها ، كما رحل الشريف شاكر من ينبع .

ـ ثم ذكر حاشية تلحق بحوادث عام ١٣٢٦ هـ . أبان عن وصول قنصل الأنجليز الذي في الكويت للرياض في شهر صفر بعد مروره ببريدة وعنيزة من جهة الإمام ، كما وصل إلى العارض مندوبون إنجليز من طريق العقير ومعهم تلغراف اللاسلكي . هذه الأخبار المقتضبة عندما نقارنها بأقوال من تحدث فيها من المؤرخين الذين عاصروا أحداثها ، فإننا نستطيع أن نقول : بأن أسلوبه مقتضب في نقل الأحداث،وأنه يتحرى الدقة ويحوم حولها ، لكنه يهتم بالتثبت والتوثق أكثر ، ويرصد ذلك . ولعل هذا ناتج عن نقله من أفواه الناس في مجتمعه ، وفرق اليوم واليومين لايعتبران مثاراً للخلاف ، حيث لم يتح له ما أتيح لغيره من الناحية العلمية ، والاطلاع الواسع كالريحاني والزركلي وغيرهما ، ومع هذا تبدو معلوماته دقيقة ،وحكمه مركزا في مثل هذا :

ـ يقول الزركلي:إن عبد العزيز أصدر بلاغا في جدة يوم ١٨ جمادى الآخرة وأنه قد دخلها يوم ٧ جمادى الآخرة عام ١٣٤٤ هـ . وهو يوم سفر الملك علي بن الحسين [٢٠] .

ـ كما ذكر أمين سعيد أن الملك على غادر جدة يوم الثلاثاء ٦ جمادى الآخرة من عام ١٣٤٤ هـ . وأن السلطان عبد العزيز دخلها صباح يوم الأربعاء ٧ منه [٢١] .

ـ وقال برأى الزركلي أحمد العطار في كتابه صقر الجزيرة : الذى أوضح أن ابن سعود دخل جدة صباح يوم الأربعاء ٧ جمادى الآخرة [٢٢] .

ـ وعن المدينة قال العطار بأنها سلمت صباح يوم السبت ١٩ جمادى الأولى عام ١٣٤٤ هـ .[٢٣] وهو ما قال به مؤلفنا .

ـ أما الأمير سعود بن هذلول فأوضح أن دخول الأمير محمد المدينة كان صباح يوم الأحد ٢٠ جمادى الأولى،أما التسليم فكان يوم السبت ١٩ جمادي الأولى عام ١٣٤٤ هـ [٢٤] .

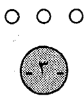
ـ وأمين سعيد أيضا أوضح بأن حامية المدينة استسلمت يوم السبت ١٩ جمادى الأولى عام ١٣٤٤ هـ . [٢٥] .

وعندى أن ابن بسام فى إثباته لبعض الأحداث أدق من مقبل الذكير الذى كان ينقل عن الصحف الخارجية إذا تيسرت؛لعدم وجود صحف فى المنطقة عدا أم القرى التى صدر منها أول عدد فى ١٥ جمادى الأولى عام ١٣٤٣ هـ . [٢٦] وفى جوانب أخرى قد تتأخر عنهم المعلومات فيذكرون الخبر فى غير وقته،لكنه مع هذا يحاول التحرى ، ولكل مجتهد نصيب .

وهكذا كل منهما كمؤرخ يتوخى وينقل ويحرص ويدقق ، لكنهما جميعا ومعهما مؤرخو المنطقة عموما يمتازون بالصدق فى القول ، وعدم الميل مع جهة دون أخرى ، والحرص على عدم الكذب فيما ينقل ..

وهذه سمات تذكر لمؤرخينا فتشكر .

○ ○ ○



مصادره :

تؤخذ مصادر الكاتب ومراجعه فى استقاء المعلومات من جهتين :

ـ إما بما يذكره عن نفسه ، وبما يصرح به من مصادر أخذها من غيره ، وهذا فى الغالب مما يتحدث عنه بعض المؤلفين فى مقدمات كتبهم ، أوفى هوامشهم ، أو فى الذكر عندما تمر حادثة من الحوادث ، فيقول : قال فلان ، وقد يسمى كتابه أولا يسميه ، باعتباره معهودا ذكريا أو ذهنيا .

هذا بالنسبة للقدامى . أما بالنسبة للمنهجية الحديثة فى التأليف ، والتى أصبحت من سمات التوثيق فى هذا العصر ؛ فإن الباحث يذكر فى بداية النقل اسم من أخذ عنه ، وفى نهاية حديثه يضع علامة الإحالة فى الهامش للمصدر الذى استقى منه ، ويحدد اسم الكتاب ورقم صفحته ، وقد يضع الكلام المنقول بين أقواس ليفيد التنصيص.

والجهة الثانية بما يستشف من تطابق المعلومات عن وقائع بذاتها ، تطابقا كليا أوجزئياً .

وهاتان الحالتان يلمسهما من يقرأ كتاب : تحفة المشتاق فى أخبار نجد والحجاز والعراق ، الذى نتحدث عنه الآن .

فقد ذكر المؤلف فى مقدمته بعضا من المصادر التى استقى منها نبذته التاريخية هذه بقوله : إنه قد سألنى بعض الإخوان المحبين أن أجمع له نبذة فى التاريخ تطلعه على بعض الحوادث الواقعة فى نجد ، ووفيات بعض الأعيان ، وبعض شىء عن أنسابهم ، وبناء بعض البلدان ، فاستخرت الله تعالى ، وجمعت له هذه النبذة من تواريخ علماء نجد مثل :

١ ـ تاريخ الشيخ أحد بن محمد بن عبدالله بن بسام : وهو نحو كراس ابتداه من عام ١٠١٥ هـ . وهي سنة ارتحاله من بلد ملهم إلى بلد العيينة ، حتى وصل إلى عام ١٠٣٩ هـ ، لأنه توفى سنة ١٠٤٠ هـ . فى بلد العيينة رحمه الله تعالى .

٢ ـ وتاريخ الشيخ أحمد بن محمد آل منقور التميمى ،وهو نحو كراس ونصف .ابتداه من وفاة الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيي بن عطوة التميمى النجدى ، ساكن بلد الجبيلة سنة ١٠٤٨ هـ . إلى أن وصل إلى عام ١١٢٥ هـ . وهى السنة التى توفى فيها فى حوطة سدير رحمه الله تعالى .

٣ ـ وتاريخ ابن يوسف : من أهل أشيقر ، وهو نحو عشر ورقات .

٤ ـ وتاريخ حمد بن محمد بن لعبون ساكن بلد التويم .

٥ ـ وتاريخ ابن بشر .

٦ ـ ثم بعد ذلك ما رأينا وسمعنا من ثقات أهل عصرنا .

يوثق ابن بسام هذه المصادر بقوله : وما رأيت فى هذه النبذة ، فإنى لم أذكره إلا بعد التحرى والتحقيق ، والبحث والتدقيق ، من التواريخ المذكورة وغيرها ، مما وقفت عليه من تواريخ أهل نجد ، ولم أذكر فيها شيئا إلا ولى فيه مستنده ، والعهدة عليّ فى ما ذكرت . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت ، وإليه أنيب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل [١] .

ولعله بقوله : (وغيرها مما وقفت عليه من تواريخ أهل نجد) ، يعفى نفسه من ذكر جميع المصادر التى يستقى منها ، فهناك مراجع أخرى أخذ عنها ـ فيما يبدو ـ ولم يذكرها ضمن التعداد فى مقدمته ، فقد أعطى لنفسه مبرر الآخذ بإشارته المجملة هذه .

كما أن قوله : ولم أذكر فيها شيئاً إلا ولى فيه مستنده ، والعهدة علي فى ما ذكرت ، دليل آخر على ثقته فى عمله ، وبرهان على اطمئنانه إلى التأكد من المعلومات التى أوردها ، وأنه يتوثق من كل معلومات تصل إليه ، ولا يرصدها إلا بعد تمسكه بمستند يشد عضده ، ويقوى عزمه ، فى إثبات تلك المعلومات ، التى ستكون مرجعا لمن يأتى بعده ، ويأخذها عنه ، وبذا ألزم نفسه العهدة ، وحتّم عليها تحمّل المسئولية .

ولا شك أن هذا الكلام برهان يؤكد ثقة المؤرخ بنفسه ، واطمئنانه على صحة المعلومات التى أخذ على عاتقه مسئولية نشرها وتجميعها ، وتوثيقها والتأكد منها .. وهذا من باب إراحة نفس القارئ عن مستوى هذا السفر الذى سيقع بين يديه من حيث المادة ، والجهد الذى بذل فى توثيق المعلومات ، حتى يطمئن على صحة وسلامة ما بسط أمامه .

ومن كلامه هذا نستقى أسلوباً نقدياً : عن رغبة المؤلف فى إبعاد ما وقع فيه بعض المؤرخين من تجميع معلومات غير موثقة ، من نبذته التاريخية هذه .

ويتبادر إلى الذهن أن هذه الخاطرة لم تعلق بذاكرة المؤلف وهو يكتب تاريخه هذا ، ثم يهتم بوضعها فى المقدمة التى هى واجهة كتابه ، إلا ليزيل من ذهن القارئ والمهتم فكرة عدم الاطمئنان ، ونزع الثقة ، أو تخلخل التماسك الوجدانى فى استقاء المعلومات .

فالقارئ عندما يثق فى الكاتب يأخذ عنه ، ويهتم بإنتاجه ، وعندما تتضارب عنده المعلومات ، أو يراها تتعارض مع ما هو معروف لديه أو مألوف فى بيئته ، ينزع الثقة منه ، ولا يحتل هذا الإنتاج مكاناً فى نفسه أو يسترعى انتباهه .

ولكن هل هؤلاء الذين ذكرهم من مؤرخى نجد هم كل من أخذ عنهم ؟

إن لسان الحال والمقال يثبتان غير ذلك ، فهو قد اكتفى بذكر هؤلاء فى المقدمة باعتبارهم بيت القصيد ، وما ورد فى تواريخهم يمثل الذروة بالنسبة لما سجل فى كتابه الوافى ، الذى سماه نبذة تاريخية ـ من باب التواضع فى الإنتاج ـ دون الإشارة إلى مواطن الإحالة عند كل واحد . فقد يكونون كلهم أو بعضهم اتفقوا فى أحداث بعينها ، وبخاصة وأن التسلسل التاريخى يثبت أن بعضهم قد يكون أكمل ما نقص عند الآخرين فى بعض الجوانب ، ولا تثريب على المؤلف فى هذا الجانب ، لأن منهجية الإحالة والإشارة إلى المكان بعينه لم تكن سائرة لدى المؤلفين قبله ، وقد لا يكون قد اطلع فى قراءاته على ما بدأ يسير عليه الباحثون والكاتبون فى العصر الحديث خارج منطقته بالتوثيق والتأكد من المصادر ، وتحديدها .

فلذا لا نستطيع تحميله فوق ما يحتمل ، لأن فاقد الشىء لا يعطيه ، وهو إنما يسير على ما هو دارج فى عصره وبيئته ، كما أنه لم يذكر المصادر التى استقى منها لما ورد من تاريخ عن الحجاز والعراق ، مما أعطاه أفقاً أوسع بالأخذ مطلقاً ، وبدون تحديد من أى مصدر .

ولعله أراد بذلك أن يجعل لنفسه باباً مفتوحاً ، يدخل منه لتجميع المعلومات سواء جاء ذكر المصادر عرضا أثناء النقل كنقله عن العلامة الرضى فى تاريخه (٢) وعن صاحب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام (٣) أو لم يأت به .

هذا بالنسبة للمعلومات التاريخية التى سبقته ومصادرها .

وهناك معلومات عاصرها المؤلف ، لم يشر لكيفية الوصول إليها مثل :

ـ ما يتعلق بنجد ، فلا بد أن يكون استقاها مشافهة من مجتمعه ، وهذا ما نستشفه من كلامه فى المقدمة.

ـ ما يتعلق بالحجاز والعراق ، وما أضافه من المعلومات العالمية .. وهذا قد يأتى إليه من عدة مصادر :

المشافهة ؛ أو الاستفاضة على ألسنة الناس .

ـ وسائل الإعلام الحديثة بالسماع أو القراءة .

وهذه قد تتهيأ له أكثر من غيره ، بحكم أسفاره ومركزه التجارى فى عنيزة والبصرة والهند . وإن كان لم يشر لشىء من ذلك ، لكن النظرة فى تاريخه تعطى القارئ انطباعاً عن ذلك ، وان استعانته بوسائل الإعلام ، وبخاصة المقروءة منها ، هى من الوسائل التى مكنته من رصد معلومات جديدة وكثيرة ، قد تعزّ على غيره من أبناء المنطقة ، كما يظهر مثل هذا فى الخطابين المتبادلين بين أميرلاى العسكر حسن شكرى والملك عبد العزيز بن عبد الرحمن فى عام ١٣٢٢ هـ . نقلاً عن جريدة اللواء المؤرخة فى غرة رجب سنة ١٣٢٢ هـ . (٤) .

ولعل هذه المصادر مما دفعه إلى توسيع دائرة حصيلته التاريخية ، وعدم قصر جهده فى الرصد على نجد وحدها .

وشيخنا العلامة حمد الجاسر ـ أمد الله فى عمره ـ له رأى فى صاحبنا هذا ، عندما قال : (بأنه ترك أهم تلك المصادر ، وهى ما كتبه الشيخ ابن عيسى ، وما جاء فى كتابى مؤرخى مكة القطبى ودحلان ، فقد أكثر النقل عن هؤلاء الثلاثة ، بل نقل جلّ ما فى كتب الأول ، وأكثر ما فى كتابى الأخيرين ، من حوادث مكة وأمرائها فى العصور الأخيرة ، وأغرب من هذا أنه نقل خطبة أحد كتابى ابن عيسى ـ وهو مطبوع ـ نقلا حرفياً ، خطبة لكتابه ، ومصادره هى مصادره باستثناء ابن يوسف ، وكما قيل : (كما تدين تدان) فابن عيسى عول على تاريخ ابن بشر كثيراً ، ومع ذلك لم يذكره فى مصادره ؛ وابن بشر عوّل على تاريخ ابن غنام ، وتناسى ذكر هذا التاريخ ، فلماذا لا يتجاهل ابن بسام ابن عيسى مع نقل كل ما كتب ؟! . وليس من المستبعد أن تكون الأصول التى رجع إليها ابن عيسى ، والمذكرات التى كتبها ، وصلت كاملة إلى الشيخ عبدالله بن بسام فأبرزها فى هذا المؤلف ، وقد أشار الشيخ حمد أيضا إلى أنه سبقت الإشارة إلى أن ابن عيسى عاش فى كنف آل بسام سنينه الأخيرة ،وبقيت كتبه فى حوزة أحدهم ، وهذا القول ، لا ينفى عناية الشيخ ابن بسام بالتاريخ عناية مكنته من تدوين أشياء كثيرة ، أضافها إلى ما نقله من مؤلفات قبله (٥) .

إلاّ أن الشيخ حمد يزيد فى تحميل المؤلف جهد غيره ، مع أنه أعطاه منزلة مكنته من التجديد والإضافة ، نظراً لعنايته التاريخية واهتمامه بتتبع المصادر ، فيردف قائلا : (والغريب أننا نجد ابن بسام سجل حوادث ما يقرب من تسعين سنة ، فيما بين سنة ٩٥١ و ١٠٩٤ ، ١٣٢١ ، ١٣٤٤ هـ . لم نجد لها ذكراً فيما وصل إلينا مما كتبه ابن عيسى ، ولا نستبعد أن يكون أكثرها .ـ إن لم يكن كلها

ـ مما دونه ابن عيسى مما لم يصل إلينا ، وكثير من تلك الحوادث مما يتصل بقبائل نجد ، وما جرى بينها من فتن وحروب ، فى القرنين التاسع والعاشر ، مما يعود بفائدة جُلّى على من يعنى بدراسة أحوال تلك القبائل ، ومن تلك الحوادث ما يتعلق بالصراع العنيف فى نجد فى الربع الثالث من هذا القرن) [٦] .

والمؤرخان متعاصران ومتلازمان ، وتجمعهما سمات : حب التاريخ ، والضعف فى الصياغة اللغوية ، وغلبة العامية ، والسير على مبدأ التسلسل الزمنى بالسنة الهجرية .

ولذا فإننى أرى أن الجهد المرصود ، يعتبر من أبرزه ، ولا يحسن أن تتسرب الظنون نحو ذلك الجهد ، وبالنسبة لمؤلفنا هذا فإنه لم يتضح لنا دلالة تنبىء بأنه اقتبس كتابه أو أخذه من غيره ، وبخاصة فى الحوادث التى عاصرها هو .

وكما يقال بأن الحكم على الشيء فرع من تصوره ، وما دام المتوفر لدينا من انتاج الشيخ ابراهيم ابن صالح بن عيسى قد طبع ، وبعد استقرائه نجد بينه وبين إنتاج الشيخ عبدالله بن بسام تقارباً وتباعداً .

فما جاء من تقارب قد نحمله على تطابق فى المصادر ، وتوافق فى المنبع المستقى منه ، واذا لم يتفقا فى اللفظ والمعنى الذى هو الحدث وتاريخه قويت الدلالة ، مما يجعلنا نعطى الأفضلية للمتقدم زمناً ، وهذان الاثنان قد ذكرا أغلب المصادر التى أخذا عنها ، وهى متفقة .

أما التباعد ففيه ما ينفى تلك الظنون،لأن أغلب إنتاج أحدهما اختلف عن الآخر لفظاً أو دلالة فى المعنى وهو الحدث التأريخى وقرائنه ، علاوة على كونهما عاشا فى فترة واحدة ، وفى بلد واحد ، وماتا متقاربين ، ابراهيم بن عيسى عام ١٣٤٣ هـ . ومؤلفنا عام ١٣٤٦ هـ فى عنيزة ، ومن هنا نستطيع أن نحكم على إنتاج الشيخ عبدالله بن بسام من ناحيتين :

١ ـ ناحية ظاهرة وذلك باتفاق المصدرين فى استخلاص المعلومات : لفظاً ومعنى،فهذا مما قد يُدان بأخذه من ابن عيسى ، حسبما جاء فى المقدمة التى تطابق قولهما فيها حرفياً إلاّ فى النزر اليسير ، وكذا بعض الوقائع التاريخية .

وفى هذا الموقف وما يشاكله نجعل للأقدم والأكثر اهتماماً الأولوية والريادة ، ولا شك أن فكرة التجميع تاريخياً ، والاهتمام بالأنساب كانت لدى ابن عيسى من السنوات الأولى فى حياته ؛ حيث عرف بذلك فى وقت مبكر وتواتر هذا عنه ، حتى أن الملك عبد العزيز رحمه الله قد كتب للسبيعى فى شقراء ، أثناء رحلة الريحانى ، بالاهتمام به وتمكينه من الاطلاع على تاريخ ابـن عيسى كما قال الريحانى [٦] .

أما ابن بسام فلم تبدأ الفكرة عنده إلا متأخرة ، وبعد أن استقر ابن عيسى فى عنيزة ، وتلازما

فترة من الزمن ؛ فقد نقل الناسخ عن المؤلف قوله فى صفحة العنوان : (قد تحرر هذا التاريخ فى سنة خمس وثلاثين وألف وثلاث من المئين ، وسميته تحفة المشتاق فى أخبار نجد والحجاز والعراق) [٨] ، كما ذكر المؤلف فى حوادث عام ١٣٤٣ هـ وفاة الشيخ المؤرخ ابراهيم بن عيسى ، وحدده فى ٢٢ شوال [٩]

وفى هذا مخالفة لما قاله الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام فى ترجمته لابن عيسى نقلا عن أحد تلاميذه بأنه توفى ضحى الثامن من شوال [١٠] .

٢ ـ وناحية مستترة ، وذلك باتفاق المعلومات المرصودة ، وفى هذه الحالة لا نستطيع أن نقصرها على شخص بعينه ، ولا أن نحددها لواحد دون الآخر ؛ لأن اكثر حوادث نجد التاريخية مما يستفيض على ألسنة الناس ، ويتناقلونها كابراً عن كابر ؛ لقلة الاهتمام بالرصد ، وغلبة الأمية . وفى هذه الحالة لا نستطيع أن نقصر ذلك على شخص بعينه ، ولا أن نحددها لواحد دون الآخر ، إلاّ إذا كان أحدهما قد أورد بالدلائل ؛ بأن هذه المعلومات لم يرصدها غيره ، أو أنه أخذها من مصدرها بصفة خاصة . فهنا قد نعتبر من وافقه يستقى منه .

أما الحالة التى أشار إليها شيخنا حمد بأنه لا يستبعد بأن تكون هذه النبذة التاريخية أو بعضها ضمن المعلومات التى دون ابن عيسى ، مما لم يصل إلينا ؛ فهذا ظن يحتاج إلى ما يقويه بالقرينة ، فما دام لم يصل إلينا من ابن عيسى ، فمن الممكن أن يأتى من يظن أيضا بأن ابن عيسى لم يرصد هذه المعلومات أصلا ، ولا يوجد له غير ما خرج فقط .

ولذا يحسن بنا التوقف عن الحكم حتى يوجد ما يقوى أحد الظنين ، ويؤكده بالبرهان ؛ لأن الأصل براءة الذمة .

والذين اطلعوا على تاريخ ابن عيسى قبل نشره حكموا عليه بالركاكة فى الأسلوب ، والسذاجة فى نقل المعلومات ، مع الخلو من التقعر والسجع ، كما قال الريحانى [١١] .

وهذا الحكم جاء فى مقدمة الشيخ حمد الجاسر لتاريخ ابن عيسى الموسوم بتاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد عند الإشراف على نشره فقال : (وأمر آخر يؤيد القول بأن النسخة التى وصلت إلينا هى المسودة ، ذلك ما نجده من لحن فى الكلام ، واستعمال كلمات عامية ، مع الغلط فى الإملاء) [١٢]

.. وقد لا يكون ابن عيسى هو المتفرد بذلك ، فقد تبين بأن كثيرا من هذا لدى عبدالله بن بسام ، ولدى المنقور والفاخرى ، وعبد الرحمن الناصر ، مما يدل على طغيان العامية ، والبساطة فى الأسلوب عند الكتابة لدى جميع مؤرخى نجد ، مما يجعل هذا من السمات البارزة لدى أغلبهم ، وفى مقدمتهم ابن بشر الذى لم يسلم من ذلك .

هذا فيما يتعلق بالشكل العام ؛ لكن اهتمام ابن بسام بالتاريخ جعله لم يقف عند نهاية ابن عيسى ، الذى قال عنه الشيخ حمد بأنه (وقف فجأة عند سنة ١٣٢٠ هـ مع وجود نقص فى سنوات

قبلها لم ترصد) [١٣] ، ثم ختم كتابه فجأة أيضا بخبرين فى آخر صفحة ، أحدهما فى عام ١٣٣٩ هـ والآخر فى عام ١٣٤٠ هـ وكلاهما متلازمان ، وعن استسلام حائل [١٤] .

بينما يؤكد الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام فى تعليقه المنشور فى جريدة (البلاد) عام ١٣٨٠ هـ . (بأن المطبوع من تاريخ ابن بسام ـ لعله يعنى طبعة سابقة لنشر الشيخ حمد ، حيث طبعه عام ١٣٨٦ هـ ـ تنتهى بنهاية عام ١٣٠٢ هـ . ، وتمتد النسخة التى اطلع عليها إلى عام ١٣١٥ هـ . [١٥] .

إلا أن مؤرخنا عبدالله بن محمد بن بسام قد استمر فى سرده التاريخى حتى عام ١٣٤٤ هـ . ، وقد ذكر حوادث من عام ١٣١٩ هـ . إلى عام ١٣٤٠ هـ . ذات أهمية فى تاريخ نجد لم يتطرق إليها ابن عيسى فيما وصل إلينا من تاريخ مطبوع ، ومنها ما هو قريب الصلة بابن عيسى ، والجهة التى عاش فيها .

ولا نستطيع الجزم بتغافل ابن عيسى لها وإن لم ترد فى كتابيه ، ولا أن نتهم ابن بسام بأخذها منه ؛ ذلك أن ابن بسام معاصر للأحداث ولديه من الرغبة التأريخية ، ومقومات التجميع للمعلومات ، حيث بسط الله له الرزق والجاه ، مما يعينه على الاتصال بالحفظة من أبناء المنطقة ، ورصد أكبر مجموعة من الحوادث التاريخية .

وابن عيسى لو عرفنا أشياء عن حياته الخاصة ، ومتى توقف عن كتابة التاريخ،لأدركنا بعض القرائن فى الحكم له أو عليه ؛ إذْ قد يكون توقف عن الكتابة ، واكتفى بما دوّن ، مما يجعل ابن بسام وغيره يستقى منه مشافهة ، او يستقى من المصادر التى يستقى منها وهى فى الغالب بالنسبة للأحداث المعاصرة : المجلس وحديث الناس المتكرر .

وفى هذه الحالة يصبح حكمه حكم الثقات الذين نقل عنهم . كما قال فى مقدمته ، وأنه ممن يوثق له المعلومات ، ويرسخها فى نفسه ليعينه على الرصد .

ولا بد أن يكون الناس الذين نقل عنهم ابن بسام مشافهة من الكثرة بحيث يصعب عليه تعدادهم ؛ لأن الناس عموماً فى وقت هذين المؤرخين لديهم اهتمامات كبيرة بالحديث عن الماضى والحاضر ، ويدور فى مجالسهم الكثيرة والطويلة ، مناقشات حامية ، حول تحديد الزمن وذكر القرائن لكل حدث تاريخى فى بيئتهم ، حتى ولو كان قديماً . وهؤلاء جميعا لم يذكر منهم ابن بسام أحداً بالنص ضمن مصادره .

وما دامت المعرفة ليست وقفاً على أحد دون أحد ، وأن المعلومات التاريخية تفرض نفسها على المهتم بها وبخاصة مثل نجد فى الفترة التى خصصها المؤلف لكتابة تاريخه ، إذْ الوسيلة الوحيدة لإزجاء الوقت ، والتسلية مجالس السمر والمنتديات ، وفيها يخبرون ويتعالمون بما جد من احداث ،

ويربطون القديم بالجديد ، والحدث بالمكان ،والقبيلة بالمواقف والشخصيات بالوقائع والأماكن ،ويرددون ذلك فى مجالسهم التى هى وسيلة الإعلام ، ونقل الأخبار ، وتداول المعلومات ، عن أحداث مجتمعاتهم ، وما يدور فيما حولهم ، أو يتعلق بهم .

ولا تزال مثل هذه الحالة هى الطريقة المفضلة لدى كثير من الناس ، وبخاصة المتقدمين فى السن حتى وقتنا الحاضر ، ومؤرخنا ابن بسام جمع ورصد من فائض ذلك المجتمع .

فما ثبت أنه جاء فى تاريخه ، ولم يرد عند ابن عيسى ، فهو من جهده هو وتجميعه الخاص ، فجزاه الله خيراً على ما أورد من معلومات ضافية ، فتحت آفاقاً جديدة نحو معلومات كانت فى طى النسيان لو لم يوردها فى كتابه هذا ، وله فضل البذل والأولوية .

أبرز سماته المنهجية :

قد مرّ بنا أن عبدالله بن بسام استفاد من أسلوب من سبقه ، واستفاد من طريقتهم فى التأليف ، وهذه سمة من يقرأ متأثرا بمن سبقه ، وعندما يريد أن ينتج يبرز فى عمله ما يظهر شخصيته المستقلة تجديداً أو توضيحاً .

والشيخ عبدالله ، لا يشك من يقرأ تاريخه أنه بذل جهداً فى التجميع والتنظيم ، وترتيب الحوادث التاريخية حسب تسلسل السنين ، مع محاولته بأن يحدد الشهر أو اليوم إذا وجد إلى ذلك سبيلاً .

١ ـ ولكن أحياناً قد يعز عليه ، كما عزّ على من قبله وجود حوادث لبعض السنين ، فيكتب أمام السنة عبارات مثل : لم نعلم من حوادثها شيئا ، أو لم نظفر لها بحوادث ، وقد كان ذلك عنده فى (٤٦) ستة وأربعين موضعاً .. وهذه جاءت عنده على أنواع :

ـ نوع قال فيه لم نظفر لها بحوادث إلا وفاة عبد الرحمن العلى الحنبلى وهى سنة ٩٢٨ هـ . وسنة ١٠٢٠ هـ . التى قال فيها لم نعلم بها حوادث إلا وفاة الشريف زيد بن حسن بن أبى نمى وقد جعلت بين قوسين وعلّق الناسخ بأنه وجد هذا مضافاً بقلم الرصاص وبخط المؤلف .

ـ ونوع آخر قال عنه بأنه لم يظفر فيه بشىء وقد أورده فى سنوات إفرادية وهى خمسة عشر عاما : ٢٩٧، ٩٣٢ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٥٢ ، ٩٥٤ ، ٩٥٧ ، ٩٦١ ، ٩٧٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٦٢ هـ .

ـ ونوع آخر قال عنه بأنه لم يسمع بشىء من حوادثها وجاء به مقروناً عامين مرة ، وثلاثة أعوام مرة أخرى ، وأربعة أعوام مرة ثالثة وبسطر واحد.وهى فى مجموعها تبلغ تسعة وعشرين عاما وهى : عامين عامين : ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ هـ .

وثلاثـة ثلاثـة : ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ هـ .

وأربعة أعوام دفعة واحدة وهى : ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ هـ .

ـ وهناك أعوام لم أر لها ذكراً البتة، وقد يكون هذا لإغفال المؤرخ ، أو لوجود سقط سواء فى الخط أو التصوير بالنسبة للنسخة التى وقعت تحت يدى ، وتبلغ سبعة عشر عاما هى :٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ١٠٩٢ ، ١١٠١ ، ١١٦٥ ، ١١٩٨ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢٩٥ هـ .

٢ ـ لكن الملاحظ أن لدى المؤلف طريقة مقتضبة فى إثبات المعلومات ، فرغم أن كثيراً من الوقائع نقلها عن مؤرخين سبقوه فى الرصد وقد أطالوا فى إيراد بعض المعلومات،إلا أنه يورد بعض ما يرد عن كل سنة ، ويختصر فى ذلك اختصاراً ظاهراً .

ـ وسمة أخرى نجدها عنده ، وهو أن بعض السنوات لا يذكر من حوادثها إلا حالة أو حالتين ، وعلى طريقته المقتضبة ، فكأنه شغل الحيز المخصص لذلك وهو غايته التى سعى إليها .

٣ ـ وهناك سمة منهجية تخرج بالمؤلف عن الخط الذى رسمه حسبما يستقى من عنوان كتابه : تحفة المشتاق فى أخبار نجد والحجاز والعراق ، وهى تعرضه لحوادث تاريخية لا تدخل تحت هذا المدلول ؛ فيأتى بأخبار ومعلومات كثيرة عن مصر وما يدور فيها من منازعات ، وعند دخـول الفـرنسيين والانجليز لها ، وانتهاء دولة الجراكسة ،وقتل محمد علي للمماليك وغير هذا كثير عنده .

كما يذكر معلومات عن الدولة العثمانية ، وعن الإنجليز ، والروس وعن دخولهم النصرانية ، وعن الاختراعات العلمية الحديثة ، مما يخرجه عن موضوعه الذى ألزم نفسه به .

٤ ـ ولكن السمات البارزة عنده نراها فى :

أ ـ اهتمامه بذكر الوقائع القتالية بين عشائر الجزيرة العربية ، مما يعيد للقارئ عصور التاريخ السالفة أيام الجاهلية ، ويجعله يتصور الحالة العامة لنجد فى تلك القرون ، وتناحر القبائل على الكلأ والماء ، أو من باب طمع بعضهم فى بعض،لأن وازع الدين الإسلامى قد خف من النفوس .

ب ـ لكن هذه الظاهرة تختفى عند المتتبع عندما تكون فى الدرعية دولة إسلامية رفعت راية الجهاد فى سبيل الله وبتوفيق من الله ، ثم بجهود الإمامين : محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله ابتداء من عام ١١٥٨ هـ .

ويحتكم الناس لكتاب الله ، كلما قويت الحكومة السعودية بأطوارها ، التى تمثل الحكومة الإسلامية فى تنظيمها وحرصها على جذب الناس إلى الدين الاسلامى ، بتطبيق حدوده وشرائعه .

جـ ـ حرصه على ذكر الحوادث الكونية التى تؤثر فى حياة الناس الاجتماعية من مطر أو رياح وثلوج ـ برد ـ وجراد ـ الدبا ـ ، لأن مثل هذه تؤثر فى المحاصيل الزراعية ، والخصب أو الجدب ، وزيادة الرخاء عند الناس أو عدمه كما فى عام ١٢٥٨ هـ . وعام ١٣١٩ ، ١٣٢٠ هـ . فى أولها وآخرها العواصف الشديدة التى أسقطت فى الأحساء ٣٠٠٠٠ نخلة ، وفى القصيم وعمان والهند سقطت أشجار ونخيل لا تحصى [٦١] . أو يهتم بتأخر الأمطار والجفاف وما يترتب عليها من هجرة بشرية إلى الشام والعراق والساحل العربى وغيره . طمعا فى تحسن الحال المعيشى ، أو أوبئة مرضية تفتك بالناس ، وتقضى على مجموعات منهم ، قد تكون شاملة فى المنطقة أو تكون فى بلد بعينها .

يبرز مثل ذلك فى حوادث السنوات التالية : ٨٦٧ هـ . التى كثر فيها الجدرى والحصباء فى نجد ، وعام ٨٦٨ هـ . حيث اشتد القحط والغلاء ، وجلا كثير من أهل نجد للبصرة والأحساء ، واستمر القحط الى سنة ٨٧٠ هـ . وعام ٨٦٩ هـ نزل وباء عظيم فى بلدان نجد والبادية هلك فيه خلق كثير [١٧] ويندر أن تمر سنتان أو ثلاث دون أن يذكر فيها شيئاً عن المطر أو الجدب،لاهتمام الناس به ورصدهم له فى سجلات حياتهم .

ء ـ اهتمامه بذكر الوفيات للعلماء والرجال البارزين من شيوخ القبائل ، أو من رجال المدن والقرى فى نجد،ويكثر من المعروفين لديه كآل بسام باعتبارهم أسرته ، أو ما يتعلق ببلده عنيزة وما حولها . وإلى جانب هذا يتعرض للحوادث الجانبية التى تحصل بين القرى المتجاورة ، أو بين بعض الأسر من بلدة واحدة . ويترتب عليها مهاجرة أسرة من مكان لآخر كخروج ناصر السحيمى من عنيزة ، ثم قتله فى الهلالية بالقصيم عام ١٢٧٥ هـ . حيث أطال فى موضوعه ، وخروج كثير من الأسر من أشيقر وأسباب ذلك . وهذه كلها تتعلق بحياة بعض الأسر التى يتناقل أبناؤها مثل هذا لاهتمامهم به فى حياتهم للارتباط الأسرى والعلاقة الاجتماعية .

هـ ـ أما أبناء المدن فهذه قد رسمها لنفسه فى المقدمة ، ولذا نراها بارزة عنده وعند مقبل الذكير وإبراهيم بن عيسى ، وهى ذات علاقة بالحياة الأسرية .. ومن تلك البلدان التى ذكر ـ وهى كثيرة ـ ما يلى :

ـ عام ٨٧٤ هـ . بناء مسجد الخيف بمنى ، وبناء مسجد نمرة فى عرفة ، وتصليح عين عرفة [١٨] .

ـ عام ٧٠٠ هـ . بناء حرمة ، ثم جددت عام ٧٧٠ هـ . بعد خراب ، وعام ٨٢٠ هـ عمارة المجمعة وفى عام ٩١٦ هـ . تم بناء اول سور فى جدة [١٩] .

ـ عام ٩٧٤ هـ . إجراء عين عرفات إلى مكة المشرفة [٢٠] .

ـ عام ٩٧٩ هـ . بدأت عمارة الحرم المكى الشريف [٢١] .

ـ عام ١٠٠١ هـ . عمرت بلدة القرنية [٢٢] .

ـ عام ١٠١٥ هـ . غرست بلدة الحصون بسدير ، وجددت بلدة البير [٢٣] .

ـ وفى عام ١٠٤٥ هـ . نزل آل أبو رباع حريملاء وعمروها [٢٤] .

ـ وفى عام ١٠٧٩ هـ . بنيت بلدة رغبة ، وعمرت ثادق [٢٥] .

ـ وفى عام ١٢٩٩ هـ .. صار الابتداء فى حفر أول قلبان البدائع التابعة لبلد عنيزة بالقصيم [٢٦] .

ـ وفى عام ١٣٢٢ هـ . بنى سور عنيزة [٢٧] .

ـ وفى عام ١٣٣٠ هـ . ابتداء عمارة بلد القطفط وسكناها ، وفى عام ١٣٣١ هـ . ابتداء عمارة بلد الداهنة ومبايض وساجر [٢٨] .

وغير هذا مما يتعلق بالبلدان بناء وتعميراً ، أو حفر آبار وبناء أسوار ، أو هدم أسوار وقصور . وهذا كثير عنده .

و ـ وتبدو لديه سمات أخرى تتعلق بالأنساب سواء فى الملحق المختصر عن أسر عنيزة أو فى مروره بالأشخاص وبخاصة فى الوفاة ، فيذكر الانتماء القبلى .

ز ـ ومن هنا يبدو ظاهراً فى تاريخ ابن بسام جميع المؤثرات التى يهتم بها أبناء نجد عموما من حاضرة وبادية ، ومما تركه مما يبرز فى تواريخ الأمم الأخرى ، فهو لأنه غير متوفر فى البيئة . ذلك أن من يريد الآن أن يكتب تاريخ المملكة العربية السعودية ، لابد أن يبرز لديه معالم ومنشآت اهتمت بها الدولة لم تكن معروفة من قبل . وذلك بفضل من الله تعالى ثم باهتمام المسئولين إلى تغيير معالم البلاد ، بعد أن أفاء الله عليها من خيره .

وبعد : فهذا هو تاريخ ابن بسام : تحفة المشتاق فى أخبار نجد والحجاز والعراق ، فى عرض مجمل ، فهو خلاصة للتواريخ قبله ، جيد فى مادته وترتيبه ، رغم أنه يستعمل كلمات عامية قد لا يدركها غير القدامى من أبناء نجد مثل كلمة (لُك) وتعنى مائة الف فى تقديره أموال التاجر احمد بن محمد بن رزق بعد وفاته [٢٩] . والتاجر ضاحى بن عون المدلجى المتوفى عام ١٢٦٠ هـ . [٣٠] ومقدار تبرعات المسلمين فى الصين ، والهند وأفغانستان وغيرها من الديار التى فيها الإسلام منتشرا وذكر لهم المساهمة فى مدّسكة حديد الحجاز فى عام ١٣١٩ هـ . [٣١] . إلى جانب الأخطاء الإملائية والعربية ، والإكثار من الألفاظ العامية ، والبساطة فى الأسلوب .

ولو خرج هذا الكتاب محققاً ، ومتكاملاً لأفاد فى موضوعه ، وأكمل نقصا فى بعض الحلقات المفقودة ، والتى تهم الباحث والمتخصص،ولعل أولى من يقوم بذلك أخى الدكتور عبدالله الصالح العثيمين ، فهو الباحث والمتخصص .. من أبناء ذلك البلد.ويقال إنه يملك نسخة من هذه المخطوطة ، وتخصصه تاريخى ، وسوف يضفى عليه أشياء كثيرة تهم القارئ والباحث ، وأرجو أن يكون ذلك قريبا والله الموفق .

• مصادر ومراجع وهوامش الجزء الأول •

(١) يراجع فى هذا مجلة العرب م ٥ الأجزاء ٩ ، ١٠ ، ١١ .
(٢) مجلة العرب . ج ١٠ م ٥ ص ٨٨٨ .
(٣) المصدر السابق ، وقد جاء هذا البحث فى ثلاثة أعداد من المجلة هى ٩، ١٠، ١١ .
(٤) أنظر ص ٢ ص ٦١٣ ـ ٦١٥ الطبعة الأولى مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة عام ١٣٩٨ هـ.
(٥) انظر نجد وملحقاته لأمين الريحانى الطبعة الرابعة ١٩٧٠ م دار الريحانى فى بيروت ص ١٥ ، ١٧ ، ٢١٠ .
(٦) انظر مجلة العرب ج ١٠ م ٥ ص ٨٨٨ .
(٧) انظر علماء نجد فى ستة قرون ج ٢ : ٦١٣ الطبعة الأولى مكتبه ومطبعة النهضة الحديثة بمكة عام ١٣٩٨هـ .
(٨) نفس المصدر ص ٦١٥ .
(٩) طرة المخطوطة .
(١٠) انظر علماء نجد فى ستة قرون ٢ : ٦١٣ الطبعة الأولى مكتبة ومطبعة النهضة عام ١٣٩٨ هـ .
(١١) انظر أحداث عام ١٢٧٩ هـ . ص ٣٨ ـ ٤٠ بتحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ طبعة وزارة المعارف والمطابع الوطنية ولم يحدد تاريخ الطبع .
(١٢) انظر احداث عام ١٢٧٩ هـ . ص ١٧٥ فى كتابه تاريخ بعض الحوادث منشورات دار اليمامة الرياض عام ١٣٨٦ هـ . ـ ١٩٦٦ م لطبعة الأولى .
(١٣) راجع المخطوطة ورقة ١٤٨ الوجه الثانى .
(١٤) انظر مجلة العرب ج ١٠ م ٥ ص ٨٨٨ ـ ٨٨٩ .
(١٥) راجع علماء نجد خلال ستة قرون ٢ : ٦١٣ . الطبعة الأولى مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة عام ١٣٩٨ هـ . .
(١٦) نفس المصدر ص ٦١٤ .
(١٧) راجع نفس المصدر ص ٦١٤ .
(١٨) راجع كتاب ملوك العرب ٢ : ١٢٦ الطبعة من عام ١٩٦٧ م دار الريحانى فى بيروت .
(١٩) انظر عماء نجد فى ستة قرون ٢ : ٦١٤ الطبعة الأولى مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة عام ١٣٩٨ هـ .
(٢٠) راجع المخطوط ورقة ١٥٧ الوجه الثانى .
(٢١) انظر كتابه : نجد وملحقاتها ص ١٥ الطبعة الرابعة ١٩٧٠ م دار الريحانى فى بيروت .
(٢٢) نفس المرجع ص ١٧ .
(٢٣) انظر كتاب ملوك العرب الطبعة الخامسة بيروت ١٩٥٧ م ص ١٢٧ .
(٢٤) انظر علماء نجد خلال ستة قرون ٢ : ٦١٥ الطبعة الأولى مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة عام ١٣٩٨ هـ .
(٢٥) انظر المرجع السابق ٢ : ٦١٥ .
(٢٦) انظر المرجع السابق ٢ : ٦١٥ .
(٢٧) انظر طرة المخطوطة .
(٢٨) انظر الخاتمة ورقة ١٩٠ الوجه الثانى .

• مصادر ومراجع وهوامش الجزء الثاني •

(١)انظر علماء نجد خلال ستة قرون ٣ : ٨٠٦ الطبعة الأولى عام ١٣٩٨ هـ . مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة..
(٢) راجع روضه الناظرين ج ١ ص ٥٨ ، ص ١٤٢ ، ص ١٦٩ الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ . ١٩٨٠ م مطبعة الحلبى .
(٣) راجع نفس المصدر ج ٢ ص ٢١٤ .
(٤) انظر مجلة العرب ج ٩ م ٥ ص ٧٨٨ ، ص ٧٩٤ ، ج ١٠ م ٥ ص ٨٨٨ .
(٥) راجع ترجمة حياته عند عبدالله بن بسام فى كتابه علماء نجد خلال ستة قرون ١: ١٨٦ ـ ١٨٨ .
(٦) راجع بحث الشيخ حمد الجاسر عن مؤرخى نجد من أهلها فى مجلة العرب ج ٩ م ٥ : ٧٨٨ ، ٧٨٩ .
(٧) راجع ترجمته عند محمد القاضى فى روضة الناظرين الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ . ١٩٨٠ م مطبعة الحلبى بمصر ١ : ٥٨ .
(٨) انظر الأعلام الطبعة الثانية ١٣٧٤ هـ . ـ ١٩٥٥ م مطبعة كوستا توماس وشركاه ٦ : ٣٤١ .
(٩) انظر مجلة العرب ج ٩ م ٥ ص ٧٩٤ ـ ٧٩٦ .
(١٠) انظر مقدمة المحقق وهو ناشر الدرر المفاخر ص ٧٠٧ .
(١١) انظر مجلة العرب ج ١٠ م ٥ ص ٨٨٨ .
(١٢) راجع مجلة العرب ج ١٠ م ٥ ص ٨٨٨ .
(١٣) سبق أن مر بنا قول الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام بأن أولاد المؤلف فى البصرة ، وأن الذى فى عنيزة اسباط ، أولاد بناته .
(١٤) الورقة ١٩٠ من المخطوطة الوجه الثانى .
(١٥) قد ترك الناسخ مكان محمد بياضا ، فلعله لم يتحقق من الكلمة فتركها .
(١٦) انظر مقدمة المخطوطة الورقة الثانية .
(١٧) انظر التمهيد فى الورقة ٣ الوجه الثانى .
(١٨) راجع نهاية المخطوطة الورقة ١٨٨ الوجه الثانى ، والورقة ١٨٩ الوجهين .
(١٩) ملوك العرب الطبعة الخامسة دار الريحانى بيروت عام ١٩٦٧ م ٢ : ٢٦ .
(٢٠) انظر كتابه شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز الطبعة الثانية دار العلم للملايين بيروت عام ١٣٩٧ هـ . ـ ١٩٧٧ م ١ : ٣٤٨ ـ ٣٥١ .
(٢١) انظر تاريخ الدولة السعودية لأمين سعيد مطبوعات الدارة رقم ٩ بالرياض ٢ : ١٨٠ ـ ١٨١ .
(٢٢) انظر صقر الجزيرة طبعة خاصة بالحرس لم يحدد تاريخها ٤ : ٨٨٤ .
(٢٣) نفس المصدر ٤ : ٨٦٧ .
(٢٤) انظر تاريخ ملوك آل سعود للأمير سعود بن هذلول الطبعة الأولى عام ١٣٨٠ هـ ١٩٦١ م مطابع الرياض ص ١٧٧ .
(٢٥) انظر كتاب تاريخ الدولة السعودية مطبوعات الدارة بالرياض رقم ٩ ، ج ٢ ص ١٨١ .
(٢٦) راجع مخطوطة مقبل الذكير فى تاريخ نجد ٣ : الورقة ٥٥ .

● مصادر ومراجع وهوامش الجزء الثالث ●

(١) راجع مقدمة الورقة الثانية الوجه الثاني، والورقة الثالثة الوجه الأول من المخطوطة .

(٢) انظر المخطوطة الورقة ٧٤ الوجه الثانى فى حوادث ١١٤٠ هـ .

(٣) انظر المخطوطة ايضا ورقة ١٤ الوجه الثانى فى حوادث ٨٨٦ هـ .

(٤) انظر المخطوطة حوادث عام ١٣٢٤ هـ . ورقة ١٧٥ الوجه الثانى والورقة ١٧٦ الوجهين .

(٥) انظر مجلة العرب ج ١٠ م ٥ ص ٨٨٩ ـ ٨٩٠ .

(٦)نفس المرجع السابق ص ٨٩٠ .

(٧) راجع نجد وملحقاته للريحانى فى الطبعة الرابعة ١٩٧٠ م دار الريحانى بيروت ص ١٢ .

(٨) راجع ورقة ١٩١ من المخطوطة الوجه الأول .

(٩) راجع ورقة ١٨٧ من المخطوطة الوجه الثانى .

(١٠) انظر علماء نجد فى ستة قرون مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة عام ١٣٩٨ هـ . ج ١ ص ١٢٥ .

(١١) راجع نجد وملحقاته للريحانى الطبعة الرابعة ١٩٧٠ م الريحانى فى بيروت ص ١٢ .

(١٢) انظر المقدمة لهذا الكتاب ص ١٠ منشورات دار اليمامة بالرياض عام ١٣٨٦ هـ . ص ١٠ .

(١٣) راجع المقدمة لتاريخ بعضْ الحوادث فى نجد نشر الشيخ حمد الجاسر السابق ذكره ص ٨ ـ ١٠ .

(١٤) انظر المصدر السابق ص ٢٠٢ .

(١٥) راجع ترجمة ابن عيسى فى نفس المصدر ص ٢٣ .

(١٦) راجع المخطوطة ورقة ١٦٩ الوجه الثانى عام١٣٢٠ هـ .

(١٧) راجع المخطوطة ورقة ١٠ وورقة ١١ الوجه الثانى .

(١٨) انظر المخطوطة ورقة ١٢الوجه الأول .

(١٩) انظر المخطوطة ورقة ١٩ الوجهين .

(٢٠) نفس المصدر ورقة ٢٧ الوجه الثانى ، والورقة ٢٨ بوجهيها ، والورقة ٢٩ بوجهيها .

(٢١) نفس المصدر ورقة ٣٠ الوجه الثانى ، والورقة ٣١ الوجه الأول .

(٢٢) نفس المصدر ٣٤ الوجه الثانى .

(٢٣) نفس المصدر ورقة ٣٦ الوجه الأول .

(٢٤) نفس المصدر ورقة ٤٢ الوجه الأول .

(٢٥) نفس المصدر ورقة ٤٨ الوجه الثانى .

(٢٦) نفس المصدر ورقة ١٥٨ الوجه الأول .

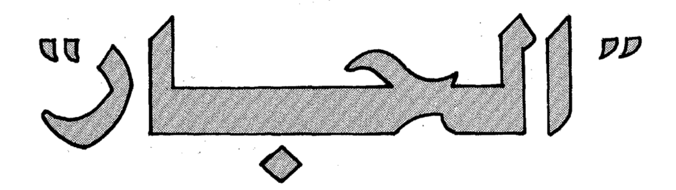
(٢٧) نفس المصدر ورقة ١٧٣ الوجه الأول .

(٢٨) نفس المصدر ورقة ١٨٢ الوجه الثانى .

(٢٩) نفس المصدر ورقة ١٠٨ الوجه الأول عام ١١٢٤ هـ .

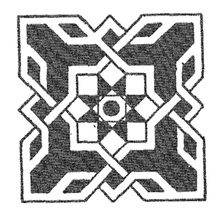
(٣٠) نفس المصدر ورقة ١٣٩ الوجه الثانى .

(٣١) نفس المصدر ورقة ١٧٨ الوجه الأول .



ميناء المدينة القديم

"البريكه حاليًا"



بقلم : الأستاذ عبد الكريم محمود الخطيب

الجار شهرة قبل الاسلام ؛ إلا أنها بعد الاسلام نالت شهرة كبيرة ، وأصبحت أشهر موانى الحجاز حيث يعرف البحر الاحمر ببحر الجار ، وأصبح جغرافيو القرن الثالث الهجرى يشيرون اليه كثيرا فى مواضع عدة . ويصف البشارى مدينة الجار فيقول : (الجار مدينة محصنة بثلاث حيطان والرابع البحر وبها دور شاهقة وسوق عامرة،وهى خزانة المدينة ويحمل اليها من بدر الماء ، والطعام من مصر) ويقول صاحب معجم البلدان :

(هى فرضة ترفأ اليها السفن من أرض الحبشة وعدن والصين وسائر بلاد الهند ، ولها منبر وهى آهلة وشرب أهلها من البحيرة وهى عين يليل وبالجار قصور كثيرة) ، ومن قوله : (أهل الجار يأتون بالماء من فرسخين وأكد ذلك أبو الاشعث الكندى عن عرام بن الاصبغ السلمى) وينسب الى الجار جماعة من المحدثين منهم : سعد الجارى وهو سعد بن نوفل مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، استعمله حاكما على الجار . كما ينسب اليها عبدالملك الجارى مولى مروان بن الحكم . وقد ضعف شأن ميناء الجار منذ القرن الرابع الهجرى ؛ حيث اختل نظام الامن فى الحجاز بضعف الحكم فتسلطت الاعراب على الجار بالنهب والسلب . وفى أواخر القرن السادس الهجرى بدأ أمر الجار يضمحل وصار حجاج مصر والمغرب يركبون البحر من عيداب الى جدة ..

وقد ظن كثير من المؤرخين أن موضع الجار هو الرايس ، والرايس هى فى منبسط من الارض على الساحل بالقرب من بدر وليس بها من الآثار مايشير الى عمران أو آثار ، أما البريكه هى الجار سلفا وبها خور عميق من البحر محاط بشاطئ صخرى ، وعلى مقربة من الخور تشهد فى أرضها آثار مدينة قديمة ؛ منها موقع الافران ، وكسر الزجاج والفخار يكسو مساحة كبيرة من الارض ، وتشهد بقربها خرزات مجرى قناة لعين تنحدر من الجهة الشرقية من أسفل وادى الصفراء ، والبريكه تقع غرب بلدة بدر ، والمسافة بينهما تقارب خمسة وعشرين كيلو مترا ، وتقع البريكه بقرب الدرجة ٣٨/٣٠ طولا شرقيا و٣٣/٤٠ عرضا شماليا . وفى وقتنا الحاضر يستعمل هذا الميناء الصيادون من ينبع ، وترسو فيه السفن الشراعية القادمة الى ينبع من جدة ، وكان قد استعمله الجيش المصرى فى عام ١٢٢٦هـ حين هزم على يد الجيش السعودى فى قرية الخيف بوادى الصفراء ؛ حيث ولوا مدبرين الى البريكه وركبوا منها السفن الى ينبع . وأشار الى ذلك المؤرخ الشيخ عثمان بن

عبدالله بن بشر صاحب : عنوان المجد فى تاريخ نجد ، فقال : (البريكه هى المعروفة بالجار ميناء المدينة القديم ، والبريكه تقع غرب بلدة بدر وتبعد عنها مسافة خمسة وعشرين كيلو مترا) .

وقد اهتم الخلفاء الراشدون بميناء الجار بعد أن تم للمسلمين فتح مصر ، وقد روى المؤرخون أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية كتب اليه الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يحمل منها الطعام الى المدينة المنورة فى عشرين مركبا ، فى المركب ثلاثة آلاف أردب أو أكثر حتى وصل الجار ، فخرج الخليفة عمر رضى الله عنه وبرفقته كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم الجار [١] ثم وكل من قبض ذلك الطعام ، وبنى هناك موضعين وجعل ذلك الطعام فيها . ثم أمر زيد بن ثابت أن يكتب للناس صكاكا من القراطيس ثم يختم أسفلها ؛ فكان أول من صك وختم الصكاك . وقد ضعف شأن الجار منذ القرن الرابع الهجرى حين اضطرب الأمن فى الحجاز بضعف الحكم ، فتسلط الاعراب على الجار بالنهب والسلب وقتل أهله ، ومن يومها اضمحل الجار وتحرك ميناء ينبع البحر باضمحلاله ..

ويبعد الجار عن ينبع الميناء بمسافة خمسة وأربعين كيلو مترا تقريبا . وقد قام المؤرخ صاحب مجلة المنهل المرحوم الاستاذ عبدالقدوس الانصارى برحلة الى منطقة الجار وقد أصدر عددا خاصا عن رحلته تلك فى عام ١٣٩١هـ . ومن قوله عن الجار : (وذهبنا الى ساحل الخليج الرابض على أنقاض الجار الممتد من البحر الكبير حتى حافة المدينة الجنوبية ، وقد بحثنا بحثا سطحيا عن الرصيف الذى قيل لنا إنه كان هنا . وبعد بحث سطحى بدت لنا حقيقة وجود هذا الرصيف أيام عمران المدينة ماثلة للعيان وقد تآكل وتداعى ظاهره بفعل الأمواج الهادرة ، أو العارمة التى تلمس بأصابعها بشرته طيلة القرون الخوالى ليل نهار ـ ولقد ظهر لنا رصيف المدينة على شاطئ الخليج ، وهو مبنى بالحجارة المنقبية [٢] البيض المنحوتة بناء متماسكا قويا بدليل بقاء أسسه المزيده على شاطىء الخليج الى اليوم وكان يحمى المدينة من طرقات مياه الخليج التى ربما اشتدت أيام امتداد البحر وطغيان أمواجه ..

أما عن أطلال مدينة الجار فيقول : (وعدنا أدراجنا صوب الأطلال الهامدة تحت التراب فبحثنا أولا عن القصور الكبيرة التى كان الجار يموج بها . وقد رأينا أكواما مرتفعة متقاربة

ومتباعدة فى داخل سورها القديم المتداعى ؛ فرأينا أن هذه ربما تكون أطلال القصور النائمة . وحينما رفعنا شيئا من التراب تبدت لنا حجارة منقبية ؛ هى إما أسس القصور ، أو مايعلو الاسس مباشرة من البناء . ثم رأينا أن نبحث عن السور المذكور فى التاريخ : انه يحيط بالمدينة من ثلاث جهات وسرعان ماتجلى لنا السور متمثلا فى هذه الآكام المرتفعة متسلسلة من البحر فى الجنوب الغربى الى الشمال والى الشمال الغربى،ومن الشمال الغربى الى الشمال الشرقى،ومن الشمال الشرقى الى الجنوب الشرقى ..

ولم يأخذ منا التأمل كبير جهد ووقت حتى لاحظنا امتداد السور فى ثلاث جهات بدليل هذه التلال المحيطة بالمدينة فى شكل مستطيل من نواحيه الثلاث تماما كما فصله المؤرخون ..

(ولكننا رأينا بعد ذلك تلالا كثيرة متفرقة متباعدة ومتقاربة على غير نظام ، وبعد تأمل عميق رأينا أنهارا ؛ ربما تكون القصور التى أنشأها الرافهون فى شمال المدينة الكبيرة خارج سورها ليكون لهم منها أطايب المنازل وأطايب الهواء النقى على عادة المدن الكبيرة فى امتدادها الاكثر صوب الشمال . وفى أثناء مرورنا بداخل المدينة المندثرة استرعى أنظارنا أرض مطمئنة فى شبه دائرة كبيرة غير منظمة تقع جنوب المدينة بقرب الرصيف الجنوبى منها ، وهى أرض هشة تسوخ فيها الاقدام ويعلو ظهرها شىء يشبه الدهن فى لونه الاصفر الداكن ، وقد قلبنا وجوه الرأى فى هذه البقعة فيما يعلوها من شىء من الدهن ؛ فقلنا باحتمالات : أحدها أن تكون مقبرة المدينة اختاروا لها هذا الموقع المتطرف من المدينة القريب من رصيفها وخليجها . وثانى الاحتمالات أن تكون مجزرة المدينة رأوا أن يقتربوا بها من الساحل ومن موقع البحيرة ليسهل عليهم غسل الذبائح بعد ذبحها ، وتراكم الدهن وعظام الأنعام المذبوحة فيها فشكلت هذه الطبقة الدهنية على سطحها ، وثالث الاحتمالات أن تكون مسلخة السمك الذى يصيده حواتو [٣] الجار من بحرهم) ,

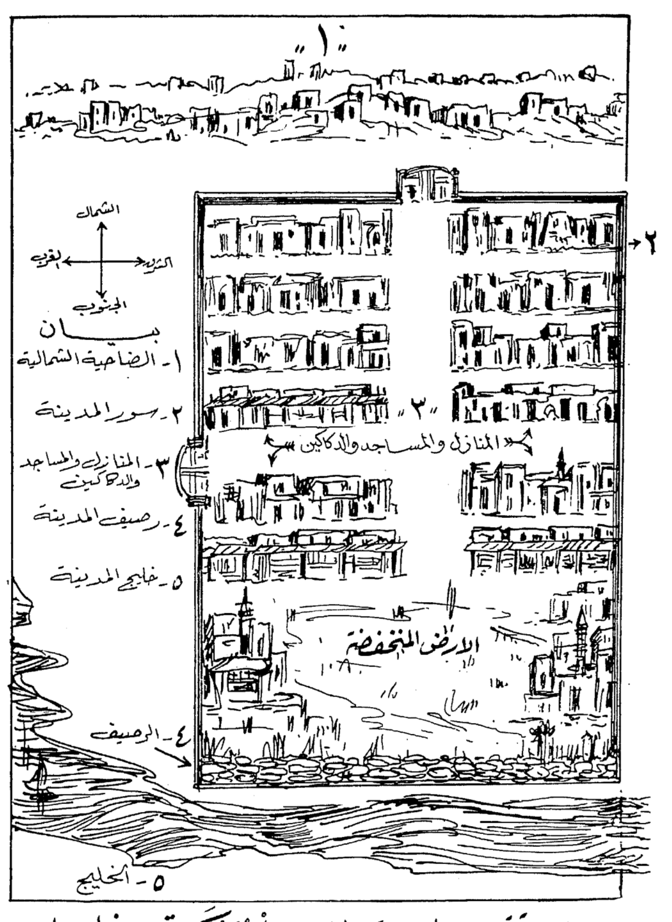
ومن قول الأستاذ الانصارى عن رحلته الى الجار : (كلما كان من التلال وراء السور الشمالى والشرقى الشمالى فهو مكان الأبنية الجديدة التى تكون محلة أو محلات الضاحية الشمالية المغمورة بالعمران أكثر من سائر الضواحى الأخرى ، ولابد أن فيها منازل ودكاكين وغيرها ؛ فهى امتداد طبيعى للمدينة القديمة فى ناحيتها الشمالية عندما تكاثف السكان بها وبرموا من ضيقها ومن تلوث هوائها).

من كل ما اطلعنا عليه تاريخيا حول مدينة الجار القريبة من مدينة ينبع البحر الميناء ومن مشاهدات الاستاذ الانصارى فى ربوعها والوقوف على أكثر معالمها البائدة؛ يعلم أنها كانت مدينة من أمهات مدن الحجاز تعج بالحياة والحركة الدائبة ، وأنها كانت سوقا من أسواق الجزيرة التجاريه، وتجارتها لاتنحصر فى الجزيرة العربية فحسب ؛ بل مغ الغرب والشرق ؛ فكان الغرب يحمل اليها تجارته فيصرفها على الشرق ، وكان الشرق يحمل اليها تجارته فيصرفها الى الغرب ؛ حتى أن مساحة المدينة ضاقت بسكانها فأخذ العمران ينتشر خارج أسوارها . وأنها كانت ميناء مدينة الرسول فى صدر الاسلام ويعلل أكثر من مؤرخ أنه ضعف شأن مدينة الجار فى القرن الرابع الهجرى حين اضطرب الامن فى الحجاز وضعف الحكم فتسلط الأفاقون من الاعراب وغيرهم من قطاع الطرق فى البر والبحر على المدن الحجازية ، ومنها تسلطهم على سلب الجار وقتل أهله ؛ ومن هنا كانت مدينة ينبع البحر بديلا عن الجار فى المنطقة ، فبدأت تنمو من قلعة وخان أسست على أرضها فى القرن السادس حتى أصبحت مدينة من أمهات مدن الحجاز بالمملكة العربية السعودية .

○ جزيرة قراف والعباس ○

لاغضاضة أن يعود المرء الى الصواب ، وأن يصحح أخطاءه ؛ إذ الحق هو الضالة المنشودة ـ كنت أعتقد جازما فى الماضى أن جزيرة العباس الموجودة اليوم فى جنوب شرق ينبع الميناء وبالقرب منه ربما هى جزيرة قراف ؛ حيث أشار صاحب معجم البلدان فى مادة الجار بقوله (وبحذاء الجار جزيرة فى البحر تكون ميلا فى ميل لايعبر اليها الا بالسفن وهى مرسى الحبشة يقال لها قراف ، وسكانها تجار كنحو أهل الجار) .

واذا أردنا أن نعتبر جزيرة العباس على حذاء الجار فلا نكره فى ذلك التحديد باعتبارها قريبة منه . وقد أشرت الى ذلك فى بحث الينبعين فى الطبعة الاولى من مؤلفى « شعراء ينبع وجهينه » ولكن ظهرت لنا حقائق جديدة عن جزيرة قراف حين قام الأستاذان : حمد الجاسر وعبدالقدوس الانصارى برحلات متفاوته الى منطقة الجار فكانت رحلة الاستاذ الجاسر عام ١٣٩٠هـ . ومن قوله عن جزيرة قراف التى هى على حذاء الجار أى البريكه حاليا ٠



رسم تقريبي لمدينة الجار (البُرْكَة) وخليجها

(ان البريكة تقع غرب بلدة بدر والمسافة بينهما تقارب ٢٥ كيلو ، وتقع البريكة بقرب الدرجة ٣٨/٣٠ طولا شرقيا ، ٢٣/٤٠ عرضا شماليا ولم ترسم فى الخريطة وأمامها غربا فيما بينها وبين الرايس آثار جزيرة كبيرة لم يبق منها سوى الشعب المرجانية الصخرية وهى مستطيلة من الشمال الى الجنوب بارزة فى الخريطة) ..

ومن قول الأستاذ/ عبدالقدوس الأنصارى فى رحلته لمنطقة الجار عام ١٣٩١هـ وقد أصدر عددا خاصا عن رحلته تلك (وفى المرسى الكبير قديما المقفر حاليا سألت بعض من وجدتهم فيه : أين جزيرة قراف ؟ فلم يعرفوا هذا الاسم القديم الذى اندثر كما اندثر مسماه فى القديم ، قال المسئول مامعناه : الذى نعلمه أنه توجد جزيرة كبيرة فيها صخور عظام تعرف الآن باسم (السلِّجِّية) بكسر السين المهملة واللام مع تشديدها وبالجيم المكسورة المشددة فياء مفتوحة مشددة ، وقال لى المسئول ايضا : لعل السلجيه هذه هى ماذكرت أنها جزيرة قراف).

ندرك من الرحلتين التى قام بهما الاستاذان البحاثه : حمد الجاسر والمؤرخ الاستاذ عبدالقدوس الانصارى أن جزيرة قراف لازال لها بقايا من آثار على حذاء البريكة أى الجار .. كما ندرك من قول الاستاذ الجاسر أن هناك آثار جزيرة كبيرة لم يبق منها سوى الشعوب،وعلى مايبدو أن عوامل المد البحرى أحدثت فيها تعرية فأزالت جزءا كبيرا منها .
أما جزيرة العباس الموجودة اليوم على حذاء ينبع الميناء بمتابعة البحث والتنقيب لم نقف لها على اسم أصلى .. كل ماوقفنا عليه فى ديوان الشاعر الينبعى/ حسن عبدالرحيم القفطى الذى عاش فى القرن الرابع عشر فى الصفحة ١٥١ من ديوانه بيتين من الشعر قالهما بمناسبة تشييد ضريح السيد العباس المدفون فى الجزيرة المسماه باسمه مرفوعة لقائمقام ينبع صادق أغا ـ اذ يقول :

أيد الله صادقا وحباه ... مقعد الصدق يوم حسن المآب
قد أشاد الضريح هذا رجاء ... فى جزيل الثواب يوم الحساب

لسنا ندرك من هو السيد العباس الذى دفن فى تلك الجزيرة وشيد له ضريح ، وقد أزيل الضريح كما أزيل غيره من أضرحة فى ينبع . غفر الله لشاعرنا القفطى وأهل

زمانه على هذه البدع التى لاتتفق مع الدين وتعاليم الاسلام ، ومع بداية العهد السعودى أنشئ فى هذه الجزيرة محجر صحى يشتمل على غرفتين؛احداهما فيها مباخر للحجاج القادمين الى ينبع ، والأخرى بها جهاز المبخرة ، وكثيرا مايذهب أهالى ينبع بقصد النزهة الى تلك الجزيرة ولاسيما فى أيام الاعياد .. أما اليوم فقد دخلت الجزيرة فى مرافق ميناء ينبع الحديث ..

OOOO

○ علماء من الجار ○

وفى صدر الاسلام عرف من أهل الجار رواة الحديث مما يدل على ازدهار الجار علميا وكثرة سكانها ـ منهم :

١ ـ سعد بن نوفل الجارى مولى عمر بن الخطاب وعامله على الجار

٢ ـ سليمان بن محمد بن سليمان بن موسى بن عبدالله بن يسار الاسلمى ممن روى عن الامام مالك بن أنس وغيره ..

٣ ـ عبدالرحمن بن حسن الجارى

٤ ـ عبدالرحمن بن سعد الجارى

٥ ـ عبدالله بن سعد بن نوفل الجارى

٦ ـ عبدالملك بن الحسن الاحول مولى مروان بن الحكم

٧ ـ عمر بن راشد الجارى الساحلى القرشى

٨ ـ عمر بن سعد بن نوفل الجارى

٩ ـ عيسى بن عبدالرحمن الجارى

١٠ ـ يحيئ بن احمد المدينى الجارى من موالى بنى الذيل من الفرس من اهل المدينة كان من تجار اهل الجار ..

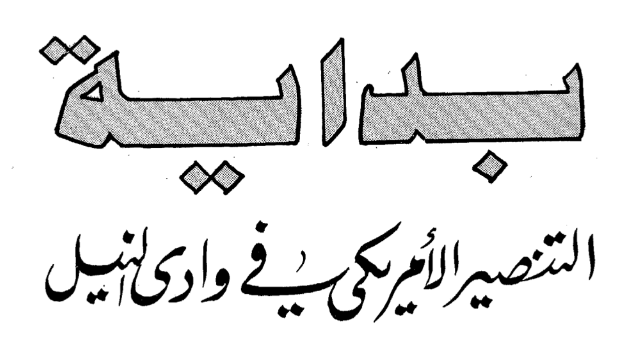
١١ ـ يحيى بن محمد بن عبدالله بن مهران المدنى مولى بنى نوفل .

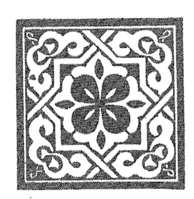
○ الهوامش ○

(١) كان ذلك فى عام الرماده الذى أكل الأخضر واليابس،واستمر فيه قحط وشحت الامطار فى العام الثامن عشر للهجرة .

(٢) الحجارة المنقبية : هى أحجار المرجان التي تستخرج من قلب الارض قطعا بالفئوس .

(٣) حواتو الجار : هم الصيادون الذين يقومون بصيد الاسماك فى المنطقة .





الدكتور عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم

بداية التنصير فى مصر :

زارأحد المنصرين الأمريكيين من دمشق القاهرة فى شتاء ١٨٥١ ـ ١٨٥٢ م ، ولما رجع الى مركزه اقترح أن يمتد النشاط التنصيرى الى مصر ، ونال مساندة زملائه فى هذا الأمر . وبعد تعثّر بدأت الإرسالية الأمريكية تعمل فى القاهرة منذ ١٨٥٤ م ، وقد واجهت البعثة فى بادئ أمرها رفضاً عنيفا من المصريين مسلمين وأقباطاً ، كما أدت حرب القرم وأخبار ثورة الهند الى إذكاء حدة الشعور الإسلامى فى القاهرة ، ووجدت البعثة رهقا شديدا (١) .

بدأت البعثة الأمريكية بالتعليم ؛ حيث افتتحت فى القاهرة مدرسة للبنين فى ١٨٥٥ م بدرب الجنينة ، نقلت بعد ذلك إلى حارة السقايين ، ثم أغلقت هذه المدرسة للنهوض بمدرسة أخرى فى حى الأزبكية . وفى ١٨٥٦ م ، افتتحت الإرسالية الأمريكية أول مدرسة للبنات فى مصر ؛ غير أن هذه البعثة قد واجهت فى بدء أمرها صعوبات مالية . وشاء الله أن يمر بالقاهرة المهراجا دهلوب سنج وريث عرش البنجاب منفياً إلى خارج الهند ، وكان الرجل قد تنصّر . أسرّ المهراجا دهلوب الى البعثة الأمريكية بأنه يرغب فى الزواج ، فزوجته البعثة المدعوة بإبنة إحدى المتنصرات على مذهب الكنيسة الأمريكية ، فمنحهم العريس منحة مالية وأوقف عليهم مبلغ ١١٫٠٠٠ جنيه منحة سنوية . وقد وجدت البعثة بعدئذ الرعاية من سعيد باشا واسماعيل باشا حيث منحهم الأول قطعة أرض ، وزاد الآخر بأن تبرع لهم بمبلغ ٧٫٠٠٠ جنيه لبناء مدرسة على قطعة أرض واسعة أعطاها لهم ، تسع المدرسة ، ومساكن المعلمين وعائلاتهم (٢) .

كان من الطبيعى أن يكون التعليم وسيلة للهدف الأكبر« تنصير المصريين » ويوضح أحد أشهر المنصرين الأمريكيين المدعو روجر والجسون فى كتابه « وادى النيل مسح للحركة التنصيرية » (٣) بأن هدف البعثة الأساسى من المجىء إلى مصر كان تنصير المسلمين بها .

غير أن الشعور بحدة ردود الفعل الناجحة عن السعى لتحقيق هذا الهدف دفعت البعثة الى تحقيق هدف آخر ، وهو جذب أكبر عدد ممكن من الأقلية القبطية للمذهب البروتستانتى والالتحاق بالكنيسة الانجيلية . ولبلوغ هذا الهدف شن المنصّرون الأمريكيون حملة عنيفة على الكنيسة القبطية واتهموها بالجمود وعبادة صور القديسيين والملائكة ، كما اتهموا رجالها بالجهل والخروج عن اصول الدين المسيحى ، وأزعج الاتهام الأقباط ، وأثار تحول البعض من الأقباط إلى البروتستانتية ثائرة سلطات الكنيسة الوطنية فى مصر . وقد تم لقاء فى عام

١٨٦٣ م بين وليام تاير القنصل الامريكى فى مصر والمنصرّ جون هوج من جانب ، وبين كيرلس الخامس بطريرك الأقباط من جانب آخر . وكان من رأى الجانب الأمريكى انه لا يجب أن تعترض سلطات الكنيسة على عمل المنصرين الأمريكيين : إذ أن غايتهم هى تعليم التوراة . ويظهر انفعال كيرلس الخامس فى إشارته للمنصرين الأمريكيين بقوله : « ولماذا جاءوا الى مصر ..إن التوراة لدينا قبل أن توجد أمريكا .. إننا لسنا فى حاجة إليهم ليعلموننا ..إننا نعرف التوراة أفضل منهم » !!(٤) .

وتحول هذا الشعور بالانزعاج من جانب السلطات الكنسية المصرية إلى عمل حاسم ، حين قام البطريك برحلة الى الصعيد فى عام ١٨٦٧ م ، وقد سايرت الحكومة المصرية رغبة كيرلس الخامس فى العمل الحاسم ، وبعثت بتعليماتها الى مديرى المديريات لمعاونته فى مهمته ، وبتخصيص باخرة حكومية تكون تحت تصرفه فى تلك الرحلة. وقد بدأت الرحلة بأسيوط حيث جمع البطريك المسئولين الأقباط ، وقرر تجريد أحد القساوسة من مركزه الكنسى لسماحه لأخيه بالخدمة فى كنيسته بعد أن تخرج من مدرسة اللاهوت بالارسالية الأمريكية (٥) كما أصدر البطريك فى أسيوط حرمانا كنسيا على أتباع الكنيسة البروتستانتينية . وغادر البطريك مدينة أسيوط الى أبو تيج وإخميم ، حيث أقفل مدرسة الأرسالية الأمريكية هناك ، وتقدم إلى قنا حيث أبلغه وكيل القنصل الأمريكى هنالك أن قنصل عام الولايات المتحدة بالقاهرة قد أبرق مستفسرا عما يحدث . وردّ البطريك بأن ما يحدث لا يجب أن يعنى وكيل القنصل ، وأنه لا يأبه لقنصله العام (٦) . غير أن رد الفعل القبطى هذا لم يثمر كثيرا حيث لاقت البعثة الأمريكية الدعم من السلطات البريطانية ! وتزايد أتباع الكنيسة الأمريكية من الأقباط المتحولين .

وقد شهدت السبعينات فى القرن التاسع عشر ازدياد النفوذ التبشيرى للبعثة الأمريكية ، وازدياد عدد مدارسها : حيث تم فى مطلع السبعينات تأسيس الكلية البروتستانتية فى أسيوط ، ثم ما تبع ذلك من فتح مدارس فى ملوى ، والباجور ، وميدوم ، والبدارى ، وطهطا ، والقصير ، وسنهور ، والعزيزية ،وأبنوب ، والزرابى ، والمنيا ، وبنى عدى ، والطويلة ونقادة ، وإسنا ، وأرمنت ، والأقصر (٧) . هذا بالرغم من أنه لم يكن لهذه البعثة حتى عام ١٨٧٠ م ، سوى ست مدارس بالوجه القبلى ، وثلاث بالقاهرة ، واثنين فى الاسكندرية (٨) وأدى مد السبعينات المتزايد إلى أن يصل عدد مدارس هذه البعثة الى ثلاثين مدرسة (٩) فى ١٨٧٨ م .

وكان المدرس فى هذه المدارس عضوا فى الكنيسة يشارك فى اجتماعاتها المسائية ، ودروسها الدينية ، وصلاة الأحد ؛ ولهذا تميزت نهاية السبعينات بنجاح البعثة الأمريكية فى جذب عدد من الأقباط ، الفقراء منهم بصفة خاصة . وقد بلغ عدد المتحولين من الأقباط الى البروتستانتية ٩٨٥ شخصا[١٠] فى ١٨٧٩ م وقفز هذا العدد فى ظل الاحتلال البريطانى وحمايته للتنصير الأمريكى حتى وصل الى أكثر من ١٢٫٠٠٠ شخصا قبيل الحرب العالمية الأولى .

ويستلفت الانتباه أن رواج التعليم الأمريكى قد بلغ رغم إمكاناته المادية القاصرة ما لم يبلغه أى تعليم أجنبى آخر فى مصر،مما يدعو الى التساؤل عن سر هذا النجاح . يرى يونان لبيب [١١] ان هناك عدة عوامل أهمها :

- أن عدم وجود جالية أمريكية كبيرة فى مصر كان عنصرا معاونا لانتشار تلك المدارس لا تقلصها : ذلك أن تلك المدارس قد تميزت منذ البداية بالطابع المصرى،حيث استمر أغلب تلاميذها ومعلميها من المصريين ، هذا على عكس سائر المدارس الأجنبية الأخرى التى استمرت الغالبية العظمى من تلاميذها ومدرسيها من الأجانب .
- أن المدارس الأمريكية قد سعت إلى اجتذاب فقراء الأقباط ، الذين وجدوا فى تلك المدارس-الى جانب التعليم-كثيرا من أسباب الرعاية التى لم تتوفر لهم فى مدارس أخرى ، مثل المعيشة فى الأقسام الداخلية ، بالاضافة إلى أن الارسالية الأمريكية كانت غالبا ما تهيئ لخريجى مدارسها أعمالا فيها أو فى غيرها من سائر المؤسسات الأجنبية ، وذلك بالطبع بعد أن يتحول الطلاب إلى البروتستانتيه .

- بعد أن أطمأن المسلمون بأن رجال الإرسالية الأمريكية لن يستطيعوا التأثير دينيا على أبنائهم بدأوا يرسلونهم الى تلك المدارس . يضاف الى هذا أن الملتحقين بتلك المدارس كانوا يعفون من العمل فى مد الخطوط الحديدية ، وتعبيد الطرق ، كما كانوا يعفون من التجنيد[١٢]

وفى عام ١٩٠٧ م بلغ عدد المدارس الأمريكية فى مصر ٢٧١ مدرسة بين ابتدائية وتجهيزية وثانوية وبلغ عدد الطلاب الملتحقين بهذه المدارس ١٢٦٤٠ طالبا وطالبة ، كان عدد الطلاب المصريين منهم ١٢٣٥٦ من اقباط ومسلمين [١٣] . هذا بينما لم يزد عدد الأمريكيين فى مصر فى تلك السنة عن ٥٢١ امريكيا [١٤] وهو عدد جد ضئيل إذا ما قورن بأعداد الأجانب من

الجاليات الأخرى . وظلت أعداد الأمريكيين فى مصر ضئيلة حتى ان هذا العدد ظل كما هو بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ ، حيث لم يزد عدد الأمريكيين فى عام ١٩١٧ عن ٥١٤ أمريكيا فى مصر [١٥] .

وقد شهدت الفترة بعد ١٩٠٧ م تناقصا سريعا فى عدد المدارس الأمريكية حتى وصل الى ثلاثين مدرسة فقط فى ١٩١٤ ـ ١٩١٥ م ، ولم تكن هذه المدارس تضم سوى ٥٠٦١ تلميذا [١٦]

ولعل ذلك راجع الى استحداث شهادة الدراسة الثانوية فى المدارس الحكومية فى مصر التى تمت منذ ١٨٨٧ م ، وظهر تأثيرها على المدارس الأمريكية بعدئذ حين أحس الطلاب بأن المدارس الحكومية تؤهل اكثر من غيرها للفوز بالوظائف الحكومية وللدراسات الأعلى ، وبخاصة وأن برامج المدارس الأمريكية كانت مختلفة عن المناهج الحكومية ، ولها طابعها الدينى الخاص ، وطبيعتها المتميزة [١٧] .

○ بداية التنصير الأمريكى فى السودان ○

لم يمتد النشاط الأمريكى فى التنصير الى السودان بالرغم من أن الكنيسة المسيحية الأمريكية كانت قد خصصت مبلغ ٢٥٫٠٠٠ دولارا للعمل التنصيرى على امتداد وادى النيل فى ١٨٨٣ م . وانفلت السودان فى ذلك الوقت من قبضة الولاة الأتراك فى مصر ، الواقعين تحت الاحتلال البريطانى . وشهد السودان ثورة دينية عملت على خلاص وادى النيل من المستعمر والمؤثرات الأجنبية بكافة صورها ، ولهذا تعطل وصول البعثات التنصيرية الأمريكية الى السودان ، وبقى السودان بعيدا عن تلك المؤثرات حتى أطاح البريطانيون متعللين بالحقوق الخديوية بحكومته الاسلامية فى نهاية القرن الميلادى الماضى . ووضع كرومر سياسة التنصير فى السودان وفى وادى النيل بأسره حين قسّم وادى النيل الى ثلاث مناطق .

المنطقة الأولى : حددها بمصر التى وصفها بأنها تضم أغلبية مسلمة وأقلية مسيحية ورأى كرومر بأنه لا مانع من إطلاق حرية العمل للمصريين فى هذه المنطقة: حيث أن المسلمين فى مصر ـ كما يقول تقرير كرومر ـ فى اغلبهم مستنيرون ، واختلطوا بالأوروبيين من أزمان متطاولة ، ولهم الدراية بفكر الأوربيين وبأساليبهم .

أما المنطقة الثانية فتشمل الجزء الشمالى من السودان حيث المجتمع مجتمع إسلامى ، رأى كرومر بأن أهل السودان الشمالى ليس فيهم طبقة من المثقفين كما هو الحال فى مصر ، وكلهم بعيد عن المدنية الغربية لا يؤمن بأساليبها ، ويضيف كرومر بأن الأهالى فى هذه المنطقة مؤهلين للثورة الدينية واتّباع من يشير بها ـ ويرى كرومر أن النشاط التنصيرى فى هذه المنطقة غير مثمر ولكنه سيكون ذا أبعاد خطيرة للادارة البريطانية فى المنطقة بأسرها .

أما المنطقة الثالثة : فهى منطقة جنوب السودان ، حيث السكان وثنيون لم يحتكّوا بالمسيحيين إلا لماما ، ولم تربطهم بالمسلمين فى شمال السودان الا الذكريات غير الحميدة ، كما يقول التقرير ، فانه يمكن اطلاق النشاط التنصيرى فى تلك المنطقة البكر ، وعلى الحكومة أن تعمل على مساعدة الإرساليات فى تلك المنطقة بالذات (١٨) .

وفى نفس العام الذى وقع فيه السودان فى براثن الاستعمار العالمى ، بدأت القوى التنصيرية المختلفة تنشط فى اتجاهه . أرسلت البعثة الأمريكية المنصّر واطسون الذى عمل فى مجال التنصير فى مصر ٣٨ عاما ، والمنصّر جفن الذى عمل بمصر كذلك لمدة ١٨ عاما ، لزيارة السودان وخطّ سياسة تنصيرية للأمريكيين فى المنطقة ، وأكد الرجلان بعد الدراسة ، على ضرورة التنصير فى الخرطوم وأم درمان والانطلاق بالعمل التنصيرى من هنالك الى الحبشة ، التى سيسهل التنصير فيها لعلاقة كنيستها بالكنيسة المصرية (١٩) غير أن قرار الحكومة الاستعمارية بعدم التنصير فى شمال السودان عاق العمل فى هذه الخطة . وبالرغم من احتجاج جفن لدى السكرتير الادارى لحكومة السودان على هذا القرار ، وحجته أن النصارى من مستخدمى الحكومة الجديدة يحتاجون الى الخدمات الكنسية (٢٠) ، إلا أن قرار حكومة السودان بقى ثابتا . وانصاعت هذه الارسالية للتعليمات وبدأت العمل التنصيرى فى جنوب السودان . أما فى الشمال فقد اكتفى التنصير الأمريكى باقامة المدارس واتخذت الارسالية الأمريكية لها مركزا فى الخرطوم وشاركتها نفس المركز إرسالية التنصير الانجليزية (٢١) ، وافتتحت الارسالية الامريكية مركزا بأم درمان وثالث بعطبرة (٢٢) وقد مارست هذه المراكز التنصير الطبى « غير المعلن » الى جانب الخدمات التعليمية . وسرعان ما انتشرت مدارس هذه البعثة فى الخرطوم ، والخرطوم بحرى ، وأم درمان ، ووادى حلفا ، وبلغ عدد هذه المدارس فى عام ١٩٠٩ م ست مدارس، أربع منها للأولاد ، واثنتان للبنات (٢٣) .

ونجد فى تقرير للورد كرومر (٢٤) فى ١٩٠٦ م بأنه قد اتيح للارساليات المختلفة ان تقيم

المدارس فى الخرطوم ، ولمديرى هذه المدارس أن يختاروا من المناهج الدينية ما يشاءون ولكن على سلطات هذه المدارس إخطار أولياء الأمور الذين لا ينتمون الى الطوائف الدينية التى يدرس الدين على نهجها بنسق التعليم عندهم ونوعيته ، ويمكننا أن ننظر فى بعض قوانين تلك المدارس :

١ ـ يجب على رئيس كل مدرسة من مدارس الإرساليات أن يخطر ، قبل أن يقبل تلميذا من المسلمين ، ولى الأمر بأن المدرسة مدرسة مسيحية .

٢ ـ على رئيس المدرسة أن يحصل على موافقة صريحة من ولى الأمر قبل أن يدرج التلميذ ضمن الدارسين للعلوم الدينية على نسق تلك الطائفة ، وألا يحضر أى تلميذ الدروس الدينية الا بموافقة مسبقة من ولى الأمر .

٣ ـ للحاكم العام أو من ينوب عنه الحق فى أن يقوم بتفتيش تلك المدارس للتحقق من تقيد المدرسة بهذه السياسة ، وتعتبر مسئولية مدير المدرسة مباشرة فى المحافظة على تنفيذ السياسة .

وقد برّر اللورد كرومر سياسته تلك بأن الحكومة تكفل الحرية الدينية للجميع ، وليس اغراض الحكومة البريطانية كما يقول كرومر أن تدعو الناس للانتقال من مذهب الى آخر، وتلك سياسة تنتهجها فى ممالكها وفى الممالك التى لها فيها شيء من السلطة [٢٥] . ونلمح تعاطف كرومر مع الكنيسة الأمريكية حين يشير فى نفس التقرير بأن المنصرين الأمريكيين يعملون على تمدين الأهالى وتهذيبهم .

لم يجد الأمريكيون من حكومة السودان موافقة على التنصير المباشر فى الشمال الذى خرج توا من ساحة الحكم الاسلامى إلى أتون الاستعمار ، ولهذا توجه جفن Giffon ومعه المدعو مكلوجين Meughlin وزوجته نحو الجنوب ووقع اختيارهم على تل دوليب التى لم تكن تبعد كثيرا عن التوفيقية مرفأ البواخر النيلية ومركز الادارة الحكومية وأنشأوا بها مركزا تنصيريا [٢٦] يقول القس جفن [٢٧] : « وقمنا بتشغيل عدد غير قليل من السكان الذين غالبا ما يترددون علينا من القرى المجاورة ، وكان هؤلاء يستخدمون فى اعمال البناء ، وزراعة القطن والخضروات مقابل أجر يومى قدره ثلاثة قروش ، وكان عليّ وماكلوجين أن نقوم بتوجيههم فى جميع تلك الأعمال . وكان هذا الدرس العملى مما أكسبنا التصاقا بالوطنيين ، وأتاح لنا فرصة فرض نفوذنا عليهم ، وكان من المتعذر التعامل معهم بأية وسيلة أخرى ، وفى هذه الفترة

الوجيزة أخذ بعضهم رويدا رويدا يقدر مميزات وجودهم معنا ، ويعمل من أجلنا وبهذا نصل فى النهاية الى تلقينه مبادىء المسيحية وهو راض » كما بدأ الأمريكيون الطب التنصيرى ، وأخذوا فى علاج بعض رجال القبائل من الشلل والدينكا والأنواك والتوير [٢٨] .

وفى عام ١٩٠٤ م رسم كرومر وونجيت سياسة تنصيرية فى جنوب السودان ، وذلك بتقسيم السودان الجنوبى الى مناطق نفوذ تنصيرية ، ووقع التنصير الأمريكى بموجب هذا القانون فى المنطقة التى تحد جنوبا بخط عرض ٥ شمالا وشرقا بالحدود السياسية مع الحبشة ، وغربا بحدود الارسالية البريطانية ، وكان هذا التقسيم هو الأساس الذى سار عليه نظام مناطق نفوذ الارساليات حتى ١٩٤٧ م ، ولم تطرأ على منطقة نفوذ التنصير الأمريكى إلا تغيرات طفيفة فى ١٩١٠ م حيث أجرى أوين مدير منقلا تعديلا طفيفا فى الحدود بين مناطق نفوذ الارساليتين الأمريكية والبريطانية بعد موافقتهما . وبمقتضى هذا التعديل أصبحت كل مديرية اعالى النيل داخل منطقة نفوذ الارسالية الأمريكية [٢٩] .

انصب همّ الكنيسة الأمريكية فى جنوب السودان على محاربة الاسلام ومعارضة انتشاره بين القبائل ، وعملت الارسالية بشتى الصور والأساليب التى سنذكر نماذج منها ، على استئصال اللغة العربية ، وفصل جنوب السودان عن شماله حتى لا يتأثر بالمؤثرات الاسلامية والعربية ، ويُشكّل مَعْبرا للإسلام والعروبة الى جوف القارة . وكانت القضية الأولى هى التخلص من التجار السودانيين المسلمين الناطقين بالعربية ، وحرمانهم من العمل فى جنوب قطرهم . وقد أخذت مسألة التخلص من هؤلاء التجار أبعادا مختلفة : حيث أثيرت فى مؤتمر التنصير العالمى الذى عقد بأدنبره فى ١٩١٠ م وتشكلت لجنة خاصة لدراسة هذه المسألة. كان واطسن رائد الإرسالية الأمريكية فى منطقة نهر السوباط من أبرز أعضائها [٣٠] . وخلصت الدراسة إلى وضع أفريقيا فى المرحلة التالية للصين من حيث حاجتها الى ضرورة اتخاذ التجارة وسيلة ضررية لنشر الانجيل بين شعوبها ، وقد علق روبسن استاذ اللاهوت على نتيجة هذه الدراسة ، بأنها قد جاءت بناء على حقيقة ثابتة وهى :

« إن تقدم التجار المسلمين المستمر الى الجنوب على طول طرق التجارة المختلفة يهدد ، بأن تصبح أفريقيا الوثنية إسلامية أكثر منها مسيحية : ذلك أن كل تاجر مسلم هو فى شخصه داعية للاسلام [٣١] .

وأيًا كان الأمر ، فإن ازدهار العمل التجارى للمنصرين الذى شهده العقد الأول من هذا

القرن فى السودان وبخاصة على نهر سوباط الذى كانت تحتل التنصير فيه الارسالية الأمريكية قد أثار سخط التجار الشماليين ، ودفعهم الى تقديم شكوى الى الحاكم العام جاء فيها:[٣٢] إن المنصرين العاملين على نهر سوباط قد اعتادوا استلام كميات كبيرة من الأبقار عن طريق المقايضة بالذرة مع القبائل التى تسكن المنطقة . إننا نستنكر المنافسة التجارية غير العادلة بيننا وبين المنصرين ، الذين يتلقون مساعدات هائلة من الحكومة وتخفيضات فى النقل النهرى والبرى .. إن هذا الاجراء سيؤدى الى إغلاق تلك المناطق أمام التجارة الشرعية . وكان لتلك الشكوى وقعها على الحكومة ، فأرسل الحاكم العام للسودان خطابا الى المديريات المعنية ذكر لمديريها فيه « لقد بدت فى الآونة الأخيرة ، مسألة رغبة الارساليات التنصرية فى العمل فى التجارة بصورة بارزة ، وإنه لمن الأهمية بمكان بالنسبة للمنصرين والحكومة عدم اتخاذ إجراء يتيح للمسلمين أدنى فرصة للتأكد مما بدا لهم امتيازات غير عادلة فى التجارة التى تمارسها الارساليات والتى اعتبرها هؤلاء المسلمون تواطؤا من الحكومة .. إن مجرد وصول هذا الانطباع الى الخارج يترتب عليه إثارة تحامل المسلمين ضد النصارى والحكومة معاً . أما فيما يتعلق بتخفيف العوز الحقيقى الناتج عن نقصان الذرة فان ذلك من اختصاصات الحكومة اذا ما عجز التجار أو أبدوا عدم رغبتهم فى التغلب على الموقف » . وفى نهاية الخطاب أبدى الحاكم العام ثقته من انه إذا تم توضيح هذه الاعتبارات للإرساليات فانهم سيعطونها التأييد الكامل . ويبدو أن الاقناع لم يثمر فأصدرت حكومة السودان فى ١٩١٢ م قانونا يحرم على المنصرين التعامل فى التجارة الا ما كان من أمر تسويق منتجات النشاط التنصيرى فى الزراعة والحرف الأخرى عن طريق المقايضة مع الأهالى للحصول على متطلباتهم الضرورية ، أو لدفع أجور العاملين فى مراكز التنصير [٣٣] .

وانبرت الارسالية الأمريكية لمعارضة الموضوع ؛ حيث عقد واطسن وجفن اجتماعا مع الحاكم العام للسودان لمناقشة هذا القانون . رأى واطسون « ان الهدف من اشتغال المنصّرين بالتجارة ما هو الا لمقاومة انتشار الاسلام ؛ لأن التجارب قد أُثبتت بلا أدنى شك أن التجار المسلمين يقتفون أثر كل أمة بيضاء تفتح إقليما جديدًا فى افريقيا وأنه قد ظهرت فكرة إقامة مراكز التنصير عبر القارة الافريقية حتى نيجيريا ، غير أن هذا الأمر قد أعيق بفضل التجار المسلمين الذين يتجولون بحكم طبيعة عملهم وسط السكان ، ومن ثم أصبحت المسألة التى يجب الاقرار بها هى انشاء وسائل مثل تلك الرحلات يقوم بها المنصرون لنقل المسيحية الى

الوطنيين بنفس الاسلوب . ورفض ونجيت التراجع عن القانون لأنه كما قال ، ومهما كان شعوره الشخصي وعطفه العميق تجاه تنصير السودان ، فانه بحكم وظيفته كسردار للحكومة المصرية ، ونسبة للعلاقات بين مصر والسودان ، فانه من المتعذر عليه ان يتخذ موقفا عدائيا صريحا او سريا ضد المسلمين ، لأنه إذا ما حاول هذا فان نفوذه سينتهي ، وسيفقد ثقة كل مسلم فى حكومته التى سيتقوض صرحها ، ونبه ونجيت الى أن السبب الرئيسى فى عدم معاداته للمسلمين:هو ان كل الفرق العسكرية التى تعتمد عليها الحكومة البريطانية فى إدارتها فى جنوب السودان هى فرق مسلمة . ورأى ونجيت فى ذلك الاجتماع بأن السبيل الأمثل لمحاربة الاسلام فى جنوب السودان يكمن فى مجال التنصير العلاجى الذى ليس للمسلمين فيه باع ولن ينافس احد من المسلمين المنصرين فيه . وشجب ونجيت عمل المنصرين بالتجارة فى المنطقة ولفت نظر واطسون لما حدث فى الصين عام ١٩٠٠ م حين ظهرت الحركة المعادية للمنصرين والأجانب المعروفة باسم بوكسر Boxerوذلك لاشتغال المنصرين بالتجارة (٣٤) .

ولم يقتنع واطسون برأى الحاكم العام ولجأ الى التأثير على ونجيت عن طريق جمعية التنصير للكنيسة البريطانية ، وكتب واطسون اليها يطلب أن تستعمل نفوذها للضغط على الحكومة لاعادة النظر فى قرار منع المنصرين من الاشتغال بالتجارة ، وإعادة فتح مخازن الذرة التى تم إغلاقها . ولم ينجح واطسون فى محاولاته .

واستمرت هذه السياسة سارية المفعول حتى أعادت الإدارة البريطانية فى السودان النظر فيها بعد التطورات التى حدثت فى مصر فى ١٩١٩ ، والسودان فى ١٩٢٤ م ، والتى جعلت وقوف المستعمر ضد امتداد الثورة للجنوب شيئا لازما .

تبنى مدير مديرية اعالى النيل ـ ويبدو أنه كان مدفوعا لذلك بالارسالية الأمريكية التى تحتكر التنصير فى مديريته ـ مسألة اشتغال المنصرين بالتجارة ، لأن اشتغال المنصرين بالتجارة سيكون خطوة مفيدة لابعاد تجار السودان الشمالى المسلمين عن جنوب السودان ، وأن مراكز التنصير ستكون البديل العملى لنشاطهم :

ولا يمكننا بالطبع الخوض تفصيليا (٣٥) فى هذه الأمور ولا فى مراسلاتها التى دارت والتى انتهت بإصرار المستعمر على عدم الزج بالمنصرين فى التجارة « فالمنصرون أوروبيون ، والحفاظ على هيبة الأوروبى وسط الأفارقة لازمة » ولكننا نشير الى تقلص وجود الشماليين فى الجنوب بالرغم من أن ظروف الحرب العالمية الثانية ، وحاجة القوات البريطانية الحليفة فى

منطقة الشرق الأوسط للحوم قد دفعت بالحكومة الى منح تراخيص للتجار الشماليين لسد النقص فى اللحوم من منطقة القبائل النيلية الغنية بالأبقار .

○ وادى النيل فى مؤتمرات التنصير الأولى ○

شهد العقد الأول من القرن العشرين حركة نشطة من السلطات التنصيرية لدراسة التنصير وتقدمه فى البلاد العربية وتقييمه ومواجهة الزحف الاسلامى الى قلب القارة ، فبالإضافة الى مؤتمر ادنبره عام ١٩١٠ م . السابق الذكر : هنالك مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦ م ، ومؤتمر القسطنطينية عام ١٩١١ م ، بالاضافة الى مؤتمرات أخرى عقدت فى السودان فى ١٩١٢ م ومؤتمر اروا بشمال اوغنده فى ١٩١٨ م ومؤتمر أبا على الحدود السودانية الكنغولية فى ١٩٢٤ م ومؤتمر الرجاف « السودان » ١٩٢٨ ، ويمكن ان ننظر بايجاز فى دور الارساليات الأمريكية فى هذه المؤتمرات .

ترجع فكرة عقد مؤتمر القاهرة ١٩٠٦ ، إلى القس الأمريكى صمويل زويمر ، الذى كان وقتها يعمل فى إرساليات الخليج العربى الأمريكية للتنصير ، دعا زويمر لمناقشة شئون التنصير فى المنطقة العربية ، والصعوبات التى تواجهه ، والنظر فى إمكانية تجنب الأخطاء العديدة التى وقع فيها المنصرون الأمريكيون ، والنظر فى أمثل السبل لجر أكبر عدد من المسلمين الى حظيرة الكنيسة [٣٦]. انعقد هذا المؤتمر فى القاهرة فى الفترة من ٤ ـ ٩ ابريل ١٩٠٦ م وظلت جلساته سرية مغلقة . وقد اختير زويمر لرئاسة هذا المؤتمر وكان عدد المنصرين الامريكيين الذين شهدوا المؤتمر ٢١ مندوبا ، بينما لم يزد عدد مندوبى الارساليات الانجليزية عن خمسة ، أما الارساليات الأخرى فلم يصل عدد مندوبها مجتمعين إلى عدد مندوبى الإرساليات الانجليزية ، ولم يكن لها وجود فعال . وقد نوقشت فى هذا المؤتمر عدة مسائل خاصة بالتنصير فى أوساط المسلمين ، كما تبودلت المعلومات المختلفة عن مناطق كثيرة فى العالم الاسلامى ونوقشت فى المؤتمر السبل المتبعة فى التنصير . وتحدثت الدكتورة آن وطسن [٣٧] عن تجربة الارسالية الأمريكية الطبية فى طنطا ، وكيف انها تعاملت مع الكثير من المسلمين فى طنطا والأماكن القريبة منها ، وعن خطة العمل التنصيرى فى تلك المستشفى ، تقول الدكتورة

آن واطسون : انهم يذكرون بعض تعاليم الانجيل بأساليب ليس فيها تطرف ولا تقود الى نقاش ساخن ، كما أفادت واطسون أنهم يقومون بزيارة بعض القرى فى المنطقة فى رحلات علاجية ، انهم يجدون فى القرى الحفاوة والترحاب ، وانتهى هذا المؤتمر وصيغت مداولاته وقراراته وضمنت فى كتاب لم يسمح بتداوله الا بين المنصرين وأصدقائهم [٣٨] .

أما مؤتمر ادنبره،فقد اهتم ـ كما سبق أن ذكرنا ـ بمحاربة اللغة العربية وانتشار الإسلام فى افريقيا . وقد قرر المؤتمر وجوب التخلص من الوجود الاسلامى والعربى فى جنوب السودان ، ولما كان الجنود السودانيون العاملون فى الجنوب من المسلمين كان البديل الذى قدمه واطسون المنصر الأمريكى وأحد أعضاء ذلك المؤتمر والمنفذ لقراراته فى السودان ، هو تجنيد « الوثنيين » ليحلّوا محل الجنود الشماليين المسلمين فى جنوب السودان [٣٩] ، وتبنت حكومة السودان هذا الاقتراح ، وتألفت ما عرف بالفرقة الاستوائية التى رأى فيها وينجيت أنها قوة أفريقية تستطيع الوقوف فى وجه أى تحرك عربى اسلامى فى السودان الجنوبى ، وبخاصة وأن المسئولين عن الأمن فيه هم الجنود الشماليون الذين لا يمكن الركون إلى ولائهم إذا ما طلب منهم قمع إخوانهم فى الدين .

والجدير بالذكر أن الفرقة الاستوائية التى تشبعت بفكر المنصرين الداعى الى محاربة الاسلام والعروبة تمردت على الحكومة المركزية « اغسطس ١٩٥٥ » غداة استقلال السودان ودفع السودان مهراً غاليا من دم أبنائه للمحافظة على وحدة ترابه . وشكلت تلك الحادثة بداية سلسلة من المشاكل الدموية والاضطرابات التى عانى منها السودان شماله وجنوبه .

وفى ١٩١٢ ، عقد مؤتمر فى السودان [٤٠] حضره ممثل عن كل من الإرساليتين البريطانية والأمريكية ومندوبين عن مصلحة التربية والاستخبارات الحربية لبحث مسألة فرض اللغة الانجليزية كلغة للتعليم فى الجنوب ومحاربة اللغة العربية . كما عقد فى اكتوبر ١٩١٨ ، مؤتمر لغوى آخر فى أروا لدراسة نفس الموضوع،حضره ممثلو عدد من الارساليات منها الارسالية الأمريكية . وفى مارس ١٩٢٤ ، عقد مؤتمر آخر فى آبا اشتركت فيه نفس الارساليات السابقة . وكان آخر المؤتمرات اللغوية التى عقدتها مجموعة الارساليات الناطقة بالانجليزية هو مؤتمر الرجاف اللغوى الذى عقد بمديرية منقلا « السودان » فى أبريل ١٩٢٨ ، وكان للارسالية الأمريكية فى المركز الذى أقامته فى الناصر [٤١] « ١٩١٢ » واعترفت به حكومة السودان ١٩١٣ م دور كبير فى مناهضة اللغة العربية . بذل المنصرون الأمريكيون جهودا كبيرة

لدراسة قواعد لغة قبائل الشلك وجمعوا ما بين ١٧٠٠ و ٢٠٠٠ من كلماتهاودرسوا من خلالها قواعدها وتراكيبها ووضعوا لها قاموسا بل ترجموا اليها . وفى هذا لا يفوتنا أن نذكر جهود المنصر الالمانى وشترمان Westermann الذى كان منصرا فى غرب أفريقيا ، ثم آوى الى بلاده ليقوم بالتدريس فى جامعة برلين . أوفدت جامعة برلين وسترمان لدراسة لغة الأهالى فى بلاد النوبة ، وعندما علم مجلس الكنيسة الأمريكية بذلك قدم له الدعوة لزيارة منطقة السوباط لدراسة لغة الشلك ، ووضع وسترمان مختصرا لقواعد تلك اللغة وقاموسا ، وكتابا صغيرا للصلاة ، « بالشلكية » وساعدت جمعية اصدقاء الانجيل الامريكية فى طبع الكتاب المقدس بلغة الشلك [٤٢] .

وظلت الارسالية الامريكية طوال فترة الحكم البريطانى تعمل من مركزين رئيسين فى تل دوليب والناصر ، بالاضافة الى عدة مراكز صغيرة ، والى بعض المؤسسات الطبية والتعليمية فى مناطق متفرقة من جنوب السودان ، وبعض المناطق فى شمال السودان مثل الخرطوم وأم درمان والخرطوم بحرى والجريف وعطبرة . وتوجت الارسالية الامريكية جهودها التعليمية فى وادى النيل بانشاء الجامعة الأمريكية فى القاهرة فى عام ١٩١٩ ، وذلك لمعارضة تأثير الجامع الأزهر الذى كان كما وصفه واطسون « ذو تأثير خطير فى العالم العربى ، وان شهادة منه توازى عند العرب شهادة الدكتوراه من اكسفورد ، أو باريس ، أو هارفارد [٤٣] وأراد واطسون أن يؤثر بتلك الجامعة على مصر التى هى بحكم موقعها ، ولغتها العربية وتأثيرها الثقافى فى المنطقة العربية وبما يصدر فيها من صحف ومجلات كانت تبلغ وقتها أكثر من مليون نسخة فى السنة مركز اشعاع يجب التحكم فيه .

معارضة التنصير :

ربما ظهر التأثير الأمريكى المباشر فى الشئون السياسية فى وادى النيل وفى مصر بصفة خاصة خلال الحرب العالمية الأولى وفى أعقابها . كانت الدعوة فى امريكا التى عبر عنها المؤرخ الاستراتيجى ماهان منذ ١٨٩٤ م بأن على أمريكا أن تطرح عنها عزلتها التى ناسبت طفولتها وأن تنطلق لتضطلع بدورها المحتوم فى خدمة أهداف التمدن . وفى هذه الفترة كان الرأى العام الأمريكى ، رغم إحساسه بالمنافسة مع بريطانيا ، يدرك كما يقول الكاتب دالاس[٤٤]

عمق ارتباطه المشترك عنصرا ولغة مع بريطانيا وتشابه الغايات والتطلعات والطموح والآمال . وكان من رأى روزفلت الذى أصبح فيما بعد رئيسا للولايات المتحدة الامريكية بأن « السلام لن يكون إلها إلاّ إذا جاء والسيف فى يده » وان على الولايات المتحدة أن تلعب دورها فى السياسة العالمية . دعا روزفلت الى تطوير قوة الاسطول . فالدبلوماسى ـ كما رأى روزفلت ـ فى خدمة الجندى وليس العكس . وعندما اصبح روزفلت مساعدا لوزير الاسطول فى الولايات المتحدة الأمريكية قبيل نهاية القرن التاسع عشر عمل على تحقيق أفكار ماهان وتطلعاته .

عملت الارساليات الأمريكية فى مصر والسودان وراء دثار السلطة البريطانية القنصلية أولا ، ثم سلطة الاحتلال بعد ذلك ، وبعد الحرب الأولى غدا هذا الدثار كثيفا،حتى حاول المجلس العالمى للارساليات التأثير على الحكومة المصرية لإقرار الحرية الدينية المطلقة فى الدستور المصرى والعمل على ابعاد الشريعة الاسلامية من التدخل فى مسألة تنصير المسلمين المرتدين ، وكفالة حق الأرث لهم بالدستور . وقد رفع واطسون مدير الجامعة الأمريكية فى القاهرة الى اللورد إللنبى مذكرة بهذا المعنى . ومع أن المادة (١٢) من الدستور المصرى كفلت الحرية المطلقة للعبادات،إلا أن مجلس الارساليات فى مصر جهد فى سعيه للحصول على ضمانات دستورية لتنصير المسلمين !! ولم تكن السلطات البريطانية راضية عن تلك السياسة إذ جاء تعليق من احد موظفى الخارجية البريطانية على التماس مماثل لمجلس الكنائس فى عام ١٩٣٠ « بأن العلاج العملى الوحيد هو التدرج نحو الخلاص من النصوص الاسلامية فى الدستور المصرى ، وهو تقدم قد بدأ بالفعل وسوف يستمر عن طريق مؤثرات الحياة الفردية ، وتأثيرات الغرب على الشرق ، وانه يشك فى أن التدخل الأوروبى سوف يزيد من سرعة هذا التقدم » (٤٥) .

ولا نستطيع تتبع المعارضة الاسلامية والقبطية فى مصر للنشاط الارسالى الأمريكى ؛ غير ان النشاط الاسلامى فى وادى-النيل لمعارضة التنصير على إطلاقه-كان مؤثرا منذ بداية الثلاثينات من هذا القرن . وقد قامت تظاهرات متعددة فى شبرا والأزبكية وميدان الأوبرا ودمنهور وكفر الزيات والزقازيق وغيرها ، وكانت الشهادة الاسلامية هى هتاف المتظاهرين .

كما قامت فى مصر جماعة الدفاع عن الاسلام برئاسة الشيخ الجليل محمد مصطفى المراغى وعضوية بعض الصحفيين والبرلمانيين ، وكان هدف الهيئة المادة الثانية من قانونها .. « مقاومة

التنصير بجميع الوسائل المشروعة التى يهدى اليها الاسلام والعلم ، ومساعدة الفقراء واليتامى المسلمين وتنشئتهم تنشئة إسلامية صحيحة » . واتسع نشاط الجماعة وأصدرت نداءات متعددة لمقاطعة مدارس الارساليات ، كما قدمت هذه الجماعة التماسا للملك والحكومة لدرء خطر المنصرين فى البلاد .

وقام الأزهر بدوره بالذود عن الدين حتى أن رجاله تعرضوا فى ١٧ سبتمبر ١٩٣١ ، الى فصل نيف وسبعين عالما من علمائه ، وذلك لمعارضتهم للتنصير وامتد نشاط جماعة الدفاع عن الاسلام الى السودان [٤٦] . وحيث ان الحكومة البريطانية لم تتجرأ بالتصديق للإرساليات فى العمل فى شمال السودان ، كما سبق الذكر ، كان اهتمام هذه الجمعية بجنوب السودان كبيرا؛حيث طلب الشيخ المراغى الى حكومة السودان أن تصدر بيانا تؤكد فيه عدم معارضتها إرسال بعثات اسلامية الى جنوب السودان ، والتصديق بانشاء معهد دينى فى جوبا .

أما فى السودان فقد قدم رئيس مؤتمر الخريجين فى ٣ ابريل ١٩٤٢ م الى حكومة الاحتلال مذكرة تشجب « السياسة الجنوبية » وتطالب بإلغاء الاعانات التى تدفع لمدارس الارساليات « كانت الارسالية الأمريكية تفوز بنصيب كبير من الدعم الحكومى » ، كما طالبت هذه المذكرة بتوحيد مناهج التعليم بين الشمال والجنوب . ونجم عن المحاولات المصرية السودانية المشتركة والفردية أن اصدرت حكومة السودان فى اكتوبر ١٩٤٧ بيانا بسياستها الجديدة تجاه الارساليات تضمن حق المسلمين فى الدعوة بجنوب السودان سواء بسواء مع المنصرين النصارى [٤٧] وواجه البيان معارضة شديدة من الإرساليات المختلفة أمريكية وغيرها ، ومن بعض مديرى المديريات وظل البيان حبرا على ورق حتى كان استقلال السودان فى ١٩٥٦ .

استمر فى مصر الضغط من مجلس الارساليات لتغيير الدستور المصرى لوضع نصوص واضحة فيه تحمى المتنصرين المرتدين من المسلمين . وفى المباحثات التمهيدية لاتفاقية ١٩٣٦ ، بين مصر وبريطانيا استنجد مجلس الارساليات بكل من انجلترا وامريكا من أجل ذلك الهدف ، ورفضت الحكومة البريطانية العمل فى هذا الاتجاه الذى لا يريده المصريون المسلمون؛ولا الأقباط الذين يخشون من مسألة الحرية الدينية المطلقة مما قد يترتب عليه نتائج عكسية لكنيستهم . وردت الخارجية البريطانية على مجلس الارساليات فى مصر بأنه ليس من العدل اتخاذ أى إجراء قد يؤدى إلى مخاطر جسيمة للنصارى فى سبيل أفراد قلة من المرتدين عن الإسلام . ولم يسفر الضغط عن شىء ما .

التنصير الثقافى :

لم يقتصر النشاط الامريكى فى وادى النيل على التنصير بكافة أنواعه التقليدية ، إنما تعدى هذا الى جوانب ثقافية منها : التنقيب عن الآثار . ولا نستطيع بالضبط أن نقرر الدوافع التى حملت الأمريكيين الى هذا الاتجاه ؛ إلا أننا نرجح بأن حضـارة وادى النيل قد طارت سمعتها الى ذلك المجتمع الحديث الجذور فسعى لتأكيد ذاته بالكشف عن تلك الحضارة وإقامة المتاحف لها فى أرجاء الولايات المتحدة الامريكية ؛ ليثير اهتماما شعبيا بوادى النيل والشرق بعامة ، كما يمكننا أن نضيف بأن الحفريات كانت تستفز تفكير المسلمين فى ذلك الوقت « ولا نقول الفكر الاسلامى الداعى الى المعرفة » .

هُرع علماء الآثار الأمريكان الى تأكيد الذاتية الإقليمية التى شجبتها الأخوة الاسلامية حين أكدوا قدم الذاتية الاقليمية وأبانوا بأن لكل منطقة حضارتها المستقلة التى تنازع الأخرى شموخها وأصالتها . ولعل الجدل الذى أثاره رايزنر الأمريكى حين أزاح التراب عن بعض حضارة كوش السودانية فى كرمه والذى قصد به نفى كل علاقة فى التاريخ القديم لوادى النيل شماله وجنوبه لا يزال شغل مؤرخى تاريخ الحضارات السودانية حتى اليوم [٤٨] .

بدأت أولى محاولات التنقيب الأمريكى فى مصر فى أحضان سلطات الاحتلال البريطانى . تأسس فى لندن فى ١٨٨٢ م صندوق الحفريات المصرية Egypt Exploration Fund وفى العالم التالى مباشرة تم افتتاح فرع له فى بوسطن . وزاد نشاط هذا الفرع حتى تم فى عام ١٩١١ اختيار أحد الاساتذة الأمريكيين عضوا للجنة التنفيذية للصندوق . وتشير المصادر الأمريكية أنها جمعت للصندوق فى الفترة منذ ١٨٨٣ حتى ١٩٠٢ اكثر من ١٢٦ الف دولار [٤٩] .

كان هناك اهتمام من جامعة بنسلفانيا فى مجال الاثريات منذ عام ١٨٥٦ ولكنه لم يثمر شيئا [٥٠] حيث لم تكن البلاد قد وقعت بعد فى براثن لاحتلال البريطانى ، وقد بدأت أهم أعمال الأثريين الأمريكيين منذ عام ١٨٩٩ ؛ حين أرسلت جامعة كاليفورنيا للتنقيب عن الآثار فى جنوب مصر، وقد استمر عملها هنالك ثلاث سنوات ، وعملت هذه البعثة بعد ذلك فى منطقة أهرامات الجيزة وشارك فى هذا النشاط جامعة هارفرد ومتحف بوسطن فى ١٩٠٥ . وفى ١٩٠٦ ، شارك متحف المترو بوليان فى نيويورك فى أعمال البحث والتنقيب فى مصر وقام بنشر عدد من الصور والرسومات عن تاريخ مصر القديم [٥١] ، وافتتح فى هذه السنة قسما للمصريات به [٥٢]

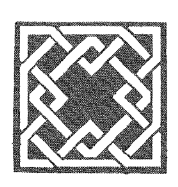


وأصاب الأثرى الأمريكى رايزنر كشفا عظيما حين عثر على قبر الملكة « تى » فى مدافن طيبة ، وكان من أوائل القبور التى وجدت بها حلى وأدوات أخرى بديعة الصنع عظيمة القيمة (٥٣)

وشارك الأثريون الامريكيون فى مؤتمر الآثار الدولى الذى عقد فى الاسكندرية فى ١٩٠٨ ، وقد كان لهذا المؤتمر نتائج علمية هامة (٥٤) .

وفى السودان نشطت البعثات الامريكية فى مجال التنقيب عن الآثار منذ عام ١٩٠٩ . وقد تمكنت هذه البعثات خلال أربع سنوات من العمل أن تكشف عن مواقع أثرية هامة فى كرمة وفى مروى،وكذلك العثور على آثار عديدة وهامة فى مناطق متفرقة من شمال السودان (٥٥) .

لعب التنصير الامريكى دورا ثقافيا كبيرا ؛ حيث عمّق الشعور بالاقليمية وجهد فى حرب اللغة العربية فى جنوب السودان ، ووقف وقفة جادة دون انتشارها حتى لا يمتد تأثيرها الى داخلية أفريقيا لتبقى تلك المناطق بمنأى عن العروبة والإسلام ، غير أن التنصير الأمريكى لم يفلح أبدا فى اجتذاب مسلمى وادى النيل ؛ شأنه شأن كل تنصير لأية دولة نصرانية أخرى ؛ ولكنه أصاب قسطاً قليلا من النجاح بين أقباط مصر وحظاً أوفر بين الوثنيين فى جنوب السودان .





○ الهوامش ○

(١) Field,James, A.,America and The Mediterranean World 1776-1882 Princeton,1968) P.58.

(٢) الياس الأيوبى ، تاريخ مصر فى عهد اسماعيل باشا ص ٢٢١ .

(٣) Watson,C. Roger, In The Valley Of The Nile, A survey Of The Missionary Movement In Egypt (N.Y., 1908) PP. 412/413.

(٤) Wright,L.C., United States Policy Towards Egypt 1830-1910 (N.Y.,1969)PP.146-147.

(٥) سعد مرسى احمد وسعيد اسماعيل على ، تاريخ التربية فى مصر « القاهرة ، ١٩٧١ » ص ٢٦١ .

(٦) جرجس سلامة ، تاريخ التعليم الاجنبى فى مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين (القاهرة) ص ٤٨

(٧) احمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى مصر « القاهرة ، ١٩٣٨ » ص ٨٤٩/٨٥٠ .

(٨) كانت جملة مدارسها احدى‌عشرة مدرسة راجع : كشف احصاء الموجودين بالمدارس العمومية والخصوصية بالقطر المصرى لعام ١٩٠٧/١٩٠٨ ادارة عموم الاحصاء ، نظارة المالية ، ص ٢٨ .

(٩) Dunne,J.H.,A Introduction to the History Of Education In Modern Egypt, (London,1938) P.410.

(١٠) Wright,L.C.,Op.Cit.,P.144.

(١١) العلاقات الثقافية للولايات المتحدة بمصر فى القرن التاسع عشر بحث غير منشور ، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة .

(١٢) جرجس سلامة ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٨ .

(١٣) كشف احصاء التلامذة الموجودين بالمدارس العمومية والخصوصية بالقطر المصرى ١٩٠٧/١٩٠٨ ص ٢٨ .

(١٤) الاحصاء السنوى العام للقطر المصرى لسنة ١٩١٦ نشره حرف « هـ » نمرة ٨ وزارة المالية ومصلحة عموم الاحصاء ص ٢٧ .

(١٥) تعداد سكان القطر المصرى لعام ١٩١٧ ، جـ ٢ ، الحكومة المصرية ، وزارة المالية ص ٥٧٩ .

(١٦) احصاء المكاتب والمدارس للقطر المصرى ١٩١٤/١٩١٥ ، ص ١٦٢ .

(١٧) جرجس سلامة مرجع سبق ذكره ص ١٩٧ .

(١٨) راجع نص الوثيقة فى : ابراهيم عكاشة على ، التبشير الدينى فى جنوب السودان رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة فى ١٩٧٨ ـ ملحق رقم«١» .

(١٩) Giffen,C.R.,The Egyptian Sudan (London,1905) P. 56.

(٢٠) Watson C.R., The Sorrow And Hope Of The Egyptian Sudan (London, 1905) P.123.

(٢١) تقرير السيرالدن غورست لعام ١٩٠٧ ، ص ٩١ .

(٢٢) تقرير السيرالدن غورست لعام ١٩١٠ ، ص ١٢٨ .

(٢٣) تقرير السيرالدن فورست لعام ١٩٠٩ ، ص ١٠٢ .

(٢٤) تقرير اللورد كرومر لعام ١٩٠٦ ، ص ٢٢٨ .

(٢٥) تقرير اللورد كرومر لعام ١٩٠٤ ، ص ٢٢٤ .

(٢٦) ابرهيم عكاشة علي مرجع سبق ذكره ص ٥٤ ـ ٥٨ .

(٢٧) Giffen, C.R., Op. Cit., P. 58

(٢٨) تقرير السيرالدن غورست لعام ١٩٠٩ ص ١٠٢/١٠٣ .

(٢٩) ابراهيم عكاشة علي ، مرجع سبق ذكره ص ٥٨ ـ ٦١

(٣٠) نفس المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٣١) Watson, C.R., Op. Cit., P. 118.

(٣٢) ابراهيم عكاشة على ، ص ٩٥

(٣٣) نفس المرجع السابق ، ص ٩٦ ـ ١٠١ .

(٣٤) نفس المرجع السابق ، ص ٩٨ .

(٣٥) للتفصيل راجع : نفس المرجع السابق كله .

(٣٦) مؤتمر القاهرة ١٩٠٦ ، الغارة على العالم الاسلامى ، المؤيد فى ١٩٢١/٤/٢١ .

(٣٧) Methods Of Missionary Work Among Muslims, PP.8-11.

(٣٨) Ipid,P.109

(٣٩) ابراهيم عكاشة على ، مرجع سبق ذكره ص ١٠٥ .

(٤٠) نفس المرجع السابق ص ١١٣ .

(٤١) نفس المرجع السابق ص ١١٤ .

(٤٢) Watson, C.R., The Sorrow And Hope, P.134.

(٤٣) Op. Cit., P.33-35.

(٤٤) Op. Cit., P.33-35

(٤٥) ابراهيم عكاشة على ، مرجع سبق ذكره ص ٢٤٨/٢٤٩ .

(٤٦) نفس المرجع السابق ص ٢٥١/٢٥٢ .

(٤٧) نفس المرجع السابق ، ص ٢٥٨ ـ ٢٦١ .

(٤٨) راجع : عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم ، تاريخ الحضارات السودانية القديمة « القاهرة ١٩٧٠ » ص ١٦٨ ـ ١٨٠ .

(٤٩) Wright, L.C., Op. Cit., PP.230-231.

(٥٠) Brinton, U. J.Y., The Mixed Courts Of Egypt, (New Haven 1930) P.30.

(٥١) Wright, L,C., Op. cit., P.235.

(٥٢) Jakh Ernest, Background Of The Middle East, PP.212-213.

(٥٣) تقرير السير ألدن غورست عن المالية والادارة العمومية فى مصر والسودان سنة ١٩٠٧ ص ٤١ .

(٥٤) تقرير السير الدن غورست لعام ١٩٠٩ ص ٤١ .

(٥٥) تقرير كتشنر عن الادارة والمالية والحالة العمومية فى مصر والسودان ١٩١٣ ص ١٢٤ .

أيهجرني قومي.. عفا الله عنهم ؟!..

بقلم : الأستاذ عبد الله حمد الحقيل

اللغة العربية لغة القرآن والسنة ، يتجسد فيها البيان العذب المشرق الجميل ، والمعنى الرائع البديع المورق ، وتبرز فيها البلاغة والفصاحة ، وسماها القرآن الكريم « اللسان العربي المبين » ولكم بذل الشعوبيون والمستعمرون وأعداء الإسلام الجهود المتواصلة لمحاربة اللغة العربية وتنفير الأمة العربية من لغتها والتأثير عليها ، وإيهامها بأن اللغة العربية ليست من اللغات العالمية الحية : ولذا نجد البعض قد انساق وراء هذه الكلمات متأثرا بها . ولقد قيل من لم ينشأ على أن يحب لغة قومه استخف بتراث أمته واستهان بخصائصها ..

ونحن حينما ندعو دائما للحفاظ على اللغة العربية والاهتمام بتراثها ؛ فليس معنى ذلك أننا لا نريدها أن تساير العصر والعلم ، وبخاصة وأنها لغة معطاء ، فقد أعطت الكثير ، فمن يقرأ قواميس اللغة العربية يدرك عظمتها وتألقها وازدهارها وسعتها وشمولها ، ومن تلك الكتب على سبيل المثال :

١ ـ تاج العروس للزبيدى .
٢ ـ لسان العرب لابن منظور .
٣ ـ الصحاح للجوهرى .
٤ ـ القاموس المحيط للفيروز ابادى
٥ ـ المصباح المنير للفيومى .
٦ ـ معجم فن اللغة لأحمد رضا .
٧ ـ أساس البلاغة للزمخشرى .
٨ ـ دقائق العربية لأمين ناصر الدين .

وغيرها من أمهات الكتب والمعاجم والقواميس . ولا صحة لما يقال بعدم قدرتها على التفاعل والتطور السريع .

إن الواجب علينا نشر لغتنا لنرجع لها سيرتها الأولى : أيام ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ، وهى اليوم قادرة على استيعاب المعرفة بوسائلها المتنوعة ..

ولعل مما يؤسف له شيوع الكثير من الأسماء والمصطلحات والمسمّيات الأجنبية بيننا اليوم فى هذه الديار التى هى المهد الأول الذى ولدت فيه اللغة العربية وشب البيان العربى الفصيح فيها ، وهى المثابة التى تهوى إليها الأفئدة وتتعلق بها القلوب والأبصار .

وإذا كانت كل أمة تعتز بلغتها وبتراثها وأرضها ؛ فأولى بنا الحفاظ على لغتنا وفاء لها واعتزازاً بتاريخنا وتراثنا الذى ترتكز عليه شخصيتنا . إننا نمر بمراحل نمو وتطور حضارى تشهدها بلادنا اليوم ، وتبعا لذلك كثر الوافدون إلى هذه الديار من شتى الأجناس ومن مختلف الأمم ، فصرنا نسمع كلمات أعجمية كثيرة تتدفق علينا باستمرار . ولعل مما يحز فى النفس أن تسمع من بعض أساتذة العلوم كلمات توحى بأن اللغة العربية غير قادرة على استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة . ولعل مرد ذلك القول إلى جهل بعضهم بقواعد اللغة وأسرارها ومواطن قوتها ومكامن حيويتها إلى جانب عدم الثقة بكفايتها .. ورحم الله القائل :

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آى به وعظات

وأعتقد جازما أن اللغة العربية قادرة على استيعاب تلك المصطلحات ؛ فاللسان العربى غير قاصر عن إيجاد أسماء لتلك المسميات والمصطلحات وإيجاد الألفاظ العربية أو المعربة للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة ..

ان الكثير من كتابنا وبعض أساتذة الجامعات والمدارس فى عالمنا العربى لا يحفلون بلغتهم ، ونجد أن حماسهم لها فاتر وصلتهم بها ضعيفة ومتراخية ولعل ذلك يعود إلى أن الكثير منهم درس معظم العلوم بلغات أجنبية فأصبحت الهوة بعيدة بينه وبين لغته العربية ..

إن قضية اللغة قضية حيوية فى أصلها وجوهرها؛إذ تتصل بديننا وتراثنا وحياتنا ومستقبلنا وبناء أجيالنا وربطهم بجذورها وإشعارهم بأهمية اللغة العربية والحفاظ عليها ..

وكل ذلك يستدعى جهداً علمياً صادقاً متواصلا لتصفية اللغة مما علق بها من الشوائب والكلمات الدخيلة التى غزتها فى كل وسائل الحياة .. (وبهذه المناسبة أورد بعض الكلمات التى صارت شائعة على الألسنة وينطقها أبناء الضاد بكل يسر وسهولة ومنها على سبيل المثال :

برافو	بروفة	أوتيل	بدروم	تيكت
تلفزيون	راديو	تلسكوب	رادار	كاش
لسته	سينما	مدام	ماما	أنكل
طنت	جنتلمان	سوبر	روب	صالون
اشرفيو		أوكسجين	باى ـ باى	كوانتر
ميكرفون	ميكروفيلم	فيلم	ترانزستور	لمبة
سويتش	بروجرام	بوستة	بنطلون	شيك
روف جاردن	مستر	اجزخانة	فريزر	فوتيه
هاللو	كفرات	كوت	موتور	أوكى

ورحم الله حافظ إبراهيم الذى قال : عندما رأى البعض من العرب منصرفين عن اللغة ، ورأى تحولهم عنها واهتمامهم بغيرها .. وحينما تحدث على لسان اللغة العربية وهى تندب حظها بين أبنائها :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى ... وناديت قومى فاحتسبت حياتى

رمونى بعقم فى الشباب وليتنى ... عقمت فلم أجزع لقول عداتى

ولدت ولما لم أجد لعرائسى ... رجالا وأكفاء وأدت بناتى

وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن آى به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آله ... وتنسيق اسماء لمخترعات

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسنى ... ومنكم وان عزَّ الدواء أساتى

فلا تكلونى للزمان فاننى ... أخاف عليكم أن تحين وفاتى

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة ... وكم عزَّ أقوام بعز لغات

أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا ... فياليتكم تأتون بالكلمات

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ... ينادى بوأدى فى ربيع حياتى

ولو تزجرون الطير يوما علمتم ... بما تحته من عثرة وشتات

سقى الله فى بطن الجزيرة أعظما ... يعز عليها أن تلين قناتى

حفظن ودادى فى البلى وحفظته ... لهن بقلب دائم الحسرات

وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق ... حياء بتلك الاعظم النخرات

أرى كل يوم بالجرائد مزلقا ... من القبر يدنينى بغير أناة

أيهجرنى قومى - عفا الله عنهم - ... إلى لغة لم تتصل برواة

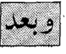
سرت لُوثة الافرنج فيها كما سرى ... لعاب الافاعى فى مسيل فرات

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة ... مشكَّلة الألوان مختلفات

إلى معشر الكتاب والجمع حافل ... بسطت رجائى بعد بسط شكاتى

فإما حياة تبعث الميت فى البلى ... وتنبت فى تلك الرموس رفاتى

وإما ممات لا قيامة بعده ... ممات لعمرى لم يقس بممات



فما أكثر الغريب الدخيل على لغتنا الجميلة التى يجب أن نصونها ونحافظ عليها ؛ فهى دعامة قوية من دعائم تطورنا ورقينا ونهضتنا، وعنصر هام من عناصر المعرفة والثقافة وهى لسان كل عربى .

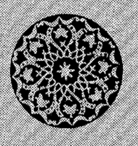
فأعيدوا يا بنيها ... نهضة تحيى ثراها

ولنطهر لغتنا من العبارات الأجنبية التى تزرى بها ، ولننظفها من الدخيل والتراكيب الأعجمية الثقيلة الباردة التى تخدش وجهها وتشينها ...

صفحات من تراث الحضارة العربية الإسلامية :

رحلة "العبدري"

إلى الحجاز



بقلم : الأستاذ محمد محمد التهامي

بدأ أبو عبدالله محمد العبدرى رحلته المعروفة بـ « رحلة العبدرى » من بلاد حاحة الواقعة على شاطئ المحيط الأطلسى فى المغرب الأقصى [١] ، قاصدا الأراضى الحجازية لأداء مناسك الحج ، وكان خروجه من بلاده فى الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة سنة ثمان وثمانين وستمائة « الموافق ١٠ يناير ١٢٨٩ م » .

وقد بدأ فى تسجيل مشاهداته طوال الرحلة ، وأعطانا صورة تنبض بالحيوية لما يلاقيه الحاج منذ خروجه من بلاد المغرب متوجها إلى الحجاز ، وحتى العودة بعد أداء مناسك الحج [٢] .

وتتميز رحلة « العبدرى » بأنها تمت عبر البر ، ولم يركب البحر كما فعل غيره من الرحالة أمثال : ابن بطوطة ، وابن جبير ، وهذا يعطينا صورة حية عن قوافل الحج البرية ، وكيف كانت تسير عبر الطريق والمحطات التى كانت على امتداد الطريق ، ويتوقف فيها الركب طلبا للراحة،أو للتزود بالماء والمؤن . كما وصف البلاد التى مر بها موضحا الحالة الاجتماعية والعلمية والثقافية السائدة فى تلك البلدان . وقد توقف فى مصر لفترة طويلة انتظارا لخروج ركب الحجيج كما هى العادة كل سنة ، حيث كانت المحامل وجماهير الركبان لا تخرج للحج الا من جهات أربع : مصر ودمشق وبغداد وتعز [٣] .

○ النداء بالحج سنة للمسلمين ○

ينادى بالحج بديار مصر فى النصف الثانى من شهر رجب ، وهو قياس على نداء الرسول ﷺ اول ذى القعدة فى المدينة ، لأن مسافة الحج من المدينة عشرة أيام ، ولأن مسافة الحج عن طريق البر من مصر اربعون يوما ، قُدِّم النداء بثلاثة أمثالها ، وكذلك كان الحال فى دمشق [٤] .

○ كسوة الكعبة ودوران المحمل ○

كانت كسوة الكعبة فى صدر الاسلام مختصة بالخلفاء ، وكان خلفاء بنى العباس يجهزونها من بغداد فى كل سنة ، ولكن بعد أن قضى المغول على الخلافة العباسية سنة

٦٥٦ هـ . « ١٢٥٨ م » انتقل هذا الشرف الى ملوك الديار المصرية على عهد المماليك ، حيث قاموا بتجهيزها كل سنة [٥] . وكان أول من اهتم بعمل الكسوة للكعبة الشريفة وخروجها إلى الحجاز فى احتفال مهيب وأمر بدوران المحمل فى مصر هو السلطان الظاهر بيبرس وذلك سنة ٦٥٧ هـ [٦] .

وقد خصصت دار لعمل كسوة الكعبة المطهرة بالقاهرة المحروسة بمشهد الحسين وكانت تنسج من الحرير الأسود وقد طرز عليها بكتابة بيضاء فى نفس النسيج الآية « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة» [٧] . وفى أواخر عهد السلطان الظاهر برقوق « ٧٨٤ ـ ٨٠١ هـ » استقر تطريز الكتابة من نسيج أصفر مشعر بخيوط الذهب . وقد خصص لعمل هذه الكسورة ناظر مستقل يشرف على تجهيزها . كما اوقفت ارض بيسوس من ضواحى القاهرة للصرف منها على دار الكسوة وما يلزمها من نفقات [٨] .

أما عن كسوة الكعبة فى الجاهلية فكانت من النطاع ، وكان خالد بن جعفر بن كلاب أول من كساها الديباج فى الجاهلية . أما فى الاسلام فكان الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يجرد الكعبة مما عليها من الكسوة كل سنة ، وكساها القباطى التى كانت تصنع بمصر ، وزاد الاهتمام بكسوة الكعبة فى عصر الدولة الأموية . أما فى العصر العباسى فكانت كسوة الكعبة خضراء ثم كسيت كسوة سوداء ، ولما ضعف أمر العباسيين صارت ترسل الكسوة تارة من اليمن ، واخرى من مصر الى أن استقرت فى مصر بعد سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ . « ١٢٥٨ م » .

وطوال عصر المماليك ، وعندما استولت الدولة العثمانية على مصر والحجاز اختصت بكسوة البيت الداخلية ، واختصت مصر بكسوة الكعبة الخارجية ، وبقيت مصر تصنع اقمشة الكسوة الداخلية والخارجية حتى عام ١١١٨ هـ . عندما أمر السلطان أحمد بن محمد الرابع بحياكة كسوة الكعبة الداخلية فى استانبول ، وارسلت فى العام التالى الى مكة عن طريق مصر ، واستمر ذلك حتى سنة ١٢٧٧ هـ . حيث انقطعت الدولة العثمانية عن إرسال الكسوة الداخلية .

وعندما دخل الإمام سعود الكبير بن عبد العزيز آل سعود الى الحجاز انقطعت مصر عن إرسال الكسوة الخارجية فكساها عام ١٢٢١ من القز الاحمر ، وكساها فى الأعوام التالية بالديباج والقيلان الأسود ، وجعل إزارها وكسوة بابها من الحرير الأحمر المطرز بالذهب

والفضة ، ولما استردت الدولة العثمانية الحجاز عادت مصر الى ارسال الكسوة مع المحمل حسب العادة حتى عام ١٣٤١ هـ . وان كانت قد انقطعت فى بعض السنوات عن إرسالها نتيجة للظروف الخارجية . وفى عام ١٣٤٣ هـ عندما دخل جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الى مكة المكرمة ، وتأخر ورود الكسوة من مصر استعاض عنها بكسوة من الاحساء ، ونتيجة لتوتر العلاقات بين البلدين قام جلالته سنة ١٣٤٦ هـ . بتأسيس دار خاصة للكسوة فى محلة جياد بمكة المكرمة ، وكانت أول دار تشيد لعمل الكسوة فى الحجاز ، وقام على العمل بها فريق من أهل البلاد بعد ان حذقوا الحياكة وتمرنوا عليها (١٠) .

أما دوران المحمل ، فقد جرت العادة انه يدور فى السنة مرتين ، الأولى فى النصف الثانى من شهر رجب ، والثانية فى النصف الثانى من شهر شوال (١١) . ويعد يوم دوران المحمل من الأيام المشهودة ، حيث يركب فيه أهم الشخصيات فى المجتمع ومنهم القضاة الأربعة ووكيل بيت المال والمحتسب ، واعلام الفقهاء وأمناء الرؤساء ، ويتوجه الجميع الى باب القلعة حيث يقيم السلطان (١٢) .

ويكلف اصحاب الحوانيت التى فى طريق دوران المحمل بتزيين حوانيتهم قبل مرور المحمل بثلاثة ايام ، فتبدو تلك الحوانيت وهى فى أبهى زينة وأحسن مظهر ، ويكون دوران المحمل فى يوم الاثنين أو الخميس ، ويحمل على جمل بعد تزيينه وعليه غشاء من حرير أطلس أصفر اللون وبأعلاه قبة من فضة مطلية . ويبيت فى ليلة دورانه داخل باب النصر (١٣) .

وفى صباح يوم دوران المحمل تخرج كسوة الكعبة الشريفة وهى محمولة على جمل سبق تزيينه وإعداده لذلك الغرض، ويسير امامها الأمير المعين للاشراف على سفر الحجاج إلى الحجاز فى تلك السنة ومعه عسكره القائمون على حراسته وتأمين سلامة الحاج ، والسقاءون على جمالهم (١٤) وينزل الركب الى اسفل القلعة ، فتنهض اليه الشخصيات الهامة وذوو المناصب الكبيرة ويسير أمامه الوزير والقضاة الأربعة والمحتسب والشهود وناظر الكسوة وغيرهم ، ويركب جماعة من المماليك السلطانية الرماحة ملبسين المصفات الحرير المغشاة بالحرير الملون وخيولهم ملبسة « البركستوانات » والوجوه الفولاذية كما لو كانت على أهبة القتال ، وبأيديهم الرماح وعليها الشطفات السلطانية،فيلعبون تحت القلعة كما فى حالة

الحرب . وهناك بعض صغار المماليك يمسك كل منهم رمحان يديرهما فى يده وهو واقف على ظهر الفرس ، وربما كان وقوفه فى نعل من خشب على ذباب سيفين من كل جهة ، كما يهيئون من أزيار النفط وغيرها جملة مستكثرة للالعاب النارية،حيث تطلق تحت القلعة فى خلال ذلك العرض البديع (١٥) .

ويتحول ركب دوران المحمل الى ما يشبه المهرجان،حيث يجتمع الناس حوله والحداة يحدون أمامهم ويرددون الأهازيج الدينية ويسير الركب الى الفسطاط ، تحيط به الزينات ومظاهر الفرح والسرور ، فيمر فى شوارعها ، ثم يعبر شوارع القاهرة فى طريق عودته الى القلعة مصحوبا بالطبلخانات والكوسات السلطانية التى تعزف الموسيقى وتدق الطبول . ومن ثم تنبعث الأشواق وتتحرك البواعث الروحية ويُلقى الله تعالى العزيمة على الحج فى قلب من يشاء من عبْاده ، فيأخذون فى التأهب والاستعداد لذلك منذ دوران المحمل الأول فى شهر رجب الفرد من كل عام (١٦) .

كما يدور المحمل فى المرة الثانية عندما ينتصف شهر شوال،وذلك استعدادا لخروج ركب الحاج من مصر فى طريقه الى الأراضى الحجازية ، وقد حرص سلاطين المماليك على خروج محمل الحاج فى موكب كبير احتفالا بهذه المناسبة بعد ان ينتصف شوال (١٧) . ويسير ركب المحمل السلطانى و معه السبيل المسبَّل للفقراء والضعفاء والمنقطعين . ويزود الركب بكل ما يحتاجه من الماء والزاد والأشربة ، كما يزود بالأدوية والعقاقير الطبية ومجموعة من الاطباء والكحالين والمجبرين « أى ما يشبه البعثة الطبية التى تصاحب الحاج فى أيامنا هذه » ، وعلاوة على ذلك يلحق بالركب مجموعة من الأدلاء الذين يسيرون امام الركب ، والأئمة والمؤذنين لإقامة الشعائر الدينية الى جانب وجود القضاة والشهود ورجال الدواوين والأمناء ومغسل الموتى . هذا بالاضافة الى الأمراء والجنود الذين يصاحبون الركب ، والجميع فى أكمل زى وأتم أبهة .

ويسير الركب وفق تنظيم دقيق ، فاذا نزلو منزلا أو رحلوا مرحلة ، تدق الكوسات وينفر النفير ليؤذن الناس بالرحيل أو النزول (١٨) . وبعد ان يتم الركب دورته بالقاهرة ، يخرج متوجها الى البركة « بركة الحبش » وذلك انتظارا لتجمع الحجيج ، ثم تبدأ المسيرة فى طريقها الى الأراضى الحجازية (١٩) وغالبا ما يتحرك محمل الحاج من البركة على دفعتين ، حيث يسير الركب الأول،ثم يتبعه المحمل « ومعه كسوة الكعبة الشريفة » وبقية الحجاج

في اليوم التالى وعلى كل منهما أمير لقيادة الركب [٢٠] .

○ القافلة تسير ○

ويرسم « العبدرى » صورة نابضة بالحيوية لقافلة الحج فى القرن السابع الهجرى « ١٢ م » ، والاستعدادات التى تتخذ لتجهيزها للمسير الى الأراضى الحجازية فبعد دوران المحمل للمرة الثانية بعد منتصف شهر شوال من كل عام ، يتجه الى بركة الحبش « والتى كانت تبعد عن القاهرة عشر اميال » حيث يتوافد اليها الراغبون فى الانضمام الى قافلة الحج . وفى هذا الوقت يصدر السلطان مرسوما بتحديد « أمير الحاج » وهو من كبار الأمراء كما يخصص له مجموعة من الفرسان ويمده بالنفقات اللازمة ويزوده بالطعام والشراب ، ويسند إليه الاشراف على قافلة الحج . وعند بدء التحرك يعطى أمير الحاج إشارة بقرع الطبول ، وعندها يتخذ الحجاج اماكنهم فى الركب بعد اعداد رواحلهم ووضع الأزواد عليها ويتحمل أمير الحاج واعوانه الكثير من العناء والتعب فى خدمة الركب والمحافظة على الحجاج ، ومعاونة الضعفاء ومواساتهم وحملهم على دواب السبيل التى خصصت لمن يتخلف عن الركب لعجزه عن المسير [٢١] .

وبعد ان يأخذ ركب الحج أهبة الاستعداد للمسير ، يلتف الفرسان حول القافلة وهم يحملون المشاعل التى تحيل الليل الى نهار بضيائها الشديد ، حيث أعتاد ركب الحج ان يرحل فى النصف الأخير من الليل ، وتسير القافلة حتى يسفر الصباح فيؤدون الصلاة ، ثم يستمر الركب فى المسير حتى ترتفع الشمس فينزلون للراحة حتى الظهر ، وبعد الصلاة يرحلون الى ان تغرب الشمس فيتوقف الركب حتى ينتصف الليل ، وبعدها يواصل المسير على نفس المنوال حتى تصل القافلة الى مكة ، وهذا التنظيم فى مسير وتحركات قافلة الحج يبعد عنهم الإجهاد ومشقة السفر ، ويساعد على راحة الحجاج ورواحلهم ، كما يتيح لهم فرصة قضاء حوائجهم ، ولو كان مسيرهم بالنهار لقطعهم عنف السير وزاد عليهم العناء [٢٢] .

واستكمالا لتلك الصورة عن قافلة الحج ، نجد الفرسان يحيطون بالركب خلال سيره من جميع جوانبه يستحثون المتخلف ويساعدون الضعيف والعاجز ، والدليل يسير أمام القافلة ليلا ونهارا يخوض بها الصحارى والفيافى ويعبر بين الجبال والأودية ليرشدها الى

الطريق الصحيح . وهكذا تسير القافلة وفق نظام محكم ودقيق ،فلا يرحلون ولا ينزلون الا بإذن من أمير الركب عندما تدق الطبول لأنباء الحجيج بالنـزول للراحـة أو التحـرك واستكمال السير (٢٣) .

ونشاهد فى قافلة الحج أنماطا من التعاون ، وصورا رائعة للبر كما ينشدها الاسلام وكما أمرنا بها العزيز الحكيم فى محكم كتابه : « وتعاونوا على البر والتقوى .. » الآية (٢٤) ، فنجد الأغنياء وأصحاب الأموال فى الركب يتسعون بها انفاقا على اختيارهم ، والضعفاء يعيشون بينهم بأنواع من الاحتراف والتسبب ، والفقير قل أن يعوزه التسبب لكثرة اعداد الحجاج فى القافلة (٢٥) .

وكانت قوافل الحج غالبا ما تسير بأعداد كبيرة ، فقد أحصى فى بعض الأعوام أعداد الجمال فى ركب الحج فوجدت ثمانين الف راحلة ، دون الدواب ، وهذا يعنى ان عدد الحجيج فى القافلة يزيد عن المائتى الف . ونظرا لضخامة اعداد الحجاج فى ركب الحج ، فقد يحدث احيانا أن يتغيب فرد عن مجموعته ورفاقه فلا يجدهم الا بعد عشرة ايام من البحث عنهم داخل القافلة ، وهذا يدل على ضخامة الاعداد فى قافلة الحج ، ولذا وضعت كل مجموعة لنفسها علامة يتعارفون عليها وتميزهـم عن المجموعـات الأخرى حتى لا يضل رفاقهم (٢٦) .

تماما كما نشاهد ذلك اليوم فى مجموعات الحجاج التى تنتمى الى مختلف البلدان حيث تقوم كل مجموعة بوضع علامة أو اشارة يتعارفون عليها ، وحتى لا يتغيب الحجاج عن رفاقهم .

وكانت قافلة الحج السلطانية تسير وهى مزودة بكل احتياجاتها المعيشية وأصحاب الحرف والصنائع المختلفة حيث تمارس فى داخل القافلة أنماطا من دروب المعايشة اليومية .

وعندما شرع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فى الحج سنة ٧١٩ هـ . قام ناظره الخاص بتجهيز ما يحتاج اليه السلطان فى الحج ، حيث جمع سائر أصحاب الحرف المختلفة وعمل عدة قدور من فضة ونحاس تحمل على الجمال ليطبخ فيها ، كما احضر المزارعين لزراعة البقول والخضروات « النعناع والكرات والكزبرة والريحان وانواع المشمومات » فى احواض خشبية لتحمل على الجمال وتسقى طوال الطريق ، ويؤخذ منها كل يوم ما يحتاجه اليه . كما رتب الأفران والخبازين لعمل ما يحتاج اليه من خبز ، وجهز الدقيق ، والروايا

والأشربة بالاضافة إلى خمسماية جمل تحمل الحلوى والفواكه ومائة وثمانين جملا تحمل الحب رمان واللوز وما يحتاج اليه المطبخ السلطانى . ومن الطيور الف طائر أوز وثلاثة آلاف طائر دجاج . ولم ينس احتياجات دواب القافلة من العليق ، فجهز مركبين فى البحر الى ينبع ومركبين الى جدة تحمل مائة وثلاثين الف اردب من الشعير [٢٧] . وتزود القافلة بكل ما تحتاجه من الماء والزاد والأشربة والعقاقير ، ومجموعة من الاطباء والكحالين والمجبرين والأدلاء والأئمة والمؤذنين ، الى جانب وجود القضاة والشهود والدواوين والأمناء ومغسل الموتى وأرباب الصنائع الأخرى [٢٨] .

وتسير القافلة وكأنها مدينة متحركة ، يتوافر بها كل متطلبات المعيشة ، بل ويمارس افرادها من اهل الحرف اعمالهم اليومية المعتادة .

ويصف « العبدرى » المراحل التى يقطعها ركب الحجيج بدءا من مغادرته القاهرة الى البركة حيث يتجمع هناك الحجاج ، ويستكملون من اسواقها جهازهم وما يلزمهم ، وعندما تحين ساعة السفر تتحرك القافلة بعد اعطاء اشارة الرحيل بدق الطبول الى السويس . وتقطع هذه المسافة فى ثلاثة أيام ثم الى عقبة آيلة ثلاثة أيام والتى بها سوق كبيرة عامرة بالطعام وما يحتاجه الحجاج فى سفرهم ، ويستريح بها الركب يومين او ثلاثة ، ومنها يرحلون الى المنهلة على مسافة نصف يوم ، ثم الى مغادرة شعيب بوادى القر على مسافة يومين ونصف يوم ، ثم يرحلون الى عيون القصب ويصلونها بعد يومين وبها ماء جار عذب ، ويرحلون الى كفافة فى يومين ، ومنها الى الوجه فى ثلاثة ايام ، وبها ماء عذب طيب ، ثم الى اكرا فى ثلاثة ايام ، ومنها الى لحوراء فى ثلاثة أيام ، وفيها يتلقى أهل ينبع ركب الحجاج بالتمر ، وترحل القافلة الى المغيرة فى يومين « وتسمى العرجاء » ومنها الى ينبع فى يومين ثم الى الدهناء مسيرة نصف يوم وبها ماء طيب ، ثم الى بدر مسيرة يومين وبه ماء طيب وسوق كبيرة ومنها الى رابغ مسيرة ثلاثة ايام [٢٩] .

ابتداء الإحرام :

يغتسل الحجاج للاحرام فى رابغ « وهو دون الجحفة بمسافة » ومنها يتحرك الركب الى خليص على مسيرة ثلاثة ايام ، ومنها إلى بطن مر ثلاثة أيام ، وهو واد من عمل مكة به نخل كثير وماء جار وعمارة ، ومن بطن مر الى مكة شرفها الله تعالى مسيرة نصف يوم « حوالى ستة عشر ميلا » [٣٠] ، وهكذا تسير قافلة الحج عبر المراحل المختلفة حتى تصل

الى مكة المكرمة حيث يقوم الحجاج بمناسك الحج .

زيارة المدينة المنورة :

بعد أداء مناسك الج تتوجه القافلة إلى المدينة المنورة « على ساكنها أفضل الصلاة والسلام » عن طريق خليص ومنها الى بدر ثم الى وادى الصفراء ومنها إلى المدينة المنورة للزيارة[٣٢] .

رحلة العودة :

يرحل الركب عائدا عن طريق وادى الصفراء ومنها الى ينبع ثم يتخذ مساره من هناك على نفس الطريق حتى يصل الى عقبة آيلة ، وهناك ينفصل الركب الشامى عن الركب المصرى ويتجه كل منهما صوب بلاده . وكان بعض الحجاج من الركب الشامى يفضل العودة عن طريق المعلى الى تبوك وذلك لقرب المسافة بالرغم من وعورة الطريق وقلة المياه[٣٢]

مبشر الحاج :

درجت العادة على أن يسبق قافلة الحج أحد الأفراد ليخبر بسلامة الحاج ، وغالبا ما يصل قبل عودة ركب الحج بيومين أو ثلاثة . وكانت بداية ظهور مبشر الحاج منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، واستمرت بعدهما تلك العادة ؛ أن يسبق عودة موكب الحاج بشير يخبر بأحوال الناس والحجاج ، وكان يستقبل بشوق ولهفة للاطمئنان على ركب الحج .



○ الهوامش ○

(١) ليون الأفريقى « الحسن الوزان » : وصف افريقيا ، ص ١٠٧ .

(٢) العبدرى : الرحلة ، ص ٧ .

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٣١٠ .

(٤) المقريزى : الذهب المسبوك ، ص ١١ .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥٧ .

(٦) المقريزى : الذهب المسبوك ، ص ١١ .

(٧) سورة آل عمران ٣ : آية ٩٦ ـ ٩٧ .

(٨) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥٧ .

(٩) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ١ ، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

(١١) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥٧ .

(١٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ج ١ ، ص ٥٧ .

(١٣) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥٧ .

(١٤) ابن بطوطة : الرحلة ، ج ١ ، ص ٦٢ .

(١٥) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥٨ .

(١٦) ابن بطوطة : الرحلة ، ج ١ ، ص ٦٢ .

(١٧) ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ٣ ، ص ١٦١ .

(١٨) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٣١٠ .

(١٩) سليم « د/ محمود رزق » : عصر سلاطين المماليك ، ج ٧ ، ص ٢٣٤ .

(٢٠) ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ٣ ، ص ١٦١ .

(٢١) العبدرى : الرحلة ، ص ١٥٥ .

(٢٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٥٦ .

(٢٣) المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

(٢٤) سورة المائدة ٤ : آية ٢ .

(٢٥) العبدرى : الرحلة ، ص ١٥٦ .

(٢٦) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٢٧) المقريزى : الذهب المسبوك ، ص ١٠٠ ـ ١٠٢ .

(٢٨) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢١٠ .

(٢٩) العبدرى : الرحلة ، ص ١٥٧ ـ ١٦٥ .

(٣٠) المصدر السابق ، ص ١٦٥ ـ ١٦٧ .

(٣١) نفس المصدر ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(٣٢) نفس المصدر ، ص ٢٢٠ .

(٣٣) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ، ص ٣١٢ .

○ المراجع ○

١ ـ ليوم الأفريقى « الحسن الوزان » : وصف افريقيا ، ترجمة د . عبد الرحمن حميد ، نشر كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد سعود الاسلامية ، الرياض ١٤٠٠ هـ .

٢ ـ العبدرى « أبى عبدالله محمد بن محمد » : رحلة العبدرى « المسماة بالرحلة المغربية » ، تحقيق محمد الفاسى ، الرباط ١٩٦٨ م .

٣ ـ السيوطى « جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر » : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، جزأين ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٨٧ هـ . ـ ١٩٦٧ م .

٤ ـ المقريزى « تقى الدين أبو العباس أحمد أبو على » : الذهب المسبوك فى ذكرى من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق د/ جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥ م .

٥ ـ القلقشندى « شهاب الدين أبى العباس أحمد بن على » : صبح الأعشى فى صناعة الانشا القاهرة ١٩٦٣ م .

٦ ـ الأزرقى « أبو الوليد محمد بن عبدالله بن عبدالله بن أحمد » : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدى الصالح ملخص ، جزآن ، ط ٣ دار الأندلس ، بيروت ١٣٨٩ هـ . ـ ١٩٦٩ م .

٧ ـ ابن بطوطة « ابو عبد الله محمد بن عبدالله اللواتى الطنجى » : رحلة ابن بطوطة ، نشر دار التراث ، بيروت ١٣٨٨ هـ . ـ ١٩٦٨ م .

٨ ـ ابن الصيرفى « الخطيب الجوهرى على بن داود » نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، ٣ أجزاء ، تحقيق د/ حسن حبشى ، القاهرة ١٩٧٠ م .

٩ ـ سليم « د/ محمود رزق » : عصر سلاطين المماليك ، ونتاجه العلمى والأدبى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٥ م .

الزراعة في اليمامة

في العصر العباسي



الدكتور عبد الله محمد السيف

اختلف الجغرافيون المسلمون فى تحديد إقليم اليمامة اختلافاً كبيراً ؛ فبعضهم جعله من نجد « اليمامة صرة نجد ومدينة نجد حجر »[١] وآخرون جعلوه من الحجاز[٢] ، بينما توسع الأصفهانى فى تحديده لليمامة فجعلها إقليماً مستقلا يشمل جزءًا من اليمن وجزءًا من البحرين وجزءًا من أطراف الشام والعراق[٣] .

يرجع الاختلاف الذى رأيناه فى تحديد اليمامة إلى اختلاف الحدود الإدارية لأقسام جزيرة العرب بين فترة تاريخية وأخرى ؛ فالتنظيمات الإدارية تتغير بتغير الظروف التاريخية ولا تراعى الحدود الجغرافية[٤] . أما دراستى لليمامة فى هذا البحث فستشمل هضبة نجد الوسطى أو ما يعرف الآن إداريا بمنطقة الرياض .

سأتناول فى هذا البحث العوامل المؤثرة فى الزراعة ، والإقطاعات والملكيات الزراعية ، وطرق الرى المستخدمة فى اليمامة فى العصر العباسى . ثم أختتم البحث بالحديث عن المحاصيل الزراعية وطرق التعامل الزراعى السائد فى اليمامة فى تلك الفترة .

العوامل المؤثرة فى الزراعة :

عرفت اليمامة منذ العهود الإسلامية الأولى بخصوبة أرضها[٥] ، ووفرة إنتاجها من الحبوب والتمور ، حتى أنه كان لأسود بن مالك بن عبدالله (من بنى يشكر بن بكر بن وائل) نخل موقوفة « تصرم فى كل سنة مرتين »[٦] . وكان الانتاج الزراعى فى اليمامة يصدَّر إلى المناطق المجاورة لها : ففى عهد الرسول ﷺ قطع ثمامة بن أثال الحنفى الميرة عن قريش فى مكة بعد دخوله فى الاسلام ، ولم يعدها إليهم إلا بأمر من رسول الله ﷺ[٧] .

وفى العصر الأموى استمر تصدير الإنتاج الزراعى إلى الحجاز ، وعندما تأزم الموقف بين عبدالله بن الزبير ـ رضى الله عنه ـ وبين نجدة بن عامر الحنفى قطع الميرة الصادرة من اليمامة والبحرين عن أهل الحجاز ، ولم يعد تصديرها إلا بعد أن تدخل عبدالله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وأقنع نجدة بن عامر الحنفى[٨] .

وفى العصر العباسى: تحدُّثنا المصادر عن خصوبة التربة فى اليمامة ووفرة إنتاجها الزراعى ، فتذكر المصادر أن اليمامة أكثر نخيلا وثمرا من المدينة ومن سائر الحجاز[٩] . ووصف ياقوت نقلا عن السكونى قرية سدوس بأنها من أخصب قرى اليمامة[١٠] . ويعتبر وادى الخرج فى اليمامة أحد الأودية

المشهورة بخصوبة أرضه وهو « خير واد باليمامة أرضه أرض زرع ونخل »[١١] . ويذكر المقدسى أن اليمامة بلد جيدة التمور[١٢] . وتنتشر المناطق الخصبة فى مناطق اليمامة مثل قَرْقَرى[١٣] ، والوَشْم[١٤] ، والفَلَج[١٥] ، وسود باهله[١٦] ، والفَقّى[١٧] ، وغيرها . ولاشك أن خصوبة التربة فى اليمامة من العوامل التى ساعدت على نمو الزراعة وتطورها .

ومن العوامل التى ساعدت على نمو الزراعة فى اليمامة وجود المياه الوفيرة الكافية للزراعة ، كالعيون الجارية ، والآبار الجوفية ، ومياه الأمطار الشتوية.وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل أثناء حديثنا عن طرق الرى .

والأيدى العاملة من العوامل الأساسية فى نهضة الزراعة ، ولقد كان الرقيق يعمل فى مزارع اليمامة فى العصر الأموى ، حتى أنه كان فى الخضارم وحدها أربعة آلاف رقيق يعملون وأسرهم على استصلاح الأراضى وإستثمارها لزيادة الانتاج الزراعى[١٨] . ومن المحتمل أن الرقيق فى العصر العباسى استمر يعمل فى المجال الزراعى ؛ حيث وردت اشارات فى المصادر تدل على وجوده بكثرة فى اليمامة[١٩] . ويروى الخطيب البغدادى أن الخليفة أبا جعفر المنصور طلب من والى اليمامة السرّى بن عبدالله الهاشمى أن يشترى له رقيقاً من رقيق اليمامة للعمل كبوابين له ، فاشترى مائتى غلام من اليمامة[٢٠] . ويروى الحربى أن قرة بن جابر أحد سكان قرية أضاح قال : « كنا ننضح على حرث لنا بناحية أضاح ، ولنا غلام ونحن نعمل فى حرثنا ، وكان يلح على رطانة بالزنجية حتى رويناها قال : وقف علينا زنجى قد استعرب وفهم ... »[٢١] .

ويستفاد من هذا النص أن الرقيق كان يعمل فى اليمامة فى الزراعة ، كما أن هناك رقيقاً ممن تعلموا اللغة العربية وفهموها ، وبالمقابل وجد رقيق جديد لا يتكلم العربية .

تلك هى أهم العوامل التى ساعدت الزراعة على أن تبقى ذات شهرة طيبة فى اليمامة وبخاصة التمور والحبوب ، إلا أننا لا ننكر أن هناك بعض الفترات خلال العصر العباسى كان لها تأثير سيئ على الزراعة نتيجة للاضطرابات الداخلية ؛ ففى سنة ٢٣٢هـ كانت قبائل بنو نمير تغير على المناطق القريبة منها فى اليمامة ، فكتب الخليفة الواثق إلى قائده يأمره بالقضاء على فتنتهم فسار إليهم وقتل منهم « زهاء ألف وخمسمائة رجل » وكان بعضهم « أصحاب نخلل وشاء »[٢٢] . ويروى الأصفهانى أن الحروب وقعت بين جعدة وقشير بسبب الخلاف على سيح اسحاق « وهو نهر مخرجه من قناة ، وهو بطيحة واسعة ، وعليه من النخل ما لا يدرى ما مبلغه »[٢٣] . وعندما استولى بنو الأخيضر على اليمامة كانت سياستهم الداخلية تتسم بالجور وسوء السيرة[٢٤] فقاموا بتشتيت أهلها .

يقول ابن حوقل وفى سنة ٢٣٨هـ فى عهد الخليفة المتوكل دخل محمد بن يوسف الحسنى الأخيضر اليمامة فجلا أهلها بسبب « جوره إلى أرض مصر والمعدن فى آلاف كثيرة »[٢٥] ويقول اليعقوبى بأن أكثر من بالعلاقى فى مصر « قوم من ربيعة من بنى حنيفة من أهل اليمامة انتقلوا إليها بالعيالات والذرية ... »[٢٦] ، وكانت قُرّان من المناطق الزراعية فى اليمامة وعندما استولى بنو الأخيضر على اليمامة وعاملوا أهلها معاملة سيئة ترك أهل قران بلدتهم وهاجروا فى سنة ٣١٠هـ من اليمامة إلى البصرة « لحيف لحقهم من ابن الأخيضر فى مقاسماتهم وجدب أرضهم ... الخ »[٢٧] .

وفى القرن الخامس الهجرى زار الرحالة الفاسى ناصر خسرو اليمامة ، وذكر أن جيشا من العرب مرّ بالفَلَج وطلب من أهلها خمسمائة منّ من التمر ، فلم يوافقوا على ذلك فحاربهم الجيش وقتل « من أهل القلعة عشرة رجال وقلعت ألف نخلة »[٢٨] .

ومن المشكلات التى كانت تواجه الزراعة قلة الأمطار الشتوية ؛ حيث أن بعض المزروعات تعتمد على الأمطار[٢٩] ، وإذا قلت الأمطار أصاب الناس الجدب والقحط وقلة الانتاج الزراعى[٣٠] .

الإقطاعات والملكيات الزراعية :

لقد بدأ إقطاع الأراضى للمسلمين فى اليمامة منذ العهود الإسلامية المبكرة ، فقد أقطع الرسول ﷺ مُجَّاعة بن مرارة بن سلمى الحنفى الغورة ، وغرابه،والحبل[٣١] . كما أقطع فرات بن حيَّان العجلى أرضا فى اليمامة[٣٢] . وحين وفد حُصين بن شمت على رسول الله ﷺ أقطعه مياها باليمامة منها الهوى والماعزة وأصيهب والثماد والسديرة[٣٣] . واستمر إقطاع الأراضى فى اليمامة فى عصر الخلفاء الراشدين[٣٤] . وفى العصر العباسى وردت اشارات تدل على استمرار إقطاع الخلفاء العباسيين للأراضى فى اليمامة[٣٥] .

أما عن الملكيات الخاصة فلا تعطينا المصادر إلا القليل من المعلومات عمن لهم شهرة معينة ، كما أنها أحيانا تشير إلى الملاك من الأسر بشكل عام . ومن المحتمل أن ذلك يعود إلى انقطاع اليمامة وبعدها عن مركز الخلافة ، وإغفال المؤرخين لذكرها . فيروى ابوعبدالله السكونى أن يحيى بن طالب الحنفى كانت له ضيعة بالبّرة فى قرقرى[٣٦] ، كما كان له ضيعة أخرى تسمى كحيَل فى قران وكان ينزل فيها[٣٧] . ويذكر الأصفهانى أن عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الخطفى كان له

نخيل باليمامة[٣٨] . ومن المحتمل أنها تقع فى بلدة أثيفية بالوشم من أرض اليمامة حيث يروى ياقوت أن أكثرها لولد جرير بن الخطفى ، وكان لجرير بها ضيعة[٣٩] . ويقول صاحب بلاد العرب بأن الأحيسى « ماءة عليها نخيل لولد الشماخ مولى أمير المؤمنين »[٤٠] .

وهناك دلائل تشير إلى وجود قرى زراعية كانت ملكا للأسر والقبائل ذكرت بشكل عام وبدون تفصيل : فيروى الحفصى أن المصانع قرية من قرى اليمامة ، فيها نخل لبنى ضور بن رزاح[٤١] . ويقول السكونى بأن عقيق اليمامة لبنى عقيل فيه قرى ونخل كثير[٤٢] ، وكانت أكَمَه من قرى فلج اليمامة لبنى جعدة كثيرة النخل والزرع والآبار[٤٣] . أما البالدية ففيها نخيل ومزارع لبنى غُبر من يشكر[٤٤] . وفى نَعَام نخيل كثير ومزارع لبنى هزان[٤٥] . ويروى الحفصى أن العقير به نخل لبنى ذُهل بن الدُؤَل بن حنيفة ، ونخل آخر لبنى عامر بن حنيفة[٤٦] . أما العَمارية فكانت لبنى عبدالله بن الدؤل[٤٧] . ويذكر الهمدانى أن الهَدَّار به نخل وزرع على آبار وسوان من الأبل للحريش بنى كعب[٤٨] . أما المذارع فهى نخل وزرع لبنى قشير[٤٩] ، ولبنى قشير أيضا نخيل ومزارع فى قرية قَرْن والشِطِبَتان[٥٠] . ولجعدة وادى الفيل « ملآن نخيلا ، وبأعلاه نفر من بنى قشير لهم أموال كثيرة »[٥١] .

وفى وادى الخرج مزارع ونخيل لبنى قيس بن ثعلبة بن عكابه بن بكران وائل[٥٢] . أما قرية سدوس ففيها مزارع لبنى سدوس بن شيبان بن ذهل[٥٣] . وفى الفقى نخيل كثير وآبار وضياع لآل حماد من تميم[٥٤] . أما وبرة ففيها نخيل لبنى سيار بن عبيد[٥٥] . وفى أسيله ماء ونخل لبنى العنبر[٥٦] . ويروى الحفصى أن وادى لَبن فيه نخل لبنى عبيد بن ثعلبه[٥٧] . أما بَنْبان فهو نخل لبنى سعد بن زيد بن مناة بن تميم[٥٨] ، وفى نَهْلان نخل لبنى نمير[٥٩] ، وكانت جزالى نخل لبنى عصم من باهله ومواليها . أما الفرعانة فهو وادى نخل للحارث من باهله[٦٠] . هذه بعض نماذج للقرى الزراعية التى ذكرتها المصادر بشكل إجمالى ولا نعلم السبب الذى جعل المصادر تغفل ذكرها بالتفصيل كملكيات زراعية خاصة ! أهو لبعد اليمامة وانقطاعها عن مركز الخلافة مما أدى إلى إغفال المؤرخين لذكرها كما أسلفنا ، أم بسبب تدهور الحالة الاقتصادية بشكل عام فى اليمامة بعد استيلاء الدولة الأخيضرية عليها ومعاملة أهلها معاملة سيئة ، مما أدى إلى هجرة بعض السكان عن اليمامة وبالتالى زوال الملكيات الزراعية الخاصة وتدهورها ؟

طرق الرى :

كانت الزراعة فى اليمامة فى العصر العباسى تعتمد أحيانا على الأمطار الشتوية التى تنحدر إلى الأراضى الخصبة عبر الوديان الكثيرة ، وكان المزارعون يسقون أراضيهم الزراعية من هذه المياه ، يقول ابن الفقيه : « وأما حنطتهم فتسمى بيضاء اليمامة وهى عذى لا سقى ... »[٦١] . ويروى الأصفهانى أن رياض السُّلى (روضة سويس ، روضة البديع ، وروضة الطنب ، وروضة الجرداء) تسقى من وادى بنيان « وهى مزارع أعذاء لبنى حنيفة »[٦٢] . ويذكر الهمدانى أن من الأودية التى تصب فى الخرج ذو أرول ومأوان وتمر وقلاب حيث تجتمع فى واد واحد[٦٣] .

ونظراً إلى أن الأمطار الشتوية موسمية وغير كافية للزراعة ، اتجه السكان إلى حفر الآبار والعيون وإقامة بعض القنوات التى ساعدت على استصلاح كثير من الأراضى الزراعية . فكانت العيون باليمامة كثيرة مثل عين هِيت ، وعين جَو ، وعين الهِجْرة ، وعين الخَضرْاء[٦٤] . أما المياه الجارية على سطح الأرض فيذكر ابن الفقيه أن « بالمجازة نهران وبأسفلها نهر يقال له سيح الغَمر وبأعلاها قرية يقال لها نعام بها نهر يقال له سيح نعام »[٦٥] .

وفى أقليم الفلج باليمامة انتشرت العيون والأنهار الجارية مثل سيح الزُهْدمى وسيح اسحق وعين الذبَّاء التى « يخرج منها سبعة عشر نهراً »[٦٦] . وقد عدد الهمدانى عيون الفلج بقوله « ولبنى جعدة سيحان يقال لأحدهما الرقادى والآخر الأطلس ، وأما سيح قشير فاسمه سيح اسحق ، فأما الرقادى فان مخرجه من عين يقال لها عين ابن أصبع ومن عين يقال لها عين الزبَّاء مختلطتين وأما الأطلس فان مخرجه من عين يقال لها عين الناقة ... »[٦٧] . ويذكر خسرو أن المياه فى اليمامة وفيرة حيث تجرى فىُ قنوات ، وفى اقليم الفلج وحدها أربع قنوات لسقى أشجار النخيل[٦٨] .

وفى بعض المناطق الزراعية فى اليمامة كانت المياه تجرى تحت الحصى بالقرب من سطح الأرض مثل عقيق اليمامة (عقيق تمرة) الذى كانت مياهه بثور توجد بالقرب من سطح الأرض « وربما أثارته الدواب بحوافرها »[٦٩] ، وكان ماء نِفى يسقى خمسة آلاف بيت وهو « أحساء تحسى من البطحاء .. »[٧٠] .

ومع التوسع فى الزراعة ازداد حفر الآبار لرى المزروعات ؛ ففى الفقّى توجد الآبار الكثيرة[٧١] . كما توجد الآبار فى قارة العنبر ، وقارة الحازمى ، وغمرة ، والهدّار ، وأكمه والمذارع والغِيْل فى الفلج وحولها النخيل والزروع[٧٢] . وفى سوق الفَلَج مائتان وستون بئراً[٧٣] ، وعلى الرغم من أن القوافل

التجارية كانت تتزود من هذه الآبار بالماء إلا أنه يبدو أن هذه الآبار تستخدم أيضا فى رى المزروعات والبساتين ، حيث يذكر الأصفهانى أن « منازل بنى قشير فى ناحية السوق على شط الوادى نخيل ودور وحيطان »(٧٤) ، كما كانت توجد الآبار أيضا فى قرية السّال باليمامة(٧٥) . وكان المزارعون يرفعون المياه من الآبار بواسطة النواضح من الإبل لإرواء مزروعاتهم . يقول الهمدانى : « الهدّار فيه نخل وزرع على آبار وسوانٍ من الإبل(٧٦) ويذكر خسرو أن المياه فى الفلج تستخرج من الآبار بواسطة الجمال(٧٧) .

أنواع الزراعات والمحاصيل الزراعية :

تعتبر التمور والحبوب أهم المحاصيل الزراعية التى كانت تنتج فى اليمامة فى العصر العباسى ، ويبدو أن ذلك عائد إلى ملاءمة التربة والمناخ لنمو هذه المحاصيل الزراعية . فيروى ابن الفقيه قائلا « وأما حنطتهم فتسمى بيضاء اليمامة وهى عذى لا سقى يحمل منه إلى الخلفاء وأما تمره فلو لم يعرف فضله إلا أن التمر ينادى عليه بين المسجدين يمامى اليمامة يمامى اليمامة فيباع كل تمر ليس من جنسه بسعر اليامى ... »(٧٨) . وتذكر المصادر أن اليمامة أكثر نخيلا وثمراً من المدينة ومن سائر الحجاز(٧٩) . ويقول الرحالة الفارسى خسروا بأن النخيل فى اليمامة كثير ، وعندما يكثر التمر فى اليمامة يباع الألف منّ بدينار واحد(٨٠) . ويذكر الأدريسى أن باليمامة « قرى عامرة ومزارع متصلة ونخل وحدائق وأشجار ... وبها تمور حسنة الألوان شهية المأكل »(٨١) .

ومن أهم الأقاليم التى كانت تنتج التمور فى اليمامة اقليم الفلج : حيث كان ينتج كميات كبيرة من التموز ويوجد بها كثير من المزارع والبساتين ، يقول صاحب بلاد العرب « وبالفلج نخيل ومزارع وأنهار »(٨٢) . وكان سيح اسحق يسقى عدداً من النخل « لا يدرى ما مبلغه »(٨٣) . كما كانت أشجار النخيل تزرع فى قرى الفلج والمناطق المجاورة لها مثل قَرْن التى فيها النخيل والمزارع(٨٤) . وأكمه الكثيرة النخل والزرع(٨٥) . كما يكثر النخل فى وادى الهدار والمذارع فى الفلج(٨٦) ، والشِطُبّتان(٨٧) ، ويعتبر وادى الغِيْل فى الفلج من أشهر المناطق الزراعية حيث تكثر المزروعات وأشجار النخيل فيروى الأصفهانى أنه واد بين جبلين « ملآن نخيلا »(٨٨) ، وبه تمر يقال له الصفرى ، يصدر إلى الحجاز « لا يصبر فى البحر غيره لصلابته ، فى الصيف يمضغ مثل الكندر ، وفى الشتاء ينشق كالزجاج »(٨٩) . ويقول خسرو بأن تمور الفلج من أجود أنواع التمور

وهى أفضل من تمور البصرة وغيرها[٩٠] .

ويروى ياقوت نقلا عن الحفصى أن النخيل كان موجودا أيضا فى قرى اليمامة مثل العقير ، ووادى لبن ، والمصانع ، وبَنْبَان ، ووَبَرة ، وأُسَيْلَه والقُدامى[٩١] فى الوشم . وتكثر زراعة النخيل أيضا فى نعام[٩٢] ، وعقيق بنى عقيل[٩٣] ، والخـرج[٩٤] ، ومنفوحـة[٩٥] ، ومُوثـب[٩٦] ، ووادى الفقى ، والوتر وروضة الحازمى[٩٧] ، وقُرّانِ[٩٨] ، وثرمداء[٩٩] ، ومَلْهم التى يقول فيها الشاعر :

بـل هل شجتـك الظُعُـن باكرة كأنهن النخـل من ملهـم[١٠٠]

ويروى ياقوت بأن ملهم موصوفة بكثرة النخل[١٠١] . وتكثر زراعة النخيل فى قرى اليمامة مثل البَالديّة وتَمر وتُمير[١٠٢] ويقول أبوعبدالله السكونى بأن قَرْقَرى وقراها مثل الهزمة وقَرْماء والأطواء مليئة بالزروع والنخيل الكثيرة [١٠٣] .

أما قرية أباض باليمامة فكانت عامرة بالنخيل والمزارع وكان « لها نخل لم ير نخل أطول منها »[١٠٤] ، كما كان يوجد النخل بكثرة فى بَيْسَان باليمامة.ويقول أبوداود الأيادى :

نخلات من نخل بيسان أينعـ

ـن جميعا ونبتهن توائم[١٠٥] ،

ومن قرى اليمامة التى كانت توجد بها النخيل وادى كنزة والوسط ، ووادى الجمل[١٠٦] ، ووادى لحُاء الذى كان كثير الزرع والنخل[١٠٧] ، ويذكر الهمدانى أن فى رملة الوَرْكة « حواء من نخل كثير »[١٠٨] .

وفى سواد باهلة كانت هناك مياه بالهلباء عليها نخيل منها مريفق والخنفس والعوسجـه وذو طلوح[١٠٩] ، والفرعة وجزالى التى يقول فيها الشاعر :

ألا يا بنـى عصـم جزالى وحنة مراطيب تجنـى كل عام لكم حربا
إذا أرطبـت منهـا المبـاكير هيجت صدور رجال لم تروعـوا لهـم سربا[١١٠] .

وتوجد النخيل والمزارع أيضا فى الريَّبْ ومأسل جاوه ، والشريف ، وسخين وسخنه ، والشط والثريا والجوزاء فى سواد باهله[١١٢] . وقد زار الثريا الرحالة الفارسى ناصر خسرو فى القرن الخامس الهجرى،وذكر أن بها نخلا كثيرا وأن أراضيها تزرع بمياه الآبار والسواقى[١١٣] .

ونظرا لكثرة زراعة النخيل فى شتى مناطق اليمامة ؛ فقد تعددت أنواع التمور وتنوعت ففى الوتر يوجد نوع من التمر يسمى الزغرى يقول الشاعر :

يذودها عن زغرى بوتر صفائح الهند وفتيان غير[١١٤] .

وأجود أنواع التمور فى اليمامة البردى والزرقاء والجدامية[١١٥] . وهناك أنواع من التمور أقل جودة : كالصفرقان ، والخضرى ، والهجنة ، والصفراء ، والقعقاعى ، واللصف ، والصفر ، والصفايا ، والتعضوض ، والعمانى ، والجعاب ، والمرى ، وخرائف بنى مسعود ، والصرفان ، والصنعانة[١١٦] . وفى إقليم الفلج باليمامة كانت توجد أنواع من التمور ، كالصفرى الذى يصفه الهمدانى بأنه سيد التمور ؛ حيث يغرق فى البحر « فيهات سائر التمران ما خلا الصفرى[١١٧] . ومن أنواع التمور التى كانت توجد فى الفلج أيضا : السرى ، واللصف ، والفحاحيل ، والمجتنى ، والجعادى ، والشماريخ ، والشمرخ ، والبياض ، والسواد ، والبرنى[١١٨] ، ويذكر ناصر خسرو أن بالفلج تمر يسمى « ميدون » تزن الواحدة منه عشرة دراهم ، ولا يزيد وزن النوى به عن دانق ونصف[١١٩] .

ومن المحاصيل الأخرى فى اليمامة الحبوب وتأتى فى الدرجة الثانية بعد التمور ، وقد أشارت المصادر الى تصدير اليمامة للحبوب إلى مكة فى العهود الإسلامية الأولى ـ كما أسلفنا ـ واستمر ذلك خلال العصرين الأموى والعباسى ، ويثنى ابن الفقيه على جودة قمح اليمامة وطيب طعمه ويقول بأنه « يحمل منه إلى الخلفاء »[١٢٠] . كما كانت تزرع الحبوب فى بلاد بنى نمير كعكاش فى الشريف ، فيروى ياقوت أن « لهم فيه مزارع بروشعير »[١٢١] . وكان يحيى بن طالب الحنفى يشترى غلات السلطان بقرقرى ، لكن أبو عبدالله السكونى ـ الذى روى هذا الخبر ـ لم يوضح لنا نوعية هذه الغلات الكثيرة[١٢٢] ، ومن المحتمل أن هذه الغلات تشتمل على الحبوب والتمور نظرا إلى أن منطقة قرقرى كانت ولازالت تشتهر بهذه المحاصيل الزراعية ويروى الأصفهانى أن بنى كعب بن جندب كان لهم فى الأسيلة نخل « ولهم قاع يزرعونه يقال له الجثجاثة »[١٢٣] .

لقد ورد فى المصادر كثيرا كلمة « زرع » و« زروع »[١٢٤] أثناء الحديث عن بعض قرى اليمامة ، ومن المحتمل أن المصادر تعنى بهذه الكلمة زراعة الحبوب بجميع أنواعها ؛ لأن شهرة اليمامة فى إنتاج الحبوب ـ وبالذات وادى الخرج ـ كانت كبيرة ، واستمرت حتى نهاية العصر العباسى ؛ فيروى أبو الفدا أن أهل الأحساء والقطيف كانوا يجلبون التمر إلى وادى الخرج باليمامة ، ويشترون

بكل راحلتين من التمر راحلة من الحنطة[١٢٥] . ولعل ذلك يرجع إلى أن انتاج التمور، قد قل فى بعض المناطق فى اليمامة فى أواخر القرن السابع الهجرى حتى اضطرت إلى الاستيراد من المناطق المجاورة وبالذات من الأحساء والقطيف ، أما الحبوب فكان انتاجها يفيض عن حاجتها . ولقد صرح بذلك أبوالفدا قائلا : « وأخبرنى من رآها (اليمامة) فى زماننا هذا أن بها أناسا وقليل نخل ... ووادى اليمامة الخرج وبه عدة قرى وبها الحنطة والشعير كثير ... »[١٢٦] . كما كانت تزرع الحبوب فى الفلج فى اقليم اليمامة فى العصر العباسى[١٢٧] .

ولا تمدنا المصادر بمعلومات مفصلة عن زراعة الخضروات والفواكه فى اليمامة ؛ سوى أن المصادر ذكرت قرية سدوس بأنها من أخصب قرى اليمامة ، وكانت تنتج كميات كبيرة من الرمان ، حتى أنه كان يباع المائة رمانة بدرهم وكان فى غاية الجودة ، ولقد عبر الحربى عن جودة وكثرة الرمان فى سدوس بقوله : « تخرج الرمانة كيلجة من حب أحلا شيء ... ثم لو وردتها ألف راحلة ما تبين ما يخرج منها »[١٢٨] . ويذكر أبوعبدالله السكونى بأن قرية سدوس لها رمان موصوف[١٢٩] .

وكانت الخَضْرَمة بستانا مشهورا بخصوبة التربة والانتاج الزراعى ، يقع فى اليمامة بين حجر (الرياض حاليا) وبين منفوحة « له خاصية فى عظم البصل »[١٣٠] . ويستشف من رواية ياقوت أن الزعفران كان يزرع فى ولدى المياه (وادى جلاجل) فى إقليم اليمامة[١٣١] .

وليس لدينا معلومات مفصلة عن التعامل الزراعى ، أو عن العمال الذين زاولوا مهنة الزراعة فى اليمامة فى العصر العباسى ، ولكن يبدو أن بعض الملاك كان يقوم على زراعة أرضه بنفسه أو بمساعدة رقيقه : يقول جابر بن قرة « كنا ننضح على حرث لنا بناحية أضاح ولنا غلام ونحن نعمل فى حرثنا ... »[١٣٢] . ويروى الأصفهانى أن رياض السّلى كانت تسقى من وادى بنبان ، وكان المزارعون يسكنون فى قبتين مبنيتين فى هذه الرياض[١٣٣] . ومن الملاك من كان يزارع على الأرض غيره كأن يدفع له جزءا من المحصول كأجرة على عمله . يقول خسرو بأن الفلاحين فى إقليم الفلج باليمامة كانوا يعملون فى المزارع « وأجر الرجل فى اليوم عشرة سيرات من غلة »[١٣٤] . وكان بعض المزارعين يستثمر أرض غيره مقابل مبلغ من المال يدفع سنويا ، فكان مروان بن أبى الجنوب بن أبى حفصة يستغل ضيعة فى اليمامة مقابل ألف درهم سنويا[١٣٥] .

○ الهوامش والتعليقات ○

* قدم هذا البحث الى الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب - المؤتمر التخصصى الأول الذى عقد فى الكويت من ١٠ - ١٤ ديسمبر ١٩٨٣ م - وموضوعه « الرى والفلاحه » .

(١) ابن الفقيه ، كتاب البلدان (ليدن : ١٣٠٢هـ) ، ص ٣٠ وحَجْر أقدم قاعدة لاقليم اليمامة ، ولقد قامت مدينة الرياض على أنقاض مدينة حجر . أنظر حمد الجاسر ، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ (الرياض : ١٣٨٦هـ) ، ص ٩

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض (دار الحياة ، بيروت) ص ٢٩ ، أبو الفدا ، تقويم البلدان (باريس : ١٨٤٠م) ص ٨ ، القلقشندى نهاية الأرب (القاهرة : ١٩٥٩م) ، ص ١٧ .

(٣) الأصفهانى ، بلاد العرب (الرياض : ١٣٨٨هـ) ص ٣٢٥ . لمزيد من المعلومات عن موقع اليمامة من الجزيرة العربية راجع كتابنا الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى نجد والحجاز فى العصر الأموى ، بيروت : ١٤٠٤ ، ص ٣١ وما بعدها .

(٤) انظر : صالح العلى ، تحديد الحجاز عند المتقدمين ، مجلة العرب ، ط ١ (سنة ١٣٨٨) ، ص ٢ ، ٩ ، عبدالله بن خميس ، معجم اليمامة (الرياض : ١٣٩٨هـ) ، ط ١ ، ص ١٧ .

(٥) الدينورى ، الأخبار الطوال (القاهرة : ١٩٦٠م) ، ص ١٦ - ١٧ .

(٦) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب (دار المعارف ، القاهرة) ، ص ٣٠ .

(٧) ابن هشام ، سيرة النبى ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، (القاهرة : ١٣٥٦هـ) ، جـ ٤ ، ص ٣١٦ - ٣١٧ ، ابن الأثير ، الكامل (القاهرة : ١٣٥٦هـ) ، جـ ٣ ، ص ٣٥٣ ، ويذكر ابن سعد أن ثمامه لما أسلم ضيق « على قريش فلم يدع حبة تأتيهم من اليمامة .. » انظر الطبقات (دار صادر بيروت) ، جـ ٥ ، ص ٥٥٠ . والميرة جلب الطعام للبيع ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب (طبعة بولاق) ، جـ ٧ ، ص ٣٩ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣٥٢ ، النوبرى ، نهاية الأرب (دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ مصارف عامة) . ورقة ١٤ .

(٩) الاصطخرى ، المسالك والممالك (القاهرة : ١٣٨١هـ) ، ص ٢٣ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣٨ ، الأدريسى ، نزهة المشتاق ، طبع الجزء الخاص بجزيرة العرب ، مجلة المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٨١م ، ص ٤٤ .

(١٠) ياقوت ، معجم البلدان (طبعة لا يبزج) ، ص ٨٤ المشترك وضعا (جوتنكين ١٨٤٥م) ، ص ٣٤٥ . وسدوس قرية لاتزال تعرف بهذا الاسم ، وهى بلدة عامرة ذات نخيل ومزارع . انظر : ابن بليهيد صحيح الأخبار (القاهرة : ١٣٩٢م) ، جـ ٣ ، ص ١٠٨ . وأبوعبدالله السكونى هو أحمد بن الحسن بن اسماعيل السكونى ، كان مختصا بالخليفة العباسى المكتفى ثم الخليفة المقتدر ، وقد ألف كتابا فى اسماء مياه العرب . انظر : ياقوت ، معجم الأدباء ، مطبعة دار المأمون ، القاهرة : ١٣٥٧هـ ، جـ ٣ ، ص ٨ - ٩ .

(١١) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٤١٩ . ولاتزال منطقة الخرج منطقة زراعية ذات غلة وانتاج انظر : عبدالله بن خميس ، معجم اليمامة ، جـ ١ ، ص ٣٧١ .

(١٢) المقدسى ، أحسن التقاسيم (ليدن : ١٩٠٦م) ص ٩٤ ..

(١٣) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٦٢ . وقرقرى أرض واسعة تعرف الآن باسم البطين ، وتشتهر بانتاج القمح والتمور وفيها عدد من القرى منها ضرماء ، والمزاحمية ، والعوبند والبرة . انظر عبدالله بن خميس ، معجم اليمامة ، جـ ٢ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٦ .

(١٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، (الرياض ١٣٩٤هـ) ، ص ٢٨٤ . اقليم الوشم اقليم واسع يقع جنوب القصيم ، ويضم عددا من القرى أهمها شقراء وأشيقر ، ومرات ، وثرمداء ، وأثيثية .
انظر : مصطفى الدباغ ، الجزيرة العربية (بيروت ١٣٨٢هـ) ، الجزيرة العربية (بيروت ١٣٨٢هـ) ، جـ ١ ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(١٥) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ص ٩٠٨ . والفلج في الجزء الجنوبي من اليمامة يعرف الآن باسم الأفلاج منطقة عامرة بالسكان والنخيل والزروع . انظر : عبدالله بن خميس ، معجم اليمامة ، جـ ١ ، ص ٩٥ ـ ٩٧ .

(١٦) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ . ويعرف الآن باسم العرض وأشهر قراه القويعية . انظر نفس المصدر ، ص ٢٣٦ ، هامش (٢) .

(١٧) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٥ . والفقي أصبح يعرب الآن باسم سدير ، وبه قرى كثيرة ومزارع . انظر : عبدالله بن خميس ، معجم اليمامة ، جـ ٢ ، ص ٢٥٦ .

(١٨) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ٣٥٢ . والخَضَارم تشمل الآن قرية اليمامة والسلمية والسيح في اقليم الخرج . انظر : الحربي المناسك (الرياض : ١٣٨٩هـ) ، هامش (١) .

(١٩) أنظر : ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٩ ، الأصفهاني ، الأغاني (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب) جـ ١٩ ، ص ٣٠١ ، جـ ٢٣ ، ص ١ جـ ٢٤ ، ص ١٣٧ .

(٢٠) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، (القاهرة : ١٣٤٩هـ) ، جـ ٣ ص ١٧١ ، ياقوت ، معجم الأدباء ، جـ ٣ ، ص ٣ ، العبودي ، أخبار ابي العيناء اليمامي (الرياض : ١٣٩٨هـ) ، ص ٨ .

(٢١) الحربي ، كتاب المناسك ، ص ٣٢١ ، ولاتزال قرية أضاح معروفة وتنطق وضاح . انظر : نفس الصفحة ، هامش (٢) .

(٢٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، (طبعة دار المعارف بمصر : ١٩٧٥) ، جـ ٩ ، ص ١٤٦ ، ١٤٨ .

(٢٣) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٥ .

(٢٤) حمد الجاسر ، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، ص ٧٠ ـ ٧١ ، عبدالله الشبل ، الدولة الأخيضرية ، مجلة كلية اللغة العربية ، العدد السادس (١٣٩٦هـ) ، ص ٤٦٣ .

(٢٥) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٥٨ .

(٢٦) اليعقوبي ، البلدان (ليدن : ١٩٨١م) ، ص ٣٣٤ .

(٢٧) ياقوت ، معجم البلدان (طبعة دار صادر ، جـ ٤) ص ٣١٩ . وقران تعرف الآن بالقرينة قرية عامرة ذات نخيل ومزارع انظر : ابن خميس ، معجم اليمامة ، جـ ٢ ، ص ٢٦٨ .

(٢٨) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ١٤٠ . والمنّ يساوي شرعا رطلين ، كل رطل ١٣٠ درهما . انظر : هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية ، عمان : ١٩٧٠ ، ص ٤٥ ـ ٤٦ .

(٢٩) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٩ ، الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٠٥ .

(٣٠) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٦٣ ، (رواية السكوني) .

(٣١) البلاذري ، فتوح البلدان ، (القاهرة : ١٩٥٦) ، جـ ١ ، ص ١١١ .

(٣٢) نفس المصدر ، ص ١١٢ .

(٣٣) البكري ، معجم ما استعجم ، (القاهرة : ١٣٦٤هـ) جـ ٤ ، ص ١٢١٤ .

(٣٤) البلاذرى ، فتوح البلدان ، جـ ١ ، ص ١١١ .
(٣٥) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٩ ، ص ٢٣٢ .
(٣٦) ياقوت ، معجم البلدان ، (جـ ٤ ، ص ٦٣ . والبره لاتزال موجودة وتبعد عن الرياض حوالى تسعين كيومترا .
(٣٧) الأصفهانى ، الأغانى ، جـ ٢٤ ، ص ١٤٢ ، ويقول عمارة بن عقيل :

عجبت لتغريسى نوى التمر بعدما
طلعت من السبعين أو كدت أفعل .

انظر الهجرى ، التعليقات والنوادر ، دار الرشيد ، بغداد : ١٩٨١م ، جـ ٢ ص ١٥٩ .
(٣٨) نفس المصدر ، ص ٢٥٣ .
(٣٩) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ١٢١ ، المشترك وضعا ، ص ١٣ . وأثيفية قرية من قرى الوشم ، لاتزال موجودة وتنطق أثيثية . انظر مصطفى الدباغ ، الجزيرة العربية ، ص ١٦٠ .
(٤٠) الأصفهانى ، بلاد العرب ، ص ٣٦٢ ، وثنية الأحيسى تعرف الآن بالحيسية وبعد اصلاحها ومرور السيارات منها سميت (سبع الملفات) . انظر : عبدالله بن خميس ، معجم اليمامة ، ج ١ ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .
(٤١) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٥٤٤ ، والمشترك وضعا ، ص ٣٩٨ . والمصانع قرية معروفة إلى هذا العهد ، من ضواحى مدينة الرياض ذات نخيل ومزارع . انظر عبدالله بن خميس ، معجم اليمامة ، جـ ٢ ، ص ٣٧٠ . والحفصى هو محمد بن ادريس بن ابى حفصه اليمامى ، عاش فى القرن الثالث الهجرى وهو أول من ألف كتابا عن اليمامة ، وكان هذا الكتاب من مصادر ياقوت ، وقد أكثر عنه النقل ، لكن كتابه عن اليمامة مفقود ، انظر : مجلة العرب ، جـ ٣ ، السنة : ١٣٨٩/١٩٦٩ ، ص ٦٦٠ .
(٤٢) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٧٠٠ . انظر : عرام ، أسماء جبال تهامة (طبع ضمن نوادر المخطوطات ، القاهرة : ١٣٩٤هـ) ، ص ٤٢١ . وعقيق بنى عقيل يقع بين وادى الدواسر والسليل . انظر بن خميس معجم اليمامة ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ .
(٤٣) الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٤٤ .
(٤٤) الأصفهانى ، بلاد العرب ، ص ٣٢٨ . ويقول الاستاذ عبدالله بن خميس بأن البَالديّة هى ما يعرف الآن بالفاقعة بالقرب من صلبوخ منزل بنى غبر « أصحاب النخل باليمامة الذى يصرم فى السنة مرتين » . انظر : معجم اليمامة ، جـ ١ ، ص ١٣٣ .
(٤٥) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٧٩٤ ، والمشترك ، ص ٤١٩ .
(٤٦) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٦٩٩ ، والمشترك وضعا ، ص ٣١٤ ، والعقير هى التى اتخذها إبراهيم بن عربى وإلى اليمامة لعبد الملك بن مروان مقرا له ، ويقع فى متسع من وادى العرض أسفل بلدة العيينة ، ويرجح الجاسر أن يكون فى سوقع المغيدر الآن ، انظر : مدينة الرياض ، ص ٦١ .
(٤٧) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٧١٧ .
(٤٨) الهمدانى ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٤ .
(٤٩) نفس المصدر ، ص ٣٠٤
(٥٠) الأصفهانى ، بلاد العرب ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ . الشطبتان يسميان الآن الشطبية والضبعية. انظر : نفس المصدر ص ٢٢٦ ، هامش (٣) .
(٥١) نفس المصدر ، ص ٢٢٧ . ووادى الغيل لايزال معروفا فى اقليم الأفلاج ، ولايزال كثير المياه كثير التمور .

انظر : الحربي ، المناسك ، ص ٦٢٢ ، هامش (١) .

(٥٢) الزمخشري ، الجبال والأمكنة والمياه (بغداد : ١٩٦٨م) ، وياقوت معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٤١٩ .

(٥٣) نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ٨٤ .

(٥٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٥ ، ٣٠٦ .

(٥٥) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٥٧ .

(٥٦) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ (رواية الحفصي) .

(٥٧) نفس المصدر ، جـ ٥ ، (طبعة صادر : بيروت) ، ص ١١ ـ ١٢ .

(٥٨) نفس المصدر ، جـ ١ (طبعة صادر ، بيروت) ، ص ٤٩٧ ، ولايزال بنبان معروفا إلى اليوم ويبعد عن الرياض بحوالى خمسين كيلا شمالا . ابن خميس ، معجم اليمامة ، جـ ١ ، ص ١٨٠ .

(٥٩) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٣٥ .

(٦٠) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣١٠ .

(٦١) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٩ .

(٦٢) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ . ولايزال السُّلي معروفا ويقع فى شرق مدينة الرياض ، ويقطعه طريق المنطقة الشرقية . انظر : نفس المصدر ، ص ٢٠٣ ، هامش (٤) .

(٦٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨ .

(٦٤) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٨ .

(٦٥) نفس المصدر ، ص ٢٨ .

(٦٦) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٢ .

(٦٧) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٣٠٦ .

(٦٨) خسرو ، سفرنامه ، (ترجمة يحيى الخشاب ، بيروت ١٩٧٠) ، ص ١٤٠ ، ١٤٢ .

(٦٩) عرام ، اسماء جبال تهامة ، ص ٤٢١ . ويُعرِّف عرام فى نفس الصفحة البثر بأنه « يشبه الأحساء ويجرى تحت الحصى على مقدار ذراع وذراعين ودون الزراع » .

(٧٠) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .

(٧١) نفس المصدر ، ص ٢٨٥ .

(٧٢) نفس المصدر ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣١٢ .

(٧٣) نفس المصدر ، ص ٣٠٤ .

(٧٤) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٢ .

(٧٥) الأدريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٤٥ .

(٧٦) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٣٠٤ .

(٧٧) خسرو ، سفرنامه ، ص ١٤٠ .

(٧٨) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٩ .

(٧٩) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٢٣ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣٨ ، الادريسي ، نزهة المشاق ، ص ٤٤ .

(٨٠) خسرو ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

(٨١) الادريسى ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .
(٨٢) الأصفهانى ، بلاد العرب ، ص ٢٢٢ ، وانظر أيضا : رواية السكونى فى معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٩٠٨ .
(٨٣) الأصفهانى ، بلاد العرب ، ص ٢٢٥ .
(٨٤) نفس المصدر ، ص ٢٢٥ .
(٨٥) الهمدانى ، المصدر السابق ، ص ٣٠٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٤٤ .
(٨٦) الهمدانى ، المصدر السابق ، ص ٣٠٤ .
(٨٧) الأصفهانى ، بلاد العرب ، ص ٢٢٦ .
(٨٨) نفس المصدر ، ص ٢٢٧ .
(٨٩) الحربى ، المناسك ، ص ٦٢٢ .
(٩٠) خسرو ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
(٩١) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ ، ص ٤٩٧ ، جـ ٣ ، ص ٦٩٩ ، جـ ٤ ، ص ٣١١ ، ٥٤٤ ، جـ ٥ ، ص ١١ ـ ١٢ ، ٣٥٩ .
(٩٢) ياقوت ، المشترك وضعا ، ص ٤١٩ .
(٩٣) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٧٠٠ .
(٩٤) الهمدانى ، المصدر السابق ، ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ، الزمخشرى ، المصدر السابق ، ص ٨٣ ، ياقوت ، جـ ٢ ، ص ٤١٩ .
(٩٥) الزمخشرى ، المصدر السابق ، ص ٢١٤ . ومنفوحة تقع جنوب الرياض ، وامتد العمران إليها وأصبحت أحد أحياء مدينة الرياض : أنظر : ابن خميس ، معجم اليمامة ، جـ ٢ ، ص ٤٠٠ .
(٩٦) البكرى ، معجم ما استعجم ، جـ ٤ ، ص ١٢٧٦ .
(٩٧) الهمدانى ، المصدر السابق ، ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .
(٩٨) نفس المصدر ، ص ٣٠٨ ، الأصفهانى ، الأغانى ، جـ ٢٤ ، ص ١٤٢ .
(٩٩) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٩٢٢ .
(١٠٠) الهمدانى ، المصدر السابق ، ص ٣٠٨ .
(١٠١) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٥ (طبعة دار صادر : بيروت) ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .
(١٠٢) الأصفهانى ، بلاد العرب ، ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ . وبلدة تمير لاتزال معروفة فى اقليم سدير ، أما تمر فهى بلدة تسمى الآن تمريه بالقرب من تميرة معجم اليمامة ، جـ ١ ، ص ٢٠١ .
(١٠٣) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣١٢ ، جـ ٤ ، ص ٦٢ . والهزمة والأطواء غير معروفتان الآن أما قَرْماء فتعرف باسم ضرماء أنظر ، ابن خميس ، معجم ، اليمامة ، ج ٢ ، ٩٢ .
(١٠٤) نفس المصدر (طبعة دار صادر بيروت) ، جـ ١ ص ، ٦٠ . وأباض تسمى الآن بوضه وتقع فى أعلى وادى حنيفة . راجع : ابن خميس ، معجم اليمامة ، جـ ١ ص ٤٩ ـ ٥٠ .
(١٠٥) ياقوت ، معجم البلدان (طبعة دار صادر بيروت) جـ ١ ، ص ٥٢٧ .
(١٠٦) الأصفهانى ، بلاد العرب ، ص ٢٧٣ .
(١٠٧) ياقوت ، معجم البلدان ، (طبعة دار صادر بيروت) جـ ٥ ، ص ١٤ .
(١٠٨) الهمدانى ، المصدر السابق ، ص ٣٩٨ .

(١٠٩) الأصفهانى ، بلاد العرب ، ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ .
(١١٠) الهمدانى ، المصدر السابق ، ص ٣١٠ .
(١١١) الهجرى ، التعليقات والنوادر ، النسخة الهندية (دار الكتب المصرية ٣٤٢ لغويات) ، ص ١٦٤ . والريِّب يعرف الآن باسم الرين فيه قرى وسكان انظر سعد بن جندل ، الريم ، الريب ، الرين ، مجلة العرب ، جـ ٧ ، جـ ٨ السنة ١٣٩٦هـ ص ٦١٦ ـ ٦٢٠ .
(١١٢) الهمدانى ، المصدر السابق ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .
(١١٣) خسرو ، سفرنامه ، ص ١٣٨ .
(١١٤) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٣٦٠ ، (رواية الحفصى) . ويسمى الوَتَر الآن صلبوخ وهو غير الوُتُر الذى يسمى الآن البطحاء . انظر : معجم اليمامة ، جـ ٢ ، ص ٣٠ .
(١١٦) نفس المصدر ، ص ٢٩ .
(١١٧) الهمدانى ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧ .
(١١٨) نفس المصدر ، ص ٣٠٧ .
(١١٩) خسرو ، سفرنامه ، ص ١٤٠ .
(١٢٠) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٩ .
(١٢١) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٧٠٤ . والشرِّيف يسمى الآن الشريفة أو الشرفه وتقع فيه بلدة الشعراء . انظر : سعد بن جنيدل ، عالية نجد ، (الرياض ١٣٩٨هـ) ، ص ٢٥٧ .
(١٢٢) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٦٢ .
(١٢٣) الأصفهانى ، بلاد العرب ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .
(١٢٤) نفس المصدر ، ص ٣٠٥ ، ٣٢٨ ، الهمدانى ، المصدر السابق ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، جـ ٤ ، ص ٦٢ .
(١٢٥) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٩٩ .
(١٢٦) نفس المصدر ، ص ٩٧ .
(١٢٧) خسرو ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
(١٢٨) الحربى ، المناسك ، ص ٦١٨ .
(١٢٩) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٨٤ .
(١٣٠) ياقوت ، معجم الأدباء ، جـ ٢ ، ص ، ١٢٤ . ويجب أن نلاحظ أن الخَضْرَمة (فتح الخاء وسكون الضاد وفتح الراء) ليست الخِضرِمة (بكسر الخاء ، وسكون الضاد ، وكسر الراء) أو الخضارم والتى تقع فى الخرج . انظر ابن خميس ، معجم اليمامة ، جـ ١ ، ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ .
(١٣١) نفس المصدر ، (طبعة صادر : بيروت) ، جـ ٥ ، ص ٣٤٦ . ووادى المياه يعتبر من أشهر أودية سدير ويسمى أيضا وادى جلاجل . انظر : ابن خميس ، معجم اليمامة ، جـ ٢ ، ص ٤٣١ . وذكر الحفصى أن أول ما يسقى جلاجل وادى المياه معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٣٤٦ .
(١٣٢) الحربى ، المناسك ، ص ٢٣١ .
(١٣٣) الأصفهانى ، بلاد العرب ، ص ٣٠٤ .
(١٣٤) خسرو ، سفرنامة ، ص ١٤٠ . والسير يزن خمسة عشر مثقالا من غلة انظر : نفس الصفحة هامش (٢) .
(١٣٥) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٩ ، ص ٢٣٢ .



للأستاذ عبد الله السيد شرف

اللغة هي إحدى مقومات الأمة .. ولبنة من لبنات حضارتها ، واللغة العربية هي أثرى اللغات .. وهي اللغة التي ارتبطت بأشرف الرسالات السماوية ، وأتمها ..

ولهذا .. فقد حاول المغرضون مرارا ان ينالوا منها .. بالطعن تارة .. وبالقذف بالأحجار تارة اخرى .. فقالوا عنها إنها عسرة الهضم .. كثيرة المترادفات .. والمتضادات .. ثم إنها ظلمت المرأة ! والحل عندهم يكمن في احلال العامية محل الفصحى .. !!

وما أبطل دعواهم .. وأفشل محاولاتهم ..! فهم لا ينطقون بحق ولا يبتغون الصواب .. لكنها حاجة في النفس ، يعرفها كل عربي يعتز بعربيته ، وبلسانه العربي الفصيح !

قيل عنها إنها قاصرة عن مسايرة العصر وملاحقة ركبه .. وأنها كثيرة الترادفات .. عقيمة القواعد .. عسرة الفهم .. و .. و .. ثم أخيرا قيل إنها ظلمت المرأة .

تلك هي اللغة العربية .. التي تنفرد ـ دون بقية اللغات ـ بأنها الوحيدة التي لاقت من الكيد والحروب ما لم تلاقه لغة اخرى .. وما ذلك الاّ لأنها لغة العرب .. خير أمة أخرجت للناس .. ولأنها ترتبط بالنور والهدى الذي جاء به محمد ﷺ وكم هي بريئة من كل ما ألصقوه بها من تهم وافتراءات .. فهي اللغة التي رفع اصحابها لواء أعظم حضارة عرفها العالم ، يوم أن كانوا يستظلون بحروفها الوارفة وتشحذ هممهم كلماتها الواعية ، فتدفعهم الى الاقدام والتفاني ..

وهي اللغة التي اختارها الله ـ جل شأنه ـ لتكون لغة خير أمة أخرجت للناس، هي اللغة التي نزل بها كتابه الكريم المعجز . قال عنه : بلسان عربي مبين ، لقد انزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم .

وكما لا توجد حضارة بلا أمة فإنه لا توجد أمة تعتز بمكانتها إلاّ ولها لغة يتجمعون تحت رايتها وتكون أساسا متيناً للبنيان الحضاري .

من أجل هذا كله . حاول أعداء العربية أن ينالوا منها ، وأن يطعنوا فيها بمقولاتٍ القصد منها إشاعة الفرقة ، والتفكك ؛ ليسهل الفتك والافتراس ، فالذئب إنما ينقض على الفريسة القاصية .

وفي هذه الكلمة سنقف قليلا على ضفاف هذه اللغة لننهل من نهرها العذب ونغوص في مائها الصافي، محاولين أن نفند ما ألصقوه بها من تهم ، هي منها براء ، وأن ننحي ما ألقوه فوق صفحتها من أوشاب وأدران .

○ النحو العربي ○

وُضع علم النحو على يد أبي الأسود الدؤلي بإشارة من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وذلك خوفاً على اللغة من أن ينتشر فيها اللحن ثم التحريف ، وبخاصة وأن الرقعة

الإسلامية قد اتسعت ، ودخل الساحة من لا يتقن اللغة .

وقد تم وضع النحو بطريقة الاستقراء فكانوا يتتبعون كلام العرب ثم يدونون . أى أنه لم يقم على الاستنتاج الذى يحتمل ان يقع فى الخطأ قدر وقوعه على الصواب ..

فما الذى حدث بعد كل هذه القرون ليرفعوا فى وجه النحو راية العصيان والتنكر ، وهو أساس كل علم .

ـ يقول أبو بكر بن مجاهد : كنت عند أبى العباس أحمد بن يحيى « ثعلب » فقال لى : يا أبا بكر .. اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا ، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا ، واشتغلت أنا بزيد وعمرو .. فليت شعرى ماذا يكون حالى فى الآخرة ، فانصرفت من عنده فرأيت تلك الليلة النبى ﷺ فى المنام فقال أقرئ أبا العباس منى السلام وقل له إنك صاحب العلم المستطيل ..

قال الروذبارى أى أن جميع العلوم مفتقرة إليه[1]. فلماذا يغيرون عليه الآن ، ويرتفع صوتهم ليطالبوا بتبسيط النحو .. وأيهما أفضل .. أن نرتفع إلى مستوى النحو ـ وهو ثابت أم نهبط به إلى مستوياتنا العقلية وهى متفاوتة من شخص لآخر ؟! إن هذا يذكرنى بما حدث لأبى تمام ؛ فقد روى : أن رجلا قال للطائى فى مجلس حفل وأراد تبكيته لما أنشد : يا أبا تمام لم لا تقول من الشعر ما يفهم ؟

فقال له : وأنت لم لا تفهم من الشعر ما يقال ؟ ففضحه[2]. لقد وصفوا عصرا من العصور بالانحطاط ؛ لأن اللغة ضعفت فى هذا العصر فأصيبت أقلامهم بالاعوجاج وألسنتهم بالركاكة ، فماذا يكون الحال عندما تموت اللغة ، ويشنق النحو وهو الذى قالوا عنه إن النحو فى العلم بمنزلة الملح فى القدر ، بل إنهم كانوا يتواصون فيما بينهم « إذا سرك ان تعظم فى عين من كنت فى عينه صغيرا ، ويصغر فى عينك من كان عظيما فتعلم العربية » ، وقد تعلموها ، وشدوا إليها الرحال من كل جانب ، فكان منهم الزهراوى .. وابن النفيس .. والرازى .. وابن خلدون .. والمعرى .. وطارق بن زياد . ولإحساسهم بجمال العربية ودقتها قال البيرونى : أن تهجونى بالعربية أفضل عندى وأحب إلىّ من أن تمدحونى بالفارسية .. ولا شك أنها عشقتهم مقدار عشقهم لها فدانت لهم قطوفها ، ودلتهم على دروبها ومسالكها ، فأقاموا حضارة ظلت أوروبا تنهل منها حتى وقت قريب ، وهى أساس ما هم فيه من تقدم فى شتى الجوانب ..

وكم أنقذت اللغة من أسير ، وكم فك النحو من قيود المسجونين ، ولولا معرفتهم ببواطنها

لواجهوا ما لا يحسدون عليه .. وكم حلّت الفتحة الأغلال. وكسرت الضمة سلاسل الأسراء .

رُوى أن عبد الملك بن مروان أخذ رجلا كان يرى رأى الخارج ، رأى شبيب فقال له :

ألست القائل : ومنّا سُوَيدٌ والبَطِينُ وقَعْنَبُ   ومنّا أميرُ المؤمنين شَبِيبُ

بضم الراء من « أمير » فقال : إنما قلت : ومنا أمير المؤمنين شبيب بفتح الراء منها ، « أى يا أميرَ المؤمنين » فأمر بتخلية سبيله (١) .

وقد قيل إن تحريف المسيحية جاء لأنهم أسقطوا ـ الشدة ـ فتغير المعنى .. كانت الكلمة : يا عيسى إنى ولّدتك من بتول ، بتشديد اللام ، فلما أسقطوها أُسقطوا فى الضلال والشرك . وقد كان القدماء يستغفرون الله تعالى عند اللحن ، وهذا هو الرسول ﷺ يقول للصحابة رضوان الله عليهم ـ حين لحن بحضرته رجل ـ أرشدوا أخاكم فقد ضل ..

أما الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد أمر بضرب الكاتب الذى أخطأ ، فقد جاءه كتاب من كاتب لأبى موسى الأشعرى يقول فيه : من ـ أبو موسى ـ فيكتب له عمر : سلام عليك .. أما بعد : فاضرب كاتبك سوطا واحدا وأخِّر عطاءه سنة (٤) .

بعد كل هذه القرون العديدة يكتشفون أن اللغة قاصرة عن ملاحقة العصر بأدواته ومخترعاته .. ولا نعرف من أين جاء هذ القصور وهذا العجز ، والعربية بِلَدائِنِ حروفها أطوع اللغات على التشكيل والإثراء،لكنهم يصرّون على إلقاء اللغة وسط بحار العجز ثم يطالبونها بألاّ تبتلّ .. فإذا ما وضعت المجامع العربية ألفاظاً عربية لمستحدثات جديدة ، وجدناهم يهملونها عمداء بل ويطلقون النكات السخيفة ويروجون لها ،ورحم الله حافظ ابراهيم حيث يقول :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية   وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة   وتنسيق أسماء لمخترعات

وما زالت الأيام تثبت أن العربية أقدر من غيرها على احتواء الكثير من المصطلحات الحديثة ، إن نحت المصطلحات الفلسفية الوجودية الحديثة الصعبة أكبر دليل على ثراء اللغة العربية ، فقد عجزت اللغات الأوروبية رغم وحدة أصولها أن تجد مرادفا لعشرات المصطلحات الألمانية .. واليونانية ، ولكن اللغة العربية استطاعت ذلك (٥) ثم .. هل اللغة العربية وحدها هى التى يصعب فهمها دون بقية اللغات ، ولماذا لم يحاول أحد أن ينال من الصينية،وهى أصعب بكثير من اللغات مجتمعة ؟ لكنها حاجة فى النفس ..

والغريب فى الأمر، أننا نجد الكثيرين من أبناء العربية ينساقون وراء تلك الادعاءات، ويردّدون ما قاله المغرضون دون أن يتنبهوا لخطورة ما يروجون، ولو أنهم بذلوا جهدهم العلمى فى ترجمة المصطلحات الأجنبية ليسهل تدريسها لكان خيرا لهم[٦].

○ الترادف ○

من التهم الموجهة الى اللغة العربية، ما يقال تحت اسم الترادف .. وهو كما يقولون اتفاق لفظين أو أكثر فى معنى واحد، مما يعد تكثيرا لا فائدة منه، ونود فى البداية أن نذكر ما قالته المراجع عن الردف .. والترادف. تقول المراجع: ردف الرجل .. وأردفه ركب خلفه على الدابة.

والردف شىء خلف شىء فهو الترادف، الجمع الردافى، وفى حديث بدر« فأمدهم الله بألف من الملائكة مُردفين » .. أى متتابعين وترادفت الكلمات .. تشابهت فى المعنى:

هذا ما قالته لنا المعاجم .. ومن هذه التعريفات يتضح لنا أن التعريف الذى وضعه المحتجون على اللغة لا يوافق ما ادّعوه .. إذ أن الترادف لا يعنى الاتفاق، كما يقولون .. فلا يشترط فى التابع أن يكون هو عين المتبوع .. فلكلٍّ شخصيته المستقلة عن الآخر .. على أننا لن نتوقف كثيرا أمام هذه المسألة، لكن سننتقل الى ذكر ما قاله أبو هلال العسكرى عن الفروق اللغوية. يقول أبو الهلال: كما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين، فكذلك لا يجوز أن اللفظين يدلان على معنى واحد؛لأن فى ذلك تكثيرا للغة بما لا فائدة منه: إلى أن يقول:والشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعانى، أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى شىء مرة واحدة فعرف، فالإشارة إليه ثانية .. وثالثة غير مفيدة، وواضع اللغة حكيم لا يأتى فيها بما لا يفيد[٧]. هذا ما ذكره العسكرى. ويتضح منه انه ينفى وجود الترادف .. ويدلّل على صدق قوله بإيراده مجموعة كبيرة من الفروق الدقيقة بين الكلمات المختلفة اللفظ، والتى يظن أنها متشابهة المعنى، كالكأس والقدح، والعام والسنة .. و .. و .. إلى آخر ما احتواه كتابه المفيد.

والذى نريد أن نذكره هو:هل انبثقت العربية من قبيلة واحدة ؟ ثم هل وجد الترادف فى لغة القبيلة الواحدة ؟ روى ابن عباس رضى الله عنهما قال:كنت لا ادرى ما فاطر السموات والأرض حتى سمعت أعرابيا ينازع فى بئر فقال: أنا فطرتها ـ يريد أنشأها[٨]

وهذا يعنى أن الألفاظ لم تكن واحدة عند كل القبائل أى أن اللغة غير مسئولة عن الترادف . ومعلوم أن العرب قبل الاسلام كانوا قبائل متفرقة لكل قبيلة لهجتها الخاصة ، ومسمياتها الخاصة ، وهذا ما أوجد ما يسمى بالترادف .

وقد اكد الدكتور شوقى ضيف ، ذلك مرجعا الأمر كله الى اختلاف اللهجات والقبائل فيما وضعته للمعانى الحسية والذهنية من أسماء وأفعال [٩]. فلما جاء الإسلام بنوره المشرق وتعاليمه السامية جمع كل هذه القبائل تحت راية واحدة ، وللتأكيد على أهمية الوحدة والتكاتف نجد فى القرآن الكريم عدة ألفاظ لم تعرفها قريش من قبل ـ قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، إنما الفصاحة لنا أهل مكة .. فقال ابن المناذر : أمّا ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن وأكثرها له موافقة ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم . أنتم تسمون القِدر برمة وتجمعون البرمة على برام . ونحن نقول قدر .. ونجمعها على قدور ، وقال الله عز وجل : « وجفان كالجواب وقدور راسيات ».وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت عليّة وتجمعون هذا الاسم على علالى ، ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غرفات وغرف . وقال الله تبارك وتعالى : « غرف من فوقها غرف مبنية « وهم فى الغرفات آمنون » [١٠].

يتضح من هذا كله أن الترادف راجع إلى اختلاف القبائل ، وبعدها عن بعضها البعض .. ولا وجود لهذا الأمر بين القبيلة الواحدة ، فلو وجد الترادف عند القبيلة لكان ابن عباس على علم تام بمعنى كلمة فاطر ، أما أن الترادف تكثير لا فائدة منه ، فهذه الكلمة جانبها الكثير من الصواب ، إذ لولا هذا الترادف لما استمتعنا بهذا الكم الهائل من الشعر ، أو فن العربية الأول ـ فلولاه ما كان للشاعر حرية التنقل من غصن لآخر ليسمعنا أعذب الألحان والأنغام ، وكيف يتأتى له ذلك ، والوزن يقيده ، والقافية تحدّه لكن مع ثراء اللغة يستطيع الشاعر أن ينتقى من بينها ما يناسب قافيته ويضيف إلى القصيدة بعداً جماليا فريدا .

هذا عن الترادف ، وإن كان هناك العديد من الألفاظ التى يبدو للمرء أول وهلة أنها متشابهة المعنى .. لكن بالعودة إلى المراجع يكتشف أن بينها اختلاف واضح وتباين ظاهر .

أمّا عن التضاد فقد أرجعه الدكتور شوقى ضيف إلى أنهم كانوا فى الجزيرة متباعدين ، وقد تطلق قبيلة كلمة على مسمى ولا تسمع بها القبيلة البعيدة فتضعها لمسمى يضاده ، ويكون ذلك اتفاقا ومحض مصادفة [١١] .

ولنا أن نسأل الآن .. هل العربية هى التى تنفرد بوجود الترادف .. والتضاد ؟ فى اللغة

الانجليزية مثلا كلمة Spring تعنى عندهم « ربيع » .. ونفس الكلمة بنفس الحروف تعنى « ينبوع » .. ثم هى أيضا تعنى « زمبرك » .. وأيضا « يقفز » ، وكل هذه الكلمات لا يمت بعضها لبعض بصلة قربى ، أو وشيجة نسب . فهل اتهمت الانجليزية بما اتهمت به لغة القرآن الكريم ؟ .. أم أن الأمر « شنشنة » معروفة من أخزم .

○ « العربية والمرأة » ○

قيل مؤخرا .. إن المعاجم العربية ظلمت المرأة ، فقد قالت امرأة نازلة ، والنازلة هى الداهية .. وإذا وقعت فهى واقعة .. والواقعة من أسماء القيامة .. ثم إن المعاجم حرمتها التاء الخاصة بها فى الأوقات التى تحتاج إليها فيها ، فقالت : مرضع .. وطالق ولم تقل : مرضعة . وطالقة :

ولست أدرى ماذا يقصد من وراء هذا ؟ أهى محاولة لحذف تاء التأنيث التى اختصت بها المرأة وحدها والتى تدخل لتفرق بين المذكر والمؤنث فى حالة اللبس فلا يعقل أن يقال : امرأة حبلة لاستحالة صرف المعنى للرجل ، إذ ما الداعى لتاء التأنيث والكلمة مؤنثة بنفسها ، أم أن الأمر فقط إشعار المرأة بأنها مظلومة لتطالب بالمزيد من الحرية ؟ .. ثم لماذا لم تظلمها المعاجم حين قالت امرأة كريمة ، عفيفة ، جميلة ، صبورة ، مليحة .. وهل التأنيث لاسم الشمس عيب أم التذكير فخر للهلال ؟ .

اللغة العربية لم تظلم المرأة كما قيل .. بل إنها أعطت لكل ذى حق حقه ، وكما قالت مرضع . قالت أيضا مرضعة .. وفى القرآن الكريم : « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت » وهذا من جماليات الأسلوب القرآنى المعجز ، فكلمة مرضع لا تحتاج إلى التأنيث فهى لا تصرف إلاّ إلى المرأة ، فلا يقال أبداً رجل مرضع ، لكن إن دخلت التاء فلا بد أن هناك إضافة ما تودّ اللغة أن تنبهنا لها .. فالمرضع من لها طفل ترضعه أو التى فى ثديها لبن ، أما المرضعة فهى التى تضع ثديها فى فم الصغير ، أى أن هول يوم القيامة سوف يذهل الناس حتى أن المرأة ستذهل عن وليدها رغم أنه ملتصق بها .

○ « الدعوة الى العربية » ○

نصل بعد هذا إلى الدعوة التى ينادون بها بين الحين والآخر . زاعمين أنها الحل الأمثل

وتتلخص دعواهم تلك فى إحلال العامية محل الفصحى . وتعود جذور هذه الدعوة الى عام ١٨٨١ م ، حيث تبنت الدعوة مجلة « المقتطف » التى كان يصدرها يعقوب صروف .. ثم أعيدت الدعوة مرة أخرى إلى عام ١٩٠٢ م ، عندما ألف القاضى ولمور كتابا أسماه « لغة القاهرة » اقترح فيه اتخاذ لغة القاهرة لغة للعلم والأدب .. كما اقترح كتابتها بالحروف اللاتينية . ثم عاد « وليم ولكّوكس » عام ١٩٢٦ م ، ليدعو إلى هجر اللغة العربية وأيّده سلامة موسى [١٢] ولا شك أننا جميعا نشم فى هذه الدعوة رائحة إشاعة الفرقة بين أبناء خير أمة أخرجت للناس ، فلهجة القاهرة العامية تختلف عن لهجة سوهاج ، ولهجة سوهاج تختلف عن لهجة الاسكندرية ، وكلها مدن داخل دولة واحدة ، كما أن شعر الربابة فى مصر غير مفهوم لأهل المغرب ، والشعر النبطى فى المملكة العربية السعودية لا يستسيغه أبناء مصر ، فكيف نترك ما يفهم ونتمسك بما لا يفهم ؟ . من المؤكد أننا لو أحللنا العامية محل الفصحى فسنعيش فى تباعد وتنافر،حتى إذا اشتكى أى عضو من أَلَمٍ أَلَمَّ به فلن يخفّ لنجدته العضو المجاور له،وأنّى له ذلك وهو غير قادر على فهم لغته رغم قرب المسافة وتلاحم الديار ، وسيصبح العرب لقمة سائغة تؤكل كما أكل الثور الأبيض ، فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه الى التلاحم والوقوف صفاً فى وجه أصحاب مبدأ :« فرِّق تسد » .

ويأتى بعد ذلك جيل لا يعرف عن لغته الفصحى أى شىء .. فيختلط عليه الأمر .. فيهجر القرآن الكريم،الذى ما إن تمسكنا به فلن نضل أبداً ، حتى إذا قرأه فسوف يدخل فيه ما ليس منه ويسوء الفهم لسوء القراءة ، ثم يكذب على الرسول ﷺ رغم نهيه عن ذلك ، قال الاصمعى : أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل فى جملة قول النبى ﷺ : من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . [١٣]

OOOO

اللغة العربية .. هى لغة الجمال ، والحق .. لا يشعر بهذا إلاّ من عايشها ونام على وسائد كلماتها ، واستيقظ على شقشقة ألفاظها ، ودافع عنها وعن ديارها بعد أن أثارت همّته أسنّةُ حروفها ؛ ولهذا فقد عنى بها الأولون ، وأولوها عنايتهم واهتمامهم وشاركهم الكل فى الإحساس بها العامة والخاصة ، والحاكم والمحكوم ، بل إنهم أنفوا من اللحن :

وازداد تعجبهم على من يلحن حتى ولو كان خليفة . تكلم أبو جعفر المنصور فى مجلس فيه أعرابى فلحن .. فصرّ الأعرابى أذنيه « أصغى باهتمام » فلحن مرة أخرى أعظم

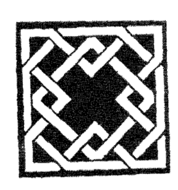
من الأولى .. فقال الأعرابى : أفٍّ لهذا .. ما هذا ؟ ثم تكلم ، فلحن الثالثة فقال الأعرابى : « أشهد لقد وليت هذا الأمر بقضاء وقدر ». (١٤) لقد رأى الرجل أن الخليفة ليس جديرا بهذا المنصب لأنه لحن فى كلامه ، بل إن أعرابيا دخل السوق فسمعهم يلحنون . فقال : « العجب يلحنون ويربحون » (١٥) وهو تعجب يدل على حبهم للغتهم وإستنكارهم للإساءة إليها .. فهم أهل فصاحة وبلاغة ، أشربوا حبها .. وأحسوا ببواطن جمالياتها دون معلم أو مرشد .

روى أن رجلا فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ : « فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم » فقال الأعرابى : « لا يكون » (١٦) يعنى أن فى هذا إغراء على الزلل، فتنبه الرجل إلى أنه أخطأ .. وأن صحة الآية الكريمة : « فاعلموا أن الله عزيز حكيم » .

لقد أحبوا لغتهم .. وشدوا إليها الرحال .. وجابوا من أجلها القفار بغية أن يغترفوا من نهرها العذب السخى .. فكانت أملهم فى الصحو .. ورؤياهم فى المنام .. بل إن منهم من راح يصرّح وهو على فراش الموت : « أموت وفى نفسى شىء من حتى » !!

فلا أقل من أن نحافظ على ما تركوه لنا بدلا من أن نهدمه ونشوّه جماله .. لقد نزل القرآن الكريم . باللغة العربية ، قائلا : كهيعص ، حم .

فعلينا أن نحافظ على لغة القرآن الكريم .. متذكرين دائما قول الله تعالى « قرآنا عربيا غير ذى عوج » .



المصادر

١ ـ الأهرام ـ جريدة ١٤٠٢/٥/١٩ هـ . ١٩٨٢/٣/٥ .

٢ ـ البيان والتبيين. الجاحظ دار الكتب العلمية .

٣ ـ العصر الجاهلي . د . شوقي ضيف ، دار المعارف . الطبعة الثامنة ١٩٧٧ م .

٤ ـ العمدة . ابن رشيق دار الجيل . الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م .

٥ ـ عيون الأخبار . ابن قتيبة . الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣ م .

٦ ـ الفاضل . المبرد . تحقيق عبد العزيز الميمني . الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٥ م .

٧ ـ الفروق في اللغة . ابو هلال العسكري . دار الآفاق . الطبعة الثانية ١٩٧٧ م .

٨ ـ مجالس ثعلب . أحمد بن يحيى . تحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف الطبعة الثالثة . ١٩٢٩ م .

٩ ـ مراتب النحويين . عبد الواحد بن علي ، تحقيق محمد أبو الفضل . دار نهضة مصر ١٩٥٥ م.

١٠ ـ معجم الأدباء . ياقوت الحموي . دار إحياء التراث .

١١ ـ هدم اللغة العربية .. لماذا ؟ .. ابراهيم سعفان ـ مجلة اصوات ١٩٨١ م .

الهوامش

١ ـ مجالس ثعلب ١٢/١

٢ ـ العمدة ١٣٣/١ .

٣ ـ عيون الأخبار ١٥٥/٢ .

٤ ـ مراتب النحويين ٢٣ .

٥ ـ الأهرام في ٨٢/٣/٥ .

٦ ـ هدم العربية لماذا ٣٧ .

٧ ـ الفروق في اللغة ١٣ .

٨ ـ الفاضل ١٤ .

٩ ـ العصر الجاهلي ١٢٨ .

١٠ ـ البيان والتبين ١١/١ .

١١ ـ العصر الجاهلي ١٢٩ .

١٢ ـ هدم اللغة .. لماذا ٤٠ .

١٣ ـ معجم الأدباء ٩٠/١ .

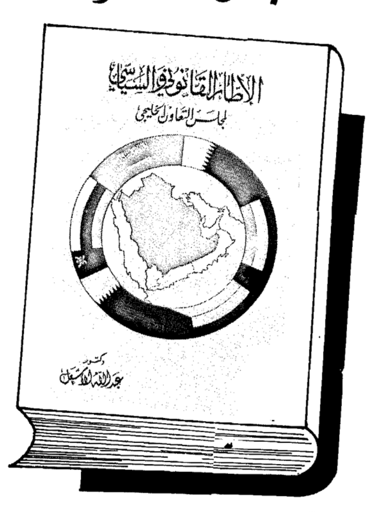
١٤ ـ السابق ٨٤/١ .

١٥ ـ السابق ٨٠/١ .

١٦ ـ البيان والتبين ١٨١/٢ .

عرض كتاب :

الإطار القانونى والسياسى لمجلس التعاون الخليجى



عرض وتعليق : الدكتور طه عثمان الفرا

- عنوان الكتاب : الإطار القانونى والسياسى لمجلس التعاون الخليجى .
- مكان إصداره : الرياض فى عام ١٩٨٣ م .

وسوف نعرض هذا الكتاب أملا فى إبراز أهم مزاياه العلمية ، والإشارة الى بعض الملاحظات إسهاما فى خدمة الأهداف السامية التى من أجلها جاء مولود الوحدة العربية الجديدة ـ مجلس التعاون لدول الخليج العربية ـ إلى حيز الوجود .

○ أولا : عرض لأفكار الكاتب ○

بعد أن جاء المؤلف بالمقدمة وأوضح منهج البحث الذى سلكه عند معالجته لها،قسم كتابه إلى مقدمة وستة فصول أردفها بخاتمة وملاحق وقائمة مراجع .

أورد المؤلف مقدمة لكتابه تحت عنوان « تمهيد » ذكر فى مستهلها أن أوار الحرب الباردة بين الدولتين العظميين قد بدأت حرارتها فى التصاعد فى محيط مجريات أمور الخليج العربى منذ أن غزا الروس أفغانستان سنة ١٩٧٩ . ثم أشار الى معاصرته لأحداث المنطقة واهتمامه بها ، وأورد بعض المعلومات التفصيلية المتعلقة بالموقع والمساحة ، وتعداد السكان ، ونسباً مئوية للقوى العاملة والأراضى الزراعية فى كل من دول المجلس الست .

ويعالج الفصل الأول من الكتاب الظروف التى أحاطت بنشأة مجلس التعاون وقيامه وصدى مجيئه الى حيز الوجود محليا ودوليا،وكيف أن فكرة إنشائه تبلورت وبرزت من الفكر العائم الى عالم التنفيذ والواقع،فى مؤتمر عقد بمدينة الرياض فى الرابع من شهر فبراير عام ١٩٨١ .

أما الفصل الثانى فقد تعرض الى « تجاوب الوحدة الخليجية بين محاولات الماضى وأمل المستقبل » ، مع تركيز على دراسة محاولة إقامة اتحاد يضم إمارات خليجية عربية تسع وكيف أن تلك المحاولة قد أسفرت عن استقلال كل من البحرين وقطر وقيام دولة الإمارات العربية المتحدة .

ثم يتعرض الفصل الثالث الى « مجلس التعاون وتحديات الأمن فى الخليج العربى » ويعطى المؤلف أهمية ملحوظة لهذا الفصل ؛ لا لأنه خصه دون غيره من أبواب كتابه بكتابة تمهيد له فقط ، بل لأنه عالج من خلاله مجموعة من الموضوعات الحيوية بصورة موضوعية ، مثل مفهوم أمن الخليج، وكيف أن عرب الخليج قد أثبتوا وجودهم وأكدوا أهمية دورهم فى معالجة المسائل المتعلقة بأمن خليجهم ومستقبله . بالإضافة إلى ذلك فإن هذا الفصل أوضح الأطماع والأخطار الاستعمارية المحدقة بالمنطقة وعلى الأخص بعد الغزو الشيوعى لأفغانستان واقتراب موجات المد الروسى من سواحل الخليج وبحر العرب .

ويدرس الفصل الرابع « مجلس التعاون كإطار للتكامل الاجتماعي والاقتصادي » مؤكدا أن إمكانات هذين النوعين من التكامل الاجتماعي والثقافي بالذات توجد بين ظهراني عرب الخليج بصورة ملحوظة تفوق وجودها بين سكان أي إقليم من وطننا العربي الكبير .

ثم يأتي الفصل الخامس ليعالج « النظام القانوني لمجلس التعاون لدول الخليج العربية » موضحا أهداف المجلس ، وعضويته ، وهيكله التنظيمي ، وهيئة تسوية المنازعات التابعة له ، ووضع هذا المجلس كمنظمة إقليمية في إطار الأمم المتحدة .

وأخيرا نصل إلى الباب السادس حيث يناقش المؤلف « العلاقات الدولية في إطار مجلس التعاون الخليجي » . ويتعرض هذا الباب إلى مجموعة من الأمور الهامة مثل التنسيق والتكامل السياسي بين الدول أعضاء المجلس ، وبعض من الجوانب السياسية الخارجية لهذه الدول تجاه مجموعة من الدول الأجنبية .

ومن الملاحظ أن الكتاب في مجمله يتعرض إلى كثير من الحقائق والأحداث الهامة الجارية في المنطقة . ويقدم الكاتب التحليلات والتعليلات العلمية المناسبة بصورة مقتضبة تاركا الكتابة عن مزيد من التفصيلات عنها للباحثين والدارسين . ولقد أشار المؤلف إلى هذه الحقيقة في نهاية تمهيده لكتابه بقوله : « .. وإني إذ أقدم هذه الدراسة الموجزة ، لآمل أن نفتح الباب لمزيد من الدراسات حول هذه التجربة الهامة ، تجربة قيام مجلس التعاون الخليجي » .

○ ثانيا : ملاحظات عامة ○

أورد المؤلف المقدمة أرقاما تفصيلية متعلقة بمساحة كل من دول المجلس وتعداد السكان والقوى العاملة في كل منها . وعلى الرغم من أهمية هذه المعلومات من الناحية العلمية ؛ إلا أنه كان من الأجدى وضعها في جدول مستقل كي يسهل على القارئ الاستفادة منها من حيث المضمون أو المقارنة ،نظراً لأن الأصل في المقدمة هو إعطاء القارئ فكرة موجزة عما ينطوي عليه أي بحث أو كتاب ، ونظراً لأن المجلس يهدف إلى تحقيق غاية سامية هي الوحدة الشاملة بين الدول الأعضاء ، فقد كان من المستحسن أن

تُعطى المقدمة القارئ فكرة مقتضبة عن أهم المحاولات السابقة التى رمت إلى توحيد الجزيرة العربية تحت لواء واحد مع الإشارة إلى قيام كل من المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة .

وعندما تطرق المؤلف إلى الكتابة عن « **منهج البحث** »فى كتابه ؛ أشار فقط إلى الهدف الذى حدده لدراسته ، وأغفل ذكر أهم البواعث التى دفعته إلى القيام ببحثه ، وذكر أبرز الوسائل التى اتبعها للحصول على المعلومات . وبعد ذلك أخذ المؤلف فى توضيح الموضوعات التى سوف يتعرض لها فى كل فصل من فصول كتابه الستة . وبذلك انضوت تحت لواء المنهج الذى حدده لكتابه مادة علمية،كان من الواجب أن يشار لها فى المقدمة أو أن تضمن الخاتمة مع إضافة الحقائق والآراء والمقترحات الجديدة التى توصل إليها الكاتب فى أثناء قيامه بدراسته .

أما بخصوص **الاقتباس** فإن المؤلف ضمن حواشى كتابه مجموعة جيدة من المراجع والملاحظات والمعلومات التى أثرت الكتاب،ويمكن أن يستفيد منها القراء والباحثون والمحللون فى أية دراسة مقبلة تتعلق بمجلس التعاون لدول الخليج العربية . ولكن بعض تلك المعلومات كانت غير كاملة،وبخاصة المتعلقة بالمراجع . وعلى سبيل المثال نرى المؤلف يقول فى أول حاشية لكتابه « انظر تصريحات المسئولين والزعماء فى مجلس التعاون فى الكتاب الذى أصدره المجلس فى ذكراه الأولى عام **١٩٨٢** م « دون ذكر عنوان ذلك الكتاب » واسم المؤلف وجهة الإصدار أو دار النشر . وعند الإشارة إلى الكتاب نفسه فى صفحات لاحقة من الكتاب جرى تغيير فى مسماه . وعند الرجوع إلى قسم **المراجع** فى الكتاب الذى هو قيد العرض وجد الكتاب تحت عنوان : « مجلس التعاون لدول الخليج العربية . الكتاب الأول ، مطبوعات مجلس التعاون عام **١٩٨٢** » إن مثل هذا الاختلاف كثيراً ما يربك القارئ ويجعل من الصعب على الباحث تحديد الاسم الصحيح للكتاب وبالتالى ينتج عنه عدم سهولة العثور عليه أو الرجوع إليه .

ومما يلاحظ أيضا عدم الالتزام بنسق واحد لأسماء مراجع هو كاتبها،كما فعل عندما يقول : « راجع رسالتنا للماجستير : مرجع سابق « ص **٣٥** » فى حين أنه لم يشر إليها كمرجع فى الحواشى السابقة بتاتا . ثم يشير فى صفحات تالية إلى الرسالة ذاتها بقوله :

« .. رسالتنا اتحاد الإمارات العربية » المقدمة إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية .. وبعد ذلك يعود ليشير إليها بعبارة « .. رسالتنا سالف الإشارة إليها .. » وتساهل المؤلف فى ذكر أسماء الصحف والمجلات فأوردها بصورة مختصرة لا تمكن القارئ من الرجوع الى اقتباساته منها بدقة ، وذكر أسماء الدول أحيانا مقتضبة ، وأشار إلى نفسه بضمير المتكلم والتزم بذكر الألقاب العلمية للباحثين مثل (حاشية ص ١٢ ، ص ٧٣) وهى أمور تعارف الباحثون على أنماط محددة لها . وإننى لعلى يقين بأن الطريقة العلمية المتبعة فى ذكر المراجع والصحف وغيرها لا تخفى على المؤلف الكريم .

ويتسم هذا الكتاب ببساطة الأسلوب ورصانة اللغة وغزارة المعلومات والميل إلى سرد الحقائق الهامة . وعلى الرغم من أن المؤلف قد جاء بهذه الحقائق فى صورة ممتازة التزمت بالتسلسل التاريخى والمنطقى ؛ إلاّ أن البحث لا يزال فى حاجة إلى مزيد من التركيز على الناحية الموضوعية ؛ وبخاصة عند الكلام عن الموقع الجغرافى ، والثروات الطبيعية ، والأخطار المحدقة بالمنطقة وعلى الأخص بعد الغزو الشيوعى لأفغانستان واقتراب المد الروسى من شواطئ بحر العرب . وعندما يعرف القارئ بأن المؤلف متخصص فى العلوم السياسية،فإنه يطمع فى التعرف على مزيد من تحليلاته السياسية الموضوعية على غرار ما فعل فى الفصل الثالث « مجلس التعاون وتحديات الأمن فى الخليج العربى » مع إضافة بعض الخرائط التوضيحية .

فالكتاب لم يتضمن أى شكل من خرائط أو رسوم بيانية وغيرها؛عدا الخريطة التى حواها شعار المجلس على الصفحة الأولى للغلاف الخارجى . وهذا الشكل نفسه لا يتمشى مع التمثيل الكارتوغرافى لخرائط دول يضمها تنظيم واحد . ويحتم هذا التمثيل أن تأخذ الخرائط فى هذه الحالة لونا واحداً لا ألواناً متباينة . لقد أعطى الشعار المذكور اللون الأخضر للمملكة العربية السعودية ، وأخذت الكويت اللون الأبيض ، وأعطى اللون الأصفر لباقى دول أعضاء المجلس وغيرها من الدول التى تضمها الخريطة المذكورة . ونظرا لأن المتعارف عليه عالميا أن لكل شعار هدفاً واحدا أو أكثر ؛ لذا فإنه كان من الواجب أن تأخذ دول المجلس الست لوناً واحداً،ثم يعطى ما عداها فى الخريطة لوناً مغايراً . ومن المعروف أن شعارات المجلس وخرائطه تتمشى مع هذا المنوال ؛ بحيث تبرز

الدول الأعضاء كوحدة واحدة . تُرى ألم يكن بإمكان المؤلف أن يزود كتابه بمجموعة من الخرائط التى يمكن أن توفر على القارىء الكثير من الوقت وترفع من شأن القيمة العلمية للكتاب ذاته ؟ ومن أهم تلك الخرائط :

- خريطة توضح دول المجلس وعواصمها وبعض المدن الهامة بها .
- خريطة تبين الموقع الجغرافى لدول المجلس بالنسبة لقارات العالم القديم .
- خريطة تبرز بعض الثروات الطبيعية ، وبخاصة الزيت والغاز الطبيعى والمعادن الموجودة فى الدول الأعضاء .

ويرد التساؤل نفسه عن خلو الكتاب من الأشكال والرسوم البيانية ؛ علما بأنها تكاد تكون ضرورة بحيث يمكن أن تحل محل بعض الجداول الموجودة فى الكتاب نفسه .

إن الأشكال البيانية تسهل مهمة المقارنة على القارىء وبخاصة عندما يتعامل الشكل الواحد مع مجموعة دول .

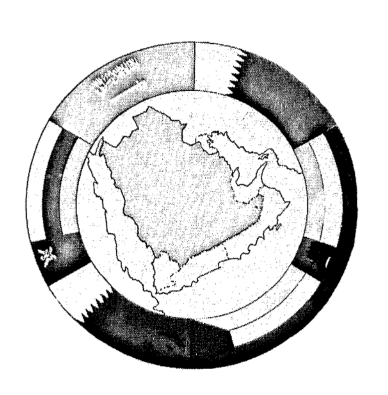
أما عن **الجداول** فإن المؤلف قد أثرى كتابه بها ، وهى بلا شك وسيلة جيدة لعرض المعلومات فى مساحات محدودة ، وتيسر على القارىء مهمة الحصول عليها . ولكن يلاحظ أن أرقام تلك الجداول لا تواكب تصاعدياً أرقام صفحات الكتاب . فعلى سبيل المثال نجد جدول رقم (١) قد تصدر الصفحة الحادية عشرة ثم تلاه جدول رقم (٣٧) ، (٣٢) ، (٢٨) ، (٢٩) فى صفحات تالية وهكذا . ويحتمل أن يكون السبب هو أن الجداول قد نقلت عن مصادر ومراجع أشار المؤلف إلى بعضها وبقيت تحمل أرقامها الأصلية ، وفى هذه الحالة كان ينبغى له أن يجعل تسلسلها تصاعدياً بحيث يتناسب مع المادة العلمية لكتابه مع الإشارة الى المصدر أو المرجع الذى أخذت منه .

○ الخاتمة ○

جاءت خاتمة الكتاب على هيئة ملخص، وضّح أهم المعلومات والحقائق التى توصل إليها المؤلف فى صورة مرتبة ومنطقية . إن مثل هذا الترتيب يساعد القارىء بوجه عام والباحث بوجه خاص فى التعرف على أهم الآراء والحقائق والافتراضات والتحقيقات التى يحتوى عليها الكتاب . وهذا يعنى توفير المزيد من الوقت والجهد للباحثين والقراء عند رجوعهم إلى موضوعات معينة بقصد معرفة المزيد عنها أو الاستفادة منها .

إن اطلاع المؤلف على شئون المنطقة عن كثب ، ومعاصرته ومتابعته لكثير من أحداثها ، قد أثرى المادة العلمية التى احتواها الكتاب بين دفتيه . بالإضافة إلى ذلك فإن الطريقة التى اتبعت فى دعم هذه المادة بالأرقام والحقائق الموثقة قد رفعت من قيمة هذا الكتاب،على الرغم من الملاحظات التى أشرنا إليها سابقا . أما بالنسبة إلى إبراز الحقائق والرد على بعض المقولات على مجلس التعاون الخليجى ؛ فإن المؤلف قد تصدى لها وفندها بصورة علمية مما جعل لمادة كتابه العلمية صفة مميزة تستحق التقدير والإعجاب .

وفى ختام هذا العرض يمكن القول بأن هذا الكتاب يستحق قراءة كاملة وعدم الاكتفاء بهذا العرض ، لأنه خطوة طيبة فى ميدان الدراسات الخليجية ، ويستحق أن يأخذ مكانه فى المكتبة العربية .



قرية "الفاو"

صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية



عرض : الدكتور أحمد حسن غزال

يقدم هذا الكتاب فى عرض شيق ودراسة علمية جادة النتائج الأولية لأحدث الاكتشافات الأثرية فى منطقة الشرق الأوسط . وهى « قرية » الفاو ، التى تبعد حوالى ٧٠٠ كم إلى الجنوب الغربى من مدينة الرياض ، والتى كشفت عنها بعثة كلية الآداب بجامعة الملك سعود،ويشرف عليها الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصارى منذ عام ١٩٧١م . ويذكر الدكتور الأنصارى أن الدراسات التفصيلية لكل المعثورات التى تم الكشف عنها فى السنوات العشر الماضية تعد الآن ، بعد تصنيفها ، لتصدر فى عشرة مجلدات .

وتكمن أهمية هذا الكتاب فى أن المؤلف يعرض للقارئ من خلال مجموعة هائلة من الصور والتخطيطات الدقيقة للمكتشفات الأثرية المزودة بشروح وتعليقات وافية ، صورةً حية لما كانت عليه إحدى المناطق القديمة وسط الجزيرة العربية ، وأهميتها فى إعطاء صورة واضحة ومحددة،عن دورها فى ازدهار الحضارة العربية القديمة،ودورها الفعال فى منطقة الشرق الأدنى القديم ..

والكتاب أصدرته جامعة الملك سعود سنة ١٩٨٢م ـ بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على إنشائها ؛ ليعبر عن أحد الانجازات الناجحة التى قامت بها الجامعة فى مجال الدراسات والاكتشافات الأثرية فى المملكة العربية السعودية .

ويقع الكتاب فى ٢٠٩ صفحات ، منها ١٤٩ صفحة باللغة العربية و٦٠ صفحة أخرى تحوى موجزا باللغة الانجليزية . ويضم بين هذه الصفحات أكثر من ٣٠٠ صورة ملونة وتخطيطات متعددة للمعثورات الأثرية ، فى طباعة فاخرة ، زودت جميعها بشروح وافية باللغتين العربية والانجليزية ..

ويقدم المؤلف للقارئ « قرية » الفاو ، فيذكر أنها تشرف على الحافة الشمالية الغربية للربع الخالى على بعد حوالى ٧٠٠كم إلى الجنوب الغربى من مدينة الرياض و٢٨٠ كم إلى الشمال الشرقى من مدينة نجران فى المنطقة التى يتداخل فيها وادى الدواسر ، ويتقاطع مع جبال طويق عند فوهة مجرى قناة تسمى بالفاو ، ومن هنا جاءت نسبتها حديثا إلى الفاو ، تعريفا بها وتمييزا لها عن باقى القرى المجاورة . وبذلك تقع « قرية » على الطريق التجارى الذى يربط بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها ، وشمالها الشرقى ؛ حيث كانت تبدأ القوافل من الممالك الجنوبية متجهة إلى نجران ، ومنها الى « قرية » ومنها إلى الأفلاج فاليمامة ثم تتجه شرقا إلى الخليج وشمالا إلى وادى الرافدين وبلاد الشام . ومن هنا جاءت

أهميتها كمركز تجارى واقتصادى هام فى وسط الجزيرة العربية .

أما عن المصادر التى حدثتنا عن « قرية » فيذكر المؤلف أن الاهتمام بها كموقع أثرى بدأ منذ الأربعينات،عندما زار الموقع بعض الرحالة الأوربيين على فترات متقطعة ، وكانت ثمرة رحلاتهم جمع بعض النقوش الظاهرة ودراستها والاشارة الى بعض أنقاض المبانى والتلال ثم رسم خارطة لها . ومع عام ١٩٧١م قامت بعثة كلية الآداب بجامعة الملك سعود بدارسة علمية حديثة للموقع وتحديد المنطقة الأثرية هناك ، لتبدأ فيها التنقيب الأثرى بطريقة علمية منظمة ، ابتداء من العام التالى ١٩٧٢م فى مواسم سنوية متتالية حتى الآن ، ومن المتوقع أن تمتد أعمال التنقيب فيها الى حوالى عشرين عاما قادمة .

ومن الملاحظ أن ذكر « قرية » قد جاء فى المصادر الإسلامية بشكل محدود ، فلم يذكرها إلا البكرى والهمدانى ، وربما يرجع ذلك إلى أن دورها كمركز تجارى او مستقر حضارى كان قد انتهى قبل ظهور الاسلام ، ويؤكد ذلك عدم اكتشاف آثار اسلامية بموقعها حتى الآن .

أما الكتابات التى اكتشفت بالموقع ؛ فكانت من أهم المصادر بالنسبة للباحث ، فقد أشارت إلى « قرية » وسمتها « قرية ذات كهل » وكهل هذا الذى أشـارت إليه هذه الكتابات العربية القديمة ، كشفت الحفائر الأثرية عن صوره منقوشة ومرسومة على جدران سوق « قرية » ومنازلها ، وعلى عملاتها ومباخرها ، وأيضا على سفوح جبل طويق . وأهم ما أشارت إليه هذه الكتابات هو أن « قرية » كانت عاصمة لدولة كندة وأن ملوك سبأ وذى ريدان قد غزوها أكثر من مرة ، وتؤرخ هذه الكتابات فى فترة تتراوح بين القرن الأول والقرن الخامس الميلادى .

يقدم المؤلف بعد ذلك شرحا وافيا لأهم المكتشفات الأثرية التى جاءت من الجزء الذى تم حفره حتى الآن « بقرية » بعد تصنيفها وحصرها فى ثمانية موضوعات كالتالى :

أولا العمارة :

استخدم سكان « قرية » الأحجار فى مبانيهم بعد أن قطعوها من المحاجر وصقلوها ، كما توضح مبانى المقابر وأساسات المبانى الهامة كالقصر والمعبد . واستخدموا اللبن المربع والمستطيل فى بناء منازلهم ومحلاتهم التجارية . وأهم المبانى المعمارية التى تم الكشف عنها هى :

١ ـ السوق : عبارة عن تجمع ضخم لمجموعة من المحلات التجارية يحيط به سور ضخم يتكون من ثلاثة جدران سميكة أوسطها من الحجر الجيرى . أما الداخلى والخارجى فمن

اللبن . وللسوق باب واحد ويعلو سوره سبعة أبراج . ويقع السوق على مقرب من الحافة الغربية للوادى الذى يتصل بين جبل طويق وبين الحدود الشرقية للمدينة السكنية التى بدأ الحفر فيها الآن . ويقدم المؤلف وصفا معماريا للدكاكين التى بقيت كاملة بأبوابها الواسعة وواجهاتها المبنية من الحجارة وبعض التفاصيل الأخرى ، وقد لاحظ أن عددا كبيرا من الدكاكين يتكون من طابقين ، وكذلك وجود مجمع مائى لخدمة أغراض أصحاب الدكاكين ..

٢ ـ القصر :

يوضح تخطيط القصر أنه يتكون من عدة حجرات وصالات وأروقة،ولم يبق الا أساسات وأجزاء باقية من الجدران وقواعد بعض الأعمدة . وتدل بقاياه على أنه بنى من الأحجار المطلية بالجص من الداخل ، إذ وجد على أرضية إحدى القاعات كتل من المباني الساقطة تعلوها طبقة جصية مقلوبة على وجهها اتضح بعد رفعها بعناية أنها تحمل مناظر مرسومة بالألوان ويغلب عليها اللون الأحمر ، وسنتناولها فيما بعد . ولايزال الموقع فى حاجة إلى مزيد من الكشف والدراسة .

٣ ـ المعبـــد :

يعتبر معبد « قرية » أول معبد قديم يكشف عنه داخل حدود المملكة العربية السعودية،ويكتسب هذا المعبد أهمية خاصة ؛ حيث عثر بداخله على مجموعة من التماثيل البرونزية ، فيها دلالات أسطورية أعطت معلومات جديدة لم تعطها من قبل مقابر أخرى فى جنوب الجزيرة العربية ؛ فهذه التماثيل توضح أهمية منطقة « قرية » كمركز حضارى فى وسط الجزيرة العربية ووجود صلات حضارية تربطها ببلاد الشام وحوض البحر المتوسط ووادى النيل . هناك أيضا نقش يشير إلى بناء المعبد عثر عليه عند المدخل .

٤ ـ المقابر :

يرى المؤلف أن مقابر « قرية » تنتمى من حيث شكلها المعمارى وتخطيطها وتوزيعها فى المنطقة الأثرية الى ثلاث فئات سكانية .

أ ـ مقابر الملوك ، وهى عبارة عن حجرات مبنية فى باطن الأرض يعلوها أفنية بها شواهد قبور مكتوبة . وأهم ماكشف عنه هو قبر « معاوية بن ربيعة » ملك قحطان ومذحج،كما يدل النقش المكتوب بالقلم المسند على شاهد القبر . وقد بنى قبره من الحجر الأملس ويصل إلى عمق خمسة أمتار . ولم يبق من المعثورات إلا شاهد القبر فقط؛حيث من الواضح أن المقبرة تعرضت من قبلُ للنهب على أيدى لصوص المقابر ،وتوجد قطع حجرية كبيرة حول

المقبرة مما يوحى بأنه كان يعلوها فناء كبير لتأدية الطقوس الجنائزية .

بـ ـ مقابر النبلاء وتقع على مقربة من مقبرة معاوية بن ربيعة ، وقد تم الكشف عن مقبرة أخرى يعلوها بقايا جدران،ويؤدى الى حجرة الدفن السفلى مهبط بعمق حوالى ثلاثة أمتار ونصف ، وهى وان كانت تشبه مقبرة الملك معاوية إلا انها تخلو من غرفة دفن خاصة بصاحب المقبرة . ومن أهم الاكتشافات شاهد قبر مكتوب بالقلم المسند يوضح ان صاحب هذه المقبرة هو« عجل بن هفعم » ولقد عثر أيضا على مقبرة أخرى تنتمى إلى هذا النوع وهى لشخص يدعى « سعد بن أربهن » .

جـ ـ مقابر العامة ، وتقع شمال شرقى المدينة على الحافة الغربية للوادى شمال السوق ، وهى تشبه المقابر الإسلامية الحالية ، أى أنها عبارة عن لحود محفورة فى سطح الأرض ، وتقفل بكتل متساوية من اللبن ..

٥ ـ المساكن :

توضح الحفائر الأثرية التى أجريت بالمنطقة السكنية أنها مرت بثلاث فترات سكنية متعاقبة . ويوضح تخطيطها وجود أزقة وشوارع بين المنازل ، ووحدات سكنية متميزة ، ونزل ينزل بها التجار ، وقد روعيت الدقة فى استقامة المبانى ، واستخدمت الأخشاب للأبواب والنوافذ ، ويلاحظ وجود مجار للمياه النظيفة واستخدام الأحجار المصقولة فى خزانات المياه ، وكذلك شيوع استعمال الدرج فى جميع الوحدات السكنية،ويلاحظ أيضا وجود مخازن للغلال وأماكن للرحى حيث تطحن الحبوب . كذلك توجد متكآت ومقاعد داخل الغرف ، ويصل ارتفاع الدكان الى حوالى ٦٠ سم،وكل هذا يدل على فهم عميق لحياة متطورة واستخدام صحيح لأسس العمارة فى تلك الفترة ..

فى الواقع انه باكتشاف المنطقة السكنية تكتمل العناصر الأساسية التى توضح لنا التخطيط المعمارى للمدينة العربية قبل الاسلام . وهذه العناصر هى كما رأينا : السوق ـ القصر ـ المعبد ـ المقبرة ـ السكن . ولاشك أن هذه هى المرة الأولى التى تكشف فيها الحفاير الأثرية سواء داخل حدود المملكة العربية السعودية أو خارجها عن نموذج متكامل لتخطيط المدن العربية فى شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ..

ثانيا : الكتابات :

كشفت الحفائر الأثرية عن مجموعة هائلة من الكتابات فى دولة كندة . ويعتقد المؤلف أن الكتابة بالنسبة لهم كانت حاجة ملحة ؛ نظرا لدور « قرية » التجارى بين الجنوب



والشمال والشرق ، كما أن دورها السياسى كعاصمة لدولة كندة يجعلها مرتكزا لدور قيادى يحتم عليها الاهتمام بهذا الجانب الحيوى فى علاقاتها مع الآخرين . لقد انتشرت الكتابة بشكل يبعث على الإعجاب بهذا المجتمع المتعلم ، فالكتابة هناك فى كل موقع وفى كل اتجاه : على سفوح الجبال بكميات هائلة وفى السوق والمعبد وعلى اللوحات الفنية وعلى جدران المدينة السكنية وعلى شواهد القبور ، وعلى العظام والخشب والأوانى الحجرية والمرمرية والفخار والتماثيل والأختام والمسكوكات ، وعلى أغطية الجرار .

كل هذا يعنى أننا أمام مجتمع كانت الكتابة تلعب فيه دورا مهما وأساسيا . وكان القلم المسند الجنوبى هو القلم الرسمى الذى يعبر به مواطنو « قرية » عن أفكارهم وخواطرهم ومشكلاتهم ، وهو القلم الذى استعملته ممالك جنوب الجزيرة العربية والموضوعات التى تناولتها كتابات « قرية » كانت موضوعات دينية وتجارية ، وبعض المعلومات الخاصة

المتعلقة بالعلاقات الفردية . كما أن هذه الكتابات قد أوضحت التعريف بقبائل كانت ضمن مكونات هذا المجتمع ، كذلك أمكن التعرف على « كهل » معبود « قرية » الأعظم ..

ثالثا : الرسوم الفنية :

اهتم الفنان العربى فى شبه الجزيرة العربية برسم مشاهداته فى الحياة اليومية على لوحات فنية تختلف فى جودتها وإتقانها من مكان لآخر حسب ظروف المجتمع ومستوى الفنان ومدى قدرته على نقل ماشاهده . وقد درس المؤلف مراحل التطور التى مربها فنان شبه الجزيرة العربية فى « قرية » وقسمها إلى أربعة مراحل كالتالى :

١ ـ المرحلة الأولى :

وقد اتخذ فيها فنان « قرية » من سفوح الجبال الصخرية لوحات ينقر ويرسم عليها تخيلاته ومشاهداته فى الطبيعة . وكان الشكل الانسانى من الموضوعات الواضحة فى ذهنه منذ مراحله الأولى ؛ فقد فرق بين رسم الشخص العادى ورسم الإله ، حيث تخيل الإله فى شكل إنسانى ضخم ، ونقر شكلا على صخرة الجبل يطل على « قرية » يصل ارتفاعه إلى ١٠ أمتار فى كامل ملابسه ممسكا برمحين فى يده اليسرى ومتمنطقا بسيف ، ويعتقد المؤلف أن هذه الصورة ماهى إلا للاله « كهل » وأمامه ذلك السهل الفسيح يطل عليه حيث كانت تجرى مراسم الأعياد ، وعلى سفح الجبل نفسه تنتشر رسوم مواكب الجمال ـ بعضها يحمل الهوادج ـ وخيول وأشخاص ومناظر حروب ..

٢ ـ المرحلة الثانية :

وفيها حاول الفنان العربى أن يرسم داخل المنازل فحز رسومه فى بلاط الجدران كما توضح غالبية الغرف ، ثم خطا خطوة متقدمة نوعا ما ، حيث استعمل الألوان فى رسومه كى تبدوا أكثر وضوحا وجاذبية .

٣ ـ المرحلة الثالثة :

نلاحظ أن الفنان فى هذه الفترة أصبح يمثل كيانا له دوره فى المجتمع ، ولعله كان ينفّذ أعماله بتكليف من سكان « قرية » فيرسم مناظر يقترحونها عليه أو يطلبونها منه . وينعكس هذا الاتجاه بوضوح فى أحد دكاكين السوق « بقرية » ؛ إذ ظهر على جدرانه ثلاث لوحات تمثل رحلة صيد للجمال قام بها شخص يمتطى صهوة جواد كتب فوق رأسه

كلمة « ملك » وفوق رأس شخص آخر كتبت كلمة « سالم بن كعب » . كما رسم الفنان كلابا تسير في معية الموكب . ثم تتكرر كلمة « كهل » بين هذه الرسوم . وقد نفذت رسوم الأشكال باللونين الأسود والأحمر . وتعتبر هذه اللوحات من أهم الأعمال الفنية التى تعكس مرحلة متقدمة من فهم الفنان لرسم مشاهد تفصيلية من الحياة اليومية فى هذه المرحلة ..

٤ ـ المرحلة الرابعة :

فى هذه المرحلة نجد أن فنان « قرية » قد قوى عوده وتطور إدراكه للأساليب الفنية بشكل ملحوظ ، فثبت ألوانه ومزج بينها ونوعها ، فجاءت لوحته آية فى الابداع الفنى . ونجد هذا الاتجاه واضحا فى اللوحات الفنية التى عثر عليها فى أنقاض القصر . وهذه اللوحات الفنية تمثل شريطا أو إفريزا من المناظر المرسومة فوق طبقة جصية رقيقة لايزيد سمكها عن مليمترين فقط . وكانت عملية إنقاذها من بين الأنقاض وترميمها من أشق العمليات ، وقد تمت بكفاءة نادرة . والموضوعات الزخرفية التى بقيت من هذا الإفريز تتمثل كالآتى :

سمك يسبح فى الماء ، وخيول تخوض الماء لم يبق منها إلا السنابك ، وربما كانت هذه الخيول تجر عربة تعبر البحر أو النهر . لوحة أخرى يتمثل عليها وجه لإنسان ذى عينين واسعتين وشارب رفيع وعلى رأسه إكليل يوضح شخصيته الهامة ، فربما كان ملكا يتوج بمساعدة شخصية الى يمينه ويساره لم يبق إلا أجزاء منهما ، وحولهم جميعا تنتشر الزخارف النباتية التى تتمثل فى أوراق العنب وعناقيده ، لوحة تالية عليها بقايا لأقدام الجمال ومعها أوراق العنب وعناقيده ، لوحة أخرى عليها صورة لامرأة بجوارها مبخرة وكتابة توضح أنها « بنت كعب » ، ثم تأتى لوحة عليها جمل يحمل هودجا ، وإنسان يمسك بخطام الجمل . وتتكرر فى معظم اللوحات أوراق العنب وعناقيده .

لقد كان فنان « قرية » طوال مراحل تطوره الأربع فنانا أصيلا ، تكمن أصالته فى أنه احتفظ فى فنه بطابع منطقته ، والبيئة التى يعيش فيها . فرسم الاله والانسان والجمل والهودج والخيول والمحاصيل والمباخر واستخدم القلم المسند ، وحافظ على السمات العربية فى كل أشكاله طوال رحلته الفنية من خلال أسلوب فنى متطور يعكس روح العصر الذى يعيش فيه ..

رابعا : التماثيل :

حفلت « قرية » الفاو أيضا بمجموعة مهمة من التماثيل ، بقى معظمها فى حالة جيدة .

بعضها صنع من المعادن والبعض الآخر نحت من الأحجار الجيرية والمرمر ، كذلك وجدت تماثيل من الطين والخزف . بعض هذه التماثيل لأشكال آدمية كاملة أو أجزاء منها والبعض الآخر لأشكال حيوانية وغير ذلك من الأشكال المختلفة . وأهم التماثيل الآدمية ، كان التمثال الرائع الذى عثر عليه فى المعبد، وهو من البرونز للطفل حاربوكراتيس ابن الآلهة إيزيس . يرتدى على رأسه التاج المزدوج الذى يرمز الى مصر العليا ومصر السفلى ، ويتدلى شعره على جانب رأسه ، يقرب سبابته اليمنى من فمه . وهو مجنح ويمسك بيده اليسرى قرن الخير يتدلى من فوهته العليا عنقود عنب . وربما قد أعيدت صياغة التمثال من جديد حيث نلاحظ استخدام عناصر عربية تتمثل فى « الدلاية » التى تتدلى على صدره ، والتى تميزت بها بعض التماثيل البرونزية التى اكتشفت فى جنوب الجزيرة العربية ، كذلك يظهر بوضوح عنقود العنب الذى رأيناه كدافع زخرفى أساسى فى « قرية » كما رأينا على الرسومات الجدارية ، وتنتشر أوراق العنب وعناقيده أيضا كوحدات زخرفية فى جنوب الجزيرة العربية . هناك أيضا تمثال نصفى لامرأة من البرونز ترتدى تاجا على رأسها، ربما كانت ملكة أو الهه . وتمثال لشخص جالس على ساقيه ويداه ممدودتان على فخذيه فى وضع خشوع وتعبد ، وهو من البرونز . وهناك أجزاء عديدة من تماثيل آدمية تتمثل فى أقدام وأذرع وقبضات آيادى وتماثيل لدلافين وتماثيل لحيوانات ورءوس لأسود من البرونز ، وغير ذلك من التماثيل الأخرى العديدة صغيرة الحجم ..

خامسا ـ الخشب والعظم والعاج :

أعطى سكان « قرية » اهتماما خاصا بالخشب فاستخدموه فى أغراض عديدة ، ورغم التلف الذى يصيب هذه المادة ، فقد بقيت بعض المصنوعات الخشبية منها : وعاء صغير على شكل طبق ، ومكيال وجد فى أحد الدكاكين ، وعدد من الأمشاط تظهر بها الأسنان الدقيقة من طرف والعريضة من طرف آخر مع خطوط زخرفية جميلة . أما عن مواد العظم والعاج، فقد عثر على قطع عديدة صنعت من هذه المواد قبل الأساور والخواتم والأقراص والدلايات والخرز والحلى . واستخدمت هذه المواد أيضا فى تزيين المقاعد ومقابض الخناجر والسيوف ...

وقد لوحظ أن عظام الجمال قد حفظت بعد تنظيفها للكتابة عليها ، وهى المرة الأولى فى تاريخ الجزيرة العربية التى يعثر فيها على عظام مكتوبة . كما عثر أيضا على أقراص أسطوانية من العاج، استخدمت كمنازل للصدف . أما بالنسبة للمنسوجات ، فمعظم

القطع المنسوجة التى عثر عليها فى « قرية » من الكتان وصوف الأغنام ووبر الجمال . وقد أمدتنا الرسوم والتماثيل الآدمية التى ترتدى الملابس أمثلة لتطور صناعة المنسوجات وتقدمها من حيث الصناعة .

سادسا : الصناعات المعدنية :

كشفت حفريات « قرية » عن العديد من الأوانى المعدنية والكسر المعدنية المختلفة ، تمثلت فى أشكال القدور والسكاكين وأغماد الخناجر والمراود ومقابض الأوانى والأساور . وأهم هذه المعثورات : جزء من كأس فضية ، عيار وزن مكعب الشكل مستطيل يعلوه مقبض نصف دائرى عليه كتابات ورمز الآله « كهل » ويزن هذا المعيار حوالى أربعة كيلو جرامات . عثر أيضا على مسرجة من البرونز كمثرية الشكل بحالة جيدة ..

سابعا · المسكوكات والحلى والزجاج :

تعتبر المسكوكات فى « قرية » من أهم المعثورات . وتكمن أهميتها فى أنها قد ضربت فى « قرية » ومعظم ماعثر عليه كان من الفضة وتحمل على الوجه صورة شخص واقف أو جالس وهو فى الغالب « كهل » معبود « قرية » ، وعلى الظهر يأتى اسمه أو توقيعه واضحا . وأما عن الحلى فما وجد منها هو عبارة عن أساور من المعدن والزجاج أو العظام أو العاج ، وغالبا ماتكون هذه الأساور مزخرفة بزخارف جميلة منقوله من الطبيعة ، بخطوط على السطح الخارجى أو حبيبات دائرية تتكرر على محيط الأساور . عثر أيضا على بعض خواتم فضية ونحاسية وحديدية ومجموعة كبيرة من الخرز بأشكال وأحجام مختلفة من العقيق والبللور الصخرى والياقوت والزجاج المعتم والشفاف ، وقد استعملت كعقود وأعلاق (دلايات) وتعاويد ، كما عثر على مجموعة كبيرة من الفصوص المختلفة الأحجام . أما بالنسبة للزجاج فتعتبر معثورات « قرية » معرضا رائعا لأنواع مختلفة وألوان شتى ، وتعكس بوضوح حركة التجارة ونحوها .

ثامنا : الأدوات الحجرية والفخار :

استعمل مواطنو « قرية » المحجر بعناية فائقة سواء ماكان منه محليا أو مجلوبا من خارجها . وأهم هذه الأحجار البازلت والحجر الصابونى والأوبسيديان والكواترز والبللور الصخرى والجرانيت . وقد صيغت هذه الأحجار أوانى متعددة الأشكال تستخدم فى أغراض الحياة اليومية وصنعت منها أيضا تماثيل صغيرة . كذلك وجدت مجموعة من الرحى

الى جانب العديد من الأحجار الكبيرة التى كانت تزين واجهات المعابد والمبانى المختلفة حيث نجد عليها زخارف نباتية فى أشكال هندسية . كذلك استخدمت الأحجار فى صناعة الأفاريز وموائد القرابين والمذابح والأحواض والمراحيض إلى جانب العديد من شواهد القبور المكتوبة بالقلم المسند .

أما بالنسبة للفخار فمن المعروف أنه من أهم المواد التى يكتشفها الأثريون لما يعطيه من معلومات تسهم فى تحديد ملامح الأدوات التاريخية التى مرت بها الحضارات القديمة . وكشفت الحفائر الأثرية فى « قرية » عن العديد من الأوانى الفخارية ، وأمكن تحديد أنواعها وصفاتها وأشكالها الزخرفية التى نقشت عليها .. وعثر أيضا على العديد من الكسر الفخارية بعضها يحمل كتابات ، وورد على بعضها اسم « كهل » وأسماء أخرى منها « شمر يهر عسن » ملك حمير . وقد امكن تصنيف فخار « قرية » بصفة عامة إلى فخار خشن ، منها مجموعات أوانيه خاصة بالاستعمال اليومى أو للأغراض الدينية بالمعابد والمقابر أو للأغراض التجارية . وأشكالها كانت القدور والأزياء والجرار وأوانى للزبادى ، والمباخر والزمزميات والمصافى وأغطية الأوانى التى يأخذ بعضها أشكال الحيوانات . يأتى بعد ذلك الفخار الرقيق ، ويمتاز عن الخشن بنعومته ونقاء طينته وتأثره بالأساليب الفنية الواردة للمنطقة ، وقد عثر على كمية مناسبة من هذا النوع من الأوانى الفخارية . وأبرز ماعثر عليه من الفخار الرقيق تلك الكسر النبطية التى وجدت فى المنطقة السكنية ، وهى ذات عجينه حمراء نقية جيدة الخامة ، وتنتمى الى أجزاء من أطباق صغيرة ورقيقة مزخرفة من الداخل بزخارف ملونة باللونين الأسود والبرتقالى .

يأتى بعد ذلك الفخار المزجج أو الخزف وقد عثر عليه فى « قرية » بكميات كبيرة لاتقل فى حجمها عن الفخار غير المزجج . وتتمثل أشكال هذا النوع فى الزهريات والأطباق والزبادى والأباريق وغيرها . ومن الملاحظ أن الأوانى الخزفية فى « قرية » قد تشكلت على دولاب ، ويبدو ذلك واضحا من الحلقات الدائرية المتوازية حول أجسام الأوانى . ويختلف عليها أسلوب الزخارف من فنان إلى آخر .



الخاتمة

يستخلص المؤلف من هذه الاكتشافات النتائج الهامة التالية :

١ ـ أن الطراز المعمارى الذى استخدمه سكان « قرية » فى السوق والقصر والمعبد والجزء الذى كشف عنه من المنطقة السكنية يدل دلالة واضحة على أنه يمثل طرازا عربيا أصيلا ؛ حيث برزت فيه مراعاة السكان لظروف البيئة واحتياجاتهم المختلفة . ويلاحظ أن بعض عناصر هذا الطراز تتمثل فى الطرز المعمارية التى تنتمى لحضارات أخرى سادت فى القرون الأولى للميلاد فى اليمن والبدو والحضر وسواحل آسيا الصغرى ..

٢ ـ تعتبر الكتابات التى عثر عليها فى حفائر « قرية » من أهم المصادر الأثرية بالنسبة للمؤرخين ، فقد أفادتنا فى التعرف على اسم عاصمة دولة كندة وأن اسمها « قرية » ووصفتها بأنها « ذات كهل » وبذلك نكون قد تعرفنا لأول مرة فى التاريخ العربى على عاصمة هذه الدولة التى لم تشر إليها الكتب العربية من قبل ، كما لم تشر أيضا إلى معبودها الرسمى « كهل ». ومن أهم النقوش التى عثر عليها نقش الملك « معاوية بن ربيعة » إذ يمكن مقارنته بمضمون نقش النحارة ، ولذا أمكن تحديد تأريخه ، بحوالى القرن الثالث الميلادى . هناك أيضا أسماء الأعلام التى ظهرت محزوزة على الفخار ومنها اسم « شمر يهرعس » الملك الحميرى الذى يعود الى الفترة ذاتها ..

٣ ـ وتمثل الرسوم الفنية التى وجدت فى أنقاض القصر قمة التطور الفنى لهذه المدينة إذا ماقورنت بمثيلاتها فى البلدان المتاخمة سواء فى الشمال أو الجنوب ، بل يمكن القول بأنها تفوق فنونها من حيث دقتها وتناسقها وقدرة الفنان الذى رسمها فى إبراز التفاصيل الدقيقة حتى جاءت رسوماته معبرة عن تصوره ورؤيته الفاحصة للبيئة التى يعيش فيها . وستبقى هذه اللوحات الفنية الرائعة النموذج الوحيد للأشكال المرسومة على الجدران فى أرض الجزيرة العربية إلى ان تكشف الحفائر الأثرية عن نظير لها ..

٤ ـ وتمثل التماثيل الحجرية والمعدنية تطورا فنيا ملحوظا فى « قرية » ، فبالنسبة للتماثيل المنحوتة من الأحجار المرمرية نجدها تعكس فى أسلوبها الفنى مزيجا حضاريا يمتد منذ القرن الثانى ق.م فى اليمن بصفة خاصة . أما بالنسبة للتماثيل المصنوعة من المعدن فهى تبرز التأثير الشمالى بما يحمله من أساطير وأفكار دينية ترجع إلى نهاية العصر الهلنستى وطوال العصر الرومانى وحتى القرن الخامس الميلادى ..

٥ ـ وبالنسبة للمسكوكات لاحظنا أن « قرية » ضربت عملاتها محليا وأظهرت صورة

معبودها « كهل » على العملة كشعار لدولتها وهذا يعنى الاستقلال السياسى لدولة كنده .
كما نلاحظ أيضا وفرة العملات المصنوعة من الفضة وهذا يعنى أيضا قوة التعامل التجارى مع الدول الخارجية المجاورة حيث يقتصر التعامل فقط على العملات الذهبية والفضية ومافى مستواها.أما العملات البرونزية فهى قاصرة فقط على التعامل الداخلى فى المدينة . وبذلك تعطى « قرية » صورة فريدة لما كانت عليه الظروف السياسية والاقتصادية للمدينة العربية قبل الاسلام فى المملكة العربية السعودية . وتثبت الدراسة أن هذه العملات يعود تاريخها الى مابين القرن الأول وحتى مطلع القرن الرابع الميلادى ..

٦ ـ ويمثل فخار « قرية » الفاو علامة بارزة فى تطور تاريخ المدينة ويمكن مقارنة مرحلته الأولى بفخار القرنين الثانى والأول ق .م فى « جحر بن حميد » باليمن وكذلك بالفخار الهلنستى والرومانى والنبطى وبخاصة المزجج منه ، وتشير الأولى الى صناعته محليا وتطوره ، رغم أن الحفريات لم تكشف بعد عن أفران حرق الفخار فى « قرية » ..

وبعد .. فان كل هذه الأدلة توضح أن مجتمع كنده كان مجتمعا متحضرا ، فرغم بعده الجغرافى عن مراكز الحضارات القديمة التى عاصرته ؛ إلا أن النشاط التجارى والثقل السياسى الذى تمثل فى دولة كنده جعل فى استطاعة « قرية » أن تجذب إليها أجمل ميزات تلك الحضارات،وأن تتفاعل معها وتنتج حضارة خاصة بها متميزة بشكل واضح عما جاورها ، لتقوم بدور حضارى فعال وسط الجزيرة العربية ..

إن هذا الكتاب جدير بالقراءة ؛ فهو يوضح لنا صورة دقيقة وشاملة لمجتمع دولة كندة بصفة خاصة والمجتمع العربى فى شبة الجزيرة العربية بصفة عامة فى فترة من أهم فترات تاريخ هذه الأمة ، ويكشف بموضوعية عن ظروف الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية لفترة كان يكتنفها الغموض فى تاريخنا الحديث . وبذلك يضيف الى المكتبة العربية عملا هاما للمتخصصين والباحثين فى آثار وتاريخ الجزيرة العربية .



حكيم بنى أمية

خالد بن يزيد بن معاوية

بقلم : الدكتور على عبد الله الدفاع

هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه أم هاشم بنت عتبة بن ربيعة بن عبد مناف، عاش فيما بين عامى ١٣ و٨٥هـ . « ٦٣٥ ـ ٧٠٤ م » . وهو الذى جعل لعلم الكيمياء مكانته بين العلوم الأخرى ، وقد كانت فى مرتبة متدنية بين العلوم : حيث كان تعلمها آنذاك أمرا لا يليق بالحكماء والسادة ؛ بل كانت من العلوم التى تدرس فى الأدوار السفلى فى المدارس القديمة ، ولكن صار لها بفضل خالد ابن يزيد بن معاوية شأن عظيم ؛ فهو فى الحقيقة قد اهتدى بهدى جده معاوية بن أبى سفيان الذى فتح بابه على مصراعيه للعلماء ليتدارسوا المشكلات العلمية .

يقول أحمد الدمرداش فى كتابه (تاريخ العلوم عند العرب) قبيل انتشار المدارس كانت حلقات العلم لا تعقد فى أمكنة من طراز واحد : بل تعقد فى أمكنة مختلفة كالمساجد وقصور الخلفاء والأمراء ، ومنازل العلماء والمكتبات ، وكان الخلفاء يعدون أنفسهم حماة للعلم ، ويرون أن قصورهم يجب أن تكون مركزا تشع منه الثقافة والعرفان ، بدأت بقصر معاوية بن أبى سفيان الخليفة الأموى الأول ، ثم خالد بن يزيد بن معاوية المؤسس الأول لعلم الكيمياء عند العرب .

أما حاجى خليفة فيقول فى كتابه (كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون) أول من تكلم عن علم الكيمياء ووضع فيها الكتب ، وبيّن صنعة الأكسير والميزان،ونظر فى كتب الفلاسفة من أهل الاسلام خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان . وأول من اشتهر هذا العلم عنه جابر بن حيان الصوفى من تلامذة خالد كما قيل :

حكمة أورثناها جابر عن إمام صادق القول وفى

ووقد امتدح فاضل أحمد الطائى فى كتابه (أعلام العرب فى الكيمياء) خالد بن يزيد بن معاوية كنابغة فى الكيمياء والأدب العربى .

إن التاريخ الاسلامى ليشهد للأمير خالد بن يزيد بن معاوية بمقدرته العلمية والقيادية ، ولكن الحظ لم يحالفه بأن يتولى القيادة ، فقد حاول محاولات قليلة لتولىّ زمام الأمور فى الدولة الاسلامية ، دون أن يحرز نجاحا . أراد كثير من أصدقائه وأقاربه تشجيعه ليتولى مقاليد حكم بنى أمية بالقوة ، ولكنه رفض؛لوجود مروان بن الحكم الذى عرف برجاحة عقله ، وهو فى ذلك الوقت أكبر بنى أمية سنا . وقد لخص سعيد الديوه جى فى كتابه (الأمير خالد بن يزيد) الموقف بقوله : انقسمت الأمة الإسلامية إلى ثلاثة أحزاب بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هجرية (٦٨٤ ميلادية) :

١ ـ حزب عبدالله بن الزبير وكان يرى نفسه أولى بالخلافة ، حيث كان يحكم الحجاز وامتد سلطانه إلى سوريا ومصر ، وتعداها إلى العراق وخراسان .

٢ ـ حزب مروان بن الحكم : وكان يرى أنصاره أنه ما أحد أولى بهذا المنصب منه ، إنه لكبير قريش وشيخها ، وأرجحها عقلا وكمالا ودينا وفضلا .

٣ ـ حزب خالد بن يزيد يؤازره أخواله ، من بنى كلب ومعه الأردن وطبرية ، ويرى أنصاره أنه من معدن الملك ، ومقر السياسة والرياسة . جده معاوية مؤسس الدولة الأموية وأحد دهاة العرب المعدودين ، ولخالد عقل وفضل ، لكنه دون الحلُم .

وقد رأى بنو أمية وأنصارهم خطورة الموقف ، وأن حزب عبدالله بن الزبير سينجح إذا لم يتفق بنو

أمية ويلتفوا حول بعضهم . وفى آخر الأمر رأوا أن يتولى مقاليد الحكم مروان بن الحكم ويخلفه خالد ابن يزيد ، ولكن عندما تولى الخلافة مروان بن الحكم حصرها فى أبنائه ، وانقطعت أسرة آل أبى سفيان عن الخلافة . يقول سعيد الديوه جى فى كتابه السابق : (وانتقلت الخلافة من أسرة آل أبى سفيان إلى أبناء الحكم ، وأن مروان بن الحكم نكث العهد ، وحصرها فى اولاده ، فجعلها فى ابنه عبد الملك ومن بعده إلى ابنه عبد العزيز. وعمل خالد شتى الحيل لاسترجاع الخلافة إلى الفرع السفيانى ، وكان نصيبه الفشل ، والمتتبع لحياته يجد علائم الذكاء والاعتداد بالنفس والتزعم ، كانت تظهر فى أقواله وأفعاله منذ صغره . وقد أجمع الذين ترجموا له أنه كان من رجال قريش المعدودين علما وفضلا ولكن الأقدار تعدته .

عندما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان بن الحكم ، بدأ الخوف على الأمة الاسلامية ينمو فى تفكير خالد بن يزيد ؛ لأن عبد الملك عُرف بتسلّطه بسيفه ولسانه . فصار خالد بن يزيد يعقد صداقة مع المعارضين لعبد الملك وحكمه ، فعلى سبيل المثال تزوج خالد برملة بنت الزبير ، فحاول عبد الملك أن يحول بين خالد ورملة ولكنه فشل . يقول سعيد الديوه جى فى كتابه (الأمير خالد بن يزيد) : إن النزاع السياسى لخالد كان هادئا ، فإنه لم يُرق - فى سبيل ذلك - دما ، فقد استعاض عن السنان باللسان ، لأنه يعلم حق العلم أن الناس مع القوى ، وأنه لا يمكن أن يستميلهم إليه ، طالما سيوفهم مع الخليفة ، الذى لا يتأخر عن ذبح أقرب الناس إليه فى سبيل توطيد الملك ، والذى هدد الناس بقوله : من قال لى اتق الله - بعد موقعى هذا - ضربت عنقه)، ولذا فإن خالدا لم يقم بثورة ، وكان آل أبى سفيان يستفزونه فى كل مناسبة ، ويحاولون أن يحركوه على القيام بحركة فعالة ولكن بدون جدوى .

أما موضوع زواج الأمير خالد بن يزيد من رملة بنت الزبير فهى فى الحقيقة أسطورة غريبة نقلها سعيد الديوه جى فى كتابه (خالد بن يزيد) وهى : حج عبد الملك بن مروان ، ومعه خالد بن يزيد ابن معاوية ، كان هذا من رجال قريش المعدودين ، وكان عظيم القدر عند عبد الملك ، فبينما هو يطوف بالبيت ، إذ بصر برملة بنت الزبير بن العوام ، فعشقها عشقا شديدا ووقعت بقلبه وقوعا متمكنا ، فلما أراد عبد الملك القفول هم خالد بالتخلف عنه ، فوقع بقلب عبد الملك تهمة ، فبعث إليه فسأله عن أمره . فقال : يا أمير المؤمنين ، رملة بنت الزبير ، رأيتها تطوف بالبيت فأذهلت عقلى ، فو الله ما أبديت اليك ما بى حتى عيل صبرى ، ولقد عرضت النوم على عينى فلم تقبله ، والسلو عن قلبى فامتنع عنه ، فأطال عبد الملك التعجب من ذلك ، وقال ما كنت أقول إن الهوى يستأثر مثلك ، قال (فإنى لأشد تعجبا منى .. الخ ..) ونظم الأمير خالد بن يزيد أبياتا من الشعر فى مناسبة زواجه برملة بنت الزبير بن العوام ومنها :

أليس يزيد السيرُ من كل ليلة ... وفى كل يوم مِنْ أحبتنا قربا
أحِنّ إلى بنت الزبير وقد بدّت ... بنا العيسُ خرقا فى تهامة أو نقبا
اذا نزلت أرضا تحبّب أهلها ... إلينا ، وان كانت منازلها حَرْبا
وان نزلت ماء ـ وان كان قبلها ... مليحاً ـ وجدنا ماءه باردا عذبا
تجول خَلاَخِيلُ النساء ولا أرى ، ... لرملة خَلْخَالاً يجول ولا قلبا
أحب بنى العوام طرًّا لحبها ... ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا
خليليّ ما من ساعة تذْكرانها ... من الدهر ، الا فرجت عنى الكربا

وعندما يئس خالد بن يزيد من الوصول إلى الخلافة ، اتجه إلى طلب العلم ، فنبغ فى هذا المجال . وقد اهتم فى بادئ الأمر بعلم الصنعة (علم الكيمياء) ، فجلب العلماء من مصر ليترجموا العلوم الكيميائية والطبية من اليونانية والقبطية إلى اللغة العربية ، فخالد بن يزيد ـ الذى عجزت بنو أمية أن تنجب مثله ـ أول من بدأ ترجمة العلوم البحتة والتطبيقية من لغات مختلفة إلى العربية ، ثم نقلت الدواوين من اللغة الفارسية إلى العربية فى أيام الحجاج . يقول ابن النديم فى كتابه (الفهرست) : كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلا فى نفسه ، وله همة ومحبة للعلوم . خطر بباله الصنعة ، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى إلى العربى ، وهذا أول نقل كان فى الإسلام من لغة إلى لغة ، وأضاف محمد يحيى الهاشمى فى كتابه (الكيمياء فى التفكير الإسلامى) قوله : كان يعيش فى الإسكندرية راهب يدعى (ماريانوس) كان يشتغل فى الكيمياء ، وقد سمع به الأمير العربى خالد بن يزيد واستدعاه إلى دمشق ليتعلم منه الصنعة . وبعد أخذ ورد قَبِل هذا الراهب المجيء الى سورية ليعلم خالدا الكيمياء ، وقام بترجمة عدة كتب إلى اللغة العربية) .

يجب أن نأخذ من منهج حياة الأمير بن يزيد درسا نهتدى به فى حياتنا العملية ؛ فهو لم يقف مكتوف اليدين نائحا على موضوع الخلافة ، بل استمر فى حياته اليومية ، وبدأ يفكر فى طريق آخر يخلّد به اسمه فاختار العلم وجلب العلماء المتخصصين فى علمى الكيمياء والطب من مصر . فخالد ابن يزيد يعتبر عصاميا من الدرجة الأولى . ولقد صار من العلماء المولعين فى الأدب والعلوم والتاريخ ، حتى أصبح مضرب الأمثال فى اهتماماته العلمية فى عصر كانت الأمة الإسلامية مشغولة فى مشاكلها السياسية . يقول سعيد الديوه جى فى كتابه (خالد بن يزيد) يئس خالد من الخلافة ولكنه لم ييئس أن يخلد له ذكرا يفوق ذكر الذى اغتصبها منه حيا وميتا .

خالد بن يزيد أحد المولعين بالعلم والأدب .. كما نرى أنه كان له ميل طبيعى إلى العلوم والمعارف ، وأن ذكاءه المتوقد وحبه للعلوم المختلفة لم يقنع بما كان للعرب من العلوم فى ذلك الوقت ، وإنما سعى بالاطلاع على ما للأمم الأخرى من العلوم والمعارف المختلفة ، ولم يكن يعرف غير العربية،ولكن كان فى الشام رهبان يعرفون اللغات الأجنبية ، وقد تعلموا اللغة العربية من الفاتحين ، كما أن مدرسة الاسكندرية كانت لم تزل موجودة ، وفيها علماء تعلموا اللغة العربية ، وفى استطاعتهم أن يترجموا كتب الأمم الأخرى . ويذكر الجاحظ فى كتابه (البيان والتبيين) كان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا ، جيد الرأى أديبا كثير الأدب حكيما ، وكان أول من أعطى التراجمة والفلاسفة ، وقرب أهل الحكمة ورؤساء أهل كل صناعة ، وترجم كتب النجوم والطب والكيمياء والحروب والآداب والآلات والصناعات .

لقد اهتم خالد بن يزيد اهتماما بالغا ببعض فروع المعرفة كالكيمياء والطب والفلك . فأما اهتمامه بعلم الطب فلحاجة الشعب له ؛ لأنه يخوض ويعالج بعض الأمراض التى تصيب أفراد الشعب ، فهذا الموضوع من أهم الموضوعات التى اعتنى بها علماء العرب والمسلمين بعد خالد ، وأما علم الكيمياء فهو العلم الوحيد الذى كان الاعتقاد بين الناس سائدا أنه يمكن بواسطته تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب وفضة . وكذلك يمكن صنع الأدوية باستعمال النظريات الكيميائية ، وهذه بطبيعة الحال حقيقة علمية خدمت علم الطب عبر القرون . وأخيرا اهتم بعلم الفلك ، لأن العرب عرفوا بالتجارة والرحلات إلى جميع أنحاء العالم ، لذا يحتاجون إلى الإلمام بحركة النجوم . يقول سعيد الديوه جى فى كتابه (الأمير خالد بن يزيد) : كانت صناعة الكيمياء رائجة فى مدرسة الاسكندرية ، فاستعان خالد بعلماء هذه المدرسة واستقدمهم إلى الشام ، وبذل لهم العطايا الكثيرة ليترجموا له الكتب ، ومن هؤلاء راهب اسمه « مريانوس » طلب منه أن يعلمه صناعة الكيمياء ، ولما تعلمها أمر بنقل الكتب التى تبحث عنها الى العربية ، فنقلها له راهب آخر اسمه « اسطيفانوس ».وكان مولعا بالنجوم ونقلت له الكتب التى تبحث عنها . ويظهر لنا أنه لم يكن يكتفى بدراسة هذ العلم دراسة نظرية ، ويقنع بالأقوال دون التطبيق ؛ بل إنه كان يحاول أن يطبق ما يقرأ . تذاكروا الماء بحضرة عبد الملك ابن مروان بن الحكم فقال خالد : (إن شئت أعذبت لكم ماء البحر) فأتى بقلالى من ماء ثم وصف كيف يصنع به حتى يعذب .

ويذكر ابن خلكان فى كتابه (وفيات الأعيان) : ان خالد بن يزيد بن معاوية كان من كبار علماء قريش بفنون العلم ، وله إسهامات جليلة فى صنعة الكيمياء والطب ، كان ذا باع طويل فى هذين العلمين متقنا لهما ، وله رسائل ومؤلفات توضح بكل جلاء معرفته وبراعته .

وقد سخَّر خالد بن يزيد بن معاوية المال لخدمة العلم والعلماء ؛ فكان حكيما فى تصرفاته ، ولذا لقب بحكيم بنى أمية . وكان يقرض الشعر ، وقد امتاز شعر خالد بن يزيد بخلوِّه من المجُون والفُحش والغزل العارى ، لذا يمكن القول بأنه شاعر حكيم وعرَّاف وملتزم بتعاليم الإسلام . يقول سعيد الديوه جى فى كتابه (الأمير خالد بن يزيد) : بل إن خالد بن يزيد سخَّر المال لتهذيب نفسه وتثقيف عقله ، وتخليد ذكره بين العلماء والأدباء والشعراء فهو من رجالات قريش المتميزين بالفصاحة والسماحة وقوة العارضة ، علاَّمة خبيرٌ بالطب والكيمياء حكيمٌ شاعرٌ ، وقد علم العربَ والعجم . وهو بعيد كل البعد عن طيش الشباب ، ونزق الفتيان ، وانهماك المترفين ، ولهو المجّان . فهو يمثل النفس الأبية الطاهرة ، التى لا تشغلها ملذات الدنيا ونعيمها عن تخليد ذكرها ، وهو يحاسب نفسه على كل عمل يقوم به ، أو قول يصدر منه ، ، ولقد صدق من سماه : (حكيم بنى أمية) ..

ويظهر ورعه وزهده وتقاه جليّا من بعض أشعاره وأقواله ، التى نقلها سعيد الديوه جى فى كتابه (الأمير خالد بن يزيد) منها :وكان خالد بن يزيد يذكر الحساب والعقاب ، وأن كل نفس ستجد ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء ، ويحث على العمل الصالح لهذا اليوم العصيب :

إن سرك الشرف العظيم مع الغنى — وتكون يوم أشد خوف وائلا
يوم الحساب إذا النفوس تفاضلت — فى الوزن إذ غبط الأخف الأثقلا
فاعمل لما بعد الحياة ولا تكن — عن حظ نفسك فى حياتك غافلا

ومن أقواله المأثورة :

(١) إذا كان الرجل محاربا ، لجوجا معجبا برأيه ، فقد تمت خسارته .
(٢) وقيل لخالد : ما أقرب شيء ؟ قال : « الأجل » .
(٣)قيل له : ما أبعد شيء ؟ قال : «الأمل » .
(٤) قيل له : ما أوحش شيء ؟ قال: « الموت » .
(٥) قيل له : فما أنسب شيء ؟ قال : « الصاحب المواتى » .
(٦) قيلَ له : فما الدنيا ؟ قال : « ميراث » .
(٧) قيل له : فما الايام ؟ قال : « دول » .

كان خالد بن يزيد بن معاوية يصوم ثلاثة أيام من كل أسبوع فى آخر أيام حياته . كما أنه بنى جامع حمص المشهور وكان عدد العمال فى ذلك الوقت أربعمائة عبد ، فلما أنهوا بناء المسجد

اعتق العبيد لوجه الله سبحانه وتعالى . وفى آخر الأمر انقطع خالد بن يزيد عن الناس وانكب على القراءة والتصنيف .

ويلخص سعيد الديوه جى فى كتابه (الأمير خالد بن يزيد) هذا قائلا : كان خالد زاهدا تقيا يصوم الجمعة والسبت والأحد من كل أسبوع .. كان كثير الحديث للناس عن صفوة الخلق الرسول ﷺ وقد أجمع المؤرخون على زهده ونقاوته وورعه ، وأنه وأخوه كانا من خيار القوم . ومن آثاره الجليلة أنه عمر جامع حمص وكان له (٤٠٠) عبد يعملون فيه ، فلما انتهى عمار الجامع اعتقهم فى سبيل الله . لذا نجده يقضى آخر حياته فى بيته ، منقطعا عن الناس ، ولزم عبادة ربه ، والتتبع والدراسة ، فخلد له ذكرا يفوق ذكر الكثير من أبناء الذين حرموه من الخلافة ، وأسندوها إلى من لا يمكن أن يقاس بحكيم آل أمية ، الذى وضع أساس التدوين والترجمة للعرب ، وأطلعهم على علوم ومعارف لا يعرفونها . وقد سئل : (كيف تركت الناس ولزمت بيتك ؟) قال : (هل بقى الاّ حاسد نعمة ، أو شامت بنكبة ؟) .

ويعتبر خالد بن يزيد بن معاوية بحق من رُوّاد علماء العرب والمسلمين فى حقل الكيمياء ، بل هو أول من قاد قافلة الكيميائيين العرب والمسلمين . كما أنه يعتبر أول من استعمل علم الكيمياء لصناعة بعض الأدوية لخدمة حقل الطب ؛ لذا نجد أن علماء العرب والمسلمين أولوا هذا الفن العناية التامة ، ولقد اشتهر خالد بن يزيد بين معاصريه بحنكته وسعة اطلاعه على معظم العلوم البحتة والتطبيقية ، فهو اول من أُدخل علمى الطب والكيمياء والعلوم الأخرى اليونانية إلى العالم العربى .

يقول ابن النديم فى كتابه (الفهرست) : قال محمد بن اسحق : الذى عنى بإخراج كتب القدماء فى الصنعة خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان خطيبا شاعرا فصيحا حازما ، ذا رأى ، وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم ، وكتب الكيمياء . أما محمود الحاج قاسم فيقول فى كتابه (الموجز لما أضافه العرب فى الطب والعلوم المتعلقة به) وأن أول من قاد هذه القافلة من الكيميائيين العرب وأدخل الكيمياء والطب وبقية العلوم اليونانية إلى العالم العربى هو خالد بن يزيد بن معاوية .

كانت فكرة تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة كالذهب والفضة منتشرة بين العلماء آنذاك ولا شك أن خالد بن يزيد بن معاوية تأثر بهذه الفكرة الخلابة ، وهى إمكانية تحويل مادة النحاس إلى ذهب ، وقضى وقتا فى التفكير للوصول إليها ، فطلب مجموعة من كبار العلماء فى حقل الكيمياء من مدرسة الاسكندرية راجيا أن ينجح مشروعه هذا .

يقول محمد فائز القصرى فى كتابه : (مظاهر الثقافة الاسلامية وأثرها فى الحضارة) : فقد استدعى الأمير خالد بن يزيد بن معاوية عددا من علماء الاسكندرية الى دمشق وأغدق عليهم المال وأحسن لهم مطالبهم ، وكلفهم بالتجارب العلمية والترجمة للحصول على الذهب من مادة النحاس .

ويذكر أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه : (الأغانى) أن خالد بن يزيد بن معاوية قضى مدة طويلة من حياته فى طلب الكيمياء حتى أنه برز فى هذا الميدان . وقد امتدحه القاضى أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسى فى كتابه (طبقات الأمم) : أن خالد بن يزيد بن معاوية كان متضلعا فى حقلى الطب والكيمياء ، فهو أول من بين العلاقة المتينة بينهما ، ويتضح من إنتاجه فى هذا المجال أن له باعا طويلا . أما محمد ابراهيم الصيحى فيذكر فى كتابه (العلوم عند العرب) : أن خالد بن يزيد ابن معاوية كان من قادة الأوائل لعلم الكيمياء فهو الذى أمر بترجمة الكتب الأغريقية التى تناولت بعض الدراسات الكيميائية وعكف على دراستها والتعليق عليها حتى برع فى هذا الحقل .

مؤلفاته :

اهتم خالد فى آخر حياته بالتأليف فكتب كثيرا من الكتب والرسائل ، ذكر بعضها فى (الفهرست) لابن النديم ، و (كشف الظنون) لحاجى خليفة ، و (وفيات الأعيان) لابن خلكان ومنها :

(١) كتاب وصيته الى ابنه فى الصنعة .
(٢) كتاب الحرارات .
(٣) كتاب الصحيفة الكبير .
(٤) كتاب الصحيفة الصغير .
(٥) ثلاث رسائل فى الصنعة احتوت إحداها على ما جرى بينه وبين مريانوس .
(٦) السر البديع فى فلك الرمز المنيع .
(٧) منظومة فردوس الحكمة فى علم الكيمياء ويذكر صاحب كشف الظنون أن هذه المنظومة تحتوى على ثلاثمائة وخمسة عشر بيتا مطلعها :

الحمد لله العلى الفرد الواحد القهار رب الحمد
يا طالبا صناعة الحكماء خذ منطقا حقا بغير خفاء

(٨) وكتاب الرحمة فى الكيمياء[٤] .

ويروى لنا أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه (الأغانى) رواية طريفة تدل على تواضع الأمير خالد ابن يزيد المتميز وعقله الراجح : قابله راهب سأله : أأنت من أمة محمد ؟ ، فقال خالد : نعم ، فسأله الراهب : أمن علمائهم أم من جهالهم ؟ فقال خالد بن يزيد : لست من علمائهم أو جهالهم ، قال الراهب : ألستم تزعمون فى كتابكم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ فأجاب خالد : بأن لهذا مثلا فى الدنيا ، فسأل الراهب : فما هو ؟ قال خالد : مثل الصبى فى بطن أمه يأتيه رزق الرحمن بكرة

وعشيا لا يبول ولا يتغوط ، فأدرك الراهب أنه يخاطب عالما وقال : ألم تزعم بأنك لست من علمائهم ؟! فأجابه خالد : بلى ما أنا من علمائهم ولا من جهالهم .

وخلاصة القول أن خالد بن يزيد بن معاوية ، كان بإمكانه أن يتولى الحكم ، ولكن بطريقة العنف التى يمكن أن تقود الى تفكك الدولة الإسلامية ، فبحكمته ترك الحكم وانصرف إلى طلب العلم ؛ حيث خلد اسمه بين من أسس العلوم التطبيقية فى العالم العربى والإسلامى . ويعده كثير من المؤرخين من عباقرة العالم الاسلامى ، بل من الذين وضعوا النظريات الهامة ، والإضافات المبتكرة فى حقلى الطب والكيمياء ، فهو اول من جلب العلماء غير المسلمين من مدرسة الاسكندرية التى كانت عامرة بكبار العلماء من يونان وأقباط ، فلم يجعل الاختلاف فى العقيدة حائلا بينه وبينهم ، بل قربهم منه واستفاد من خبرتهم العظيمة بالترجمة من اللغات المختلفة إلى لغة القرآن الكريم ، فصار خالد بن يزيد ـ رحمه الله ـ يتتلمذ على الكتب المترجمة ؛ لأنه لا يجيد لغات أجنبية .

خالد بن يزيد بن معاوية هو الذى جعل علم الكيمياء علما ذا أهمية كبرى ، حيث طوره وجعل منه مصدرا لصناعة العقاقير ، والاعتقاد بإمكانية تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب وفضة ، لذا نجد أن كثيرا من العلماء فى العالم الإسلامى تحمسوا لهذا الحقل حتى صار مصدرا للعلم التجريبى ، ولقد ترعرع المنهج العلمى على أيدى علماء العرب والمسلمين الذين اهتموا بالعلوم التطبيقية مثل الكيمياء والفيزياء والفلك وغيرها ، وقد انعقد إجماع مؤرخى العلوم ، على أن خالد بن يزيد بن معاوية يعتبر بحق من نوابغ الكيميائيين العرب ، إذا أخذنا بعين الاعتبار الظروف التى كانت محيطة به ، فالأمير خالد بن يزيد بن معاوية من حكماء الرأى ، كان حكيما كيائيا ، ذا اخلاق ممتازة ، وبعد نظر عجيب ،ولقد احسن صنعا فى نهج طريق العلم بدلا من الحكم . لأن الأمة الإسلامية آنذاك كانت فى أشد الحاجة الى الاستفادة من المصادر اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والعبرية وغيرها .

لم يهمل خالد بن يزيد الجانب الأدبى والاسلامى ، وتعزى فصاحته إلى حفظه القرآن الكريم ، وقد كان من الذين يقضون معظم وقتهم فى الإرشاد والتذكير بصفوة الخلق الرسول ﷺ حتى أنه فى بعض الأحيان كان يجمع خدمه فى بيته ويتلو عليهم القرآن الكريم ويفسره لهم ويقرأ بعض أحاديث الرسول ﷺ .

كان خالد بن يزيد بن معاوية فصيح اللسان ، صاحب فكرة ، قوى الشخصية منذ نعومة أظفاره . كان مصدرا للنصح والإرشاد لبنى أمية ، ولذا حق أن يلقب بحكيم بنى أمية . ويذكر ياقوت الحموى فى كتابه (معجم البلدان) : أن خالد بن يزيد بن معاوية يعد من رجال قريش الأفذاذ الذين اشتهروا بالفصاحة واللين والورع .

لقد أجمع المؤرخون فى حقل العلوم التطبيقية فى العالم : أن الأمير خالد بن يزيد بن معاوية هو أول من بدأ الحركة العلمية بين العرب والمسلمين . يقول فاضل أحمد الطائى فى كتابه (أعلام العرب فى الكيمياء) : لقد أجمعت المصادر المتوفرة لدينا على أن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، رائد العرب والإسلام فى الكيمياء ، وكان أول من أمر بترجمة التراث اليونانى إلى اللغة العربية ، إضافة إلى تعريب ما نقل من اليونانية الى القبطية ، ويعتبر بحق الرائد الأول فى نقل العلوم إلى اللغة العربية ، وبذلك وفر العلم لمن أراد ارتشافه من العرب والمسلمين الذين يحسنون اللغة العربية ، وبعد أن قرأ العلم بإمعان ، شغف بعلم الكيمياء بالدرجة الأولى ، وبالعلوم الأخرى بصورة عامة .

○ ○ ○

• الهوامش •

(١) الخرق : الفلاة الواسعة .

(٢) النقب : الطريق فى الجبل .

(٣) القلب : سوار المرأة .

(٤) ذكرت بعض المصادر أن هذا الكتاب لجابر بن حيان .

المراجع :

(١) ابن النديم : الفهرست .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان .

(٣) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم .

(٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان .

(٥) الجاحظ : البيان والتبيين .

(٦) حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون .

(٧) أحمد الدمرداش : تاريخ العلوم عند العرب .

(٨) سعيد الديوه جى : الأمير خالد بن يزيد .

(٩) فاضل أحمد الطائى : أعلام العرب فى الكيمياء .

(١٠) محمود الحاج قاسم : الموجز لما أضافه العرب فى الطب والعلوم المتعلقة .

(١١) محمد فائز القصرى : مظاهر الثقافة الإسلامية وأثرها فى الحضارة .

(١٢) محمد ابراهيم الصيحى : العلوم عند العرب .



للأستاذ رابح لطفى جمعه

لم يختلف اللغويون قديماً وحديثاً حول كلمة كاختلافهم حول كلمة « قرآن » ، ولعل السبب فى ذلك أن يكون راجعاً الى ما توهمه البعض من أن العرب فى الجاهلية لم يعرفوا لفظة « قرأ » بمعنى التلاوة ، وحين عرفوها استخدموها بمعنى غير معنى التلاوة ؛ فكانوا يقولون : هذه الناقة لم تقرأ بسلى قط . يقصدون أنها لم تحمل ملقوحاً ولم تلد ولداً . ومنه قول عمرو بن كلثوم :

ذراعى عيطل أدماء بكر هِجان اللون لم تقرأ جنينا

وقد تمثل هذا الاختلاف القديم الجديد فى اتجاهين أساسيين ، أولهما حول الأصل الاشتقاقى للفظة « قرآن » والثانى حول عربية هذا اللفظ .

وفى هذا المقال نتناول هذا الاختلاف باتجاهين،محاولين أن ندلى فيه برأينا

○ الأصل الاشتقاقى للفظة قرآن ○

أما بالنسبة إلى الأصل الاشتقاقى للفظة قرآن ، فقد ذهب علماء اللغات فى هذا اللفظ مذاهب شتى ، فهو عند البعض مهموز ، وعند البعض الآخر غير مهموز ، فمن رَأى أنه بغير همز الشافعى والفرَّاء والأشعرى .

كذلك قرأ لفظة « القرآن » غير مهموز قارئ أهل مكة المكرمة فى زمانه إسماعيل بن عبد الله ابن قسطنطين آخر أصحاب ابن كثير زماناً . وعن أبى بكر بن مجاهد أنه قال « كان أبو عمر بن أبى العلاء لا يهمز القرآن،وكان يقرؤه كما روى عن ابن كثير » .

ويقول الشافعى : إن لفظ « القرآن » المعرف ليس مشتقاً ولا مهموزاً بل ارتجل ارتجالاً ووضع علماً على الكلام المنزل على النبى ﷺ .

فالقرآن عند الشافعى كما يقول : لم يؤخذ من كلمة « قرأت » ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرئ قرآناً ، ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل .

والمعروف أن التوراة بالعبرية « تورة » مأخوذة من كلمة « هِرْآة » بكسر فسكون بمعنى دلَّ أو هدى ، أو أورى أو أنار وهى اسم لما أنزل على موسى ، أما الإنجيل فمعناه « البشارة » وهو اسم لما أنزل على عيسى عليه السلام ، وهكذا القرآن اسم لما أنزل على النبى ﷺ .

أما الفراء فيقول : إن لفظ « القرآن » مشتق من القرائن جمع قرينة ؛ لأن آياته يشبه بعضها بعضاً فكأن بعضها قرينة على بعض .

ويقول : الأشعرى ومن تابعه على رأيه : إنه مشتق من قرن الشيء بالشيء إذا ضمه إليه ؛ لأن السور والآيات تقرن فيه ، ويضم بعضها إلى بعض .

إذاً فالقرآن عند الأشعرى وأصحابه معناه الجمع ؛ لأنه يجمع السور فيضمها بعضها الى بعض . ويقول ابن عباس :

« قرأت الكتاب قراءة وقرآناً ، ومنه سمى القرآن ؛ لأنه جمع القصص ، والأمر والنهى ، والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض . ويقول الراغب الأصبهانى :

« القراءة ضم الحروف والكلمات إلى بعض فى الترتيل ، يقال ذلك لكل جمع ، فلا يقال قرأت القوم أى جمعتهم .

وغنى عن البيان أن القول بعدم الهمز فى القرآن فى هذه الآراء جميعها بعيد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة ، وبالتالى فإننا نطرح هذا الرأى جانباً .

أما من رأى أن لفظ القرآن مهموز فهما الزجاج واللحيانى ، ويقول الزجاج : إن لفظ القرآن مهموز على وزن فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأ الماء فى الحوض إذا جمعه ؛ لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة .

ويعلل الزجاج قراءة من قرأ كلمة « القرآن » بغير همز بأنه ترك الهمزة من باب التخفيف ، ونقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها وهو ما تجيزه اللغة وتخضع له ولا يغير شيئاً من أصول الكلمات ، وعلى ذلك فكلمة القرآن غير المهموزة تساوى كلمة القرآن المهموزة مشتقة من مادة « قرأ » .

أما اللحيانى فيقول إنه مصدر مهموز بوزن الغفران والفرقان مشتق من قرأ بمعنى تلا ؛ سمى به المقروء ، وتسمية للمفعول بالمصدر .

ونحن نميل الى هذا الرأى الأخير ؛ لأنه أقوى الآراء وأرجحها كما سنبين ذلك . فالقرآن فى اللغة إذاً مصدر مرادف للقراءة على وزن فعلان وهو لفظ عربى صريح مادةً وصيغةً ومنه قوله تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » ، ويرى بعض المفسرين أيضا أن قوله تعالى : « الرحمن علم القرآن » أى علم القراءة .

والملاحظ أن كلمتى القرآن والقراءة تزدوجان فى كثير من آى الكتاب الكريم ، قال تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » وقال « وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث » وقال « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » . وإذاً فإن كلمة القرآن مشتقة من القراءة لا من القرء .

• كلمة « القرآن » عربية •

أما الاتجاه الثانى فى اختلاف اللغويين حول كلمة « القرآن » فيتمثل فى عربيـة هذه الكلمة ، فمنهم من قال إن هذه الكلمة أخذها العرب من أصل آرامى وتداولوها ، إذ وردت القراءة فى الآرامية بمعنى التلاوة ، وقد نادى بهذا الرأى المستشرق « برجشتراسر » حيث قال : إن اللغات الآرامية والحبشية والفارسية تركت فى اللغة العربية آثاراً لا تنكر لأنها كانت لغات الأقوام المتمدينة المجاورة للعرب فى القرون السابقة على الهجرة .

ويؤكد صبحى الصالح فى كتابه « مباحث فى القرآن الكريم » هذا الرأى ويقول ، إن تداول العرب قبل الإسلام للفظ « قرأ » الآرامى الأصل بمعنى « تلا » كان كافياً لتعريبه واستعمال الإسلام له فى تسمية كتابه الكريم .

وقريب من هذا الرأى رأى الدكتور طه حسين حيث يقول . إن القرآن ليس شعراً ولا نثراً ولكنه قرآن وأصله بالسريانية « الجهر » أى أنه كتاب يُتلى جهراً أو أنه كتاب جهر به ، وظهر بعد أن كان فى طىِّ الخفاء .

وغنى عن البيان أن هذا الرأى هو رأى المستشرقين « شواللى » و« ويلهاوزن » ، فقد عارض هذان المستشرقان فى عروبة كلمة القرآن ؛ وقالا ، ان هذه الكلمة مأخوذة من كلمة « قريانى » السريانية وهى بمعنى القراءة أو المقروء ، ويقوى هذا الفرض لديهما مقاربة الكلمة السريانية للكلمة العربية فى الصيغة .

ويرى محمد طه الحاجرى أن إنكار المستشرقين لعروبة كلمة « قرآن » وردها الى الآرامية أو السريانية ، إنما يرجع الى مزاعمهم فى القرآن أن يصدر عن أصول أجنبية كالتوراة والانجيل ، ومن هنا لا يرون بأساً فى أن يكون القرآن قد استعار عنوانه أيضاً من هذه المصادر ، أو من اللغة التى كتب بها .

وكما سبق أن ذكرنا أن حجة من أنكر عروبة لفظ القرآن هى عدم ورود مادة القراءة فى نص جاهلى شعراً كان أو نثراً ، ولكننا لا نعتقد أن هذه الحجة تنهض دليلا على صواب هذا الرأى ؛ فالثابت عند علماء اللغة العربية أن لغة العرب لم تنته إلينا بحذافيرها ، وإنما الذى جاءنا من العرب غيض من فيض . وقد ذهب كثير من الكلام شعراً ونثراً بذهاب أهله . وفى ذلك يقول ابن فارس « ذهب علماؤها أو أكثرهم إلى أن الذى انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل ، ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير » .

وإذاً فإن عدم ورود مادة قرأ وقراءة فى نص جاهلى لا يدل دلالة قاطعة على عدم وجود الكلمة فى اللغة العربية ، فليس منكوراً ـ كما يقول المرحوم محمد لطفى جمعه فى كتابه « ثورة الاسلام وبطل الأنبياء » ـ أن العرب قبل الاسلام كانت أمة تجارة ، وكانت مكة بصفة خاصة مركزاً من المراكز التجارية الكبرى ، فكانت الكتابة شائعة فى مكة أكثر منها فى المدينة ؛ لأن أهل المدينة كانوا مشغولين بالزراعة ، وبديهى أن الحياة التجارية والمعاملات التجارية تعتمد إلى حد كبير على الكتابة ولا كتابة بغير قراءة .

وتدل النصوص الجاهلية نفسها على أن العرب قد اتخذوا الكتابة لا فى الوثائق التجارية فحسب ، بل فى عقد المحالفات بين القبائل المختلفة وأشهرها فى الجاهلية حلف الفضول ، الذى حضره النبى ﷺ فى شبابه قبل بعثه فى دار عبد الله بن جدعان ، كذلك حلف ذى المجاز .

وقصة « **صحيفة المتلمس** » أشهر من أن تروى ، وهى واقعة حدثت فى الجاهلية ، فيروون أن عمرو بن هند ملك الحيره كتب لطرفة بن العبد صاحب المعلقة المعروفة باسمه ولخاله المتلمس كتابين إلى عامله على البحرين وعمان ، فلقيا فى طريقهما غلاماً يرعى غنيمة ولما علما منه أنه يحسن القراءة فض المتلمس كتابه ودفعه الى الغلام فقرأه فإذا به أمر بقطع يدى المتلمس ورجليه ودفنه حياً فقال المتلمس لابن أخته : يا طرفة معك والله مثلها فقال طرفة : كلا ! ما كان ليكتب لى مثل ذلك . وسار بالكتاب حتى أتى عامل البحرين وعمان وقتل . وهذا الخبر يدلنا على ان الكتابة والقراءة كانت معروفة عند الجاهليين .

ليس هذا فحسب بل إن المعلقات كانت تكتب وتعلق على الكعبة ليقرأها كل وافد على مكة فى مواسم التجارة والأدب ، وهذا يثبت أن العرب فى الجاهلية لم يكونوا غرباء عن الكتابة والقراءة .

ولماذا نبعد كثيراً وبين أيدينا نص لا يرقى إليه الشك ولا يأتيه الباطل بأن العرب فى الجاهلية كانوا يعرفون مادة « قرأ » بمعنى التلاوة ، ذلك هو خبر نزول الوحى على النبى ﷺ ، فقد أجمعت المصادر العربية والإفرنجية على أن أول ما بدئ به الرسول من الوحى هو الرؤيا الصادقة ، « فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح » . ثم حبب إليه الخلوة والانفراد بغار حراء يخلو به الليالى ذوات العدد حتى جاءه الحق وهو فى الغار ، إذ جاء الملك فقال :

ـ اقرأ . قال : ما أنا بقارئ

يعنى لا اعرف القراءة ، لأنه كان عليه الصلاة والسلام أمياً لا يعرف القراءة أو الكتابة . فكررها الملك مرتين ثم قال :

ـ اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم .

فهذا حديث نبوى شريف يقطع فى أن كلمة « قرأ » ومشتقاتها كانت معروفة عند عرب الجاهلية بمعنى التلاوة ، فلا عجب إذاً أن تكون كلمة يفتتح بها الوحى الربانى ، ويستهل بها التنزيل الآلهى هى كلمة « اقرأ » . وعلى فرض أن القرآن استعار مادة القراءة من بعض اللغات السامية الأخرى بزعم عدم العثور على هذه المادة فى النصوص الجاهلية التى بين أيدينا فهو افتراض بعيد عن الصواب وفيه كثير من المجازفة .

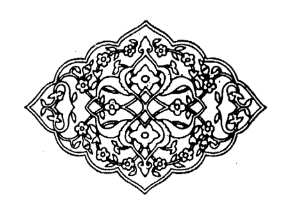
وعلى ذلك فإننا نرى أن الكتاب الكريم قد استحدث كلمة القرآن استحداثاً واشتقها من كلمة « القراءة » العربية الأصل ، وعلى نحو من الاشتقاق العربى الصميم ، فكثيراً ما يأتى المفعول فى لغة العرب بلفظ المصدر ، أو الفاعل ، فتقول العرب سر كاتم أى سر مكتوم ومكان

عامر أى معمور وعلى هذا فكلمة القرآن من قبيل تسمية المفعول بالمصدر .

حقيقة قد لا يكون هذا الاشتقاق شائعاً فى اللغة كغيره من الصيغ ، ولكنه فى حقيقة الأمر منسق الحروف منغوم النبرة ليس أجدر منه أن يكون اسماً وعنواناً وعلماً على ذلك الكتاب المعجز الخالد المنزل على النبى ﷺ والمكتوب فى المصاحف،والمنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته وقراءته .

وبعد ....

فلعنا أن نكون قد وفقنا الى إثبات عربية لفظ « القرآن » أصلاً واشتقاقاً ومعنى والله ولى التوفيق .!!!



• أهم مراجع البحث •

(١) السيوطى ، الإتقان فى علوم القرآن ، طبع القاهرة سنة ١٩٤١ .

(٢) الزركشى ، البرهان فى علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبع القاهرة ، سنة ١٩٥٧ .

(٣) ابن خالويه ، مختصر فى شواذ القراءات ، نشر بعناية المستشرق برجشتراسر ، طبع القاهرة سنة ١٩٣٤ .

(٤) الدكتور صبحى الصالح ، مباحث فى علوم القرآن ، طبع بيروت سنة ١٩٦٨

(٥) محمد لطفى جمعه ، ثورة الاسلام وبطل الانبياء ابو القاسم محمد بن عبد الله ، طبع مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة سنة ١٩٥٩ .

(٦) محمد طه الحاجرى ، « كلمة قرآن » ، مقال منشور بمجلة الرسالة ، سنة ١٩٣٦ .

(٧) رابح لطفى جمعه ، القرآن والمستشرقون ، طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٣ .

شمولية الفكر الجغرافى في كتب التراث

للدكتور محمد محمود محمدين

• مقدمة •

تولى الأمم الناهضة تراثها العلمى اهتماما كبيرا ؛ لأنه ميراثها من فكر الأجداد ، والمتنكر لتراثه أو الغافل عنه يصبح بلا هوية حضارية . إن اهتمامنا بالراث الجغرافى يجب ألا يقتصر على إعداد قوائم بكتب التراث وتحديد أماكن وجودها ، أو السعى الى مجرد اقتناء كتب التراث والمخطوطات والتشدق بعناوين تلك الكتب او الاشادة بؤلفيها ، وإنما يجب علينا أن نشجع الأبحاث الجادة ؛ لأنه على الرغم من تعدد الدراسات وتنوع البحوث التى تناولت تراثنا الجغرافى الاسلامى إلا أن هذا التراث مازال فى حاجة ماسة إلى جهود كثير من المخلصين؛ لمراجعة ما كتب عنه مراجعة شاملة ، وإعادة النظر فى هذا التراث على أساس موضوعى ؛ لالقاء الضوء على ما غمض من جوانبه ، وإبراز الإسهامات التى أثرى بها علماء المسلمين الفكر الجغرافى .

إن من الحقائق التى لا يمكن إخفاؤها أن العناية بالتراث الجغرافى الاسلامى ، وتحقيقه وتبويبه زمنياً وموضوعياً ، استمرت زمنا طويلا وقفا على المستشرقين ، وقد بدأ ظهور حركة الاستشراق فى القرن العاشر الميلادى على يد الراهب الفرنسى « جـر بر دى أوراليـاك Jerbert de Oraliac الذى قصد الأندلس أيام ازدهارها طلبا للعلم سنه ٩٩٩ م . وفى القرن السابع عشر الميلادى ازدهرت حركة الاستشراق بشكل كبير ، وقد أسس اوربانيوس الهولندى مطبعة عربية فى هولندا سنه ١٦١٣ م هى مطبعة ليدن التى قامت بطبع كثير من أمهات كتب التراث الجغرافى ، التى مازلنا نعتمد على معظمها أو على صور لها حتى الآن[١].ومن أوائل الذين اهتموا بالتراث الجغرافى الاسلامى من العرب فى القرن التاسع عشر الميلادى ، أحمد زكى باشا (١٨٦٧ ـ ١٩٣٤ م) .

وقد مثل أحمد زكى باشا (وهو فلسطينى المولد) الحكومة المصرية فى أربعة مؤتمرات من مؤتمرات المستشرقين ، قدم فى أحدها وهو مؤتمر اثينا سنه ١٩١٢ م عشرة كتب قديمة حققها ونقحها ، وستة كتب من تأليفه منها : معجم تحرير وضبط الأعلام الجغرافية ، وهو معجم عربى ـ فرنسى . وكان احمد زكى إذا ما وصف بالتعصب للعرب لاشتغاله بالتراث يقول : « هل يراد بنا أن نسكت عن مفاخر أجدادنا .. هل نترك لغيرنا إظهار مفاخر أجدادنا ... ثم ماذا أعمل بما أرشدنى إليه بحثى حديثاً وهو ان الكندى الاسلامى قد اكتشف ورصد نجماً من ذوات الأذناب ؟ هل نترك تحقيق هذه المسألة للأفرنج ونبقى عالة عليهم فى بيان مفاخرنا ؟ .[٢]

إن كثيرا من الدراسات التى قام بها المستشرقون فى مجال التراث الجغرافى الإسلامى فى حاجة إلى معاودة النظر مثنـى وثـلاث : لأن هؤلاء المستشرقـين مهما اتصفـوا أو تظاهـروا بالإنصاف والنزاهة فى دراساتهم ؛ فإنهم لن يسلمـوا من الميـل والهـوى وخـير مثـال لذلك « كراتشكوفسكى » فى مصنفه تاريخ الأدب الجغرافى العربى .

إن دراسة تراثنا الجغرافى ليست مضيعة للوقت كما قد يبدو لبعض السذج، أو أنها تخرج عن نطاق الجغرافيا المعاصرة ، أو أنها مجرد دعوة للرجوع إلى الوراء والتشدق بأمجاد غابرة ، وإنما هى دعوة من أجل بعث الثقة فى النفوس وإثارة للغيرة والحماس ، وحفزا للهمم حتى نعمل بجد واجتهاد لاسترداد مكانتنا فى هذا العلم . اقرأوا ما كتب « لاروس » الفرنسى فى دائرة معارفه عن جغرافية العرب يقول « لاروس » : « إذا أراد القارىء أن يجد فى القرن الحادى عشر عجيبة من العجائب الجغرافية فلا يبحثن عنها فى أوروبا التى صارت إذ ذاك بربرية ؛ ولكن ليبحث عنها عند العرب[٣] » .

ولا شك أن دراسة التراث الجغرافى قد تكون سبيلا لحل مشكلة اختلاف المصطلحات الجغرافية بين الأقطار العربية ، لاسيما وأن كتب التراث مليئة بالمصطلحات الجغرافية المناسبة

التى يمكن أن تسهم إلى حد كبير فى تضييق نطاق هذه المشكلة . ويؤمل بعض الباحثين على دراسة التراث الجغرافى فى إمكان ظهور مدرسة جغرافية عربية لها أصالتها وشخصيتها المتميزة .

• كتابات العرب فى الجغرافيا •

قلما يخلو كتاب من كتب التراث من معلومات أو معارف جغرافية سواء أكانت هذه الكتب كتب أدب أو تاريخ أو دواوين شعر أو فقه أو حديث . ولقد أطلق العرب أسماء عديدة على جوانب الفكر الجغرافى منها : علم تقويم البلدان ـ البلدان ـ عجائب الأقاليم السبعة ، صور الأقاليم ـ الأقاليم ـ علم المسالك والممالك ، صورة الأرض ، علم عجائب البلاد ، رسم المعمور ، الربع المسكون ، علم الأطوال والأعراض ، وعروض البلدان ، علم البرود (جمع بريد) ، جغرافيا .

وقد استخدم الجغرافيون المسلمون لفظ « جغرافيا » أحيانا للدلالة على خريطة الدنيا ، ومن هؤلاء ابن خلدون الذى ذكر فى مقدمته : « وصوروا فى الجغرافيا جميع ما فى المعمور من الجبال والبحار والأودية »(٤) .

وجاء فى المعجم العربى اللاتينى المعروف بالفوكابوليستا Voocablista الذى وضعه أحد الرهبان فى القرن ١٣ م ، لفظ « جعرافيه » بالعين المهملة مرتين ، فى ص ٨٠ للدلالة على الخريطة ، وفى ص ٤٦٩ « جعرفية » للدلالة على خريطة الدنيا(٥) .

إن من يتصدى لدراسة التراث الجغرافى الإسلامى عليه ألا يكف عن البحث ليس فقط فى كتب التراث الجغرافى، ولكن فى كل كتب التراث التاريخية والأدبية . وعلى سبيل المثال فان كتاب الحيوان للجاحظ يحوى مادة وفيرة فى الجغرافيا « الحيوانية » والاجتماعية على الرغم من أنه كتاب أدبى ، كما أن كتاب فتوح البلدان « للبلاذرى » حوى مادة هامة فى محيط الجغرافيا التاريخية والجغرافية السياسية والعسكرية ، على الرغم من أنه كتاب تاريخ .

• جغرافية التراث بين الأصالة والترجمة •

أسهم علماء المسلمين إسهامات كبيرة فى إثراء الفكر الجغرافى فى العصور الوسطى . ولم تقتصر كتاباتهم فى الجغرافيا على مجالات محددة ، بل امتدت لتشمل مجالات عديدة لكل ما هو معروف الآن

من فروع للجغرافيا المعاصرة تقريباً . لقد بدأت الكتابات الجغرافية عند المسلمين بالاعتماد على المعرفة الجغرافية القديمة ، التى كانت لدى الشعوب التى اعتنقت الاسلام ، من عرب وفرس وهنود ، كما اعتمدت كذلك على ترجمة كثير من الكتب اليونانية . إن الدولة الإسلامية حين امتدت واتسعت فتوحاتها تطلّب ذلك ان تتسع جنبات حياتها ويستبحر عمرانها ويستتبع ذلك انفتاحا على العلوم والفكر والحضارة[٦] . وتسابق الخلفاء على رعاية العلم وتشجيع العلماء ، ومنذ عهد أبى جعفر المنصور والرشيد والمأمون أصبح النقل والترجمة جزءا من سياسة الدولة ، وكان يدفع للمترجم مثل وزن الكتاب الذى ترجمه ذهبا . ومما تجدر الإشارة إليه أن أعمال العلماء المسلمين لم تكن مقصورة على ترجمة الكتب فقط ، بل سارعوا إلى تصحيح أخطائها وأضافوا إليها كثيرا من ملاحظاتهم وما حققوه من آراء .

وعموما يمكن تقسيم الفكر الجغرافى عند المسلمين فى العصور الوسطى من حيث أصالته إلى نمطين :

١ ـ نمط اتباع : حذا فيه المسلمون حذو الكتب التى نقلوا عنها وتأثروا بها ، ومن أمثلة ذلك الجغرافيا الفلكية والرياضية والإقليمية والبحرية .

٢ ـ نمط ابتداع : ابتكره الجغرافيون المسلمون أو أظهروا فيه أصالتهم مثل المعاجم الجغرافية ، والجغرافيا اللغوية والجغرافيا الدينية أو الروحية .

أن من يتصدى لدراسة كتابات الجغرافيين المسلمين يجد انها تشكل مدرسة جغرافية خاصة بهم ، أصدق ما توصف به هى أنها مدرسة روحية لغوية .

• نماذج توضح شمولية الفكر الجغرافى فى تراثنا •

نقصد بتعبير « شمولية الفكر الجغرافى » ما درج عليه الجغرافيون المسلمون فى العصور الوسطى من حيث كتاباتهم فى شتى الموضوعات الجغرافيه طبيعية أو بشرية ، ولقد ظل هذا الاتجاه سائداً فى أوروبا حتى منتصف القرن التاسع عشر ، وأخر رواده فى اوروبا الكسندر فون همبولت (١٧٦٩ ـ ١٨٥٩ م) فى كتابه « الكون Kosmos» ورويتر (١٧٧٩ ـ ١٨٥٩ م) فى كتابة « علم الأرض The Erdkunde » . وقد ظهر الاتجاه نحو التخصص يتزايد باستمرار ؛ لأنه لم يعد فى مقدور اى إنسان ان يحيط جوانب المعرفة الجغرافية[٧] .

ويجب ان نشير هنا الى ان بعض الكتابات الجغرافية العربية فى العصور الوسطى تميزت بالتخصص الى حد ما ؛ مثل كتب الانواء التى تطابق الى حد ما الجغرافيا المناخية المعاصرة ، ومن أمثلة هذه الكتب « كتاب الأنواء » لأبى محمد بن مسلم بن قتيبه الدينورى المتوفى سنه ٢٧٦ هـ

(٨٧٩ م) ، ومن أمثله الكتب المتخصصة الأخرى كتاب لأبى سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعى (توفى ٢١٦ هـ) . ويمكن ان يوصف هذا الكتاب بأنه جغرافيا نباتية . على ان الكتب التى التزمت بموضوعات جغرافية محددة قليلة ، وان غالبية كتب التراث الجغرافى كتب موسوعية شاملة تتناول جميع فروع الجغرافيا ، وذلك إذا ما أخضعنا المادة المكتوبة للتصنيف وفق الفروع الجغرافية المتعارف عليها الآن . وفيما يلى نماذج من كتابات الجغرافيين المسلمين توضح أهم الفروع الجغرافية المختلفة التى تناولتها كتاباتهم .

• أولا : الجغرافيا الطبيعية •

لم تنل الجغرافيا الطبيعية اهتماما كبيرا من الجغرافيين المسلمين فى العصور الوسطى ، مثل الاهتمام الذى حظيت به الجغرافيا البشرية ، ومع ذلك نجد إشارات جغرافية عديدة يمكن أن توصف بأنها جغرافية تضاريس وجيمورفولوجيا ، وجغرافية بحار ، وجغرافيا مناخية ، وجغرافيا حيوية وتربة . وسوف أكتفى هنا بأمثلة توضيحية .

ا ـ **الإشارات الجغرافية التضاريسية والجيمورفولوجية** قسم المقدسى تضاريس الشام الى أربعة محاور طولية توازى ساحل البحر المتوسط على النحو التالى : الصف الأول يلى بحر الروم ، وهو السهل رمال متعقده .. والصف الثانى الجبل مشجر ذو قرى ... والثالث الأغوار ذات قرى وأنهار .. والصف الرابع سيف البادية وهى جبال عالية باردة[٨]

ونجح البيرونى[٩] فى تفسير طريقة تكوين سهل هندستان ، حين أشار إلى أنه كان فى الأصل قاع بحر تراكمت عليه رواسب الطمى حتى احالته سهلا . ويقول البيرونى فى ذلك « وأرض الهند من تلك البرارى يحيط بها من جنوبها بحرهم المذكور ومن سائر الجهات تلك الجبال الشوامخ ، وإليها مصاب مياهها بل لو تفكرت عند المشاهدة فيها وفى احجارها المدملكة الموجودة الى حيث يبلغ الحفر عظيمه بالقرب من الجبال وشدة جريان مياه الأنهار وأصغره عند التباعد وفتور الجرى ورمالا عند الركود والاقتراب من المغايض والبحر لم تكد تصور ارضهم الا بحرا فى القديم قد انكبس بحمولات السيول[١٠] .

وقد أشار البيرونى الى الجاذبية فى قولة : « والناس على الأرض منتصبو القامات على استقامة أقطار الكرة وعليها ايضا نزول الأثقال الى السفل[١١] .

ويشير المسعودى إلى أن العلاقة بين اليابس والماء متغيرة ويقول فى ذلك : « يستحيل موضع البحر وموضع البر ، فليس موضع البر ابدًا براً ولا موضع البحر أبداً بحراً ، بل قد يكون براً حيث

كان مرة بحراً ويكون بحراً حيث كان مرة براً ، وعلة ذلك الأنهار وبدؤها وجريها ؛ فإن لمواضع الأنهار شباباً وهرماً ، وحياة وموتاً ونشئاً ونشوراً ، كما يكون ذلك فى الحيوان والنبات ؛ غير ان الشباب والكبر فى الحيوان والنبات لا يكون جزءاً بعد جزء ، لكنها تشب وتكبر أجزاؤها كلها معاً وكذلك تهرم وتموت فى وقت واحد(١٢) .

• ب ـ جغرافية البحار والمحيطات •

لا يخلو كتاب من كتب التراث الجغرافى من الإشارة الى البحار والمحيطات وما بها من جزر . وقد أشار البيرونى الى أن المحيطين الاطلسى والهندى متصلان وذلك قبل رحلة فاسكوداجاما بما يقرب من خمسة قرون . يقول البيرونى : « فالمعمورة اذن فى ربع من أرباع الأرض ، ويطيف به بحر يسمى من جهة المغرب والمشرق محيطاً . ويسمى اليونان مايلى المغرب منه وهو ناحيتهم أوقيانوس ، وأما من جهة الجنوب فان العمارة تنتهى الى ساحل البحر المتصل بالمحيط فى الجانبين(١٣) .

وتناول القزوينى ظاهرة المد والجزر فقال : إن القمر إذا صار فى أفق من آفاق البحر أخذ ماؤه فى المد قليلا من القمر ، ولا يزال كذلك إلى أن يصير القمر فى وسط سماء ذلك الموضع ، واذا صار هناك انتهى المد منتهاه ، فإذا انحط القمر من وسط سمائه جزر الماء ولا يزال كذلك راجعاً الى أن يبلغ القمر مغربه فعند ذلك الموضع ينتهى الجزر منتهاه ، فاذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ابتدأ المد مرة ثانية ، إلا أنه أضعف من الأولى فيكون فى كل يوم وليلة بمقدار مسير القمر فى ذلك البحر مدان وجزران(١٤)

وقد حاول الدمشقى تعليل ملوحة مياه البحر فقال : « إنه أجاج لمصالح العالم ، جعله الله مغيضاً للأنهار ، ومعبراً للسيول والأمطار ومركبا لرفاق البحار ، ومضرباً لمصالح الأمصار ... زعم قوم أن أصل الماء العذوبة لملوحتها وجذبت الشمس ما فيه من اللطافة بحرارتها فاستحال الى الغلظ والملوحة . ولولا الحكمة الالَهية اقتضت طبخه بمخالطة الأرض المحرقة لأنتن وأفسد ما يكون فيه من الحيوان(١٥) .

• ج ـ الجغرافيا المناخية •

يرجع اهتمام العرب بالظواهر المناخية الى ما قبل الاسلام . وقد ذكرت كتب فقه اللغة أن للسحاب عند العرب مائة وخمسين اسماً وللمطر أربعة وثمانين اسما وفقاً لموسم سقوطه وشدته واستمراره(١٦) .

وتناول المسعودى العوامل المختلفة المؤثرة فى المناخ تحت عنوان « أصناف اختلاف البلدان » ورأى أنها أربعة : أولها النواحى (الموقع) والثانى الارتفاع والانخفاض ، والثالث مجاورة الجبال والبحار لها ، والرابع طبيعة تربة الأرض[١٧] .

ويشير إخوان الصفاء الى أن الرياح ليست شيئاً سوى تموج الهواء بحركته الى الجهات الست ، كما أن أمواج البحر ليست شيئا سوى حركة الماء وتدافع أجزائه . واعلم أن الرياح كثيرة التصاريف فى الجهات الست ، ولكن جملتها أربعة عشر نوعاً ، والمعروف منها عند جمهور الناس أربع وهى الصبا والدبور والجنوب والشمال[١٨] ويذكر ابن قتيبة الدينورى أن العرب كانوا يستدلون بالبرق على نزول المطر ، فاذا لمعت سبعون برقة انتقلوا ولم يبعثوا رائداً لثقتهم بالمطر . واذا كان البرق عندهم وليفا وثقوا بالمطر ، والوليف الذى يلمع لمعتين لمعتين[١٩] .

وتعرض اخوان الصفاء لظاهرة البرق والرعد ، وذكروا أن البروق والرعود يحدثان فى وقت واحد ، ولكن البرق يسبق الى الأبصار قبل الصوت الى المسامع ؛ لأن أحدهما روحانى الصورة وهو الضوء والآخر جسمانى وهو الصوت[٢٠] .

● د ـ الجغرافيا الحيوية ●

تضمنت كتابات الجغرافيين المسلمين كثيراً من الحقائق عن النباتات والحيوانات وفق أسس مختلفة . ومن الذين كتبوا عن الجغرافيا النباتية ، أبو سعيد الأصمعى (١٢٨ ـ ٢١٦ هـ) فى كتاب « النبات » ، والنضر بن شميل فى الجزء الخامس من كتاب « الصفات » ، وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصارى (١٢٢ ـ ٢١٥ هـ) وله كتاب « النبات والشجر » ، والقزوينى فى كتابه « عجائب المخلوقات » حيث يتحدث عن النبات والحيوان .

وقد أشار القزوينى الى أن الزروع والأشجار لا تنبت إلا فى المواضع التى تطلع عليها الشمس وكذلك لا ينبت تحت النخيل والأشجار العظيمة التى لها ظلال واسعة شيء من الزروع ؛ لأنها تمنع شعاع الشمس عما تحتها[٢١] .

وتناول الأصمعى النباتات التى تنمو فى الجزيرة العربية ، فمن شجر الحجاز : الغرقد والسدر ، فما كان برياً فهو ضَال وما كان ينبت فى الأنهار فهو « عُبْرِى » والعوسج ، واللصف . ومما ينبت بجبال نجد : الثغام ، والحُماض ، والشرِّيان .. والبشَام ، والبُطْم ، والقتاد ، والحرشف ... والعِكْرش

ينبت في السباخ[٢٢]

ويعد ما كتبه اخوان الصفاء في الجغرافيا الحيوية أدق ما كتبه الجغرافيون المسلمون في هذا المجال.يبدأ اخوان الصفاء بتعريف النبات ؛ بأنه كل جسم يخرج من الارض ويتغذى وينمو، ثم يصفون النباتات وفق اسس مختلفة ويوزعون النباتات توزيعاً جغرافياً فيقولون : واعلم يا أخي بأن من النباتات ما ينبت في البراري والقفار، ومنه ما ينبت على رءوس الجبال ، ومنه ما ينبت على شطوط الأنهار وسواحل البحار، ومنه ما ينبت في الآجام والغياض[٢٣] .

ويربط اخوان الصفاء بين المناخ والتربة والنبات الطبيعي بقولهم : « ومن النبات ما لا ينبت الا في البلدان الدفيئة ، ومنه ما لا ينبت الا في البلدان الباردة ، ومنه ما لا ينبت الا في التربة الطينية ، ومنه ما لا ينبت الا في الرمال وبين الحصى والحجارة والصخور والارض اليابسة ، ومنه ما لا ينبت الا في الاراضي السبخة[٢٤] . وتحدث القزويني عن الحيوانات ومزاياها ووسائل الدفاع التي تحفظ بها نفسها عن أعدائها ... فمنها ما يسلم من عدوه بالفرار كالظباء والأرانب ، ومنها ما يحفظ نفسه بسلاح كالقنفذ . ومنها ما يحفظ نفسه بحصن كالفأر ومنها ما يدفع العدو بالقوة والمقاومة كالفيل والأسد والجاموس[٢٥] . وقد قسم اخوان الصفاء الحيوانات وفق حركاتها : فمنها ما يتدحرج ومنها ما يزحف ومنها ما ينساب كالحية ، ومنها ما يدب كالعقارب ، ومنها ما يعدو كالفأر[٢٦] . كما قسم إخوان الصفاء الحيوانات وفق مناطق وجودها الى اربعة اقسام : سكان الهواء ، وسكان الماء ، وسكان البر ، وسكان التراب . وتحدثوا عن الحمام الهادي الذي يعرف سمت البلد المقصود بالنظر في وجه الهواء الى جريان الأنهار وميل الأودية ، ثم ينحو السوادات ، ويتيامن عن الجبال ويتياسر عنها وعن مهب الرياح في تصاريفها . وهكذا تعرف الطيور التي تشتي في البلاد الدفيئة وتصيف في البلدان الباردة مواقعها[٧] .

• ثانيا : الجغرافيا البشرية في كتب التراث •

اهتم الجغرافيون المسلمون بالجوانب البشرية اهتماما كبيرا بحيث لا نجد أي فرع من فروع الجغرافيا البشرية المعاصرة ؛ إلا وكتب فيه الجغرافيون المسلمون . وعلى سبيل المثال نجد المقدسي في كتابه « احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » يتناول الأقاليم الاسلامية من حيث اختلاف اهل البلدان في كلامهم والسنتهم (جغرافيا لغوية) ومكاييلهم وموازينهم وما يحمل عندهم وإليهم (جغرافيا تجارية) ... وشرابهم وثمارهم وزروعهم (جغرافيا زراعية) ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم ومساكنهم وأزيائهم (جغرافيا حضارية) وتناول كذلك المذاهب والقراءات (جغرافيا دينية) ،

ووصف المدن من حيث المواقع وحالة الهواء والتخطيط والسكان (جغرافية مدن) .
وفيما يلي مناقشة لبعض فروع الجغرافيا البشرية فى كتب التراث :

• ا ـ الجغرافيا الاجتماعية والحضارية •

أولى الجغرافيون المسلمون عادات الشعوب وتقاليدها اهتماما كبيرا وتحدثوا عن أثر المناخ أو الأهوية فى أمزجة الشعوب . ويعد ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ) أبرز الذين كتبوا فى الجغرافيا الاجتماعية من الجغرافيين المسلمين فى العصور الوسطى . تحدث ابن خلدون عن تأثير الهواء فى ألوان البشر والكثير من أحوالهم ، وذكر انه لما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين من الحر والبرد وجب ان تتدرج الكيفية ، من كليهما الى الوسط فيكون معتدلا ، فالاقليم الرابع أعدل العمران ، والثانى والسادس بعيدان عن الاعتدال ، والأول والسابع أبعد بكثير . ويقول إن الاقاليم الثلاثة المتوسطة (من الثالث الى الخامس) مخصوصة بالاعتدال ، وسكانها من البشر اعدل اجساما والوانا واخلاقا واديانا،حتى النبؤات فانما توجد فى الاكثر فيها[٢٨] . وقد اشار ابن رسته الذى توفى قبل ان يولد ابن خلدون بأكثر من اربعة قرون ، الى ان كل المواضع والبلدان تختلف حالاتها وحالات اهلها وما يحدث فيها على قدر قرب الشمس فيها أو بعدها عنها[٢٩] .

وتناول ابن خلدون الفرق بين البدو والحضر ، وذكر ان البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وان البادية اصل العمران .

وتحدث كل من المقدسى والاصطخرى عن سكان الاقاليم المختلفة وازيائهم وأخلاقهم . وقد ذكر الاصطخرى سكان خوزستان (عربستان) فقال : « زيهم زى أهل العراق فى الملابس من القمص والطيالسة والعمائم .. والغالب على اخلاقهم سوء الخلق ، والمنافسة فيما بينهم فى اليسير من الأمور وشدة الامساك والغالب على خلقهم صفرة اللون والنحافة وخفة اللحى[٣٠]

• ب ـ جغرافية المدن •

نالت المدن اهتماما كبيرا من الجغرافيين المسلمين ؛ وذلك فى كتب الأقاليم والرحلات والمعاجم الجغرافية . وقد حددت بعض الكتب عروض المدن وأطوالها مثل « تقويم البلدان » لأبى الفداء . وقام المقدسى بتصنيف المدن ويقول فى ذلك : اعلم انا جعلنا الأمصار كالملوك ، والقصبات كالحجاب ، والمدن كالجند ، والقرى كالرجالة[٣١] . وقد وزع تقى الدين المقريزى المدن على

الاقاليم السبعة ، وذكر ان عدد المدن والحصون احد وعشرون الفا وستمائة مدينة وحصن[٣٢] .

ويرى ابن خلدون أن الأمم تتجه الى اتخاذ المنازل للقرار والمأوى ؛ حينما يعم الترف وتؤثر الدعة والسكون ، ويجب أن يراعى فى مواضع المدن دفع المضار (الحماية) وجلب المنافع وتسهيل المرافق (ماء ـ مراع ـ مزارع)[٣٣] ويتناول ابن الفقيه مواقع المدن فيقول : ان الصواب ان تتخذ الدور بين الماء والسوق وان تكون الدور شرقية والبساتين غربية[١٤] وتناولت كتابات المقدسى فى دراسته للمدن الجوانب الجغرافية المختلفة ، وقد وصف مدينة الطائف فقال : إنها مدينة صغيرة (الحجم) ، شامية الهواء باردة الماء (المناخ) ، أكثر فواكه مكة منها ، موضع الرمان الكثير والزبيب والعنب الجيد والفواكه الحسنة (الزراعة) ، وهى على ظهر جبل غزوان (الموضع) ربما يجلد بها الماء (أى يتجمد) بسبب البرد ، عامتها مدابغ (صناعة) اذا تأذى ملوك مكة بالحر خرجوا إليها (مصيف)[٣٥] .

• جـ ـ الجغرافيا اللغوية •

اهتمت كتب التراث باللغة العربية ؛ لأنها لغة الوحى ، ويذكر المقدسى أن أهل جزيرة العرب لغتهم العربية إلا بصحار ؛ فان نداهم وكلامهم بالفارسية ، واكثر أهل عدن وجده فرس ، إلا أن اللغة هى العربية ، وأهل عدن يقولون لرجليه رجلينه ، وليديه يدينه وقس عليه ، ويجعلون الجيم كافا فيقولون لرجب ركب ولرجل ركل . ويضيف المقدسى إلى ان جميع لغات العرب موجودة فى بوادى هذه الجزيرة الا ان أصح لغة بها هذيل ، ثم النجدين ، ثم بقية الحجاز الا الأحقاف فان لسانهم وحش[٣٦]

وتناول الهمدانى فى كتابه « صفة جزيرة العرب » لغات أهل هذه الجزيرة ، وتناول ابن خلدون اللغة العربية واسباب فسادها لكثرة المخالطين للعرب من العجم[٣٧] . ولم يقتصر الجغرافيون المسلمون على اللغة العربية فقط ، بل تحدث كل من المقدسى والاصطخرى عن لغات الاقاليم المختلفة ، فالمقدسى حينما تحدث عن جمل شئون اقليم خراسان:ذكر ان ألسنتهم مختلفة ، أما لسان نيسابور ففصيح مفهوم غير انهم يكسرون أوائل الكلم ويزيدون الياء ... وفى كلام سجستان تحامل وخصومة يخرجونه من صدورهم ويجهرون فيه[٣٨] .

• د ـ الجغرافيا الدينية •

اهتم الجغرافيون المسلمون بدراسة المذاهب الفقهية وانتشارها ، وتتبعوا الفرق الخارجة عن

الاسلام . وتناول هشام الكلبى أصنام العرب وذكر أن أول من اتخذ الاصنام من ولد اسماعيل « هذيل » ، واتخذوا « سواعاً » فى ينبع ، واتخذت كلب « ودا » بدومة الجندل ، واتخذت خيوان على ليلتين من مكة فى طريق صنعاء « يعوق » واتخذت مذحج وأهل جرش « يغوث » واتخذت حمير « نسراً »[٣٩] .

وقد تتبع الاصطخرى مناطق الجماعات المذهبية فى جزيرة العرب ، حيث يشير الى البحرين ومدينتها هجر ويصفها بأنها دار القرامطة ، وتنتشر الأباضية بقرب خيوان ، وقد أشار الإصطخرى إلى وجود جماعة من اليهود الخاصة المعروفة بالسامرة فى مدينة نابلس بفلسطين ، ووجود اقلية من النصارى فى بيت لحم وحمص[٤٠] . ويقول المقدسى : الغلبة ببغداد للحنابلة والشيعة ... وبالكوفة الشيعة الا الكُناسه فانها سنة ... واكثر اهل البصرة قدرية وشيعة .

• هـ ـ الجغرافيا الطبية •

تعرضت كتب التراث الجغرافى لذكر بعض المناطق وأمراضها ، واعتقد كثير من الجغرافيين ان هناك علاقة بين المناخ والأمراض وعبروا عن ذلك « بأمزجة البلدان وأهوائها » ويشير الحموى فى مقدمة معجمة الى ان الأطباء فى حاجة الى معرفة الجغرافية وأن حاجتهم اليها ضرورية[٤١] ويشير المقدسى الى اهل بغداد بانهم قليلو الأعمار[٤٢] ويضيف المقدسى « الأهواز » فيقول : « فيه أيضاً للمقيم بق وبراغيث وكرب عظيم وفى الليل دبس وفى النهار حر السموم[٤٣] . ويتحدث المقدسى عن عين ماء بطبرية تغلى تعم اكثر حمامات البلد ... وفى هذه الكورة ماء مسخن يسمى الحَمَّة حار من اغتسل فيه ثلاثة ايام ثم اغتسل فى ماء آخر بارد (حمام السونا) وبه جرب أو قروح أو ناسور أو أى عله تكون برأ بأذن الله .. وبحيرة « صُخَر » اعجوبة يقلب فيها نهر الأردن ونهر الشراة ... وان احتقن بمائها شفى من علل كثيرة ولها موسم فى شهر آب يذهب اليها الأحداث وأصحاب العلل[٤٤] .

ويذكر ابن الفقيه أن من عيوب الشام كثرة طواعينها والناس يقولون حمى خيبر وطواعين الشام ودماميل الجزيرة وجرب الزنج وطحال البحرين . قالوا ومن اقام بالموصل حولا وجد فى قوته فضلا ومن أطال الصوم بالمصيصة خيف عليه الجنون[٤٥] .

وتناول ابن خرداذبة فى عجائب طبائع البلدان ما يمكن ان يندرج تحت « الجغرافيا الطبية » يقول ابن خرداذبه : « من اقام بقصبة الأهواز حولا فتفقد عقله وجده ناقصاً ، ولا يوجد بها احد له وجنة حمراء ، والحمى بها دائمة . وقد ذكر الجاحظ ان عدة من قوابل الأهواز خبرنه انهن ربما قبلن

المولود فيجدنه محموحاً .. ومن دخل بلاد الزنج فلابد من ان يجرب ، ومن سكن البحرين عظم طحاله . قال الشاعر :

ومــن يســكن البحريــن يعظــم طحاله
ويحســد بمــا فى بطنــه وهــو جائع[٤٦]

وقد تعرض النويرى (٦٧٧ ـ ٧٣٢ هـ) للبلدان التى اشتهرت بحيوانات وحشرات سامة ويضرب بها المثل فى ذلك فقال : « أفاعى سجستان ، وحيات أصفهان ، وثعابين مصر ، وعقارب شهر زور ، وبراغيث أرمينية ، وفأر أرزن ، ونمل ميا فارقين ، وذباب تل فافان ، وأفداح (سوس) بلد (فى العراق) .

وتناول الأمطار الشهيرة بأنواع معينة من الأمراض فقال : طواعين الشام ، وطحال البحرين ، دماميل الجزيرة ، وحمى خيبر ، وجنون حمص ، وعرق اليمن ، ووباء مصر ، وقروح بلخ[٤٧] .

ويشير ابن خلدون الى أن الطب من الصنائع التى لا تستدعيها الا الحضارة والترف .. وللبادية من أهل العمران طب يبنونه فى غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثاً عن مشايخ الحى وعجائزه ، وربما يصح منه البعض ؛ الا انه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة المزاج[٤٨]

وكان للعرب فضل كبير فى مجال الصيدلة التى كانت تعرف بالعقاقير ، والأدوية . وعرف العرب خصائص النباتات فى العلاج ، ووضعوا تعريفاً للصيدلة فقالوا : بأنها العلم الباحث عن التمييز بين النباتات المتشابهة فى الشكل ، ومعرفة منابتها : صينية أو هندية ، أو فارسية ، أو مصرية ، ومعرفة زمانها بأنها صيفية أو شتوية ، أو ربيعية ، ومعرفة جيدها من رؤيتها ، ومعرفة خواصها الى غير ذلك[٤٩] .

● و ـ الجغرافيا الاقتصادية ●

نالت الجوانب الاقتصادية من الجغرافيين المسلمين فى العصور الوسطى اهتماما كبيرا . وقد كتبوا عن الزراعة ومحاصيلها وعن التجارة وأنواع البيوع ، والصناعات التى اشتهر بها كل قطر من أقطار العالم الاسلامى . وأولى الجغرافيون المسلمون طرق النقل المختلفة التى تربط بين اقطار العالم الاسلامى عناية فائقة ، ويرجع ذلك الى انتشار الصحارى القاحلة التى يضل الانسان فيها طريقة فيهلك . وفيمايلى مناقشة لبعض فروع الجغرافيا الاقتصادية التى وردت فى كتب التراث .

• ١ ـ الجغرافيا الزراعية •

ميّز العرب بين نوعين من الزراعة : فالزراعة التى تزرع داخل القرية أو أسوار المدينة تعرف « بالضامنة » ؛ لأنها فى القرية مضمونة وتحت رعايتهم ، والزراعة التى تزرع خارج القرية فهى « الضاحية » وهى أوسع وأكبر فى مزراعها ؛ لأنها لا تحد بمبان أو أسوار[٥٠] .

وذكر ياقوت الحموى فى معجمه ان الزراعة فى المملكة الاسلامية متنوعة الصور، وانه كان لكل واد أو قرية شىء انفرد به وابتدعه فى الزراعة[٥١] .

وهناك كتب كثيرة تناولت الزراعة عند العرب نذكر منها كتاب الفلاحة النبطية لأبى بكر بن وحشية (٢٩١ هـ) وهذا الكتاب مترجم عن (الأنباط) سكان بابل وعالج هذا الكتاب استنباط المياه ، وهندستها وكيفية حفر الآبار ، وإفلاح الأرض وعلاج الشجر ، وزكاء الزرع ، وخواص البلدان والازمنة واختلاف طباع الأدوية ، وتراكيب الشجر ، وغروسها وإفلاحها ، ودفع العاهات عنها ، وعن أبدان الحيوانات .. ودليل مجىء المطر والبرد ، والصحو ، والسحاب ، ومعرفة ما ينتج من الزرع فى أى سنة أردت ذلك[٥٢] واهتم الجغرافيون المسلمون بمصادر المياه المختلفة وذكر المسعودى انه وجد فى بعض النسخ من كتاب الفلاحة ان من اراد علم ذلك فينظر قرى النمل ، فان وجد النمل غلاظاً سوداً ثقيلة المشى فلينظر فعلى قدر ثقل مشيهن الماء قريب منهن ، وان وجد النمل سريع المشى لا يكاد يلحق فالماء على أربعين ذراعاً ، والماء الأول يكون عذباً طيباً ، والثانى يكون ثقيلا مالحاً[٥٣] .

وأشارت كتب التراث الجغرافية إلى السدود والقنوات فى أقطار العالم الاسلامى ، والآلات المائية التى كانت تستخدم . وصنف المقريزى أراضى مصر إلى تسعة أصناف حسب التربة ؛ أفضلها هى ما أطلق عليها « اليافى » وأردؤها هى « السباخ » وهى كل أرض غلب عليها الملح حتى ملحت[٥٤] .

وتناولت معظم الكتب الجغرافية فى التراث ذكر المحاصيل المختلفة ومناطقها . ولم يهمل الجغرافيون المسلمون ذكر الحيوانات المختلفة التى كانت تربى فى أقطار العالم الإسلامى .

• ٢ ـ الجغرافيا الصناعية •

لم يغفل الجغرافيون المسلمون أن يشيروا الى ما اشتهر به كل قطر اسلامى من الصناعات المختلفة . وتحدث إخوان الصفاء عن مقومات الصناعة وذكروا أنها :

١ ـ الهيولى (المادة الخام) ، ٢ ـ المكان ، ٣ ـ الزمان ، ٤ ـ الأداة ، ٥ ـ الآلة ، ٦ ـ الحركة ـ ٧ ـ الصانع .

وميز اخوان الصفاء بين الآله (عضو من أعضاء الجسم) وبين الأداة (خارجة عن ذات الصانع كفأس النجار) .

وقسموا كذلك الصناعة الى مراتب :

١ ـ صناعات ضرورية مثل : الحراثة ـ الحياكة ـ البناء . وسائر الصناعات تابعة وخادمة لها ، وذلك لأن حاجات الانسان الضرورية هى المأكل والملبس والمسكن .

٢ ـ صنائع الجمال والزينة (العطور ـ التزيين)[٥٥] . وتعد صناعة الملابس أهم الصناعات التى يرد ذكرها كثيراً ، فالمقدسى يذكر ما اشتهرت به مصر من أقمشة كتانية ، وأن كتان مصر ربما يصدر الى فارس ، وبأحدى قرى مصر كانت تصنع الاقمشة الصوفية وذلك فى مدينة طحا[٥٦] وذكر المقدسى أن من أكبر مدن الفرس التى اشتهرت بصناعة نسيج الكتان مدينة كازرون التى اطلق عليها « دمياط الأعاجم » وتعمل ثياب الكتان بها وتباع فيها[٥٧] .

واشتهرت مكة ببعض أنواع العطور واشتهرت الطائف بالدباغة والأدم[٥٨] .

وظلت مصر تشتهر بصناعة ورق البردى حتى القرن الرابع الهجرى . فقد ذكر الثعالبى ، ان كواغيد سموقند عطلت قراطيس مصر ، وكان أجود الورق فى القرن الرابع بمملكة الاسلام هو الكاغد الذى نقلت صناعته من الصين[٥٩] .

● ٣ ـ جغرافية التجارة ●

تصدى ابن خلدون لتعريف التجارة فقال : « إنها محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيًا كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش وذلك القدر النامى يسمى ربحا[٦٠] وقد كانت هناك أنواع من البيوع التى مارسها العرب فى الجاهلية مثل : الرمى بالحصا ـ المنابذة ـ الملامسة ، وغيرها وقد ذكرت كتب التراث الجغرافية انواع هذه البيوع . وقد كانت هناك اسواق للعرب ذات أنماط مختلفة بعضها يمثل العرب أصدق تمثيل مثل عكاظ وذى المجاز ، وأسواق ذات صبغة عالمية مثل : عدن وصحار ، ودبى ، وأسواق تخضع لنفوذ أجنبى مثل عمان (سيطرة بيزنطية) .

وتناولت كتب التراث أنواع البضائع التى تنقل والطرق التى تسلكها . وقد ضرب بأهل البصرة

المثل فى قلة الحنين الى وطنهم حتى أنه يحكى انه وُجِدَ بيت مكتوب على حجر جاء فيه :

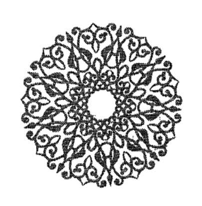
ما من غريب وان أبدى تجلده
الا سيذكر عند العلة الوطنا

وقد كتب تعليق تحته « إلا أهل البصرة » . واشتهر الفرس باستيطانهم للموانى التجارية ، وذكر الإصطخرى أن الفرس منذ زمن طويل قد استوطنوا جدة ، وهى فرضة مكة ، وكان اليهود اكبر منافس للفرس وأهل العراق فى التجارة[٦١]

وتناول الجغرافيون المسلمون ذكر النقود والماكييل والموازين المختلفة .

• خاتمة •

ليس هذا المثال سوى محاولة لجذب انتباه الجغرافيين المعاصرين إلى تراثنا الجغرافى ؛ حيث يستطيع كل منا أن يسهم فى إبراز بعض جوانب تخصصة ، حتى تكتمل لدينا الصورة المشرفة لإسهامات أجدادنا . ولقد حاولت اعطاء نماذج سريعة ومتنوعة ، إذ أن الهدف لم يكن الإحاطة بكل الفروع التى كتب فيها الجغرافيون المسلمون ؛ وانما الاشارة لبعضها بقدر يتيح لنا ادراك ثراء الفكر الجغرافى الاسلامى فى العصور الوسطى .



• هوامش •

(١) محمد عبد الغنى حسن ، عبد الله فكرى ، سلسلة أعلام العرب ، رقم ٤٢ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ص ص ٨٩ ـ ٩٠ .

(٢) أنور الجندى ، أحمد زكى الملقب بشيخ العروبة ، سلسلة أعلام العرب رقم ٢٩ ، بدون تاريخ طبع ، ص ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

(٣) محمد فريد وجدى ، دائرة معارف القرن الرابع عشر ، المجلد الثالث عشر ، القاهرة سنه ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م ص ١٢٢

(٤) مقدمة ابن خلدون ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، بدون تاريخ طبع ص ٤٨

(٥) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ، مدريد سنه ١٩٦٧ ، ص ٣٦٩ .

(٦) مقدمة ابن خلدون ، طبعة لجنة البيان سنه ١٩٥٧ ، ص ٢٧٢

(٧) Preston E. James, All Possible Worlds, New York, 1972, P. 147

(٨) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، طبعة مكتبة خياط ، مصورة عن طبعة ليدن سنه ١٢٨٩ هـ ، ص ٨٦ .

(٩) كتب البيرونى فى مواضع عديدة وبلغت تصانيفه ١١٣ تصنيفاً منها خمسة عشر تصنيفاً « كتاباً » فى الجغرافيا . وقد وصفه المستشرق الالمانى ادوارد سخاو بأنه أكبر عقليه ظهرت فى التاريخ .

(١٠) ابو الريحان محمد بن احمد البيرونى ، (فى تحقيق ما للهند) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ، سنه ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م) ، ص ١٥٧

(١١) البيرونى ، القانون المسعودى ، طبعة الهند ، جـ ١ ، ص ٢٢

(١٢) ابو الحسن على بن الحسين المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس ، بيروت ، سنه ١٩٦٥ م ص ١١٢
لقد سبق المسعودى برأيه هذا عن مراحل مجرى النهر ، وليم موريس ديفز الجيمورفولوجى الامريكى بتسعة قرون (الباحث)

(١٣) محمد محمود محمدين ، التراث الجغرافى الاسلامى ، الاسكندرية ١٤٠١ هـ ، ص ٢٤٨

(١٤) محمد محمود القزوينى ، عجائب المخلوقات ، وغرائب الموجودات ، طبعة القاهرة ، سنه ١٩٦٦ ، ص ١٢ .

(١٥) الدمشقى ، نخبة تحفة الدهر فى عجائب البر والبحر ، مكتبة المثنى ببغداد ، ص ١٦٤

(١٦) انظر فقه اللغة للثعالبى ، والمخصص لابن سيده

(١٧) المسعودى ، التنبية والاشراف ، طبعة دار التراث بيروت ، سنه ١٩٦٨ ، ص ٢٦

(١٨) رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، الرسالة الخامسة ، طبعة دار بيروت سنه ١٩٥٧ م . ص ٦٥

(١٩) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينورى ، كتاب الأنواء ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد ، الهند ، سنه ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م) ، ص ١٧٧ .
(٢٠) اخوان الصفاء ، الرسالة الخامسة ، ص ٧٥
(٢١) القزوينى عجائب المخلوقات ص ١٧

(٢٢) ابو سعيد الأصمعى ، كتاب النبات ، تحقيق عبدالله يوسف غنيم ، القاهرة ، سنه ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) ص ص ٢٢ ـ ٢٤ .
(٢٣) اخوان الصفاء ، المصدر السابق ، ص ١٦٠
(٢٤) اخوان الصفاء ، المصدر السابق ، ص ١٦١
(٢٥) القزوينى ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٠
(٢٦) اخوان الصفاء ، المصدر السابق ، ص ١٨٥
(٢٧) اخوان الصفاء ، المصدر السابق ، ص ص ١٩٦ ـ ١٩٨ .
(٢٨) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٧
(٢٩) تقى الدين المقريزى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . بولاق سنه ١٢٩٤ هـ ، ص ١٠ .
(٣٠) مقدمة ابن خلدون ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، بدون تاريخ طبع ، ص ٨٣ .
(٣١) ابن رسته ، الأعلاق النفيسه ، طبعة ليدن ، سنه ١٨٩١ ، ص ١٠٢
(٣٢) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، القاهرة ، سنه ١٣٨١ هـ ، ص ٦٣ .
(٣٣) مقدمة ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩
(٣٤) ابن الفقيه الهمدانى ، مختصر البلدان ، طبعة ليدن ، سنه ١٣٠٢ هـ ، ص ص ١٥١ ـ ١٥٢
(٣٥) المقدسى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٩
(٣٦) المقدسى ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٩٦ ـ ٩٧ .
(٣٧) مقدمة ابن خلدون ، ص ص ٥١٢ ـ ٥١٣
(٣٨) المقدسى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٣
(٣٩) ابو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبى ، كتاب الاصنام ، تحقيق احمد زكى ، دار الكتب المصرية سنه ١٩٢٤ م ، ص ٢٢

(٤٠) الاصطخرى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣
(٤١) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، طبعة دار صادر بيروت ، سنه ١٩٥٥ م ، ص ١
(٤٢) المقدسى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤
(٤٣) المقدسى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤١٠

(٤٤) المقدسى ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٥
(٤٥) ابن الفقيه ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٨

(٤٦) ابو القاسم عبيد الله المعروف بابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، عن طبعة ابريل سنه ١٨٨٩ ، ص ص ١٧٠ ـ ١٧١

(٤٧) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى ، نهاية الأرب فى فنون الأدب ، دار الكتب المصرية ، سنه ١٩٢٣ م السفر الأول ، ص ص ٣٧٠ ـ ٣٧١

(٤٨) مقدمة ابن خلدون ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٩٣

(٤٩) محمد الصادق عفيفى ، تطور الفكر العلمى عند المسلمين ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، سنه ١٩٧٦ ، ص ١٨٨

(٥٠) التراث الجغرافى الاسلامى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١٨

(٥١) آدم ميتز ، الحضارة الاسلامية ، المجلد الثانى ، دار الكتاب العربى بيروت ، ص ٣٤٤

(٥٢) احمد عيسى ، تاريخ النبات عند العرب ، القاهرة ، سنه ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) ، ص ٩٩

(٥٣) المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، طبعة دار الأندلس بيروت سنه ١٩٥٦ م ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ م .

(٥٤) المقريزى ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ١٠٠ ـ ١٠١

(٥٥) اخوان الصفاء ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٥ وما بعدها

(٥٦) المقدسى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٢

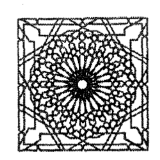
(٥٧) المقدسى ، المصدر السابق ، ص ٤٣٣

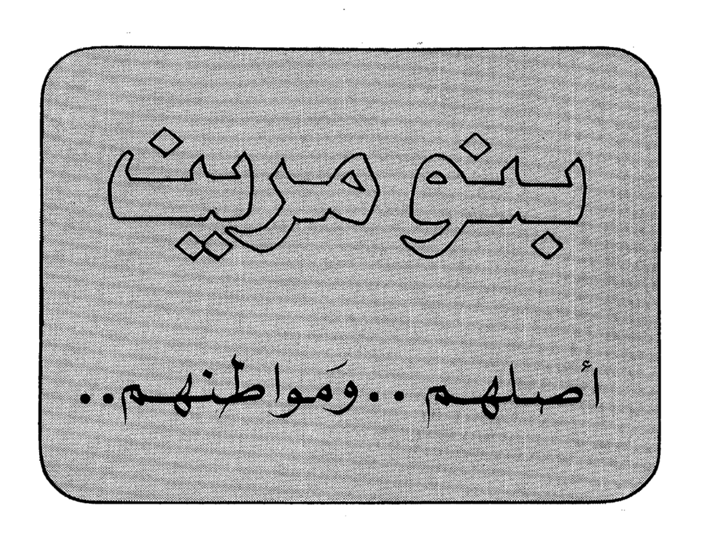
(٥٨) جواد على ، ص ٧ ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٤٦

(٥٩) آدم ميتز ، مصدر سبق ذكرة ، ص ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧

(٦٠) مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٥٥

(٦١) آدم ميتز ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨٣





تعقيب الأستاذ عبد الله كنون

قرأت في مجلة الدارة الراقية (العدد الأول ، السنة الثامنة الصادر فى شوال ١٤٠٢هـ ـ يوليو ١٩٨٢م) مقالا بعنوان (المرينيون فى المغرب الاسلامى والعروبة فى ضوء الدراسات الأنثروبلوجية) للدكتور عبد الباقى على قصة ؛ كتبه بمناسبة زيارته لقلعة المنصورة ـ كما سماها ـ فى إحدى ضواحى تلمسان ، مع قسم التاريخ لجامعة قسنطينية بالجزائر . وكان أن طلب منه إلقاء كلمة عن هذه القلعة ، ومن أجل الحصول على معلومات عنها لجأ الى المركز السياحى بتلمسان فأمده بنشرة جاء فيها «ان المرينيين عرب رُحّل حاصروا تلمسان سبع مرات» وأشارت الى الحصار الطويل الذى دام نحو ثمانى سنوات من (٦٩٨ ـ ٧٠٦) وشيدوا أثناء الحصار مدينة المنصورة المفتخرة بمسجدها وقصرها ومخازنها وحدائقها وحماماتها وديارها.)

وإلى هنا والأمر جلى لا اعتراض عليه . لكن الكاتب الفاضل مهّد لهذا الكلام بكلمة أشار فيها إلى ذِكْر (بنى مرينا) فى شعر امرئ القيس وأنشد على ذلك قوله :

فلــو فى يوم معــركة أصـــيبوا ولــكن فى ديــار بنــى مرينــا

وألم إلمامة خفيفة بالحرب التى كانت بين الحارث بن عمرو من جدود امرئ القيس وأحد ملوك كندة والمنذر بن ماء السماء ملك الحيرة والتى انتهت بقتل الحارث وولديه في ديار بنى مرينا . وبناء على ذلك فقد استشكل أن يكون المرينيون عربا رحلا ، وهم الذين شيدوا مدينة المنصورة أو قلعتها التى فاقت قلعة الحمّاديين بالإتقان والزخرفة ، ورجح أن يكون لهؤلاء العرب وجود قبل وصولهم إلى المغرب فى مركز حضارى مهم ، عرفوا فيه الاستقرار ودرسوا فن المعمار ، ومن ثم لامحل لوصفهم بالعرب الرحل إلى آخر ما قال .

ولجأ إلى ابن خلدون للفصل فى الموضوع ، ولكنه وجده ينسب بنى مرين الى زناتة من قبائل المغرب فقال (يبدو أن لونا من الاختلاط وقع بين بنى مرين وقبيلة زناتة حتى ظن ابن خلدون أنها بطن من زناتة) .

وبعد تتبع أقوال أخرى لابن خلدون فى هذا المنحى حكم عليها بالغموض ثم قال (وهكذا انتقل هذا الخلط الى بقية المؤرخين المحدثين حتى الشيخ عبد الرحمن الجيلالى ؛ فهو يقول فى التاريخ لبنى مرين : «المرينيون هم فخذ من بطون القبيلة العظيمة زناتة ، كانت مساكنهم ومواطنهم وراء تلمسان غربا على ملوية ، وجنوبا إلى نواحى سجلماسة وبصحراء فِكَيكَ») الخ

وبمقتضى كلام الدكتور يكون الأمر قد اشتبه على جميع مؤرخى المغرب من قبل ابن خلدون ، وعمدتُهم ابن أبى زَرْع صاحب كتاب القرطاس ، وكذا مَنْ بعده وأشهرهم الناصرى صاحب كتاب الاستقصا ، وهذا شيء غير مقبول ، وقد أوقعه فى ذلك الاعتماد على بيت امرئ القيس السابق الذكر ، وهو بيت أنشده ابن منظور فى لسان العرب فقال : « وبنو مرينا الذين ذكرهم امرؤ القيس فقال :

فلــو فى يوم معــركة أصيبوا ولــكن فى ديار بنــى مرينا

هم قوم من أهل الحيرة من العباد ، وليست مرينا بكلمة عربية ، وكذلك قال صاحب القاموس فيهم ، ومزجه فى التاج عند شرحه فصار هو نفس نصّ اللسان .

والعباد بكسر العين قوم من شتى قبائل العرب اجتمعوا على دين النصرانية بالحيرة فسموا بذلك

وبهذا وحده يظهر أن بنى مرينا لاصلة لهم ببنى مرين المغاربة :

فبنو مرين آخر اسمهم نون وبنو مرينا آخر اسمهم ألف . ثم ان كونهم (متنصرّة) من شتى القبائل يمنع أن يكونوا هم بنى مرين المغاربة الذين لم يعرف عنهم قبلُ ولا بعدُ انتماء لدين النصرانية ، وكونهم بعض العباديين يدل على أنهم أقلية ممن تتألف منهم جماعة العِباد ، والمرينيون قبيلة كبيرة من قبائل زناتة ، فأين تجيء هذه الفئة القليلة منهم ؟ بل أين تجيىء جماعة العباد كلهم من أهل الحيرة ، من بنى مرين القبيلة المغربية التى رأينا مواطنها تضرب فى جهات متباعدة من بلاد المغرب ؟! .. والكاتب على حق فى إعجابة بألقلعة أو مدينة المنصورة ، وتَعجُّبه من أن يكون بُناتها عربا رحلا كما وُصفوا في نشرة المركز السياحى بتلمسان ، ولكن هؤلاء البدو الرحّل كانوا قد نزحوا الى المغرب من الصحراء قبل بناء المنصورة بنحو ثمانين عاما ، ونشبت بينهم وبين الموحدين ملوك المغرب والأندلس حروب طويلة قضوا فيها على الدولة الموحدية وحلوا مكانها فى الاستيلاء على شئون الدولة وتأسيس المملكة المرينية ، والمغرب يومئذ فى قمة ازدهاره علما وحضارة وعمرانا ، وكان السلطان يوسف ابن يعقوب المنصورسابع ملك منهم يسعى فى توحيد المغرب الكبير كما كان عليه الأمر أيام الموحدين ، فمن ثم قامت الحرب بينه وبين صاحب تلمسان ، وكان الحصار الطويل الذى بنيت المنصورة أثناءه .

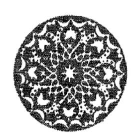
قال فى الاستقصا بعد أن ذكر زحف السلطان يوسف المرينى على تلمسان وتحصّن صاحبها وقومه بالجدران وتعويلهم على الحصار .. « ولما رأى السلطان يوسف ذلك أدار سورا عظيما جعله سياجا على تلمسان وما اتصل بها من العمران ، وصيّرها فى وسطه ثم أردف ذلك السور من ورائه بحفير بعيد المهوى وفتح فيه مداخل لحربها ورتب على أبواب تلك المداخل مسالح تحرسه ، وأوعد بالعقاب من يختلف إلى تلمسان برفق أو يتسلّل اليها بقُوت . وأخذ بمخنقها من بين يديها ومن خلفها حتى لم يخلص اليها الطير لابل الطيف ، واستمر مقيما عليها كذلك مئة شهر ، ولما دخلت سنة اثنتين وسبعمائة اختط الى جانب ذلك السور بمكان فسطاطه وقبابه ، قصراً لسكناه ، واتخذ به مسجدا لصلاته وأدار عليهما سورا يحرزهما ، ثم أمر الناس بالبناء حول ذلك فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الأنيقة ، واتخذوا البساتين وأجروا المياه ، وأمر السلطان باتخاذ الحمامات والفنادق والمارستان وابتنى مسجدا جامعا أقامه على الصهريج الكبير وشيد له منارا رفيعا وجعل على رأسه تفافيح من ذهب ، صّير [1] عليها سبعمائة دينار ثم أدار السور على ذلك كله ، فصارت مدينة عظيمة استبحر عمرانها ، ونفقت اسواقها ورحل اليها التجار بالبضائع من جميع الآفاق وسماها المنصورة ، فكانت من أعظم امصار المغرب وأحفلها ، إلى أن خربها آل يَغْمراسن عند مهلك السلطان يوسف وارتحال جيوشه عنها »[2]

ونشير إلى أهل بنى مرين ؛ فهم فخذ من زناتة كما سبق القول ، وزناتة قبيلة عظيمة من قبائل المغرب يدخل تحتها أقوام وفِرَقٌ عديدة من البطون والأفخاذ ، وهم ينتسبون الى العرب ويقولون إنهم أبناء برّ بن قيس عيلان ، فهم من مُضرَ ، ولهم فى ذلك أشعار وحكايات عن هجرة أوائلهم إلى المغرب واختلاطهم بأهله وفى ذلك يقول شاعرهم عبد العزيز الملزوزى من أرجوزته المسماة « نظم السلوك فى ذكر الأنبياء والخلفاء والملوك » :

فجـاورت زناتــة البـرابرا فصــيروا كلامهــم كمــا ترى
ما بدل الـدهـر ســوى أقـوالهم ولــم يبــدل منتهــى أحــوالهم
بل فعلهــم أربــى على فعــل العـــرب فى الجـود والإيثــار ثم فى الأدب

هذا قول نسّابتهم ، ولكن النسابة العرب ينكرون ذلك ومنهم ابن حزم وغيره ، والله أعلم .

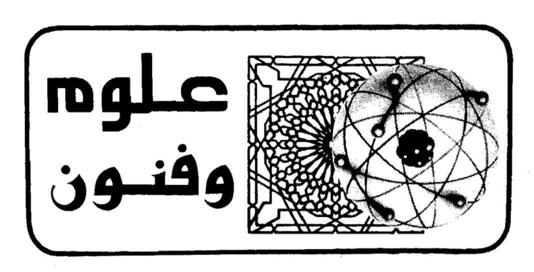
ولمزيد من العلم عن بنى مرين وأصلهم ينبغى الرجوع الى كتاب القرطاس السابق الذكر وكتاب الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية وهو لمؤلف مجهول نُرجِّح أنه ابن أبى زرع صاحب القرطاس ، والى كتاب روضة النسرين فى تاريخ دولة بنــى مرين ، وإلى كتــاب الاستقصا ، وتاريخ ابن خلدون وسائر الكتب المغربية المختصة وهى كثيرة .



○ هوامش ○

(١) يعنى أنفق .

(٢) الاستقصا ج ٢ ، ص ٣٩ .



إعداد
الأستاذ مصطفى أمين جاهين

أحداث تاريخية

● فى يوم الاثنين ١٩ من شهر ربيع الثانى ١٤٠١ هـ . الموافق ٢٣ فبراير ١٩٨١ م ، تقلد حضرة صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز « طيب الله ثراه » ، **جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لعام** ١٤٠١ هـ . وذلك لخدماته الجليلة للإسلام والمسلمين المتمثلة فيما يأتى :

١ ـ دعوة جلالته للتضامن الإسلامى ، وقيامه بالجهود المشكورة فى سبيل جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم والذود عن مقدساتهم .

٢ ـ عمله الدائب على تحكيم الشريعة الاسلامية ونشر الدعوة .

٣ ـ تبرعات جلالته الخاصة لتحقيق رسالة المسجد ونشر القرآن الكريم وتعيين الدعاة .

٤ ـ دفاعه عن الأقليات الإسلامية فى العالم وتقديم العون لها .

● فى يوم السبت ٢٤ من شهر **جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ** . الموافق ٢٥ فبراير ١٩٨٤ م ، تقلد حضرة صاحب الجلالة الملك « **فهد بن عبد العزيز** » المفدى ، **جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لعام ١٤٠٤ هـ** . لما عرف به جلالته شرقاً وغرباً قبل توليه رئاسة الدولة وبعدها من عزيمة ثابتة وجهد صادق وعمل دائب فى خدمة الإسلام والمسلمين فى كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها .. لا سيما جهود جلالته الخيّرة فى جمع الشمل ورأب الصدع للأمة العربية والاسلامية ، والسعى إلى تحقيق التضامن الإسلامى وما بذله ويبذله من جهود جادة ومستمرة من أجل إنهاء مشكلة لبنان وتخفيف آلامه ودعم القضية الفلسطينية ، والحفاظ على الوجود الفلسطينى ، وإسهامات جلالته الخاصة والرسمية باسم المملكة فى كل ما يضمد جراح المسلمين من آثار المحن والكوارث ، ومد يد العون لجميع الأقليات الاسلامية فى بلاد العالم والوقوف بجانبها .. وتركيزه الدعوة إلى الله عز وجل ونشرها وحمايتها ومساندتها بمن يرسل من دعاة يتحملون أعباء هذه الأمانة فى مختلف بلاد المسلمين وغيرها .

حفظ الله خادم الحرمين الشريفين .. ووفقه لخدمة شعوب المسلمين .

●●●●

● فى يوم السبت ٢٤ **جمادى الأولى** الموافق « **٢٥ فبراير ١٩٨٤ م** » افتتح معالى **محمد أبا الخيل** وزير المالية والاقتصاد الوطنى ومحافظ الصندوق العربى للإنماء الاقتصادى « **ندوة الإعلام من أجل التنمية فى الوطن العربى** » بمدينة الرياض ، والتى نظمها الصندوق العربى للإنماء الاقتصادى والاجتماعى ، والمركز الوطنى للمعلومات الاقتصادية والمالية بوزارة المالية والاقتصاد الوطنى ، وبالتعاون مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية والصندوق السعودى للتنمية ، والصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية العربية ، ومؤسسة الرأى العام الدولية .

● بدأ فى المملكة من السبت ١٠ إلى الجمعة ١٦ من شهر جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ . الموافق ١١ إلى ١٧ فبراير ١٩٨٤ م ، أسبوع المساجد السابع السنوى ، للعناية بشئون المساجد .

●●●●

● فى يوم الاثنين ١٢ من شهر جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ . الموافق ١٣ فبراير ١٩٨٤ م ، افتتحت « الندوة السعودية الأولى فى علم الأعصاب السريرية الإكلينيكية » والتى نظمتها كلية الطب ـ جامعة الملك سعود بالرياض ، واستمرت ثلاثة أيام ، وشارك فيها عدد من الأساتذة البارزين من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ، وأساتذة يتبعون منظمة اليونسكو العالمية .

●●●●

● فى يوم الأحد ٩ من جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ ، الموافق ١١ من مارس ١٩٨٤م ، تفضل صاحب الجلالة الملك « فهد بن عبدالعزيز » المفدى ، بافتتاح خمسة مشروعات صناعية كبرى فى الجبيل هى :

- الشركة السعودية للميثانول « الرازى » .
- شركة الجبيل للأسمدة « سماد » .
- الشركة السعودية للحديد والصلب « حديد » .
- مشروع تبريد المصانع بمياه البحر .
- معهد تنمية القوى البشرية .

●●●●

● فى يوم الثلاثاء ١١ من جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ ، الموافق ١٣ من مارس ١٩٨٤م ، تفضل العاهل المفدى الملك « فهد بن عبدالعزيز » بافتتاح المرحلة الرابعة من توسعة ميناء الملك عبدالعزيز بالدمام ، وحوض إصلاح السفن بالميناء ، كما تفضل بإزاحة الستار عن اللوحة التذكارية للحوض ، وشهد عملية رفع باخرتين على الحوض .



دمشق فى التاريخ

اختلف المؤرخون ونقلة الأخبار فى أول من بنى دمشق . ومنشأ اختلافهم يرجع إلى اختلاف من نُقل عنهم ذلك من علماء أهل الكتاب وسواهم ؛ إذ هم العمدة فى مثل هذا ، وفطاحل المؤرخين الإسلاميين إنما يرجعون فى تاريخ المدن والدول التى ليست بعربية إلى أخبار الكتابيين ومن قبلهم من المؤرخين .

ومما ذكره الثقات من أهل السير والإخباريين عن قصة آدم وحواء ، وهابيل وقابيل ، واختصاص كل منهم بمحل قريب من دمشق ، وأنها عمرت من عهد آدم عليه السلام .

ويذكر عن كعب الأحبار أن أول حائط وضع على وجه الأرض بعد الطوفان حائط « حران ودمشق » ثم « بابل العراق » بعدهما . وقيل إن أول مدينة عمرت بعد الطوفان هى صنعاء اليمن . نقل حاكم البقاع فى كتابه « الأبصار فى ذكر الأقاليم وملوك الأمصار » أن آدم عليه السلام كان ينزل فى موضع بغوطة دمشق يقال له الآن « بيت الآبار » ،

وحـوا بيت لهيا ، وهـابيل فى مقـرى ، وكان صاحب غنم ، وقابيل فى قينية ، وكان صاحب زرع ، وقسم الأوائل الشام خمسة أقسام :

- الشـام الأولى : فلسطـين ، وأوسـط بلدهـا الرملة .
- الشام الثانية : حوران ، ومدينتها العظمى طبرية .
- الشام الثالثة : الغوطة ، ومدينتها العظمى دمشق .
- الشام الرابعة حمص .
- الشـام الخامسـة : قنّسرين ، ومدينتهـا العظمى حلب .

وقال ابن الكلبى المفسر والمؤرخ الشهـير : أول من بناها « دمشاق بن قانى بن لامك بن أرفخشـد بن سام بن نوح » عليه السـلام . وقيل إن الذى بناها « جيرون بن سعد بن عاد ابن إرم بن سام بن نوح » ، وسماهـا « إرم ذات العماد » ، وباسمـه سميت . وقيل إن « هـوداً » عليه السـلام نزل دمشـق وأسس الحائط الذى فى قبلى جامعها ، وأثره بالجامع الأموى موجود حتى الآن .

وقال وهب بن منبه : إن العازر غلام إبراهيم عليه السلام بنى دمشق ، وكان حبشياً وهبه له « نمرود بن كنعان » حين خرج إبراهيم من النـار ، وكان الغـلام يسمـى « دمشـاق » ، فدعيت باسمه . وقال غيره سميت بدماشق ابن نمرود بن كنعان وهو الذى بناها . وقـال آخرون سميت بدمشـق بن إرم بن سام بن نوح ، وهو أخ لفلسطـين ، وإيليا ، وحمص ، والأردن ، بنـى كل واحـد موضعـاً فسمـى باسمه . وقيل : أول من بناهـا بنـو أراسف الكنعانى الذين اشتهروا بأنهـم بنـوا مدينـة بابل وصور ودمشق . وقيل : بنيت دمشـق على رأس ثلاثة آلاف ومائة وخمس وأربعين سنة من جملة الدهر الذى يزعمون أنه تسعة آلاف سنة .

وولـد إبـراهيم الخليل بعـد بنائهـا بخمس سنين .وقيل إنما سميت دمشق بالرومية ، وأن أصل اسمها « دوماسكس » ومعناهـا مسـك مضاعف،وذلك لطيبها وكثرة أزهارها ، وحتى الآن تستعمـل بعض الـدول الأجنبية هذا الاسم .

وقال بعضهم نقلا عن التوراة : إنه لما قتل قابيل أخاه هابيل ، سألـه الله تعـالى : أين هابيل أخوك ؟ قال : لا اعلم ، العلي حارس لأخى ، فقال سبحانه وتعالى : إن صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض . ومن المحقق أن اسم دمشق فى اللغـة السريانية معناهـا الأرض التى شربـت الـدم . وروى بعض الأقدمين أن مكان دمشق كان داراً لنـوح ، وأن خشـب السفينـة من جبـل لبنـان ، وأن ركوبه بالسفينة كان من « عين الجر » بناحية البقاع ، ونقل صاحب « عيون التواريخ » أن الـذى بناهـا غلام للإسكنـدر اسمـه « دمشقش » ، فسميت باسمه ، واختط المدينة وجعل لها ثلاثة أبواب :

- باب البريد .　　　- باب جيرون .
- باب الفراديس .

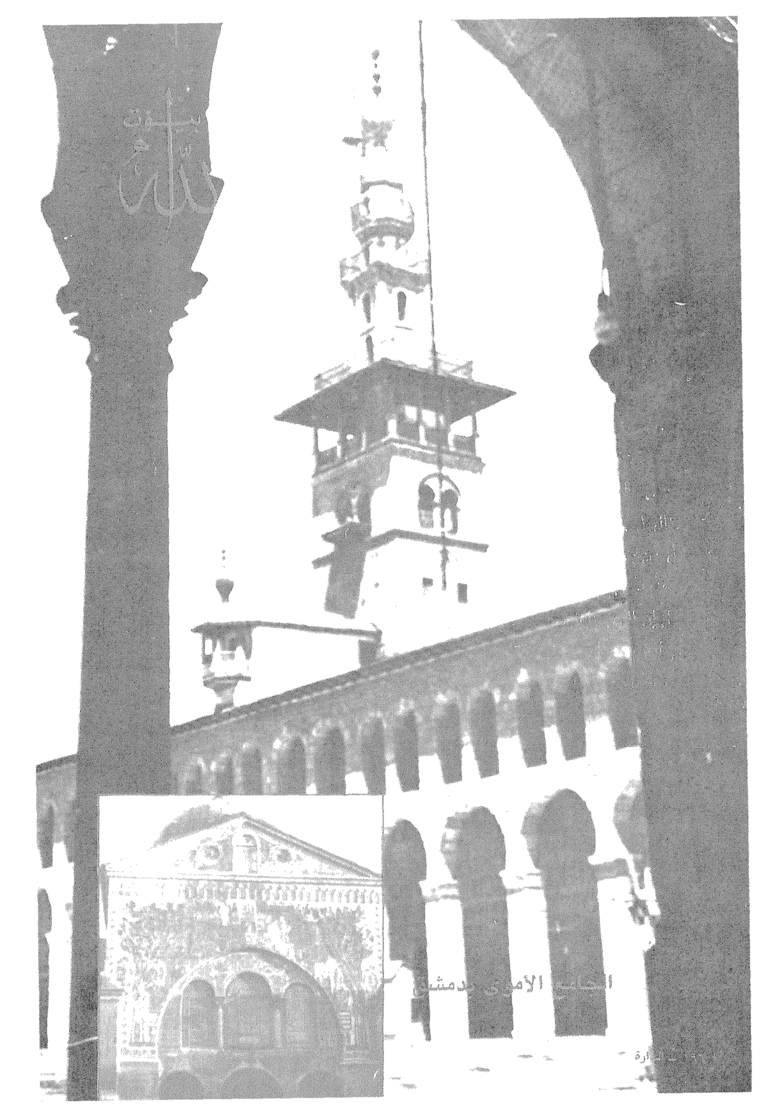
ثم زيد فيها بعد ذلك إلى ثمانية على عدد أبواب الجنة ، لأنها جنة الدنيا .

وللمؤرخين أقوال غير التي ذكرت ، وكلها متناقضة ، وباني هذه المدينة وتاريخ بنائها سرٌ من الأسرار التي عجز الباحثون عن الوصول إلى حقيقتها ؛ فالمدينة قديمة العهد وجدت قبل زمان الخليل عليه السلام بشهادة التوراة ، حيث يقال إن ابراهيم أسر « لوط » ابن أخيه إلى حوية الواقعة في شمالها ، وكانت هذه الواقعة قبل المسيح عليه السلام ، فعلى هذا تكون دمشق قد بنيت منذ أكثر من ٣٨٠٠ سنة ، وإذا كانت في زمن ابراهيم مدينة عظيمة ، فنستطيع أن نقول إنها وجدت قبل ذلك الوقت بمئات من السنين .

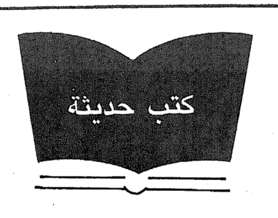
وفي العصر الإسلامي ، تميزت دمشق بين مدن العالم الإسلامي على مرّ العصور بمكانة خاصة ، فهناك من يعتبرها أقدم المدن المسكونة ، والعرب الفاتحون عرفوا قيمتها ، فاهتموا بالمحافظة عليها ، ورفعوا شأنها حتى أصبحت دار الخلافة ، وقاعدة الدولة الإسلامية النامية الغازية المتوسعة في عهد بني أمية ، ثم جار عليها الزمن في عهد بني العباس ، وتواترت فيها الفتن فتداعت معالمها الأموية واضمحلت ، ولم يبق منها قائماً إلاّ الجامع الكبير عند باب البريد ، والعنفوان الأموي « على حد تعبير المؤرخين » الذي حافظ عليه أهل دمشق على الرغم من تعاقب المحن . وهكذا استمرت المدينة العريقة في ظل الدولة العباسية ، ثم الفاطمية ، تعيش على هامش التاريخ الإسلامي ، حتى دخلت تحت حكم « آل سلجوق » في غضون القرن الخامس للهجرة ، وهو الحادي عشر للميلاد ، ولم يمض زمن يسير على دخول دمشق تحت حكم السلاجقة ، والملوك الأتابكة من بعدهم ، حتى أخذت المدينة تستعيد مكانتها في العالم الاسلامي ، فأصبحت كبرى قواعد الجهاد ضد الفرنجة في بلاد المشرق ابتداء من القرن السادس للهجرة ، وهو الثاني عشر للميلاد ، وذلك في ظل الدولة الأتابكية البورية ، ثم النورية ، ثم الأيوبية .

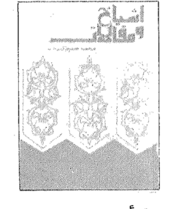
وفي الوقت الذي أخذت دمشق تستعيد مكانتها السياسية والعسكرية في العالم الإسلامي ، عاد إليها النشاط التجاري وازدهرت فيها الصناعات والحرف ، وبرز فيها تراث معالم الحضارة الإسلامية والنهضة الاجتماعية والعلمية المترامية الأطراف .

● المرجع : محمد أديب آل تقي الدين الحصني ـ كتاب منتخبات التواريخ لدمشق جـ ١ : ٣ ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ١٩٧٩ م .



الجامع الأموي بدمشق





● **أشياخ ومقالات .**

محمد حسين زيدان

« ٢١٠ صفحة »



● **أعلام الحجاز**

« الجزء الثانى »

« فى القرن الرابع عشر للهجرة »

محمد على مغربى

« ٣٥٠ صفحة »



● من أبواب التراث :

« الروضة الغناء »

صالح العلى الصالح

« من منشورات دار الرشيد للطباعة والنشر بالرياض »

« ٢١٣ صفحة »



● **تهجّيت حُلما .. تهجّيت وهماً**

شعر : محمد الثبيتى

من مطبوعات الدار السعودية للنشر والتوزيع

« الطبعة الأولى ـ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م »

« ١١٠ صفحة »

● **الهمزة** « مشكلاتها وعلاجها »

د . شوقى النجار

من منشورات دار الرفاعى للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض . « الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ . ـ ١٩٨٤ م »

« ١٢٤ صفحة »

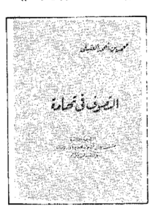


● **التصوف فى تهامة**

محمد بن أحمد العقيلى

الطبعة الثانية مشتملة على فصول جديدة وزيادات وتعليقات وتراجم

« ٢٣١ صفحة »





جائزة الملك فيصل العالمية

تحت رعاية حضرة صاحب الجلالة الملك **فهد بن عبد العزيز** المفدى ، تم افتتاح المقر الدائم لمؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض ، وذلك مساء يوم السبت ٢٤ من جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ . الموافق ٢٥ فبراير ١٩٨٤ م . .

كما شرّف جلالته الاحتفال السادس لتقليد جائزة الملك فيصل العالمية للفائزين بها هذا العام ١٤٠٤ هـ .

ـ جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام :

● حضرة صاحب الجلالة الملك **فهد بن عبد العزيز آل سعود** .

ـ جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية :

● فضيلة الشيخ مصطفى أحمد الزرقاء .

جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربى :

● سعادة الأستاذ محمود محمد شاكر .

ـ جائزة الملك فيصل العالمية للطب :

أ ـ سعادة الدكتور جون س . فورد تران .

ب ـ سعادة الدكتور وليام ب . جرينو الثالث .

حـ ـ سعادة الدكتور مايكل فيلد .

ـ جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم :

أ ـ سعادة الدكتور جيرد بينج .

ب ـ سعادة الدكتور هنرى روهرر .

هذا وقد حضر الحفل عدد كبير من أصحاب السمو الملكى الأمـراء والمعالى الوزراء ، وكبار المسئولين وبعض الشخصيات العربية والاسلامية والعالمية .

وهكذا جاءت جائزة الملك فيصل العالمية لتبارك جهود العلماء والباحثين فى شتى نواحى العلم والأدب ، وتشاركهم مسيرتهم فى كل ما يعود على الإنسانية بالخير والنماء والازدهار .



جوائز آل بصير العالمية

من منطلق الايمان بالله تعالى ، والرغبة الأكيدة فى المساهمة فى وجوه الخير والبر ، أصدرت **أمانة جوائز آل البصير العالمية ميثاقها الأساسى** الذى يهدف إلى رفع راية الإسلام وخدمة الدعوة الاسلامية ، وتكريم العلماء وتشجيع البحث العلمى ، والأخذ بيد طلاب العلم ، وخدمة بنى الإنسان ، وذلك من خلال صرف مجموعة من الجوائز المالية للمبـرِّزين من رجـال

الدعوة الإسلامية والأدباء والعلماء والمتفوقين من الطلاب والطالبات في مختلف المراحل والتخصصات .

وكذا تشجيع مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم ، والمؤسسات التي تعنى بعلومه وعلوم السنة المطهرة داخل المملكة وخارجها ، وتشجيع البعوث الإسلامية والعمل على نشر الكتب الاسلامية باللغة العربية واللغات الأخرى ، والمساعدة في بناء المساجد والمراكز الاسلامية ، وإقامة المكتبات التي تعنى بالتراث الإسلامي في كل مكان .

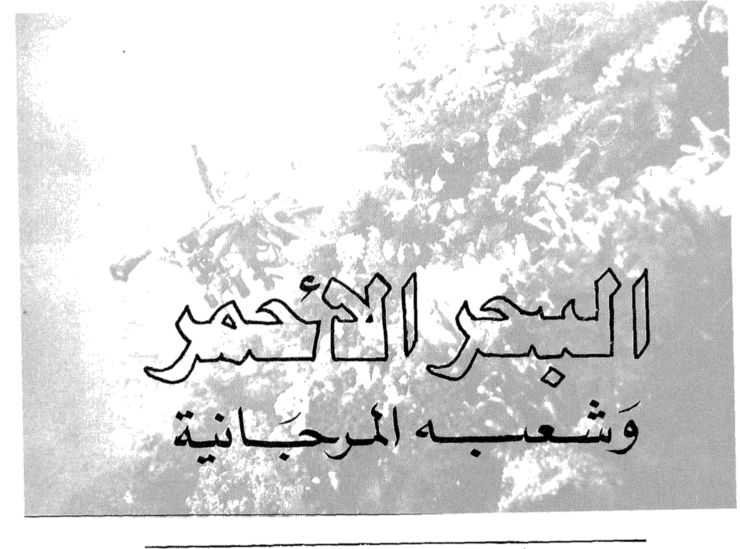
وأيضا تمكين الطلاب الصالحين النابغين من متابعة دراساتهم الجامعية والعليا من أبناء المسلمين ؛ عن طريق منح تخصص لهذه الغاية وغير ذلك من الأهداف الخيّرة التي رصدت لها أكثر من مائتي مليون ريال .

وتم تحديد الجوائز المالية بألف جائزة سنويا يبدأ الإنفاق عليها بمبلغ خمسة ملايين ريال سنويا .

••••

المكتب الإعلامي السعودي في تونس

مضى عام على افتتاح المكتب الإعلامي السعودي في تونس ، كان مليئا بالنشاط والحركة ؛ حيث يقوم بتوزيع الصحف والمجلات والدوريات السعودية على مختلف الأوساط الإعلامية والإدارية والثقافية والجامعية والديبلوماسية والعلمية في كافة أنحاء الجمهورية التونسية ، كما يمدّ صحافتها بكل المعلومات حول مسيرة المملكة الإنمائية ، وحول آفاق التعاون التونسي السعودي ، كما أنشأ المكتب مكتبة لخدمة القراء التونسيين ، ونشر الإشعاع العلمي خدمة للإسلام والعروبة ، وتوثيق الروابط الأخوية والتعاون والمحبة بين الشعبين السعودي والتونسي .



البحر الأحمر وَشعبه المرجَانية

الدكتور محمد أحمد الرويثى ، الدكتور أحمد عبد القادر المهندس

ملخص البحث :

يناقش هذا البحث ، الملامح الأساسية لتكوين البحر الأحمر وتاريخه ، وتركيبه الجيولوجى ، وتمعدنه ، والخصائص المميزة لحيوان المرجان الذى يبنى الشعب المرجانية ، وأنواعه المنقرضة والسائدة فى العصر الحديث ، والبيئة التى توجد فيها الشعب المرجانية وأنواعها المختلفة .

وركزت الدراسة على الشعب المرجانية التى يزخر بها البحر الأحمر الذى يعتبر بيئة طبيعية جيدة لتكوينها ، والتى وجد أنها تنقسم الى مجموعتين هما : الشعب المرجانية المنعزلة ، والشعب المرجانية الساحلية ، وخُتم البحث بإيضاح أهم الخصائص المميزة للبحر الأحمر .

١ ـ البحر الأحمر وتاريخه الجيولوجي :

يمثل البحر الأحمر جزءا من الأخدود الأفريقي ، الذى يمتد من جنوب خط الاستواء حتى شمال فلسطين ، وهو أكثر أجزاء الأخدود وضوحا ، ويمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقى بين خطى عرض ٣٥° شمالا ، ٣٠ ١٢° شمالا ، لمسافة تزيد عن ١٩٥٠ كيلو مترا(١) .

ويبلغ اتساع البحر الأحمر عند شبه جزيرة سيناء حوالى ٢٧٥ كم ، بينما يبلغ اتساعه حوالى ٣٥٠ كم فيما بين مصوع وجيزان ، ثم يضيق إلى حوالى ٣٠ ـ ٤٠ كم عند جنوب مضيق باب المندب (٢) . ويصل عمقه فى بعض المواقع حوالى ٤٨٢ مترا ؛ لكنه يصل الى ٣٠٣٩ مترا فى وسطه (٣) .

تكوّن الأخدود الأفريقى فى أواخر العصر الكريتاوى والنصف الأول من الزمن الثالث ، ثم انفصلت الهضبة العربية الأفريقية فى الميوسين ، وقد نتج عن تلك الحركات التكتونية انكسارات والتواءات أدت الى تكون البحر الأحمر (٤) . ولعل هذا يعود إلى تباعد اللوح العربى واللوح الأفريقى مما سبب مولد البحر الأحمر . وتتباعد شبه الجزيرة العربية عن قارة افريقيا بمعدل يقرب من ٢٠ ملليمترا فى العام وذلك خلال قاع البحر الأحمر الذى يعد من أصغر المحيطات فى العالم ؛ حيث تنبثق الصخور المنصهرة من باطن الأرض لتمزق القشرة الحديثة فى قاع البحر الأحمر مما يشكل منخفضا فى مركزه يسمح بميلاد هذا المحيط الجديد (٥) . ويشغل البحر الأحمر أخدودا عميقا هو جزء من انكسار أرضى عميق فى القشرة الأرضية ذو علاقة كبيرة بالتكوينات التكتونية للمحيط الهندى(٦) . ويرجع تاريخ تكوين البحر الأحمر الى عصر الأيوسين ؛ حيث ظهر لأول مرة على شكل خليج كبير مفتوح أمام البحر المتوسط ، ثم تطور تدريجيا الى منخفض واسع خلال عصور الأوليجوسين **Oligocene** والميوسين **Miocene** وقد أصبح البحر الأحمر منذ عصر الميوسين ذراعا للبحر المتوسط وبحر تيش **Tethys** القديم ، حيث اتصلت مياه البحر المتوسط بمياه البحر الأحمر الذى كان مغلقا من الجنوب بحاجز أرضى يفصله عن المحيط الهندى ، حتى أواخر الميوسين (٧) . وقد حدثت بعض الانكسارات فى اوائل الميوسين نتيجة لارتفاع حواف الأخدود ، وانتهى هذا العصر بحركات رفع أدت الى ظهور جبال البحر الأحمر ، وصحبها ارتفاع على الساحل وتكوّن سلسلة من البحيرات الطولية الساحلية (٨) .

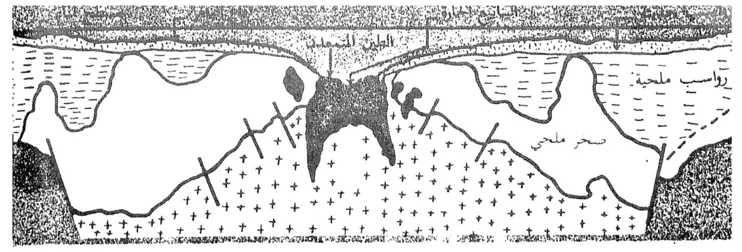
وفى بداية عصر البلايوسين **Pliocene** حدث ارتفاع فى سطح الأرض انفصل بسببه

البحر الأحمر عن بحر « تيش » Tethys ، ترتب عليه انغلاق البحر الأحمر وفصله عن البحر المتوسط ، بينما انخفض الحاجز الأرضى الجنوبى نتيجة لتزحزح القرن الأفريقى بعيدا عن شبه الجزيرة العربية مما سمح لمياه المحيط الهندى بالدخول إلى البحر الأحمر . وحدثت ذروة انكسار الغور الأوسط للبحر الأحمر فى عصر البلايوسين Plioceneمصحوبة بارتفاع لجوانب الأخدود ـ جبال البحر الأحمر ـ كما عملت الأودية على نقل وتعرية الصخور القديمة وإعادة ترسيبها على الساحل [٩] . كما تكوَّن فى هذا العصر مضيق باب المندب ؛ حيث اتصل البحر الأحمر نهائيا بالمحيط الهندى [١٠] .وفى فترة البلايستوسين والحديث « الزمن الرابع » تعرض ساحل البحر الأحمر لحركات رفع اقترنت بانخفاض منسوب سطح البحر ، وكانت المنطقة تخضع خلاله لفترة مطيرة ، مما زاد من قوة جريان وديان جبال البحر الأحمر . ونتج عن ذلك تكوينات رسوبية ممتدة على طول الساحل ، تحيط بها شعب مرجانية تظهر فى صورة شواطئ مرجانية مرتفعة ، نجدها قد تقطعت فى عدد من السطوح المختلفة الارتفاع ، أعلاها يبلغ حوالى ٢٥٠ مترا فوق مستوى سطح البحر عند جزيرة تيران [١١] .

٢ ـ تمعدن البحر الأحمر :

حظى البحر الأحمر باهتمام علمى كبير منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، وقد اكتشفت فيه مناطق تزخر بكميات كبيرة من الرسوبيات المعدنية منذ منتصف الستينات[١٢] . وقد تم اكتشاف حوالى ثمانية عشر موقعا للرسوبيات المعدنية فى المنطقة العميقة الواقعة فى منتصف البحر بين المملكة العربية السعودية والسودان . ويوضح شكل (١) قطاعا جيولوجيا بعرض البحر الأحمر ؛ حيث تتكون قشرة محيطية جديدة سنويا ، ويمكن ملاحظة الطين المتمعدن الذى يرتكز على الصخور النارية ، وتحيط به صخور ملحية ، وتنبثق منه ينابيع حارة ، ويبلغ عمق هذا القطاع الجيولوجى حوالى سبعة كيلو مترات [١٣] . وثبت أن العناصر التى تعتبر اقتصادية فى الرسوبيات هى الزنك والنحاس والفضة والكادميوم والمنجنيز والحديد والرصاص . وتقدر حاليا كمية المعادن فى منطقة « أطلانتس ٢ » بالبحر الأحمر كالتالى :

٢ مليون طن زنك ، ٥٠٠ الف طن نحاس ، ٤ آلاف طن فضة ، ٨٠ طن ذهب بالإضافة الى كميات من الرصاص والكادميوم والكوبالت [١٤] .

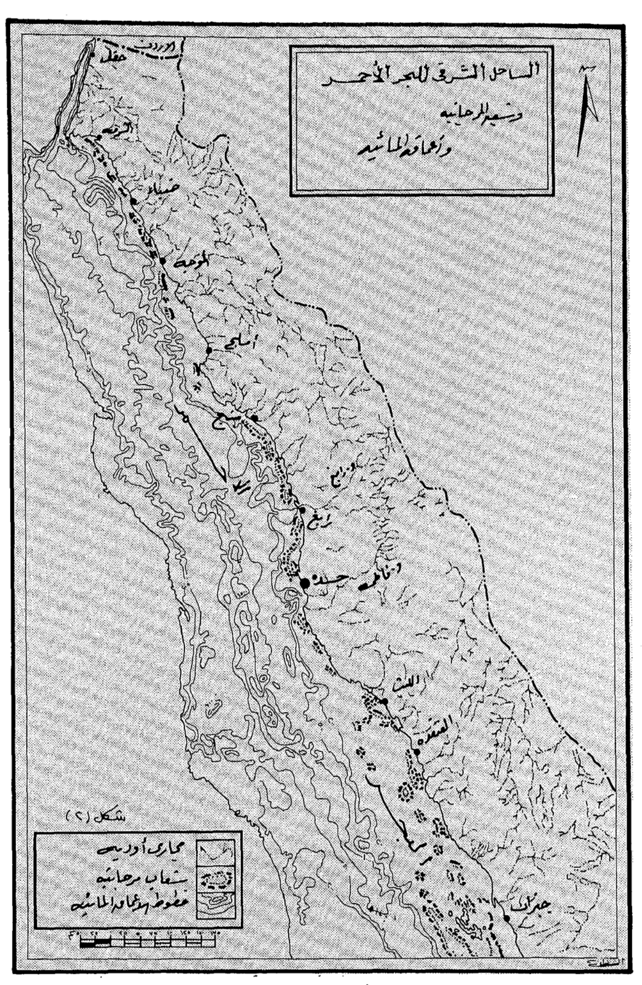


شكل رقم (١)

قطاع جيولوجى بعرض البحر الأحمر

صورة رقم (١)

يزخر البحر الأحمر بكثير من المستعمرات المرجانية ذات الألوان المختلفة مثل هذه المستعمرة التى تظهر فى هذه الصورة .



الساحل الشرقي للبحر الأحمر وشعبه المرجانية . وأعماقه المائية

٣ ـ المرجان والشعب المرجانية :

تنتج الشعب المرجانية عن نمو وتراكم وإفراز مستعمرات حيوان المرجان ، وهو حيوان دقيق الحجم « يسمى بوليب Polyp وينتمى الى شقائق البحر وقناديل البحر . ويعيش المرجان فى مستعمرات متحدة ، وهو يفرز أملاحا كلسية من البحر ويكوِّن لنفسه منها هيكلا متحجرا ، ويواصل الجزء الحى النمو إلى أعلى . أما بقية الهيكل من أسفل فيكوِّن فى النهاية صخرا مرجانيا . وأغلبية المرجان تفرز هيكلا جيريا صلبا ، ويتخذ أشكالا عديدة فمنه الذى ينمو وكأنه قرون غزال ، ومنه ما يشبه دماغ الانسان فى تعاريجه ، ومنه ما يكون مستدير الشكل [١٥] . وتوجد أنواع مختلفة من حيوان المرجان ؛ فهناك المرجان الرباعى ، وهو مرجان منقرض ظهر فى العصر الأردوفيسى ، وبلغ أوجه فى العصر السيلورى ، واختفى فى نهاية حقب الحياة القديمة Palaeozoic Eva قبل حوالى ٢٠٠ مليون سنة . وقد أتى بعد هذا المرجان المرجان السداسى Zoantharia أو Hexacorallia وهذا المرجان هو البانى للشعب المرجانية فى البحار الحديثة ، كما يوجد أيضا المرجان الثانى Octacorallia [١٦] .

ولا يعيش حيوان المرجان فى درجة حرارة أقل من ٢٠ م ، ولذلك يتركز نمو الشعب المرجانية فى المياه الدافئة الاستوائية والمدارية الواقعة بين خطى عرض ٣٠° شمالا و ٢٥° جنوبا ، كما أن المرجان لا يمكن أن ينمو قرب الأنهار أو الأودية التى تصب فى البحر وترسب أحجاما كبيرة من الرسوبيات ، كما أنه يعيش فى نطاق ضيق من الحرارة والملوحة والعمق [١٧] .

والشعب المرجانية هى أرصفة من الصخور المرجانية التى قد تمتد مسافة مئات الكيلو مترات ، وتوجد فى المياه الضحلة على شواطئ الجزر والقارات فى المناطق الاستوائية ، وهى لذلك تسمى الشعب الشاطئية . ويمكن تقسيم الشعب المرجانية إلى ثلاثة أنواع حسب أمكنة وجودها [١٨] كالتالى :

ا ـ الشعب السجافية : Fringing Reef

وهذه تكون أرصفة ملاصقة للشواطئ ولا تظهر فوق الماء إلا أثناء الجزر .

ب ـ الشعب الحاجزية : Borrier Reef

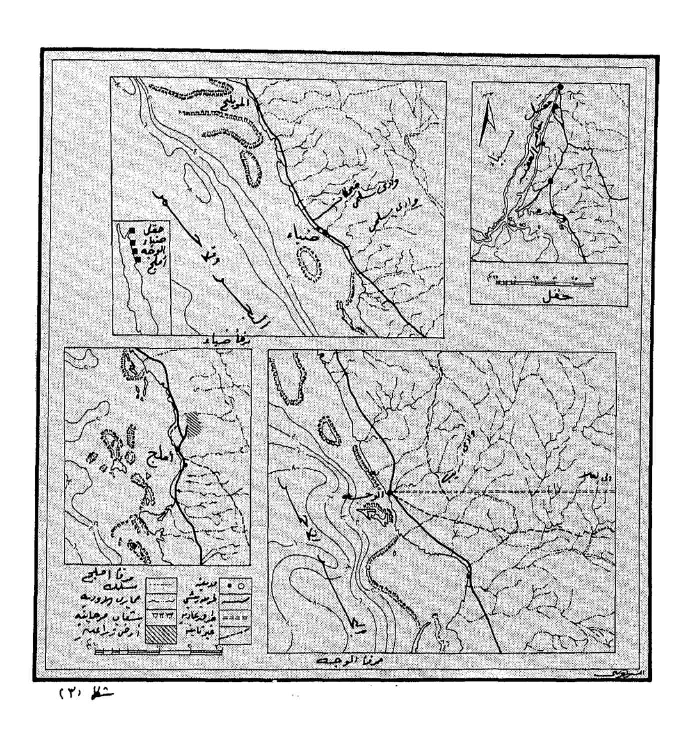
وهذه تكون أرصفة عالية على هيئة حواجز حول الشاطئ ويفصلها عنها بحيرات شاطئية طولية (Lagoons)

حـ ـ الشعب الحلقية : Atoll

وهذه شعب ذات شكل دائرى كامل الاستدارة تماما أو تقريبا .

٤ ـ الشعب المرجانية بالبحر الأحمر :

يوجد كثير من الشعب المرجانية التى يزخر بها البحر الأحمر على الساحل الغربى للمملكة العربية السعودية . ويوضح شكل (٢) الساحل الشرقى للبحر الأحمر وشعبه المرجانية وأعماقه المائية . وقد تسربت بعض أحياء المحيطين الهندى والهادى إلى البحر الأحمر عن طريق مضيق باب المندب ، حيث وجدت فى مياهه البيئة الملائمة لنموها وانتشارها بشكل كبير ، ومن أهم هذه الأحياء مرجان الشعب صورة رقم (١) ألذى وجد البيئة الملائمة فى البحر الأحمر من حيث ارتفاع درجة الحرارة والأعماق الضحلة ، وصفاء المياه ، وارتفاع نسبة الملوحة [١٩] فمن حيث درجة حرارة المياه التى ينبغى أن تكون أعلى من ٢٠° مئوية فإن متوسطها فى مياه البحر الأحمر يتراوح ما بين ٢١ ـ ٢٢° مئوية ، وهى درجة ملائمة لنمو المرجان وتكاثره وبناء شعبه المرجانية بالإضافة الى ضحالة المياه التى ينمو فيها حيوان المرجان ؛ إذ ان عمقها لا يزيد عن ٤٥ مترا [٢٠] . كما ان نظام الشعب المرجانية تحمى مجموعة كبيرة من الأحياء البحرية التى تعيش ضمنها ، صورة رقم (٢) ، وبالنسبة لملوحة مياه البحر الأحمر والتى توجد بها نسبة عالية من الأملاح ، فقد بلغت حوالى ٣٦,٥ جزء فى الألف عند جزيرة بريم فى الجنوب ، بينما تصل الى ٤٠ جزء فى الألف فى الأجزاء الشمالية [٢١] . ويتضح من دراسة الخرائط المرفقة أن الشعب المرجانية تقل وتتلاشى عند مَصَابّ الأودية ، ويعود هذا إلى ارتفاع نسبة الرواسب التى تقذف بها هذه الأودية فى مياه البحر مع قلة نسبة الملوحة مما يؤدى الى تعكيرها ، وينتج عن هذا ثغرات متعددة فى هذه الشعب المرجانية ، وينشأ عن هذا ما يعرف بالشروم . وقد لاحظ أحد الباحثين أن الشعب المرجانية التى تمتد على طول ساحل البحر الأحمر تتميز بأن قواعدها توجد على أعماق تزيد على ١٠٠ متر فى بعض الأحيان ، وهو عمق لا يسمح ببناء الشعب المرجانية[٢٢] ، ولهذا فإنه يمكن القول بأنه عندما بدأت الشعب المرجانية فى التكون ، كان مستوى سطح البحر الأحمر أخفض من مستواه الحالى ، أو أن قاعه كان أعلى مما هو عليه الآن . ويتضح من الخرائط البحرية أن النصف الجنوبى من البحر الأحمر ملىء بالشعب المرجانية . أما النصف الشمالى ، فتتركز فيه الشعب المرجانية عند مدخل خليج



شكل (٣)

الشعاب والجزر المرجانية بالقرب من مرافئ الحجاز الشمالية

العقبة [٢٣] . وتمتد الشعب المرجانية على هيئة خطوط طويلة موازية للساحل ، تتصل فى كثير من جهاته ، حيث تظهر على صورة أشرطة ملاصقة للساحل لعدة كيلو مترات ، وتنقطع هذه الشعب عند مصابّ الأودية . وتوجد كثير من الشعب المرجانية المنعزلة ، والتى تقع على مسافة كبيرة من خط الساحل او فى عرض البحر ، وتكوّن جزرا مرجانية ، كما هو الحال أمام جيزان والخريبة وأملج ، حيث تظهر كثير من الجزر الصغيرة والبقاع الضحلة التى تسبب أخطارا واضحة على الملاحة البحرية .

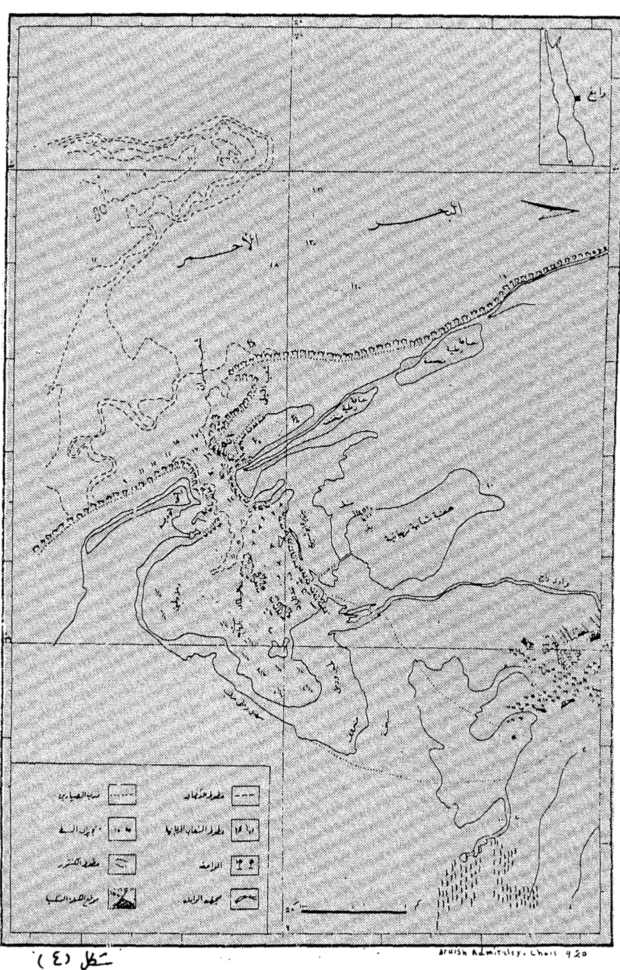
ويمكن تقسيم الشعب المرجانية على الساحل الغربى للمملكة العربية السعودية إلى مجموعتين رئيسيتين هما :

ا ـ الشعب المنعزلة : Isolated Reefs

وتزداد هذه الشعب فى الشمال عنها فى الجنوب من البحر الأحمر ، ويتراوح عمق قاع البحر ما بين ٢٠٠ الى ٢١٠ قامة عند وجود هذه الشعب المرجانية ، وفى الجزء الواقع بين درجتى العرض ١٨° الى ٢٠° شمالا ، تمتد هذه الشعب لمسافات تتراوح ما بين ٣٢ إلى ٨١ كيلو مترا من الشاطئ مكونة ما يسمى بالشط Bank [٢٤] . وبعض هذه الشعب المنعزلة هى من النوع الذى يعرف بالتكوينات الحلقية Atoll-like Formations ويُعتقد بأن هذه الشعب المرجانية قد تكونت على جزر بركانية ، تكونت بدورها نتيجة لاندفاع الصهير البركانى ، ولعل حركة انسياب المياه من المحيط الهندى الى لبحر الأحمر من أهم العوامل التى أسهمت فى تكوين هذا النوع من الشعب المرجانية [٢٥] .

ب ـ الشعب المرجانية الساحلية : Fringing Coastal Reef

تحيط بالساحل السعودى شعب ضحلة Shallow Reefs يتراوح عرضها من عدة أمتار إلى أكثر من كيلو متر ، وتقطع هذه الشعب مصابّ الأودية حيث يتشرشر الساحل ، وتوجد المراسى الطبيعية فى المياه العميقة التى تعرف باسم الشروم [٢٦] . ويحيط بالشرم عادة بعض نباتات المنجروف . ويمكن القول إن هذه الشعب قد نمت فى المياه الضحلة المحمية التى تمد لمسافة حوالى ١,٥ كيلو مترا من خط لشاطئ ، ويبلغ عرضها فى المتوسط حوالى ٤٠٠ متر [٢٧] . ومعظم الساحل إلى الجنوب من خليج العقبة محاط بالشعب المرجانية ، إلاّ أن هناك منطقتين يمكن استثناؤها . المنطقة الأولى ما بين شرم الحسى شمالا إلى جنوب شرم



شكل (٤)

British Admiralty Chart 420

ينبع بين خطى عرض ٢٤° و ٢٥° شمالا . والثانية ما بين خطى عرض ١٧° و ١٨° شمالا ، ما بين بلدة القحمة حتى رأس طرفة على ساحل عسير ، حيث تنتشر فيها بعض الأشرطة المرجانية الصغيرة .

ويمكن أن نميز فى مياه الساحل الغربى للمملكة العربية السعودية ثلاث مناطق تكثر فيها الشعب المرجانية والبقاع الضحلة ، وهى :

أ ـ المنطقة الأولى : وتمتد من رأس الشيخ حميد حتى الوجه جنوبا ، وتنتشر فيها الشعب والجزر المرجانية ، وتحيط بالجزر الموجودة فى المنطقة الشعب المرجانية التى تكون على مقربة من الساحل (انظر شكل ٣) .

ب ـ المنطقة الثانية : وتمتد من جنوب الوجه حتى شمال الليث . وتتناثر الشعب المرجانية فيها بشكل متقطع . وحول خليج أملج المحمى من قبل الشعب المرجانية الشاطئية ، والجزر يظهر المرجان الحى بالقرب من الساحل ويبلغ عمق المياه حوالى ٧ قامات .

وتمتد الشعب الشاطئية Inshore Reefs متوازية الى الغرب وقريبة من منطقة ذات قاع مسطح من الرأس الأبيض الى رأس مستورة . وتوجد بعض المرافئ الطبيعية التى تقطع سلسلة الشعب الساحلية مثل : مرافئ رابغ والقضيمة وتول (انظر شكل ٤) وتأخذ الشعب المرجانية المحيطة بالساحل فى الانتشار نحو الجنوب على طول خط الشاطئ ، وتظهر بشكل مكثف حول مدينة جدة ، ويظهر ميناء جدة نتيجة لحدوث انقطاع فى الشعب المرجانية (انظر شكل ٥) .

حـ ـ المنطقة الثالثة : وتمثل القسم الجنوبى من الساحل الغربى للمملكة العربية السعودية ، وتشغل مساحة قدرها حوالى ١٨ الف كم٢ ، ويتبعثر فيها ما يقرب من ٥٠٠ جزيرة وشعبة ، ويزيد متوسط عمق المياه فيها على ١٠٠ قامة . أما الشعب المرجانية الموازية لخط الساحل والممثلة بالجزر والشعب فإنها تصل الى مستوى سطح البحر ، وبعض الشطوط يرتفع عن مستوى قاع البحر .

○ ○ ○

• خاتمة •

يعد البحر الأحمر ظاهرة جيولوجية فريدة ؛ حيث يمكن إثبات نظريات الزحف القارى ، وانتشار قاع البحر ، وتحرك الأمواج من خلال دراسته . كما يتميز البحر الأحمر بأنه مستودع ديناميكى للثروة المعدنية التى تنبثق من خلال قشرة قاعه الرقيقة ، بالاضافة الى تركيبه الجيولوجى الذى يرجع تأريخه إلى عصر الأيوسين . ويزخر البحر الأحمر بكثير من الشعب التى تكثر فى النصف الجنوبى منه ، وتتركز عند مدخل خليج العقبة فى النصف الشمالى .

وتظهر مجموعة من المراسى الطبيعية التى تبدو على شكل شروم على الساحل ، استخدمها الانسان فى تنقلاته البحرية وتجارته الخارجية . وتتميز منطقة الساحل الغربى للمملكة العربية السعودية بما يلى :

١ ـ انتشار مجموعة من الخلجان والشروم ، والتى تصب فيها مجموعة من الأودية ، والتى ساعدت مياهها على منع نمو المرجان مما يجعلها مهيأة لأن تكون مراسى للسفن الصغيرة ، كما ان الشعب المرجانية المحيطة بالساحل لم تقف عائقا أمام وجود منافذ بحرية للمنطقة ، حيث وجد الكثير من المراسى الطبيعية التى قامت بين الشعب المرجانية والصخور ، وقدرت بحوالى أربعة عشر شرما فى القسم الشمالى من الساحل وحوالى سبعة شروم فى كل من القسمين الأوسط والجنوبى من الساحل .

٢ ـ إن تركز وجود المراسى الطبيعية أمام مصابّ الأودية التى تنصرف مياهها الى البحر الأحمر ، بالإضافة الى قلة ملوحتها وكثرة رواسبها نتج عنه تقطع الشعب المرجانية الملاصق للساحل ، مما أدى إلى ظهور بعض الثغرات والفتحات فى هذه الشعب المرجانية ؛ مثل شروم المويلح والوجه وينبع وجيزان ، وتبدو هذه المراسى على شكل خلجان مقفلة وهادئة تحيط بها الشعب المرجانية التى تضم أنواعا مختلفة من الأحياء المائية التى يمكن الاستفادة منها .

٣ ـ إن وجود المراسى الطبيعية على البحر الأحمر قد ساعد الإنسان طوال العصور التاريخية الماضية فى إقامة بعض المرافئ التى استفاد منها فى الإبحار من أجل التجارة .

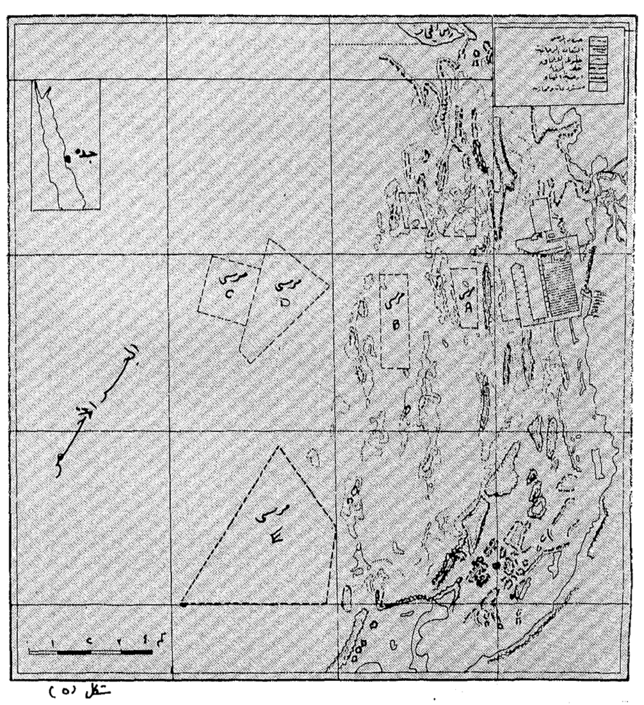
٤ ـ قام حول المرأسى الطبيعية كثير من المدن والقرى المنتشرة على طول الساحل فى العصر الحديث ، وتتوفر حول هذه المراسى الطبيعية مصادر المياه تحت السطحية ، وقد تحولت هذه المراسى الطبيعية مع مرور الزمن وتطور الظروف الاقتصادية الى موانئ تجارية مهمة ؛ مثل موانىء جدة وينبع وجيزان .

٥ ـ إن نظام الشعب المرجانية على ساحل البحر الأحمر يضم أنواعا من الأحياء البحرية التى ينبغى دراستها من النواحى البيولوجية والاقتصادية والبيئية .

٦ ـ يتميز الساحل بوجود عدد من محطات تحلية مياه البحر التى توجد بالقرب من الشعب المرجانية ونباتات المنجروف ، وحيث أن هذه المحطات تفرز بعض التلوث الفيزيائى والكيميائى للبيئة المجاورة ؛ فإن الباحثين مدعوون إلى دراسة ظاهرة التلوث على هذه البيئة الطبيعية .

○ ○ ○





شكل (٥)

ميناء جدة - وتنتشر حوله وعلى مقربة من الساحل الشعب المرجانية

• مراجع البحث وهوامشه "References" •

1 Morocos, S.A Physical and chemical oceanography of the Red Sea, London, 1970.

2 - Dubertret, L., Review of structural geology of the Red Sea and surronnding area, philos, trans., Royal Society of London, Vol, 267, 1970.

3 - The Middle East - Japan ports and harbours, Joint conference, present & future status of navigation, Tokyo, 1977.

(٤) ابو العلا ـ محمود طه : جغرافية شبه جزيرة العرب ، جـ ١ ، المملكة العربية السعودية ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

5 - Vine, F.J., Spreading of Ocean floor-New evidence : Science, V. 154, 1966.

6 - Coleman, R.G., Geologic background the Red Sea. Initial reports of Deep Sea Drilling Project, Vol. 23, 1974.

7 - Hybrock, A., The Red Sea Miocene evaporite basin, Institute of Petroleum, London, 1965.

8 - Brown, G.F., Eastern margin of the Red Sea and coastal structures in Saudi Arabia Philos, Trans. Royal Society of London, 1970.

9 - Whiteman, A.J., Basement complex of Red Sea Hills, 1970.

10 - Degens, E.Y., and Ross, D.A., Hot brines and recent heavy metal Deposits in the Red Sea : New York, 1969.

11- Brown, G.F., Op.Cit.

12- Degens, E.T., and Ross, D.A., Op.Cit.

13- Saudi - Sudanese Red Sea Joint Commission Reports.

14- Op.Cit., P.13.

15- The New Encyclopaedia Britannica, 1974.

16- Op.Cit.P.15.

17- Straheler, A.N., and Straheler, A.H., physical Geog raphy, London, 1976.

١٨ ـ فارس ، محمد ابراهيم وآخرون : قواعد الجيولوجيا العامة والتطبيقية . ١٩٦٤ .

19- Sparks, B.W., Geomorphology, London, 1960.

20- Stone, W.G. and others, Geographic Fundamentals, London, 1975.

21- Williams, T.M., Navigation Of The Red Coast Of Saudi Arapia, Technical Report, No.1, 1974.

22- أبو العز ، محمد صفى الدين : مورفولوجية الأراضى المصرية ، دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

23- British Admiralty, Red Sea And Gulf Of Aden Pilot, Eleventh Edition, London, 1967.

24- British Admiralty, Op.Cit.P. 23.

25- Williams, T.m., op.Cit., P.21.

26- British Admiralty, Op.Cit., P. 23 &

27- Williams, T.m., Op. Cit., pp.21 & 25.

إلى ...

كتاب "الدارة" الكرام!!

ترجو مجلة الدارة من كتابها الكرام أن يبعثوا اليها بحوثهم وموضوعاتهم ومقالاتهم وقصائدهم باسم رئيس التحرير ص.ب / ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١ المملكة العربية السعودية .

١ - أن تكون مكتوبة بخط واضح أو مطبوعة على الآلة الكاتبة حتى تخرج سليمة من الأخطاء وأن تراجع بعد نسخها .

٢ - أن يزودوا المجلة بالصور والخرائط الأصلية أو الشرائح الملونة - إذا احتاج البحث ذلك - حتى تخرج البحوث والموضوعات بصورة جيدة ترضي القراء .

٣ - ألا تزيد صفحات البحث الواحد عن عشرين صفحة لتنويع ونشر أكبر عدد ممكن من البحوث والموضوعات ، وكذا تلخيصًا للبحث في عشرة أسطر، وترجمتها إلى اللغة الإنجليزية - إن أمكن -

٤ - أن تزود المجلة بصورتين شمسيتين وبيانات عن حياة الكاتب العلمية . وذلك لمرة واحدة إذا كان الكاتب دائم الكتابة للمجلة .

٥ - أن يكون عنوان وهاتف الكاتب واضحًا ومفصلاً للاتصال به عند اللزوم . والإرسال مطبوعات الدارة .

٦ - ألا يبعثوا بنسخة أخرى من البحث إلى مجلة أو جريدة أخرى .

٧ - البحث أو الموضوع أو المقال الذي يتم اجازته ، يخطر كاتبه بذلك . أما البحث الذي لم يتم اجازته فلا يرد له ، ولكن يخطر أيضًا بذلك .

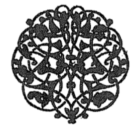
٨ - في حالة "عرض كتاب ما ..." نأمل تزويد المجلة بنسخة منه أو بصورة واضحة للغلاف .

من بحوث الأعداد القادمة

- الماء فى القرآن الكريم . د . يحيى عبدالرؤوف جبر
- طريق حجاج الشام ومصر منذ الفتح الإسلامى إلى منتصف القرن السابع الهجرى . د . سليمان عبدالغنى مالكى
- على طريق تأصيل الشعر الجاهلى من خلال الصورة . د . ابراهيم الضحيان
- المهجرون الأندلسيون « الموريسكيون » فى مصر من خلال وثائق محكمة الاسكندرية الشرعية فى العصر العثمانى . د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم
- تجارة البصرة الداخلية والعوامل المؤثرة فيها خلال القرن السادس عشر . د . طارق نافع الحمدانى
- تجارة الحرير عبر الخليج العربى فى القرن السابع عشر . د . عبدالعزيز محمد عوض
- أهمية دراسة تراثنا الجغرافى « دراسة ميدانية » . أ . عبدالله حمد الحقيل
- موسيقى الشعر بين الاتباع والإبتداع « عرض كتاب » . د . محمد عبدالمجيد الطويل
- كيفية إجراء البحوث فى الحقل التربوى . د . عبدالرحمن محمد العيسوى
- الابداع الفنى فى « نقر العصافير » « عرض كتاب » . أ . محمد فهمى سند
- الإسلام فى جنوب الباسفيكى . أ . عبدالقادر بخش

c) The third which represents the southern part of the western kingdom coast include an area of about 18 thousands square km., where about a five hundred islands and coral reefs are found at an average water depth over 100 fathoms.

Within the coral reefs system, on the western Kingdom coast, where many other associated seabearings are found, thorough biological, economical and ecological studies are of paramount importance to maintain the best equilibrium and reservation of the Coral reefs ecosystem.



Summary:

THE paper deals with the properties -charcterizing the Coral Reefs of the Red Sea, the proper e nviromnental conditions in which they occur, their different types, and their geographical distribution.

The geographical sea-maps reveal that the Coral Reefs of the Red-Sea became few in number or even disappear totally near the Wadi estuaries due to the high sedimental quantities ejected which result in sea water disturbances, in water salinity rates reduction, and in gaps occurrence in the reefs continuity.

Maps also show that Coral Reefs are immensely distributed in the southern part of the Red Sea, while their occurrence is limited in the northern part, to the Aqaba bay inlet.

Many isolated reefs are to be found at some distance from the coast-line forming barrier reefs.

At greater distance and depth they do form little coral islands or Atolls, causing nautical dangers at Jeizan, Khureibah and Umluj off-shore as an example.

Thus Coral Reefs on the western coast of the kingdom could be classified into two categories:

a) The isolated reefs.

b) The fringing coastal reefs.

The former which some are Atolls, are more widely spread in the northern part, at a sea depth of a-bout 200 to 210 fathoms, while the latter, fragmented by Wadi - estuaries, are of shallow - seas chain type with a fluctuating width between few and more than a thousand metres.

Coral reefs on the western coast of the kingdom are to be found in three locations:

a) The first, extending between cape of Sheikh Hameed in the north and el-Wajh city in the south.

b) The second, extending from the south of el-Wajh till the north of el-Leith city, where dispersed discontinued coastal reefs extend towards the west in a parallel pattern nearby a leveled area bed, from Cape White to Masture Cape, while more excessively coral reefs are present around Jeddah City.

THE RED SEA

CORAL REEFS

DISTRIBUTION

K.S.A.

by

Dr. M.A.Rouathy. ● Dr. A.A. Muhandes.



Cover Picture:

Long — nose hawk fish on white sponge and black coral.
Red Sea, Jeddah.

The writers' views do not necessarily reflect those of the magazine.

Articles are arranged technically regardless of the writer's prestige.

Annual Subscriptions:

- Saudi Arabia: 15 Riyals.
- **Arab Countries:** The equivalent of **15** Riyals.
- **Non-Arab Countries:** US $ **6**.

Articles can not be returned to authors whether published or not.

PRICE PER ISSUE

— **Saudi Arabia**	:	**2** Riyals
— **U. A. E.**	:	**4** Dirhams
— **Qatar**	:	**4** Riyals
— **Egypt**	:	**25** Piastres
— **Morocco**	:	**4** Dirhams
— **Tunisia**	:	**350** Milliemes
— **Non-Arab Countries**	:	**1** U.S. $

DISTRIBUTORS

Saudi Arabia: Al-Greisy Distributing Est., P.O. Box 1405, Riyadh, Tel.: 4022564.

Abu-Dhaby: P.O. Box 3778, Abu-Dhaby, Tel.: 323011.

Dhubai: Dar-Al-Hikma Library, P.O. Box 2007, Tel.: 228552.

Qatar: Dar- Al-Thakafa, P.O. Box 323, Tel.: 413180.

Bahrain: Al-Hilal Distributing Est.,Manama, P. O. Box 224, Tel.: 262026.

Egypt: Al-Ahram Distributing Est., Al-Gataa Street, Cairo, Tel.: 755500.

Tunisia: The Tunisian Distributing Company, 5, Nahg Kartaj

Morocco: Al-Sharifia Distributing Company, P.O. Box 683, Casablanca, 05.



All correspondence should be directed to the Editor-in-Chief. Tel.: 4417020

Editorial Director: Tel.: 4413944

Annual Subscriptions are to be directed to the Secretary General of-Addarah Tel: 4414681

Editorial Board: Tel: 4412316- 4412317- 4412318- 4412319



IN THE
NAME OF ALLAH.
THE MERCIFUL.
THE BENEFICENT



Quarterly magazine issued by King Abdul Aziz Research Centre

● Rajab 1404 A.H. /April, 1984 A.D. ● Ninth Year ● No.4 ●

King Abdul Aziz Research Centre

- Established by a Royal Decree No. M/ 45 dated 5/8/1392 A.H. as an autonomous body with independent juristic identity.
- Run by a Board of Directors vested with full authority to have its objectives materialized.

Objectives:

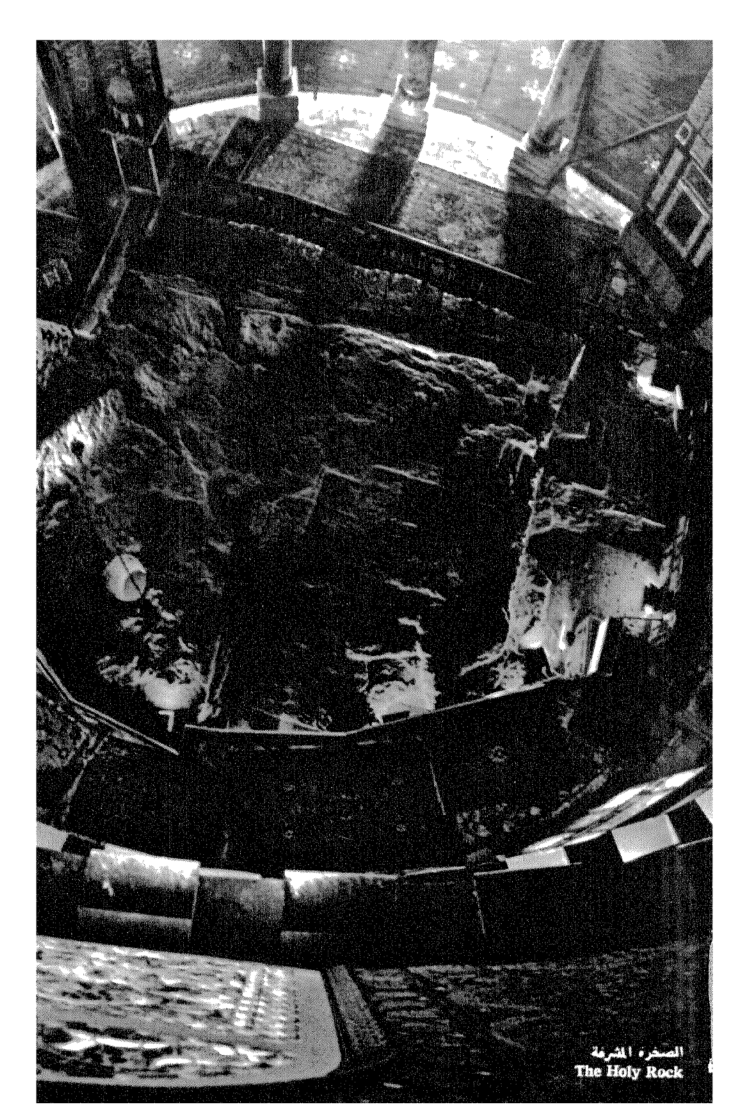
Further studies pertaining to the history of the Kingdom, its geography, literature, intellectual and cultural heritage in particular as well as those of the Arab and Islamic world in general.

— To issue a cultural magazine carrying its name **ADDARAH**.

- In accordance with the Royal approval No. 5/12608 dated 20/5/1396 A.H. the Centre has become the home of the National Saudi Archives and Manuscripts.

P.O.Box 2945 Riyadh 11461 Kingdom of Saudi Arabia

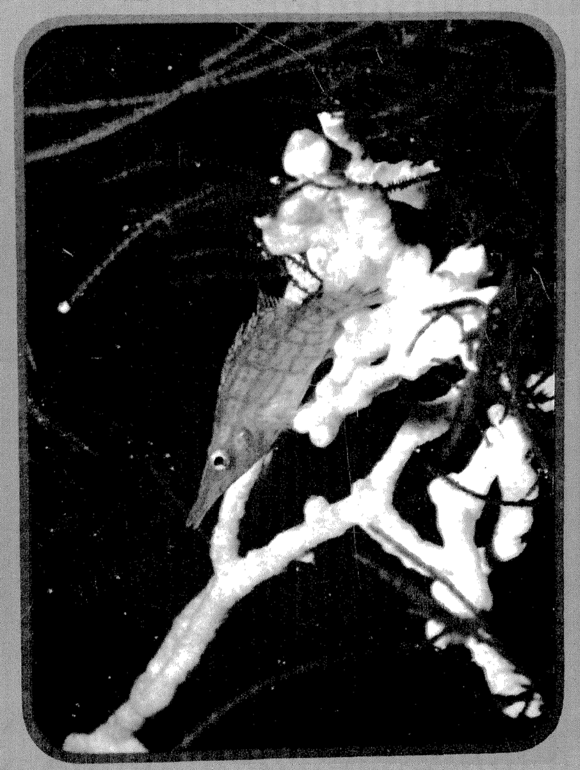
Printed by DAR EL BILAD — Jeddah



الصخرة المشرفة
The Holy Rock

ADDARAH

No. 4 — Year 9 — Rajab 1404 A.H., April 1984 A.D.



الاخراج الفنى والطباعة بدار البلاد بجدة



